

قصص الأندلس

المسمى بالعراق

تأليف: العالم العلامة أبي إسحاق أحمد بن محمد

ابن إبراهيم النيسابوري الشعبي

المتوفى سنة ٤٢٧ هـ تغمده الله برحمته

وأسكنه فسيح جناته آمين

يطلب من

مكتبة الجمهورية العربية

لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد

بشارع الصناديق بالأنقرة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على محمد وآله (قال) الأستاذ أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الشعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الأنبياء المذكورة في القرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان .

(باب في ذكر بعض وجوه الحكمة)
(في تفصيله تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين)

قال الله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) قالت الحكماء إن الله تعالى قص على المصطفى ﷺ أخبار الماضين من الأنبياء والامم الخالية لخسة أمور أي حكم :

(الحكمة الاولى) منها أنه إظهار لنبوته ﷺ ودلالة على رسالته وذلك أن النبي ﷺ كان أمياً لم يختلف إلى مؤدب ولا إلى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع إلى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شيء من العلوم إلى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار ماضى من القرون وسير الأنبياء والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلاً موفقاً صدق بما يوحى إليه وإخباره إياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلاً على صحة نبوته ومن كان منهم عدواً معانداً حسده وجمده وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً قال الله تعالى تكذيباً لهم وتصديقاً للنبي ﷺ (قل نزل الذي يعلم السر في السموات والارض) .

(الحكمة الثانية) أنه لما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والأنبياء المتقدمين والأولياء الصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم ولتنتهي أمته عن أمور عوقبت أمة الأنبياء بمخالفتها إلهيها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فيتمم الله بذلك معالي الأخلاق

فلما امثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الانبياء أثنى الله عليه فقال تعالى (وإنك لعلی خلق عظیم) ولذلك قالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن .

(الحكمة الثالثة) أنه إنما يقص عليه القصص تثبيتها له وإعلاماً بشرفه وشرف أمته وعلى أقدارهم وذلك أنه لما نظر إلى أخبار الأمم قبله علم أنه عوفي هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الانبياء والاولياء وخدع الله عنهم في الشرائع ورفع عنهم الأثقال والأغلال التي على الأمم الماضية . كما قال بعض المتأولين في تفسير قوله تعالى (وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) أما النعمة الظاهرة فهي تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال الله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعالى (وما جعل الله عليكم في الدين من حرج) وقال تعالى (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً) فلما قص الله هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحد من الانبياء والأمم فوصل قيام ليله بنهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماء فقيلا يارسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً ثم أفنحر عليه السلام فقال د بعثت بالحنفية السمحة .

(الحكمة الرابعة) أنه إنما قص عليه القصص تأديباً وتهذيباً لأمته وذلك أنه ذكر الانبياء وثوابهم والاعداء وعقابهم ثم ذكر في غير موضع وتحذيره إياهم عن صنع الاعداء وحشهم على صنع الاولياء فقال تعالى (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) وقال (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) وقال (وهديهم وعظة للمتقين) ونحوها من الآيات وكان الشبلي رحمه الله تعالى يقول في هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص .

(الحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء والماضين لإحياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم في إبقاء ذكره مثبتاً له تعجيل جزائه

في الدنيا حتى يبقى لذكرك وآثاره الحسنة إلى قيام الساعة كما رغب خليل الله إبراهيم عليه السلام في إبقاء الثناء الحسن فقال (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) والناس أحاديث يقال مامات ميت والذكر يحيمه وقيل ما أنفق الملوك والأغنياء الأموال على المصانع والحصون والقصور إلا لبقاء الذكر وأنشد ناصر بن محمد المروزي قال أنشدني الدريدي :

ولما المرء حديث بمـدة فـكن حديثاً حسناً لمن وعى

(مجلس في صفة خلق الأرض)

قال الله تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء) الآية ونظائرها كثيرة في القرآن (واعلم) أن الكلام في نعمة خلق الأرض على سبعة أبواب :

(الباب الأول في بدء خلق الأرض وكيفيتها)

روت الرواة بالفاظ مختلفة ومعان مثقفة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهره خضراء أضعاف طباق السموات والأرض ثم نظرة إليها نظرة هيبه فصارت ماء ثم نظر إلى الماء فعلى وارتفع منه زبد ودخان بخار وأرعد من خشية الله فمن ذلك يرعد إلى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) أى قصد وعمد إلى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الأرض فأول ما ظهر من الأرض على وجه الماء مكة فدحا الله من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعنى أصلها وهو قوله (والأرض بعد ذلك دحاها) ولما خلق الله الأرض كانت طبقة واحدة ففتقها وصيرها سبعة وذلك قوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) ولذلك قال بعض حكماء الشعراء :

لا تخضعن لخلق على طمع	فإن ذلك نقص منك في الدين
واستزق الله بما في خزانته	فإن رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما	استغن الملوك بدنياهم عن الدين

وقال كعب الاحبار إن الأرض كانت تنكفاً على الماء كما تنكفاً السفينة على الماء فأرساها الله بالجبال وذلك قوله تعالى (والجبال أرساها) وقوله تعالى (والجبال أوتاداً) وقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بهم) يعني لكيلا تتحرك بهم .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ما خلق الله الأرض عجت وقالت يارب تجعل على بنى آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فأرساها الله تعالى بالجبال فأقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فأحاط بها كلها وهو الذى أقسم به الله فقال (ق والقرآن المجيد) .

وروى يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما خلق الله تعالى الأرض جعلت تميد خلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فتمجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم الإنسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله .

(الباب الثانى فى حدود الأرض ومسافتها وأطباقها وسكانها)

روى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال (بين كل أرض وأرض سبع مائة سنة) وهى سبعة أطباق الأرض (الأولى) هذه فيها سكانها والأرض (الثانية) مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفى الأرض (الثالثة) خلق وجوههم مثل وجوه بنى آدم

لا يعصون الله طرفه عين ليلنا نهارهم وليلنا والارض (الرابعة) فيها
حجارة الكبريت التي أعدها الله لأهل النار تسجر بها جهنم .

قال النبي ﷺ والذي نفسي بيده إن فيها لاودية من كبريت لو أرسلت فيها
الجمال الرواسي لانماعت ، قال وهب بن منبه الكبريت الاحمر والصخرة منها مثل
الجبيل العظيم وهي التي قال الله تعالى فيها (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم
ناراً وقودها الناس والحجارة)

قال منصور بن عمار دخلت خربة فوجدت شاباً يصلي صلاة الخائفين فقلت
لنفسى إن لهذا الفتى لشأناً عظيماً لعلة من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من
صلاته فلما سلم سلمت عليه فرد علي فقلت ألم تعلم أن في جهنم وادياً يسمى لظى
نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فاعى فشمق شقيقة فخر مغشياً عليه فلما
أفاق قال زدنى فقلت (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس
والحجارة) الآية فخرميتاً فلما كشف ثيابه عن صدره رأيت مكتوباً عليه بقلم القدرة
(فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية) .

عن أبي الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم في السماء السابعة فإذا كان غداً
جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم في الارض السفلى فإذا كان غداً جعلها الله حيث
يشاء وأما بعد قعر الارض فكافيك به حديث قارون حيث خسف به الارض
وبداره وبأمواله ففي الخبر أنه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ قعرها إلى
يوم القيامة وقال النبي ﷺ بيما رجل يتبختر في برده وينظر في عطفه وقد أعجبه
نفسه يخسف الله به الارض فهو يتجملجل فيها إلى يوم القيامة .

(الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض)

قال الله تعالى (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) الآية قال
ابو إسحق شريك بيدي أبو بكر محمد بن أحمد القحطان قال شريك بيدي أحمد بن

الحسين بن شاذان قال شبك بيدي إبراهيم بن يحيى قال شبك بيدي صفوان بن سليم
قال شبك بيدي أيوب خالد الأصبغ قال شبك بيدي عبيد الله بن أبي واقع قال
شبك بيدي أبو هريرة قال شبك بيدي أبو القاسم عليه السلام فقال خلق الله الأرض
يوم السبت والجبال يوم الأحد والأشجار يوم الإثنين والظلمات يوم الثلاثاء
والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة .

(الباب الرابع في ذكر أسمائها وألقابها)

(قال) وهب بن منبه الأولى من الأرض تسمى أديما والثانية بسيطا والثالثة
تقيلا والرابعة بطيحا والخامسة متثاقلة والسادسة ماسكة والسابعة ترى .
(وما أسماؤها المذكورة في القرآن) فهي سبعة أيضاً سماها الله فراشاً فقال
(الذي جعل لكم الأرض فراشاً) وسماها قراراً فقال (أم من جعل الأرض
قراراً) وسماها رتقاً فقال (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا
رتقاً) وسماها بساطاً فقال (والله جعل لكم الأرض بساطاً) وسماها مهاداً فقال
(ألم يجعل الأرض مهاداً) وسماها ذات الصدع يعنى بالنبات وسماها كفاتاً فقال
(ألم نجعل الأرض كفاتاً) قال خالد بن سعيد كنت أمشي مع الشعبي بظهر الكوفة
فنظر إلى بيوت الكوفة فقال هذه كفات الأحياء ثم نظر إلى المقبرة فقال هذه
كفاة الاموات .

(يحكى) أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صاحبه من أولاد المجوس شاب
متطيب يدعى تحقيق الكلام وأظهر مسألة بحرق النفس بالنار وكان يزعم أن
الجسد جيفة منتهن في حال الحياة فإذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب في زيارة
نقده وأن الواجب إحراقه وإذراء رماده فقليل لبعض الفقهاء إن الناس قد
افتتنوا بمقالة هذا المجوسى لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله بن طاهر أن أجمع بيننا
وبين هذا المجوسى لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسى بمقالته

تلك قال له الفقيه أخبرنا عن صبي تدعيه أمه وحضينته أيهما أولى به فقال له الأم فقال إن هذه الأرض هي الأم منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردوا إليها فأقبحهم المجوسى وأنشد في معناه أمية بن أبي الصلت :

والأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها نولد

(وسئل) يحيى بن معاذ الرازى إن ابن آدم يدرى أن الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن إليهما قال لأنه منها خلق فهي أمه وفيها نشأ فهي عيشه ومنها رزق فهي عيشه وإليها يعود فهي كفاته وهي نور الصالحين إلى الجنة .

(الباب الخامس فى ذكر ما زين به الأرض)

وهي سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة بأربعة أشهر قال الله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) فالاربعة الأشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة وزينها بأربعة أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد العشار وزينها أيضاً بالانبياء عليهم السلام وزين الانبياء بأربعة إبراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتاب وأصحاب الشرائع وأولوا العزم وزينها أيضاً بآل محمد ﷺ وزينهم أيضاً بأربعة على وفاطمة والحسن ، الحسين رضى الله عنهم .

وزينهم أيضاً بأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون رضى الله عنهم أجمعين .

(روى) عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال (لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة إلا فى قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم فى قلبى والحمد لله وزينها أيضاً بالمؤمنين وزينهم بأربعة العلماء والقراء والفزاة والعباد وزينها بأنواع الحيوانات والنباتات والجمادات .

(الباب السادس في عاقبتها وما آلتها وآخر حالها)

اعلم أن الله تعالى وعدّها بسبعة أشياء أحدها التبديل وهو قوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض) وفي الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبز النقي الحواري لم يعص الله عليها قط ظرفة عين ولا وصم فيها ولا قسم مستوية كالصواب المهند .

(والتاني) الزلزلة قال الله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها) الآية وقال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر المخرج قيل وما المخرج يا رسول الله قال القتل ، فإذا أكلت أمتي الربا كانت الزلزلة وإذا جاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو وإذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت وإذا منعوا الزكاة قحظوا ولولا البهائم لم يمطروا .

وفي الحديث د أن الأرض تزلزلت على عهد عمر رضي الله عنه فأخذ بعضا من حنبر رسول الله ﷺ وقال يا أهل المدينة إنكم رجفتم وإن الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان التمر من قلة الصدقة وإنكم أحدثتم أشياء حتى أعجلتم فهل أنتم منتهون فأويفر عمر من بين أظهركم .

(والثالث) البرز قال الله تعالى (وترى الأرض بارزة) يعني لفصل القضاء . (والرابع) الرج قال الله تعالى (إذا رجفت الأرض رجاً) قال المفسرون كما يرج الصبي في المهد حتى ينفكسر كل شيء عليها خوفا من ربها .

(والخامس) الرجف قال الله تعالى (يوم ترجف الأرض والجبال) (والسادس) المد حتى تتخلى وتلقى ما في بطنها قال الله تعالى (وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت)

(والسابع) الدك قال الله تعالى (إذا دكت الأرض دكا دكا) وقال تعالى (فعدكتا دكة واحدة)

(الباب السابع في وجوه الأرض المذكورة في القرآن)

وهي سبعة أولها مكة خاصة قال الله تعالى في الرعد والانبيا (أولم يروا أنه
فأت الأرض تنقصها من أطرافها) يعني أرض مكة .

(الوجه الثاني) أرض المدينة قال الله تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها) يعني أرض المدينة وقال تعالى (إن أرضي واسعة) وقال الله تعالى (وإنه
كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها)

(الثالث) أرض الشام وذلك قوله تعالى (ادخلوا الأرض المقدسة) الآية
يعني بلاد الشام وقال تعالى (ونجيناه ولو ظأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين)

(الرابع) أرض مصر قال تعالى (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) أرض مصر
وقوله تعالى (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) وقوله (فلن أبرح
الأرض) أي أرض مصر وقوله تعالى (إن فرعون علا في الأرض) وقال
(ويستخلفكم في الأرض) أي أرض مصر .

(الخامس) أرض المشرق وذلك قوله تعالى (إن يأجوج ومأجوج مفسدون
في الأرض) .

(السادس) الأرضون كلها وذلك قوله تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على
الله رزقها) وقوله تعالى (وما من دابة في الأرض ولا ظائر يطيئ بجناحيه إلا
أمام أمثالكم) في التسخير وقال تعالى (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام)
وقال تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشاً)

(السابع) أرض الجنة وذلك قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) وقوله تعالى (وأورثنا الأرض نبتوا من
الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) .

(مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به)
(وترتيب الكلام في هذا المجلس أيضاً على سبعة أبواب)

قال وهب بن منبه كادت الأشياء أن تكون سبعة فالسموات سبع والأرضون سبع والجمال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والأيام سبع واليكموا كب سبعة وهي السيرة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعي بين الصفا والمروة سبعة ورعى الجار سبعة وأبواب جهنم سبعة ودركتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام قال تعالى (فلبث في السجن بضع سنين) وإيتاؤه ملك مصر سبع سنين (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان) وكرامة الله للمصطفى ﷺ سبع قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلق من سبعة أشياء قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) إلى قوله (فبارك الله أحسن الخالقين) ورزق الإنسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) إلى قوله (مناها لكم ولأنعامكم) وأمر السجود على سبعة أعضاء .

(الباب الأول في بدء خلق السموات)

قال الله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) أي قصد ثم فتنها بعد أن كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففلقناهما)

(الباب الثاني في جواهرها وأجناسها)

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا من موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء .

(الباب الثالث في هيئتها وحدودها)

قال الله تعالى (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثالثة وكذلك إلى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى (بغير عمد ترونها) وعمادها من فوقها .

(وعن أبي هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تفكرون ؟ فقالوا نتفكر في الخلق فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا يحيط به الفكرة تفكروا في أن الله خلق السموات سبعاً والأرضين سبعاً وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والأرض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء من خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يتجاوز الماء كعبه .

(الباب الرابع في أسبابها وألقابها)

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا دنياح والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة ظفطاف والسادسة سمساق والسابعة اسما قاتل .

وأما أسمائها المذكورة في القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى (والسماء بناء) والسقف قال الله تعالى (وجعلنا السماء سقفا محفوظاً) والطرائق قال الله تعالى (والسموات طباقاً) والشداد قال الله تعالى (وبنيها فوقكم سبعاً شداداً) والرتق الفتق قال الله تعالى (كانتا رتقا ففتقناهما) والدخان قال الله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) .

(وروى) أن الملائكة قالت يارب لو أن السماء والأرض أمرتهما فمضياك ما كنت صانعا بهما قال كنت أمر دابة من دوابي فتبتلعهما قالت يارب

فأين تلك الدابة ؟ قال في مرج من مروجي قالت يارب فأين ذاك المرج قال في علم من علومى قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى :

وقد ورد عن الضحاك بن مزاحم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب فى صفة السموات وخطودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها وأسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسير بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا إسحق بن بشر عن جوبير عن الضحاك ومقاتل قال خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينتها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلى وإسمها برقيما وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الزعد وهذا الرعد يسبح بحمده وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى الملك والمالكوت .

وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لوقيست شعرة بين مناكبهم لما انقاست رافعين أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت وإسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج وبينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام .

ولون السماء الثالثة كلون الشبه وغلظها مسيرة خمسمائة عام وإسمها الماعون وفيها ملائكة ذو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة ووجوه شتى رافعون أصواتهم بالتسبيح ويقولون سبحان الحى الذى لا يموت أبدا وهم

صفوف قيامهم كأنهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست
لا يعرف أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى .

وخلق الله السماء الرابعة بينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها مسيرة
خمسمائة عام ولونها ك لون الفضة البيضاء واسمها فيلون وفيها ملائكة يضعفون على
ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عدداً من السماء التي تليها إلى
الضعف وفي السماء السابعة ملائكة لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وهم في كل يوم في
زيادة وذلك قوله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) قال وهم قيام وركوع وسجود
على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم في أمر من أموره فينطلق الملك
ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي أتى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح
قدوس ربنا الرحمن الذي لا إله إلا هو قال :

وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب
واسمها اللاحقون ومنها إلى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون
على ملائكة الأربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعونها إلى
يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة قالوا ربنا نعبدك حق عبادتك .

وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها إلى السماء السابعة
مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله الأعظم ألا كبر السكروبيون لا يحصى عددهم إلا الله
تعالى وعليهم ملك جنوده سبعون ألف ملك وكل منهم جنوده سبعون ألف ملك
وهم الذين يبعثهم الله في أموره إلى أهل الدنيا رافعون أصواتهم بالتهليل والتسبيح
واسمها عاروس وهي من يا قوتة حمراء .

وخلق الله السماء السابعة وغلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة
وعليهم ملك وهو على سبعين ألف ملك كل منهم له من الجنود مثل قطر السماء
وتراب الثرى والسمل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في سبع سموات
وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى في كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهي من درة

بيضاء من السماء السابعة إلى مكان يقال له مرهوتا . مسيرة خمسمائة عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء وهم أعظمهم سوى الروح وحمة العرش والعرش فوق ذلك في عالمين لا يعلم منتهاه إلا الله تعالى .

(الباب الخامس في ذكر الآلام التي خلق الله الأشياء فيها)

روت الرواة أن الله تعالى ابتداء خلق الأشياء يوم الأحد إلى يوم الخميس وخلق يوم الخميس ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة إلى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق في الساعات الأولى الاوقات والآجال وفي الثانية الارزاق وفي الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل (فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمراها) الآية .

(الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات)

وهي عشرة أشياء الشمس قال الله تعالى (وجعل الشمس سراجا) وقال تعالى (سراجا وماجا) والقمر قال الله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) والسكواكب قال الله تعالى (إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب) وهي على ضربين منها معلق كتعليق القناديل في المساجد ممسكة بقوة الله عز وجل .

(وروى) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال في العرش مثل جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) وأن ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية للفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام والعرش يكفي كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى والأشياء كلها في العرش كحلقة ملقاة في فلاة وإن لله ملكا يسمى حزقيائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل يقدر أن ينظر إلى العرش فزاده الله تعالى في الاجنحة مثلاما فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله

تعالى إليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له الاجنحة والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف سنة فبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى إليه أيها الملك لو طرت إلى أن ينفخ في الصور مع أجنحتك وقوتك ما تبلغ ساق عرشي فقال له الملك سبحان ربى الأعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى (سبح اسم ربك الأعلى) فقال النبي ﷺ « اجعلوها في سجودكم » .

(وروى) على بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ أنه قال الكرسي أولؤها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسي أماناً لأهل الإيمان من شر الشيطان .

(وروى) إسماعيل بن مسلم عن أبي المتوكل الناجي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوماً ففتح الباب فإذا التمر قد أخذ منه ملء السكف ثم دخل يوماً آخر فإذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوماً آخر فإذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضي الله عنه للنبي ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال إذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فإذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم لا أعود ما كنت أخذت منه إلا لأهل بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال أيسرك أن تأخذه قال نعم قال فإذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضاً ففتح الباب وقال سبحان من سخرك لمحمد فإذا هو قائم بين يديه فقال يا عدو الله أليس قد عاهدتني أن لا تعود فقال دعني هذه المرة فإني لا أعود فتركه ثم عاد فأخذ الثالثة فقال أليس قد عاهدتني أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك إلى النبي ﷺ فقال لا تفعل فإنك إن تدعني علمتك كلمة فإذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لأصغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى قال له لتفعلن إن تركتك قال نعم قال فما هي؟ قال (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)

حتى ختمها فتركة فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبي ﷺ فقال
 ﷻ أما علمت يا أبا هريرة هذه ؟ إنه كذلك صدق النخبيث ، واللوح والقلم قال الله
 تعالى (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وقال تعالى (ن والقلم وما يسطرون) ،
 وقال ابن عباس أن مما خلق الله تعالى لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه من
 ياقوتة حمراء كتابيه نور وقلبه نور وعرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تعالى
 فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء
 فذلك قوله تعالى (كل يوم هو في شأن)

(ويروى) أن أول ما خلق الله القلم فنظر إليه نظرة هيبية وكان طوله كما بين
 السماء والأرض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب
 بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال أجز بما هو كائن إلى يوم القيامة .

(ويحكى) أن ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموماً فقال له
 روح عني يا ابن الزيات فأشدد يقول :

الهم فصل والقضاء غائب وكان ما خط في اللوح
 فالتبس الروح وأسبابه أيأس ما كنت من الروح
 والبيت المعمور :

(وروى) الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ
 أن في سماء الدنيا بيتاً يقال له البيت المعمور بخيال الكعبة وأن في السماء السابعة
 بحراً من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه
 انغماسه ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فيخلق
 الله تعالى من كل قطرة ملكاً فيأمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه
 فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون إليه إلى يوم القيامة وسدرة المنتهى
 قال الله تعالى (عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) .

(وقال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة مما يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش إليها ينتهي عالم الخلائق كل ورقة منها تظل أمة من الأمم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم والجنة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ عن الجنة كيف هي ؟ قال من يدخل الجنة حتى لا يموت ومنعم لا يياس ولا تعب ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبننة من ذهب ولبننة من فضة بلاطها مسك أزفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وتراها الزعفران .

(وزوى) مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ أن السماء أطت وحق لها أن تهبط ليس منها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وأخرجتم إلى الصعراء تجأرون إلى الله تعالى

(الباب السابع في ذكر ما لها وآخر حالها)

لأعلم أن الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء أحدهما المور قال الله تعالى (يوم تمور السماء مورا) يعني تدور كدوران الرجا من هول يوم القيامة والثاني أخبر أنها تصير كاللؤلؤ فقال تعالى (يوم تكون السماء كاللؤلؤ) يعني دردى الزيت والثالث أخبر أنها تصير وردة كالدهان قال تعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) والرابع الإنشقاق قال تعالى (إذا السماء انشقت) والخامس الانفطار قال تعالى (إذا السماء انفطرت) و(السماء منفطربة) والانفطار أكثر من الإنشقاق والسادس الانفراج قال تعالى (وإذا السماء فرجت) والسابع الكشط قال تعالى (وإذا السماء كشطت) أى نزع من مكانها وطويت طياً قال تعالى (يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب) الآية وأحسن الشاعر حيث قال :

إذا قيل من رب هذى السما فليس سواه له . مضطرب

ولو قيل رب سوى ربنا لقال العباد جميعاً كذب

وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه بأبي أنت وأمي يا رسول الله ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالخنس في القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فما الخنس؟ فقال يا علي هن السكوا كب الخمسة البرجيس وهو المشتري وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه السكوا كب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر في الفلك وأما سائر السكوا كب فكلها معلقات في السماء كتعليق القناديل في المساجد وهي تدور مع السماء دوراناً بالتسبيح والتقديس والصلوة لله تعالى ، ثم قال النبي ﷺ وأن أحببتهم أن تستبينوا ذلك فانظروا دوران الفلك مرة من هنا ومرة من هنا وإن لم تستبينوا الفلك فالجرة وبياضها مرة من هنا ومرة من هنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران السكوا كب معها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرحمان أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى (يوم تمور السماء موراً) يعني تدور دوراناً (وتسير الجبال سيراً) فإذا طلعت الشمس فإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكاً فاشرى أجنحتهم يحرونها في الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر في الشتاء كان ذلك أو في الصيف أو بينهما من الخريف والربيع فإذا أحب الله أن يبطل القمر والشمس ويرى العباد آية من الآيات يستعجبهم رجوعاً عن معاصيه وإقبالاً على طاعته تحركت الشمس على العجلة وقالت مرة خرت الشمس عن العجلة وهو الفلك فإذا أراد الله تعالى أن يعظم تلك الآية ليشدد خوف العباد غربت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شيء منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها فإذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان في الماء ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف وإتلاء الشمس والقمر وذلك تخويف العباد واستعجاب من الله تعالى فأى ذلك صارت الملائكة الموكلات

بمجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الأخرى
تقبل على العجلة فتجرها إلى الشمس وهم في ذلك يقردونها في فلك على مقادير ساعات
النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهاراً لنكيلا يزيد في طولها شيء وقد ألهمهم
الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة الذي ترون من خروج الشمس والقمر
بعد السكسوف قليلاً قليلاً من ذلك السواد حتى يحمد الله تعالى على ما قواهم لذلك
ويتعلقون بعري العجلة حتى يجرونها بإذن الله تعالى قال ﷺ عجبت من خلق الله
وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة
(أتعجبين من أمر الله) .

إن المجتهدون في الأرض وهم يومئذ عصابة قليلة في الأرض في كل بلد من بلاد
المسلمين في هو ان بين الناس وذلة في أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام
قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي وردة ولا يصبح نحو ما كان
يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر إلى السماء فإذا هو بالليل مكانه
والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في مكانها من أول الليل فينكر ذلك ويظن
فيها الظنون ويقول خفت قراتي أم قصرت صلاتي أم قمت قبل حيني قال ثم يقوم فيعود
إلى مصلاه فيصلي ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضاً فإذا هو بالليل مكانه فيزيده
ذلك إنكاراً ويخالطه الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلى قصرت
صلاتي أو خفت قراتي أو قمت في أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما
يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضاً مثل وردة كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر
فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فلا ينظر إلى السماء فإذا هو بالنجوم قد استدارت
مع السماء فصارت في أماكنها في أول الليل فشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف
لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة .

ثم ينادى بعضهم بعضاً وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع
المجتهدون من أهل بلده في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم يحارون إلى الله تعالى
بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فإذا ماتم لهم مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى

جبريل عليه السلام إليهما فيقول لهما إن الله تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغربكما فتطلعا منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبيكان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع السموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيبكون جميعاً لبكائهما لما خالطهما من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فبينما المجتهدون يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى والخافلون في غفلتهم إذ نادى مناد ألا إن الشمس والقمر قد طلعا من مغربهما فينظر الناس فإذا بهما أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى (وجمع الشمس والقمر) وقوله تعالى (إذ الشمس كورت) فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين فينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا ويتصارخ أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادها والاحبة عن ثمرات فؤادها فتشغل كل نفس بما كسبت فأما الصالحون والابرار فإنهم ينفعهم بكأؤهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فإذا ما بلغ الشمس والقمر سررة السماء وهي منتصفهما جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرنهما ويردهما إلى المغرب فلا يغربهما من تلك العيون ولسكن يغربهما من باب التوبة .

فقال عمر بن أبي أنت وأمي يا رسول الله وما باب التوبة ؟ فقال يا عمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصرعان من ذهب مكلان بالدر والجواهر ما بين المصراع إلى المصراع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى الدنيا إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا إلى ذلك اليوم إلا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ثم ترتفع إلى الله تعالى .

فقال معاذ بن جبل بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب فيعتذر إلى الله تعالى ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع قال فيغربهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصرعين

ثم يلثم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن بينهما ضدع قط وإذا أغلق باب التوبة فلم يقبل العبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسناً فإنه يجري عليه ما كان يجري عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) فقال أبي بن كعب يا أي أنت وأمي يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا ؟ فقال يا أي إن الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يظلمان ويغربان كما كان قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمتها يلحون على الدنيا ويحرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار ويدنون فيها البنيان وأما الدنيا فلو نتج للرجل منهم فيها مهر لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى أن ينفخ في الصور فقال حذيفة جعلني الله فداك يا رسول الله فكيف بهم عند النفخ في الصور قال يا حذيفة والذي نفسي بيده لينفخن في الصور ولتقوم الساعة والرجل قد لا ط حوضه فلا يشرع فيه الماء ولتقوم الساعة وقد أخذ بن لقمته من تحتها فلا يشربه ولتقوم الساعة والثوب بين الرجلين فلا يذشرانه ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقوم الساعة والرجل قد رفع لقمته إلى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية (وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون) فإذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين ، أهل الجنة والنار وقبل أن يدخلوا ما يدعوا الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما أسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعوا في الزلازل والبلايا وفرائسهما ترتعد من هول يوم القيامة وهول ذلك ومن مخافة الرحمن تعالى فإذا كان حذاء العرش نحر ساجدين لله تعالى ويقولان يا إلهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا في طاعتك وسرعتنا للمضى في أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين إنا بآنا فقد علمت أنا ان تدعواهم إلى عبادتنا ولم نزل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقنا إني قد قضيت على نفسي أن أبدى وأعيد وإني معيدكما إلى ما بدأكما منه فأرجعا إلى ما خلقكما منه فيقولان ربنا مِم خلقتنا فيقول خلقكما من نور عرشي فأرجعا إليه فيلعب من كل واحد منهما بركة تكاد تخطف الأبصار نوراً فيختلطان بين نور العرش فذلك قوله تعالى (يبدىء ويعيد) .

(مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة)
(الباب الأول في ذكر وجود الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام)

قال الحكماء خالق الله الخالق ليظهر وجوده وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لأنها لا تتأني إلا من قادر حكيم وليعبد فإنه يحب عبادة العابدين ويشبهتهم عليهم على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وإن كان غنياً عن عبادة خلقه لا تزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى (وما خلقت الجن والإانس إلا ليعبدون) وليظهر إحسانه لأنه محسن فأوجد لهم ليحسن إليهم وليفضل عليهم فيعامل بعضهم بالعدل وبعضاً بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة كما قال عز وجل (وكان بالمؤمنين رحيماً) وقال تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) .

قال جعفر بن محمد الصادق والضحاك عن مزاحم أي للرحمة خلقهم وليحمدوه لأنه يحب الحمد (ويروى) أن آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسين والأسود والأبيض فقال يا رب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى إني أحب أن أشكر .

(قال) أبو الحسن القفال خالق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الأشياء للعبادة وخلق الإنسان للمحنة قال عز وجل (هو الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) .

(قال العلماء) خلقكم لإظهار القدرة ثم رزقكم لإظهار الكرم ثم يميتكم لإظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لإظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال الخالق جميعهم لأجل محمد ﷺ .

عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال « أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن ، وقيل خلقهم لأمر

عظيم غيبه عنهم لا يحليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى (أخسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (يا أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثاً فيلهم ولا أهل سدى فيبغوا)

وقال الأوزاعي دبلغني أن في السماء ملكاً ينادي كل يوم لا ليت الخلق لم يخلقوا موليتهم إذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له ، وقال بعضهم د إذا ماتوا ثم خلقوا عرفوا ما خلقوا له وجلسوا فتذكروا ما عملوا ، وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاة د إلهي غيبه عني أجلي وأحصيت على عملي ولا أدري إلى أي الدارين منقلبي لقد أوقفتني وقفة المحزونين أبداً ما أبقيتني ، وقال أبو القاسم الحكيم د إن الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلى فما دام الروح في جسده فهو في البلوى فإذا فارق الروح الجسد فهو في البلى فأتى له السرور وهو بين البلوى والبلى .

وقال بعض الحكماء يا ابن آدم أنظر إلى خطر مقامك في الدنيا وإن ربك حلف فقال (لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وإن إبليس حلف فقال (فبعضتك لا غوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) وأنت يامسكين بين الله تعالى وبين إبليس مظلوم ساء لاه والله أعلم .

(الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكييفيته وصفته)

قال المفسرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة إن الله تعالى لما خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله إلى الأرض إني خالق منك خلقاً منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار ثم بعث إليها جبريل عليه السلام ليأنيه بقبضة من ترابها فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الأرض إني أعوذ بعزة الذي أرسلك أن لا تأخذ منها شيئاً يكون فيه غداً للنار نصيب فيرجع جبريل عليه السلام إلى ربه ولم يأخذ منها شيئاً وقال يارب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الأرض فاستعاذت بالله أن يأخذ منها شيئاً فيرجع إلى ربه ولم يأخذ منها شيئاً فبعث الله ملك الموت فأتى

الأرض فاستعازت بالله أن يأخذ منها شيئاً فقال ملك الموت وإن أعوذ بالله أن أعصيه له أمراً فقبض قبضة من زواياها الأربع من أديمها الأعلى ومن سبختها وطينها وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها ومهادها فكذلك كان في ذرية آدم الطيب والنخبث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلف صدورهم وألوانهم قال الله تعالى (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) ثم صعد بها ملك الموت إلى الله تعالى فأمره أن يجعلها طيناً ويخمرها فعبثها بالماء المر والعذب والملاح حتى جعلها طيناً وخمرها فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمداً صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المقربين المكر وبين ملائكة الصفح الأعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهي يومئذ بيضاء نقية فعبثت بماء التسليم ورعرت حتى صارت كالذرة البيضاء ثم غمست في أنهار الجنة كلها فلما أخرجت من الأنهار نظر الحق سبحانه وتعالى إلى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبياً فكل الأنبياء صلوات الله على نبيينا وعليهم أجمعين.

قال الله تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) الآية قال ابن عباس الإنسان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسداً ملقى على باب الجنة في صحيح الترمذي بالإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير أول البقرة (إن الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الأرض من السهل والجبل والأسود والأبيض والآخر فجاءت الأولاد على ألوان الأرض .

وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام؟ فقال: خلق رأس آدم وجهته من تراب الكعبة و صدره وظهره من بيت المقدس ونخذه من أرض اليمن وساقية من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز ويده اليمنى من أرض المشرق ويده اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملا من

الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل ذلك رأوا شيئاً يشبهه من الصور فرببه إبليس فرآه فقال لأمر ما خلقت ثم ضربه بيده فإذا هو أجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لأصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يثبت ولا يماسك ثم قال لهم أرايتم إن فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا قال إبليس في نفسه والله لأن فضل هذا على لأعصيته وأن فضلت عليه لأهاسكته فذلك قوله تعالى (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وإبليس من المعصية وقوله تعالى (إلا إبليس أنى واستكبر وكان من الكافرين) وفي الخبر أن جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة يطر عليه مطر الحزن ثم أمطر عليه مطر السرور سنة واحدة فذلك كثرت المحرم في أولاده وتصير عاقبتها إلى الفرح والراحة ، وأنشدنا في هذا المعنى أبو عوانه المهرجاني :

يقولون إن الدهر كله يومان فيوم محبات ويوم مكاره
وما صدقوا فالدهر يوم محبة وأيام مكروه كثير البدائنة
وأنشدني ابن الأعرابي فقال :

مح من الزمان كثيرة لا تنقضي وسروره يأتيك بالقلبات
وأنشدني أبو بكر الصولي لابن المعتز :

أى شيء يكون أعظم من ذا لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا والبلايا تسكال بالقفزات

(الباب السادس في سفة نفخ الروح)

قال العلماء لما أراد الله أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك الثالثة إلى أن قال في الرابعة أدخلها وأخرجي كرها فلما أمرها الله

نمالي بذلك دخلت في فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت من دماغه فاستدارت نزلاته في عينية والحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يرى آدم بدء خلقه وأصله حتى إذا تباينت عليه السكرامات لا يدخله الزهو ولا الميحب بنفسه ثم نزلت في خياشيمه فيعطس فحين فراغه من عطاسه نزلت الروح إلى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى أن قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فأجابه ربه عز وجل يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال تعالى سبقت رحيق غضبي ثم نزلت الروح إلى صدره وشرايينه فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى (وكان الإنسان عجولاً) وقوله تعالى (خلق الإنسان من عجل) فلما وصلت الروح إلى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام .

(وفي) بعض الأخبار أن آدم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مد يده ووضعها على أم رأسه قال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال إني أذنبت ذنباً فقال من أين علمت ذلك فقال لأن الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة في أولاده إذا أصاب أحدهم مصيبة أو محنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشر الروح في جسده كله فصارت لحماً ودماً وعظاماً وعروقاً وعصباً ثم كساه الله تعالى لباساً من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسناً فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد ثم خلق الله فرساً من المسك الاذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل أخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن شماله فطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم إلى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الأسماء كلها .

(واختلف) العلماء في هذه الأسماء فقال الربيع ابن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس عليه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة ثم أمر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى

(فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) وأكثر العلماء على أن الأمر بالسجود لآدم إنما توجه على الملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين .

(الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام)

قال المفسرون لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشى فيها وحشياً لم يكن له من نجاسه ويؤانسه فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فأخذ الله ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء من غير أن أحس آدم بذلك ولا وجد له ألماً ولو تألم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم لبسها من لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يتمحنون عليه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لأنها خلقت من شيء حتى قالوا ولما ذا خلقها الله تعالى لتسكن إلى وأسكن إليها وذلك قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) قال النبى ﷺ خلقت المرأة من ضلع أعرج فإن تقمها تكسرها وإن تتركها تستمتع بها على زوجها .

(وقيل) الحكمة فى أن الرجال يزيدون على مرور الأيام والاعوام حسناً وجمالاً لأنهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم جدة وجمالاً والساء يزداد على مرور الأيام قبحاً لأنهم خلقوا من اللحم واللحم يزداد على مرور الأيام فساداً .

وفى بعض الأخبار أن آدم عليه السلام لما رأى حواء مديده إليها فقالت الملائكة له يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله ؟ فقالت الملائكة حتى تؤدى مهرها قال ومهرها فقالوا أن تصلى على محمد ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الأنبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت .

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله آدم عليه الصلاة والسلام)
(وما كان منه في ذلك)

قال أهل التاريخ لما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام أباح لهما نعيم الجنة كلها إلا شجرة واحدة ذلك قوله تعالى (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة) إلى قوله (فتكونا من الظالمين) واختلفوا في هذه الشجرة التي هي شجرة المحنة .

فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شيء علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الحنطة وقيل هي السكرمة فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فأكلا منها هما ربهما عن أكله من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى أكلا منها .

وكان وصول عدو الله إليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكره أصحاب الأخبار أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لإبليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فأدخلته في فيها ومرت به على الخزانة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى فيها من النعيم والسكرامة فقال طيب لو كان خلد فاغتنم ذلك الشيطان منه فأتاه من قبل الخلد وقيل إن إبليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا ألف سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فأدخله الجنة فاحتمل في إخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به إلى آدم فمكث على باب الجنة قبينا هو كذلك إذ خرج إليه الطاووس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه إبليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال أنا طائر من طيور الجنة اسمي طاووس فبكى إبليس فقال له الطاووس من أنت ومم بكائك ؟ فقال له إبليس أنا ملك من الملائكة

الكرابين إنما بكيت تأسفاً على ما يفوتك من حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاووس أيفوتني ما أنا فيه قال بلى وأنتك تفنى وتبديد وكل الخلائق يبدون إلا من تناول من شجرة الخلد فإنهم المخلدون من تلك الخلائق فقال الطاووس وأين تلك الشجرة قال إبليس هي في الجنة قال الطاووس ومن يد لنا بمكانها قال إبليس أنا أدلك عليها إن أدخلتني الجنة قال الطاووس كيف لي بإدخالك الجنة ولا سبيل إلى ذلك المكان فإنه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها إلا بإذن الله ورضوانه ولا يمكن سؤدلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلها فإنه إن قدر على ذلك فهو دون غيره فإنه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال إبليس فبادر إليها فإن لنا فيه سعادة الأبد لعلها تقدر على ذلك .

فجاء الطاووس إلى الحية وأخبرها بمكان إبليس وما سمع منه وقال إني رأيت بباب الجنة ملكاً من الكروبين من صفته كيت وكيت فهل لك أن تدخله الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فأسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها إبليس نحواً من مقالته للطاووس فقال كيف لي بإدخالك الجنة ورضوان إذا رأك لم يمكنك من دخولها فقال لها أتحول ريحاً فتجعلني بين أنيابك قالت نعم .

فتحول إبليس لعنه الله ريحاً ودخل في فم الحية فأدخلته الجنة فلما دخل إبليس الجنة أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدي آدم وحواهما عليهما السلام وهما لا يعلمان أنه إبليس فنأح عليهما نياحة أحزنتهما فبكيا وكان أول من نأح فقالا له ما يبكيك فقال أبكى عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة فوق ذلك في أنفسهما وانما لذلك وبكى إبليس ومضى ثم إن إبليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قرله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الخلد فقال نهاني ربي عنها فقال إبليس ما نهاك ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكرنا ملكين أو تكونا من النخالدين فأبيا أن يقبلأ منه فأقسم لهما بالله إنه لهما لمن الناصحين فاغترا بذلك وما كانا يظنان أن أحداً يخالف بالله كذبا فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكلها .

ولذلك قال رسول الله ﷺ د الخمر يجمع الخبائث وأم الذنوب ، ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالوا نعم لا نقربها ولأننا كل منها ولم نمتثلها في قولهما بمشيئة الله تعالى فوكلاهما الله تعالى إلى أنفسهما حتى أكلتا المنهى عنهما .

فلما أكل من الشجرة المنهى عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الأولى) معاقبته لهما على ذلك بقوله (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين) (والثانية) الفضيحة فإنه لما أصاب الذنب بدت لهما سوءاتهما تهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتجبر آدم وصار هاربا في الجنة فتلقته شجرة العناب فأخذت بناصيته وناداه ربه أفرار آ مني يا آدم قال لا يارب ولكن حياء هنك ولذلك قيل كفى بالقصر حياء إلى يوم القيامة .

ويروى أن آدم لما بدت سوءاته وظهرت عورته طاف بأشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطي بها عورته فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فأعطته ورقة فطافا يعني آدم وحواء يخلصان عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بأن سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة وأعطاه الله ثمرتين في كل عام (والثالثة) أوهن جلده وصيره مظلما بعد أن كان جلده كالظفر وألقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على أنامله ليتذكر بذلك أول حاله (والرابعة) أخرجه من جوارحه ونودي أن لا ينبغى أن يجاورني من عصائي فلذلك قواه تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر) الآية يعني آدم وحواء وإبليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود قيل وحواء بجدة بلد بأرض الحجاز وإبليس بالآبلة من أرض العراق وهي بالبصرة وقيل مشان والحية بأصهبان والطاوس بأرض بابل .

أخبرني نافع بن الأزهر بن أحمد بإسناده عن عثمان بن علية قال سمعت الوضين أن عطاء يذكر أن آدم قال كنا نسلا من نسل الجنة فسبانا إبليس بالخطيئة إلى

الأرض فلا ينبغي لنا الفرح في الدنيا ولكن الحزن والبكاء . مادمنا في دار سباء
حق نرد إلى الدار التي سبينا منها وقال الشاعر :

يا ناظراً يرو بعيني رافداً وه شاهد الأيام غير مشاهد
منتك نفسك وصلة فأبجتها سبل الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجى درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدمأ منها إلى الدنيا بذنوب واحد

(الخامسة) الفرقة فرق بينه وبين حواء هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد
منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدافا فسميت المزدلفة واجتمعا
بجمع فسمى جمعاً وتعارفا بعرفة في يوم عرفة فسمى الموضع عرفات واليوم عرفة .

(السادسة) العداوة ألقى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى (بعضكم لبعض
عدو فالإنسان عدو الحية بشدخ رأسها حيث يراها والطاووس عدو الحية عدوته
تلدغه إذا أمكنها وإبليس عدو لهم جميعاً وفيه إشارة إلى أن الأحياء إذا اجتمعوا
وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى (الإخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) .

(السابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال الله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) .
(وروى) أن إبراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالي في أمر آدم فقال
يا رب خلقت آدم بيديك ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتك وأسكنته
جنتك بلا عمل ثم بزلته واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة
فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد .
(الثامنة) تسليط العدو على أولاده وهو قوله تعالى (وأجاب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركتهم) الآية .

(التاسعة) جعل الدنيا سجناً له ولأولاده وابتلاه بهواء الدنيا ومقاساة الحر والبرد فيها ولم يكن لها بهما عهد لتعود هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) قال رسول الله ﷺ : الجنة سيج لا حر فيها ولا قهر (العاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى (إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) فهو أول خلاق عرق جبينه من التعب والنصب .

(فصل) وابتليت حواء وبناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلةٍ سواهن . (الأولى) الحيض يروى أنها لما تناولت الشجرة رميت الشجرة قال الله تعالى أن لك على أن أدميك أنت وبناتك في كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله ﷺ في الحيض : إن هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم وحواء ، (الثانية) ثقل الحمل .

(الثالثة) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى (حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً) وفي الخبر : لولا الزلزلة التي أصابت حواء كان النساء لم يتحضن ولكن حليماً وكن يحمان سرّاً ويضعن سرّاً . (الرابعة) نقصان دينها .

(الخامسة) نقصان عقلها عن أبي سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله ﷺ : ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحدا كن فقلن له وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله ؟ قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أو ليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان ودينها .

(السادسة) أن ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى (للذكر مثل حظ الأنثيين) .

(السابعة) تخصيصهن بالعدة .

(الثامنة) جعلهن تحت أيدي الرجل كما قال تعالى (الرجال قوامون على النساء) وقال عليه الصلاة والسلام : استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوار عندكم .

(م ٣ — قصص الأنبياء)

- (التاسعة) ليس هن من الطلاق شيء ولا يملكون ذلك وإنما هو للرجال .
 (العاشرة) حرمانهن من الجهاد (الحادية عشر) ليس منهن نبي .
 (الثانية عشر) ليس منهن سلطان ولا حاكم .
 (الثالثة عشر) لا تسافر إحداهن إلا مع ذي رحم محرم .
 (الرابعة عشر) لا تعتقد بهن الجمعة (الخامسة عشر) لا يسلم عليهن .

وعاقب إبليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء : أولها عزله من الولاية وكان له ملك الأرض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة .

- (الثانية) أخرجه من جواره وأهبطه إلى الأرض .
 (الثالثة) مسح الله صورته فصوره شيطاناً بعد ما كان ملكاً .
 (الرابعة) غير اسمه كان اسمه عزازيل فسماه إبليس لأنه أبليس من رحمة الله تعالى
 (الخامسة) جعله إمام الأشقياء (السادسة) لعنه الله تعالى (السابعة) نزع منه المعرفة
 (الثامنة) أغلق عنه باب التوبة (التاسعة) جعله مريداً أى خالياً من الخير والرحمة
 (العاشرة) جعله خطيب أهل النار وعاقب الحية بخمسة أشياء قطع قوائمها
 وأمشاها على بطنها ومسح صورتها بعد أن كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها
 التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة بني آدم وهم أعداؤها حيثما
 روتها يقتلونها وأباح رسول الله ﷺ قتلها في الصلاة وفي حال الإحرام .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما سألناهن منذ
 حاربناهن من ترك شيئاً منهن خيفة منه فليس من يعنى الحيات .

حدثنا عبد الله بن يونس قال أخبرنا داود عن محمد عن أبي الأعين المعبدي عن
 أبي الأحوص الحسني قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فإذا هو بحية تمشي على
 الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله ﷺ
 يقول « من قتل حية فسكانا قتل رجلاً مشركاً قد حل دمه » .

(الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه إلى الأرض وما كان منه)

قال ابن عباس رضي الله عنهما ولما هبط آدم إلى الأرض على جبل سرنديب وذكّر أن ذروته أقرب من ذرى جبال الأرض إلى السماء .

(قال) وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة واستقر جالسا على الأرض عطس عطسة فسال أنفه دما فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دما هاله ما رأى ولم تشرب الأرض الدم فاسود على وجهها كالحم ففرع آدم من ذلك فرعا شديداً فذكر الجنة وما كان من الراحة نخر مغشياً عليه وبكى أربعين عاماً فبعث الله إليه ملكاً فمسح ظهره وبطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغش فاستراح فما كان يصيبه من الغم .

قال شهر بن حوشب (بلغني أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى) .

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة فلما أراد الله تعالى أن يرجم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) الآية واختلفوا في تلك الكلمات ما هي قال ابن عباس هي أن آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ في من روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني منها ؟ قال لشؤم معصيتك قال أي رب أرايت إن أنا تبت وأصلحت ترجعني إلى الجنة فهي الكلمات ، وقال عبد الله بن عمر أن آدم قال يارب أرايت ما أتيت به شيئاً ابتدعته من تلقاء نفسي أو شيء فدونه على قبل أن تخلقني بيدك قال لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته فاغفر لي .

وقال محمد بن كعب القرظي هي قول لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فتبت على إنيك أنت التواب الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنيك أنت الغفور الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمي إنيك أرحم الراحمين

وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة أوحى الله تعالى إلى آدم أن إلى حرماً بحيال عرشي فأته فطف به كما تطوف حول عرشي وصل عنده كما تصلي عند عرشي فهناك أتجيب دعائك فانطلق آدم من أرض الهند إلى أرض مكة لزيارة البيت وقبض الله ملكاً أرشده فمكّن كل موضع يضع عليه قدمه عمراً وماتعدها من مواضع وقفاراً فلما وقف بعرفات وكانت حواء طالبتها وقصدته من جدّة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمى ذلك الموضع عرفات فلما أنصرفا إلى منى قيل لآدم تمني على قال أتمنى المغفرة والرحمة فسمى ذلك الموضع منى وغفر ذنبيهما وقبل توتهما ثم انصرفا إلى أرض الهند

قال مجاهد حدثني ابن العباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله فوالله إن خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنئونه بالحج وقبول النوبة فقالوا برحمتك يا آدم فدخله من ذلك شيء فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام ف تقاصرت إلى آدم نفسه .

(وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لما أهبط آدم من الجنة إلى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذي كان لباسه من الجنة فيبس وتطير بأرض الهند فعبق شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يا رسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال إنما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فيصير المسك في سرتها فإذا رعت الربيع جعله الله مسكاً وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يا رسول الله فأين يقع قال : قال لي جبريل في ثلاث كور لا يكون في شيء من الأرض إلا فيها أرض الهند وأرض السعدى وأرض النبت قالوا يا رسول الله العنبر إنما هي دابة في البحر قال أجل كانت هذه الدابة بأرض الهند ترعى في البر فبعث الله إليها جبريل عليه السلام فساقها وما معها فقتلها في البحر وهي أعظم ما تذكر من الدواب فغلظها ألف ذراع وإنما ترمى كما ترمى البقر أختها فربما يخرج من جوفها العنبرة ووزنها ١٥٠٠ رطل ونحو ذلك ثم إن آدم وجن المأ في رأسه وجسده فمكّن ذلك

إلى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره فقال إن في هذه الشجرة شفاء من كل داء إلا السام ودله جبريل عليه السلام على شجرة لإلهيلج الأبيض والأسود والأصفر فقال له إن ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فإنك لن تتداوى أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء إن بقي في جوفك فلا تخف وإن خرج أخرج الداء كله وأبرأه فأكله آدم فبرئ

(قال) في الأخبار إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك إلى جبريل فقال لك تشكو العري فأنزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في سورة الأنعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره أن يذبح كبشاً منها فذبحه ثم أخذ صوفه فنزلته حواء ونسجه آدم فجعل منها جبة لنفسه وجعل لحواء درعاً وخماراً فلبسا - وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فخواء أول من نسج ولبس الصوف .

(وعن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما تقول في حرفتي ؟ فقال رسول الله ﷺ وما حرفتك ؟ فقال أنا رجل حائك قال حرفتك حرفة أبينا آدم عليه السلام وكان أول من نسج آدم وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وإن الله عز وجل يحب حرفتك فأبها حرفة يحتاج إليها الأحياء والأموات فمن قال منكم القبيح فأبونا آدم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى آدم وهو خصمهم يوم القيامة فلا تخافوا وابشروا فإن حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائداًكم إلى الجنة .

(وعن) أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ عليكم بلباس الصوف يحدون قلة الأكل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وإن النظر في الصوف ليورث القلب التفكير والتفكير يورث الحكمة والحكمة تجرى في الجوف مجرى الدم فمن كثرت فكره قل طمعه وكل من قل تفكيره كثرت طمعه وعظم بدنه وقسا قلبه واللقاب القاسى بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ، قالوا ثم إن آدم عليه

الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال جبريل ما الذى أصابك فقال أجد فى نفسى قلقاً واضطراباً لأجد إلى العبادة منه سبيلاً وإنى أجد بين لحمى وجلدى ديباً كد يب التل فقال جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك ؟ قال سوف أهديك إلى ذلك فغاب عنه ثم جاء بشورين أحمرين والعلالة يعنى السندان والمطرقة والمنبحة والسكبتين ثم جاءه بشر من جهنم فوقع فى يد آدم فطار منه شرارة فوق : فى البحر فدخل جبريل إليها وأتى بها فرفعها إلى آدم فطارت منه أيضاً حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبي ﷺ « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم بعد أن غسلت بالماء سبع مرات ، فلما جاء بها فى الثامنة نطقت النار قالت يا آدم إنى لا أطيعك وإنى منتقمة من عصاة أولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم إنى لن تطيعك وليكنى أسجنها لك ولأولادك ليكون لك ولأولادك فيها المنافع فسجنها فى الحجر والحديد فذلك قوله تعالى (أفرايتم النار التى تورون أنتم) الآية .

(وروى) أن آدم لما أخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل ما لها تحرق يدى ولا تحرق يدك ؟ قال لأنك عصيت الله وإنى لم أعصه ثم أمر جبريل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بضرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذ كرم مثل حظ الأنثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال يا آدم خذها فإنها سبب سد جوعك وبها أخرجت من الجنة وبها تحيا فى الدنيا وبها تلقى الفتنة أنت وأولادك إلى أن تقوم الساعة ثم أمر أن يشد الثورين ويكسر من الخشب ويضعه عليها ففعل ذلك وجعل يحرق الأرض عليهما فهو أول من حرث الأرض وبكى الثوران على ما فاتهما من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الأرض فنبت منها الجاؤرس وبالا فنبت منه الخصب ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كسرها ثم بذرها فنبت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام آكله ؟ فقال لا أصبر حتى يدرك فلما سنبل وأفرك قال آكله ؟ قال لا وعلمه الحصاد فلما حصدها قال آكله ؟ قال لا وعلمه الدياس فلما داس قال آكله ؟ قال لا وعلمه التنقية فلما نفاه قال آكله ؟ قال لا وجاء بحجرين وعلمه الطحن

فلما طحن قال آكله ؟ قال لا وعليه العجن ويقال إن آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه فأمر جبريل أن يذث النخالة في الأرض المستحصده فنبت فيها الشعير فلما عجن قال آكله قال لا فأمره أن يحفر حفرة ويضع الحطب فيها ويوقد عليها ناراً ففعل ذلك حتى جعله خبزاً ثم وضع عجينة عليه فخبز فهو أول من خبز فلما أخرجه قال آكله قال لا حتى يبرد فلما برد أكله فلما أكله دمعت عيننا آدم عليه السلام وقال ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله الذي وعده فذلك قوله تعالى (إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أما أن لك أن تأكل من كديمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكاً من بطنه ولم يدر ما هو فشكا ذلك إلى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فم أسكنه فغاب عنه ثم عاد إليه ومعه المعول وقال له احفر الأرض فما زال يحفر حتى بلغ إلى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء زلالاً أبرد من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب منه شربه فشربها فاطمأن ثم أنه بعد ذلك وجد تشكياً أشد من الأول والثاني فقال لجبريل ما هذا الذي أجده قال لا أدري فبحث الله إليه ملائكة ففتق قلبه ودبره ولم يكن قبل ذلك الطعام يخرج فلما خرج منه آذاه ووجد ريحه بكى على ذلك .

(قالوا) لما أنزل الله إلى آدم الحديد نظر إلى قضيب من حديد ثابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر أشجاراً قد عتقت ويبيت فأوقد على ذلك الحديد حتى ذاب وكان أول شيء ضرب منه مدينة فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذي ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذي فار بالعباد بالهند .

(قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرجه معه من الجنة قطعة من الذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الأرض ولا تأكله النار لأنه من الجنة حمل .

(وقيل) أن الله تعالى زود آدم حين أهبطه إلى الأرض من الثمار ثلاثين نوعاً عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فأما التي هي في القشور فالجوز واللوز والفسق والبنقدق والخشخاش والبلوط والشاه بلوط والنارج والرمان واللوز وأما التي لها نوى فالخوخ والمشمش والإجاص والعناب

والنخيل والرطب والتمر والزبيب والنبق والزعرور والمقل وأما التي لا تشرب لها ولا نوى فالتفاح
والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين واللاترج والنخروب والنخيار والبطيخ
(وقال) ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسنة وهي سيدة رياضين
الدنيا والسنبلة وهي سيدة طعام أهل الدنيا والعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا .

(قال) ابن عباس لما هبط آدم إلى الأرض كان أول شيء أكله من الثمار التين .
(قال) وهب بن منبه أن آدم لما أهبط إلى الأرض ورأى سمعتها ولم يرفيها أحداً
غيره قال يا رب أما لأرضك هذه من عامر يسبح بحمدك ويقدمك غيري قال الله
تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحني ويحمدني ويقدمني وأجعل فيها بيوتاً ترفع
بذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدني
حق عبادتي وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصه بكرامتي وأوثره باسمي فأسميه بيتي
وأطلقه بعظمي وعليه وضعت جلالتي وأجعل في ذلك البيت حرماً آمناً يحرم بحرمة
ما حوله وما فرقه وما يحته فن حرمه استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فقد
حقّر ذمّي وأباح حرمتي واستوجب بذلك عذابي وعقابي وسأجعل هذا البيت أول
بيت وضع للناس ببطن مكة مباركاً يأتونه شعثاً غبراً وعلى كل ضامر يأتين من كل
فج عميق يرجون بالنبية رجياً ويضجون بالبكاء ضجيجاً ويعججون بالنكير عجيحاً
فمن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد إلى وزارتي واستضافني فحق على الكريم أن
يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلا بحاجته .

(وقال) وهب بن منبه رحمه الله د أوحى الله إلى آدم بعد ما تاب عليه آدم إلى
أجمع لك العلم كله في أربع كلمات واحدة لي واحدة لك واحدة بيني وبينك واحدة
بينك وبين الناس فأما التي لي فتمتقدي ولا تشركني شيئاً وأما التي لك فأجزيلك
بملك أحوج ما تكون إليه وأما التي بيني وبينك فمذك الداء ومنى الإجابة وأما التي
بينك وبين الناس فأن رضى لهم ما ترضى لنفسك قال آدم يا رب شغلت بطالب المهيضة
وطالب الرزق عن التسبيح والعبادة واست أعرف ساعات التسبيح في أيام الدنيا
فأهبط الله تعالى إليه ديكاً فأسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذ
آدم من الخلق فكان الديك إذا سمع التسبيح في السماء سبّح في الأرض فيسبح آدم بالتسبيح

(و يروى) أن الله تعالى أوحى إلى آدم لما أراد أن يهبط إلى الأرض يا آدم
لأنى منزلتك أنت وذريتك داراً مبيناً على أربع قواعد أما الأولى فإنى أقطع
ما تصلون وأما الثانية فإنى مهرق ما تجمعون وأما الثالثة فإنى أخرب ما تبنيون
والرابعة أميت ما تلدون ولذلك قيل :

لدوا للموت وابنوا للخراب وكلكموا يصير إلى ذهاب

(الباب السابع فى ذكر هبوط إبليس لعنه الله إلى الأرض وحاله فيها بعد اللعنة)

قال الله تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) الآية (قال الشعبي) أنزل إبليس
من السماء عليه عمامة ليس تحت ذقنه منها شيء أعور فى إحدى رجليه نعل .

(وروى) ابن المبارك عن خالد عن حميد بن هلال إنما كره أن يتخصر فى
الصلاة لأن إبليس هبط متخصراً .

(وروى) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير أن إبليس قال
يا رب أخر جتنى من الجنة من أجل آدم وإنى لا أستطيعه إلا بسلطانك قال فأنت
مسلط عليه قال يا رب زدنى قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله قال يا رب زدنى
قال صدورهم مساكن لك ونجعل منهم مجرى الدم قال يا رب زدنى قال أجلب عليهم
ينخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً
قال آدم يا رب قد سلطته على وإنى لا أمتنع منه إلا بك قال لا يولد لك ولد إلا
وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يا رب زدنى قال الحسنه بعشر أمثالها وأزيدها
والسيئة بمثلها واحدة أو أحونها قال يا رب زدنى قال أغفر ولا أبالي قال حسبي

(وروى) أن إبليس قال يا رب لعنتنى وأخرجتني من الجنة وجعلتنى شيطاناً رجماً
مذموماً مدحوراً وبعثت فى بنى آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلى ؟ قال
السمكة قال فما كتبى ؟ قال الوشم قال فما حديثى ؟ قال حديثك الكذب قال فما قرأتى ؟
قال قرأتك الشعر قال فما مؤذنى ؟ قال مؤذنتك المزمار قال فما مسجدي ؟ قال مسجدك
السوق قال فما يدي ؟ قال بيتك الحمام قال فما طعامى ؟ قال طعامك ما لم يذكرك اسمى
عليه قال فما شرابى ؟ قال شرابك كل مسكر قال فما مصايدى ؟ قال مصايدك النساء

(الباب الثامن في ذكر ما روى من الأخبار فيمن تراءى له إبليس)
(فرآه عياناً وكله شفاهاً)

يروى أن آدم التقى بإبليس في أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له يا ملعون
أى شئ هذا الذى أحملت نى غررتنى وأخرجتنى من الجنة وفعلت نى ما فعلت قال
فبكى إبليس وقال يا آدم إني فعلت بك ما تقول وأنزلتك هذه المنزلة فمن فعل نى
ما أنا فيه وأحلتى هذه المنزلة ؟

(و يروى) أن إبليس تصور لفرعون في صورة الإنس بمصر في الحمام فأنكره
فرعون فقال لإبليس ويحك أما تعرفنى ؟ فقال لا قال فكيف وأنت خلفتنى أليست
القائل (أنا ربكم الأعلى) ،

(و يروى) أن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل إبليس فقال أى الأعمال أحب
إليك وأبغض إلى الله تعالى فقال لولا منزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك إني لست
أعلم شيئاً أحب إلى وأبغض إلى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة

و يروى عن النبي ﷺ أنه قال ما من آدمى إلا قد عمل خطيئة أو هم بها إلا يحيى
ابن زكريا فإنه ما عمل خطيئة ولا هم بها واقد قال رب أرني إبليس كما هو وأعزم
عليه أن لا يكتفى شيئاً سأله عنه فأوحى الله تعالى إلى إبليس أن أنت عبدى يحيى
ابن زكريا كما هبط إلى الأرض ولا تسكتهم شيتا يسألك عنه فأتاه وقال يا يحيى أنا
إبليس أمرنى ربى أن آتيك كما هبطت إلى الأرض فنظر إليه يحيى فإذا على رأسه
خطاطيف تطير وحقواه مخوفتان بأكوار كور هنا وكور هنا وفى رجليه خلاخيل
فقال ما هذه الخطاطيف التى تطير على رأسك ؟ قال بها أخطف عقول بني آدم قال
فما هذه الخلاخيل التى فى رجليك قال أحركها لبني آدم حتى يغنى أو يغنى له قاله
فأى ساعة أنت على ابن آدم أقدر ؟ قال حين يميت شيعاً وريراً قال فهل وجدت

في نفسي شيئاً قال لا قال ولا على حالي قال نعم قدم إليك طعامك ذات ليلة
وكنيت قد صمت فشهيتته إليك حتى أكلت أكثر من عادتك فتشاكلت عن وردك
وعادتك فقال يحي لا جرم لا أشبع أبداً فقال إبليس لا جرم ولا أنصح آدمياً أبداً

(وقيل) لما مات رسول الله ﷺ وأخذوا في جهازه وخرج الناس وخلا
الموضع .

قال ابن عباس قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما وضعته ﷺ على المغتسل
إذا بهاتف يهتف من زاوية البيت يا علي لا تغسلوا محمداً فإنه طاهر مطهر قال
فوقع في قلبي من ذلك شيء وقلت ويلك من أنت ؟ فإن النبي ﷺ أمرنا بهذا وهذه
مدته وإذا بهاتف آخر يهتف بأعلى صوته يا علي فإن الهاتف الأول كان الشيطان
محمد ﷺ أن يدخل قبره مغسلاً قال علي جزاك الله خيراً قد أخبرني أن
ذلك إبليس فمن أنت ؟ قال أنا الخضر .

(ويحكى) أن قوماً من بني إسرائيل ترامى لهم إبليس فقالوا له نف موقفاً
كنت تقفه بين يدي الله تعالى حسباً كنت تقف قبل أن عصيت ربك فقال إنكم
لا تطيقون رؤية ذلك فألحوا عليه فوقف وقفة قلباً نظروا إليه وإلى خشوعه
وخضوعه ماتوا عن آخرهم .

(ويروى) أن رجلاً كان يلعن إبليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم
نائم إذا أتاه شخص وأيقظه فقال له قم فإن الجدار هاهو يسقط فقال له من أنت ؟
الذي أشفقت على هذه الشفقة ؟ فقال له أنا إبليس فقال كيف هذا وأنا ألعنك كل
يوم ألف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهادة عند الله تعالى نفثت أن
تكون منهم فتتال معهم كما ينالون .

(الباب التاسع في قصة قابيل وهايل)

قال الله تعالى (راتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً) إلى آخر القصة قال أهل العلم بقصص النبيين وأخبار الماضين إن حواء كانت تلد لآدم توأمين في كل بطن غلاماً وجارية إلا شيئاً فإنها ولدت مفرداً وكان جميع من ولدت حواء أربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطناً .

أولهم قابيل وتوأمته إقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثرت الله في نسل آدم كما قال (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) الآية قال ابن عباس لم يمضت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفاً ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلاف العلماء في وقت مولد قابيل وهايل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت قابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد

وقال محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول إن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن تهبط إلى الأرض فحملت بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحاً ولا نصيباً ولا طلقاً حين ولدتهم ولم ترعهما دمياً لطهارة لبنه فلما هبطا إلى الأرض واطمأننا بها فغشاها فحملت بهايل وتوأمته لبودا فوجدت فيها الوح والصب والطلاق والدم حتى إذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم ينزوج أي أخواته شاء إلا توأمته التي ولدت معه فإنها لا تحل له وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته إقليما في بطن واحد وهايل وتوأمته لبودا في بطن واحد وكان بينهما ستان في قول النكاح وأذكر كوا أمر الله تعالى ، أن ينكح لبودا أخت هايل قابيل وينكح هايل إقليما أخت قابيل وكانت أخت قابيل من أجل النساء وأحسنهن خلقاً فذكر آدم ذلك لولداه هايل فرضى وسخط قابيل وقال هي أختي ولدت معي في بطن وهي أحسن من أخت هايل فأنا أحق بها ونكح من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض فأنا أحق بأختي

فقال له أبوه إنها لا تحمل لك فأبى أن يتقبل ذلك منه وقال إن الله تعالى لم يأمره بذلك وإنما هو من رأيه فقال لها آدم قربا قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت جعفر الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنته فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله ﷺ ولا كان دين آدم إلا دين نبينا محمد ﷺ (إن الله تعالى أهبط آدم وحواء إلى الأرض وجمع بينهما وولده بنت فسماها عناق فبغت وهي أول من بغى في الأرض فسلط الله عليها من قبلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها عمالة في صورة الأنسية فخلق لها رحمة وأوحى الله إلى آدم أن زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله إلى آدم حوراء في صورة الأنسية وخلق الله لها رحمة وكان اسمها تركه فلما نظر إليها هابيل ورمقها أوحى الله إلى آدم أن زوجها من هابيل ففعل فقال يا أباي أأنت أكبر من أخى وأحق بما فعلت به منه فقال يا بني إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

فقال لا ولكمك آثرته على بهوائك فقال له إن كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ إذا قبلت نزلت نار من السماء فأكلتها وإذا لم تقبل لم تنزل نار لا كالأكل السباع فخرج ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أراد زرعاً واضمر في نفسه ما أبالي أيقبل أم لا لا يتزوج أخى أبداً وكان هابيل راعياً صاحب ماشية فقرب كبشاً سميناً من خيار ماشيته ولبناً وزبداً واضمر في نفسه الرضا بالله والتسليم لأمره

وقال اسماعيل بن رافع أن هابيل نتج له كبش في غنمه فلما كبر لم يكن له مال أحب إليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قرب به قال فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبد واللبن وأم تأكل من قربان قابيل حبة لأنه لم يكن بزاكي القلب وقيل قربان هابيل لأنه زاكي القلب فما زال الكبش يرتع في الجنة حتى فدى ابن إبراهيم فذلك قوله تعالى (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) إلى قوله من المتقين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب

قاييل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغى وكان يضمهما قبل ذلك في نفسه إلى أن أتى آدم مكة ليزور البيت فلما أراد أن يأتي مكة قال للسماء احفظي ولدي بالأمانة فأبت فقال الأرض والجبال فأبيا فقال ذلك لقاييل فقال نعم ترجع ونراه كما يسرك فرجع آدم وقد قتل قاييل فذلك قوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) يعنى قاييل حين حمل أمانة أبيه ثم خاذه

قالوا فلما غاب آدم أتى قاييل إلى هابيل وهو في غنمه فقال لاقتلتك قال ولم ؟ قال لأن الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتنسكح أختي الحسناء وأنسكح أختك الذميمة فيتحدث الناس انك خير مني وأفضل ويفتخر ولدك على ولدي فقال له هابيل وما ذنبي إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لاقتلك إني أخاف الله رب العالمين

(قال) عبيد الله بن عمر وان كان المقتول الأشد ولكنه منعه التحرح ان يبسط إلى أخيه يده قال الله تعالى (فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله) الآية أي طوعته وساعدته فقتله

قال السدي لما قصد قاييل قتل هابيل هرب منه في رموس الجبال ثم أتاه يوماً من الأيام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قاييل كيف يقتل أخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيراً فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه وموضع قتله قال ابن عباس على جبل تود قال بعضهم على عقبة حراء

وحكى محمد بن جرير الطبري قال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لأنه كان أول ميت على وجه الأرض من بنى آدم فقصدته السباع فحملته في جراب على ظهره سنة تروح وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون أن يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له في الأرض ثم القاه في الحفرة وواراه

وقايل ينظر إليه فلما رأى ذلك قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب
فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين يعنى على حمله لا على قتله .

(وروى) عن الأوزاعي قال حدثني المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي
لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه
كما تشرب الماء فناداه الله أين أخوك هايل ؟ قال ما أدري ما كنت عليه رقيباً
فقال الله تعالى إن دم أخيك لينادي من الأرض فلم قنلت أخاك ؟ قال فأين دمه إن
كنت قتلتَه فحرم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب دماً بعده أبداً .

(عن الضمك عن ابن عباس) قال لما قتل قاييل هايل وآدم بمكة اشتاك الشجر
وتغيرت الأطعمة وتحمضت الفواكه ومر الماء واغبرت الأرض فقال آدم قد حدث
في الأرض حدث فأتى الهند فإذا قاييل قد قتل هايل فأشأ يقول وهو أول شعر .

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون وقل بشاشة الوجه الصبيح

(وروى) عن ابن عباس أنه قال من قال إن آدم قال الشعر فقد كذب على
الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وإن محمداً ﷺ والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر
سواء قال الله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) ولكن لما قتل قاييل هايل
رثاه آدم وهو سرياني وإنما يقول الشعر من تكلم بالعربية قال آدم مرثيته في ابنه
هايل وهو أول شهيد على وجه الأرض قال آدم اشيث يا بني إنك وصي قاحفظ
هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان بن هود
عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الابل وتكلم
بالعربية وقال الشعر فنظر في المرثية فإذا هو سجع فقال إن هذا ليقوم شعراً
فرد المقدم إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم فما زاد فيه شعراً ولا زاد ولا نقص
حرفاً من ذلك فقال :

تغيرت البلاد ومن عليها
تغير كل ذى طعم ولون
وقاييل أذاق الموت هاويل
وما لى لا أجود بسكب دمع
وجاءت شعلة ولها رزين
لقتل ابن النبي بغير جرم
وجاورنا لعين ليس يفنى
فوجه الأرض مغبر قبيح
وقل بشاشة الوجه الصبيح
فواحرناه قد فقد المليح
وهاويل تضمنه الضريح
لها بلها وقايلها يصيح
فقلبي عند قتله جريح
عدو لا يموت فذستريح

(وقالت حواء)

دع الشكوى فقد هلكا جميعا
وما يغنى البكاء عن البواكى
فابك النفس وانزل عن هواها
بموت ليس بالثمن الربيع
إذا ما المرء غيب فى الضريح
فلست مخلدأ بعد الذريح

فأجابها إبليس لعنه الله شامتا بهما :

تنح عن البلاد وساكنيها
وكنت بها وزوجك فى رخاء
فما زالت مكيدتى ومكرى
فلولا رحمة الجبار أضحي
ففى الجنات ضاق بك الفسيح
وقلبك من أخى الدنيا مريح
للى أن فائك الثمن الربيع
يكلميك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن أبى الجعد لما قتل قاييل هاويل مكث آدم مائة سنة لا يضحك
ثم أتى فقيل له حياك الله وأضحكك ولا أبكك قال ولما مضى من غار آدم مائة
وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قاييل هاويل بخمس سنين ولد له شيث وتفسيره
هبة الله يعنى أنه خلف الله من هاويل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق
وكل ساعة منها وأنزل عليه خمسين صحيفة وكان وصى آدم بولى عبده وأما قاييل

فقل له اذهب فذهب طريداً شريداً فزعا مرعوباً لا يأمن من رآه فأخذ بيد أخته
إقليميا وذهب بها إلى عدن من أرض اليمن فأتى إليه إبليس وقال إنما أكلت النار
قربان أخيك لأنه كان يخدم النار ويعبدها فأتت أيضاً أئت ناراً تكون لك
ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها

قال وكان لا يمر واحد من ولده إلا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن
له فقال ابن الأعمى لآبيه هذا أبوك قابيل فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله قال فقال
ابن الأعمى إنه أبوك فرفع يده فلفطمه فمات فقال الأعمى ويل لي قتلت ربي برميقي
وقتل ابني بلطمقي قال مجاهد فعلقته إحدى يدي قابيل إلى فخذه وساقها وعلقته
من يومئذ إلى يوم القيامة ووجهت إلى الشمس حيثما دارت وعليه في الصيف
حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج

قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع للطبول والمزامير والطناوير
وانهم مكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والوثان والفواحش حتى أغرقهم
الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي شيث عليه السلام والله أعلم

(الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الأخبار أن آدم عليه السلام مرض قبل موته
أحد عشر يوماً وأوصى إلى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها إلى شيث وأمره أن
يخفي ذلك من ولده قابيل لأن قابيل قد قتل هابيل حسداً منه له حين خصه آدم
بتزويج أخته إقليميا فخاف عليه أيضاً أن يقتله حين خصه آدم بالعلم فأخفى شيث
وولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به

(وروى) أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال لما أخرج الله ذرية آدم
من ظهره فجعل يعرضهم على آدم فإذا قوم غايهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين
(م ٣ - قصص الأنبياء)

عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل وإذا فيهم رجل يزهو وهو أضوأهم نوراً
فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب
زد في عمره قال لا إلا أن تزيد أنت من عمرك فقد جف القلم بأعمال بني آدم
وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك
كتاباً وشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة وجاء إليه ملك
الموت ليقبضه فقال آدم عجائب على يا ملك الموت قال ما فعلت بل أنت استوفيت
أجلك قال آدم قد بقي من عمري أربعون سنة قال إنك قد وهبتها لابنك داود قال
ما فعلت ولا وهبت له شيئاً

فأنزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهوداً ثم إن الله أكمل لآدم ألف سنة
وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله ﷺ نسي آدم فأنسى ذريته وجهد
فجهدت ذريته فأمر الله بالكتاب والشهود من يومئذ

(قال) ابن إسحق وغيره ثم إن آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لأنه صفي
الرحمن فتدفنه الملائكة وشيئته وإخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي أول
قرية كانت في الأرض فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله إليه بحنوط وكفن من
الجنة ووليت الملائكة غسله ودفنوه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه في ثلاث
أيام ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده

وقال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل
تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فأما خمس فهي في الصلاة
وأما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن إسحق
في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار أبي قبيس وهو غار
يقال له الغار الكبير

(وروى) أبو صالح عن ابن عباس أنه قال مات آدم على جبل تود بالهند
وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما
خرج نوح من السفينة دفن آدم ببית المقدس وكانت وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت
حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله أعلم .

(باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام)

قال الاستاذ خالق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقة وخطقه
في أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قال (والذين والزيتون وطور سين
وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) ولقنه الحمد حين عطس
ثم قال له يرحمك ربك فسبقت رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل
وأباح له جميع الجنة إلا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود
له وأمرهم بالتلقين وجعله أبا البشر وجعله خليفة في الأرض وعرف الملائكة
فضله عليهما ولعن إبليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب بسببه وهو أول حامد
وأول تائب وأول محببى وأول مصطفى وأول خليفة لله في الأرض وهو المميز
للأرواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة فيبث النار من ذريته فهذه
ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه عليه السلام وشرف وكرم والله أعلم

(مجلس في ذكر النبي إدريس عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً) قال أهل العلم
بأخبار الماضين وقصص النبيين هو إدريس بن برد وقيل ياريد بن مهلائيل بن
قيمان بن أرش بن شيث بن آدم واسمه أخنون وسمى إدريس لكثرة درسه
الكتب وصحف آدم وشيث وأمه اشوت وكان إدريس أول من خط بالقلم وأول
من خاط الثياب ولبس الخيط وأول من نظر علم النجوم والحساب بعنه الله تعالى
لأبي ولد قابيل ثم رفعه الله إلى السماء .

قاله على ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يا رب إني مشيت في الشمس يوما فتأذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واجعل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من نفسه خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خففت على حر الشمس فما حال الذي قضيت عليه فيه قال تعالى إن عبادي لإدريس سألتني أن أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبتني إلى ذلك فقال يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه حلة فأذن الله تعالى له فكان لإدريس يسأله وكان بما سأله أن قال أخبرني أنك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها

قال قد علمت ذلك وليكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لاحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حملة الملك على جناحه حتى رفعه إلى السماء ووضعته عند مطلع الشمس ثم إنه أتى إلى ملك الموت فقال له لي إليك حاجة فقال أفعل لك كل شيء أستطيعه فقال لي صديق من بنى آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك إلي ولكن أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم في نفسه قال نعم فنظر في ديوانه فأخبره بإسمه وقال إنك كلمتني في إنسان ما أراد يموت أبدا قال وكيف ذلك قال إني لأجده يموت عند مطلع الشمس قال فإني أتيتك وتركته هناك فقال له انطلق فلا أراك بجده إلا وقد مات والله ما بقي من أجل لإدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتا

(قال وهب) كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم في زمانه فمجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن الله في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بنى آدم وكان لإدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكروه وقال له في الليلة الثالثة إني أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فأذن لي في ذلك

فقال إدريس لى إليك حاجة قال وما هى قال قبض روحى فأوحى الله تعالى لى إياه اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله تعالى عليه ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لأذوق كرب الموت وغمه فأكون له أشد استعدادا ثم قال لى إليك حاجة أخرى قال وما هى قال ترفعنى إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة فأذن له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى إليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكاً يفتح لى أبواب النار حتى أردها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتحها ففتحت له أبوابها فدخل فقال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا اخرج منها ، فبعث الله ملكاً حكماً بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج لان الله تعالى قال (كل نفس ذائقة الموت) وقد ذقته وقال تعالى (وإن منكم إلا واردة) وقد وردتها) وقال تعالى (وما هم منها بمخرجين) فلمست اخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فإنه بإذنى دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حى هناك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة والله اعلم

(قصة هاروت وماروت)

قال الله تعالى (واتبعوا ما تنزلوا الشياطين على ملك سليمان) الآية قال اهل التفسير إن الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف فى مده زوال ملك سليمان هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ما ملككم سليمان إلا بهذا

قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على صورة إنسان فأتى نهرا من بنى إسرائيل فقال هل ادلكم على كنز لا يفنى أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسي سليمان وذهب معهم فأراهم المكان وقال ناحية فقالوا له ادن فقال لا وليكن ههنا فإن لم تجدوه فاقتلوني وذلك أنه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسي إلا احترق

تفحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما انخرجوها قال الشيطان إن سليمان كان يضبط
الجن والإنس والشياطين والظير به— هذا ثم طار الشيطان وذهب وأما علماء
بنى إسرائيل وصلاحهم فقالوا معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان فإن كان هذا
علمه فقد هلك سليمان وأما الجاهل والسملة فأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب
أنبيائهم فأنزل الله هذه الآية لإظهارا لعذر سليمان وبينا إبراءه فهذه قصة الآية
(وأما قصة هاروت وماروت)

قال المفسرون إن الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء من أعمال بنى آدم
الخبثية وذنوبهم الكثيرة وذلك في زمن إدريس عليه السلام عيروهم بذلك
بأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلعا في الأرض واخترتهم فهم
يعصونك فقال تعالى لو أنزلناكم إلى الأرض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لفعلتم
مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا أن نعصيك قال الله تعالى
اختاروا ملكين من خياركم اهبطهما إلى الأرض فاختاروا هاروت وماروت
وكانوا من اصالح الملائكة واعبداهم

قال الكلبي قال الله تعالى اختاروا الملائكة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت
وعزاييا وهو ماروت وعزريائيل وإثما غيرا إسمهما لما اقترفا من الذنب كما
غير الله إسم إبليس وكان إسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التي ركبتها
نقى بنى آدم واهبطهم إلى الأرض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن
الشرك والقبل بنير الحق والزنا وشرب الخمر فأما عزريائيل فإنه لما وقعت
الشهوة في قلبه استقبل ربه وسأله أن يرفعه إلى السماء فأثاه ورفعاه وسجد
أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطاطاً رأسه حياء من الله تعالى
بما الآخرا فإنهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فإذا امسيا ذكرا
إسم الله تعالى الاعظم وصعد إلى السماء

قال قتادة فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصم إليهما ذات يوم الزهرة
وكانت من اجل النساء قال علي رضي الله عنه كانت من اهل فارس وكانت ملكة

في بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراودها عن نفسها فأبت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلت مثل ذلك فقالت لا إلا أن تعبد ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشرب الخمر فقالا لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي نفسها من الميل إليهما ما فيها فراودها عن نفسها فأبت وعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالوا الصلاة لغير الله أمر عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر بشرب الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا بها فآهنا إنسان فقتلاه .

قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فسخ الله الزهرة كوكبا وقال علي رضي الله عنه والسدي والكلبي إنها قالت لا تدركاني حتى تعلماني الذي تصعدان به إلى السماء فقالا لا تصعدا إلا بالاسم الأعظم فقالت فما أنتما بمدركي حتى تعلمانيه قال أحدهما صاحبه عليهما فقال إني أخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله تعالى فعلماهما ذلك فتكلمت به وصعدت إلى السماء فسخها الله تعالى كوكبا .

(وقال) مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لي أرمق الكوكب يعني الزهرة فإذا طلعت فأيقظني فلما طلعت أيقظته فلما نظر إليها سبها سبها شديدا فقلت يرحمك الله تسب نجما ساطعا مطيعا فقال إن هذه كانت بغيا فلقى الملك منهما ما لقيوا وكذلك قال ابن عباس وأنيكر الآخرون هذا القول وقالوا إن الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بها فقال تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) وإنما كانت المرأة التي فتنت هاروت وماروت تسمى زهرة الجمال فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله ﷺ الزهرة ذكر تلك المرأة الموافقة لها الاسم فلمعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله ﷺ هذا النجم الموافق لإسمه لإسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ما روى قيس بن عباد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما فارقا الذنوب هما بالصعود إلى السماء فلم تطعهما أجنحتهم فاعلما ما حل بهما فتصدا إلى إدريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله تعالى وقال له إن نار أيناك

ديصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى الله تعالى
ففعّل إدريس ذلك بخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختاروا عذاب
الدنيا لأنه ينقطع فهما ببابل يعذبان .

(واختلف) العلماء في كيفية عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما
إلى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما وقال بجاهد ملء
حطب نارا فجعلوا فيه وقال عمر بن سعيد هما معلقان منكسان في السلاسل يضربان
بسياط الحديد .

(وروى) أن رجلا قصدهما لتعليم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهم مزرقة
أعينهما مسودة وجوههما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا أربعة أصابع وهما يعذبان
بالحطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقالا له إلا الله فلما سمع كلامه قال لا إله إلا
الله قال من أنت قال رجل من الناس قال له ومن أي أمة أنت قال من أمة محمد ﷺ
وقالا أو بعث محمد ﷺ قال بعم فحمدا الله تعالى وأظهد الاستبشار فقال الرجل ومم
استبشار كما قال لأنه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا .

(وروى) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت
تقتبغى رسول الله ﷺ بعد موته تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر وما
تعمل به فقالت عائشة لعروة بن أبيها تبكي حين لم تجد رسول الله فكانت
تبكي حتى رجمتها ثم قالت إني أخاف أن أكون قد هلكت ثم قالت كان لي زوج
غاب عني فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت إن فعلت ما أمر بك به جعلته يا نيك
فلما كان الليل جاء تنى بكليين أسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن
كثير حتى وقفنا ببابل وإذا برجلين معلقين بأرجلهم فقالا ما جاء بك فقالت أتتعلم
السحر فقال إنما نحن فتنه فلا تكفري فأرجمي من حيث أتيت فقلت لا فلا فاذهي
إلى التنور فبولي فيه فذهبت لأبول ففرغت فلم أفعل فرجعت فقالت فقلت نعم
فقالا هل رأيت شيئا فقلت لم أر شيئا قالا فأرجمي إلى بلادك ولا تكفري فأبت فقالا
اذهي إلى التنور فبولي فيه فذهبت فأقشعر جلدي وخفت ثم رجمت اليهما فقلت

قد فعلت فقالت ما رأيت قلت لم أرى شيئاً قال كذبت لم تفعلى فارجمى إلى بلادك ولا تكفري فإنك على رأس أمرك فقلت لا فقالا لي اذهبي إلى التنور فبولي فيه فذهبت إليه فبالت فيه فرأيت فارساً مقنعا بحديد خرج منى حتى ذهب السماء وغاب حتى ما أراه فجئتها فقلت قد فعلت قال فما رأيت ؟ قلت رأيت فارساً مقنعا بالحديد خرج منى وذهب فى السماء فلم أره قال صدقت ذلك إيمانك خرج منك فاذهبي فقلت والله ما أعلم شيئاً ولا قال لي شيئاً فقالا لا تردين شيئاً إلا كان خذى هذا القمح فابذريه فبذرت ثم قلت له اطلع فطلع فقلت انحصد فحصد فقلت انفرك ففرك ثم قلت له انطحن فطحن ثم قلت انخبز فخبز فلما رأيت أننى لا أريد شيئاً إلا كان سقط فى يدي فرجمت وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً .

قال الأوزاعى بلغنى أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال يا جبريل صف لى النار فقال إن الله تعالى أمر أن يؤقد عليها الف عام حتى احترت ثم أوقد عليها الف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمده طيبها والذي بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لأهل الأرض لما اتوا جميعا ولو أن ذنوباً من شرابها صب فى ماء الأرض جميعاً لقتل من ذاقه ولو أن حلقة من السلسلة التى ذكرها الله وضعت على جبال أهل الأرض جميعا لذابت وما استقلت ولو أن رجلاً دخل النار وخرج لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل لبكائه وقال أتبكى يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً وبكى جبريل فقال يا جبريل أتبكى وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيدته قال أخاف أن أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهذا الذى منعنى من التمسكى على منزلتى عند ربى فأكون قد أمنت . مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد أمنكما من غضبه فلا يعذبكما وأن فضل محمد ﷺ على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة .

(مجلس في قصة نوح عليه السلام)

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام (واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه) الآية وهو نوح بن المالك متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه أقينوش بنت راكيل وقيل بنت كاييل بن مخوئيل بن أخنوخ أرسله الله تعالى إلى ولده قابيل ومن تابعهم من ولد شيث (قال) ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل فيهم صباحة وفي نساءهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وأن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام فاجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ إبليس شيئاً مثل الذي يؤمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فباغ ذلك من حولهم فأتواهم إليه مستمعين إليه واتخذوه عيداً يجتمعون إليه في السنة فتتبرج النساء للرجال والرجال هن وهو قوله تعالى (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .

(قال ابن عباس) كان آدم أوصى أن لا يناكح بنو شيث بنى قابيل فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليه حفاظاً لئلا يقرب به أحد من أولاد قابيل وكان الذي يأتونه ويستغفر لهم بنو شيث فقال مائة من بنى شيث صباح يوم لو نظرنا ما فعل بنو عمنا يعنون بنى قابيل فهبط المائة إلى نساء السهل صباح الوجوه من بنى قابيل فاحتبس النساء والرجال ثم مكثوا ما شاء الله فقال مائة أخرى لو نظرنا ما فعل أخوانا فهبطوا من الجبل إليهم فاحتبسهم النساء ثم هبط بنو شيث كلهم فظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكبر بنو قابيل حتى ملئوا الأرض وأكثروا الفساد فبعث الله إليهم نبيهم نوحاً بن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى وخوفهم بأبيه ويحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله (قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدكم دعائي إلا فراراً) وقال تعالى (وقوم نوح من قبل لم يؤمنوا قوما فاسقين) .

(وروى) الضحاك عن ابن عباس أنه قال إن نوحاً كان يضرب ثم يلف في

ليد ثم يلقى في بيته فيرون أنه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى آيس من إيمان قومه
فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكأ على عصا فقال يا بني انظر إلى هذا الشيخ إياك
أن يغرك فقال يا أبت مكنتي من العصا فأعطاها العصا فقال ضعني في الأرض فوضعه
فشق إليه فضربه بالعصا .

فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بي عبادك فإن لم يكن لك في عبادك حاجة
فاهدهم وإن لم يكن غير ذلك فصبرني إلى أن تحكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين
فأوحى الله إليه أنه إن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون فأيسه من إيمان قومه وأخبره أنه لم يبق في أصلاب الرجال ولا أرحام
النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال (رب إنهم عصوني) الآية إلى قوله
(ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً) وهم أسماء
أصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى (رب لا تذرن على الأرض
من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً)
وقوله تعالى (ولا تزدد الظالمين إلا تباراً) أي هلاكاً ودماراً فأجاب الله دعاءه
وأمره بأن يصنع الفلك كما قال الله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) .

ثم بعث الله جبريل يعلم نوحاً صنعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب ويضرب
الحديد ويهيء عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمدون عليه وهو في عمله
فيستخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ثم يقولون ألا ترون
إلى هذا المجنون يتخذ بيتاً يسير به في الماء ويضحكون منه وذلك قوله تعالى (ويصنع
الفلك وكلاماً عليه ملا من قومه سخروا منه) فيقول نوح (إن تسخروا منا فإننا
نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب
مقيم) وأوحى الله إلى نوح أن عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبي على من عصاني
قاستأجر نوح أجراً يعملون معه وأولاده سام وحام ويافت ينحتون معه السفينة
فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وعرضها ثلثمائة وثلثون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثة
وثلثون ذراعاً هذا قول ابن عباس في رواية المشعك وطلاها بالقار داخلها

وخارجها وشدها بالدر وهو مسامير الحديد وذلك قوله تعالى (وحملناه على ذات ألواح ودسر) وفجر الله عين القار بحب السفينة فغلى غلياناً حتى طلاهابه فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله إليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله إليه من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله فوران التنور آية بينه وبين نوح وعهد إليه فقال إذا رأيت التنور قد فار فاركب أنت ومن معك في الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى (فإذا جاء أمرنا وفار التنور) أي عذابنا وهو الطوفان (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) الآية .

وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمر الله تعالى .

(قال) ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوماً وليلة فأقبلت الوحوش والطيور والدواب إلى نوح حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منهما من كل زوجين اثنين فمكن أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق إبليس بذنبه فلم تستقر رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فانهمض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وإن كان الشيطان معك كلمة ذل بها لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك فقال أخرج يا عدو الله قال ما أخرج وما كان بذلك لك أن تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين لأنه من عبادنا المؤمنين)

(عن وهب ابن منبه) قال لما أمر الله تعالى نوحاً أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالأسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والهز قال الله تعالى من ألقى بينهم العداوة ؟ قال أنت يا رب قال فأنا أولف بينهم حتى لا يضاروا فحمل نوح السباع والدواب في الطبقة الأولى فألقى الله على الأسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل :

وما الكلب محوما وإن طال عمره لعمر كماله المحموم دوما سوى الأسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الدرة معه في الطبقة العليا شفقة عليها لئلا يقتلها شيء واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى (ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) من هم وكم هم قال قتادة لم يكن في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة من بنيهم سام وحام ويافث ونساءهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته في السفينة فهدما فوح ربه فتغيرت نطفته فجاء بالسودان .

(قال السكبي) أمر نوح أن لا يقرب ذكر أنثى ما دام في السفينة فوثب السكبي على السكبية فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عسرا وقال الاعمش كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاثة كناتن له وقال ابن إسحق كانوا عشرة سوى نساءهم وهم نوح وبنيه سام وحام ويافث وستة أناث ممن كانوا آمنوا معهم وأزواجهم جميعاً .

وقال ابن عباس فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر آب بالرومية فلما دخلها وحمل معه من حمل تحركت ينا بيع الأرض والخرط الأكبر وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال الله تعالى (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر) يعني التقى ماء السماء وماء الأرض فجعل الماء ينزل من السماء وينبع من الأرض حتى كثر واشتد وكان بين إرسال الماء واحتمال الماء الفلك أربعين يوماً وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كنعان بن نوح يخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة فناداه نوح (وكان في مهزل يا بني اركب معنا ولا تسكن مع الكافرين قال سأوى إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وكان عهد كنعان بالجبال أنها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وحال بينهما الموج فكان من المفرقين (وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً .

(وروت) عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ قال د لورحم الله أحداً من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك أنها خشيت عليه من الماء وكانت تحبها حباً شديداً فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت قمته فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبتها رفعتة بيدها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله أحداً منهم لرحم هذه .

قالوا ثم طافت السفينة بأهلها الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعاً وقد رفع الله البيت الذي كان يحجه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور ونحبا جبريل الحجر الأسود في جبل أنى قبيل فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه .

قال مجاهد تشاغت الجبال وتطاوالت لئلا ينالها ماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعاً وتواضع لأمر ربه الجودي فلم يغرق فأرست السفينة عليه فذلك قوله تعالى (واستوت على الجودي) (وقال) ابن عباس استوت السفينة على الجودي وقد باد ما على وجه الأرض من الكفار ومن كل شيء فيه الروح والأشجار فلم يبق شيء من الحيوانات إلا نوح ومن معه في الفلك إلا عوج ابن عنق فذلك قوله تعالى (وقيل بعد القوم الظالمين) أى هلاكا . (وقيل يا أرض أبلعي ماءك) أى انشقي . (ويا سماء أقلعي) أى احبسي ماءك (وغيض الماء) أى ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي في الأرض لأنها آخر ما بقي في الأرض من ماء الطوفان وبقي في الأرض أربعين سنة ثم ذهب .

(وروى) عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كشيبي من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم .

قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب السكيب بعصاه وقال له قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلك قال لا بل مت وأما شاب ولكن ظننت أنها الساعة فمن ثم شئت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله إلى نوح أن اغمر ذنب الفيل فغمره فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فأكلاه فلما كثر الفار في السفينة وجعل يقرض حبالها وذلك أنه ترألد في السفينة أوحى الله تعالى إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفار فأكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح أن البلاد قد يبدت قال بعث نوح غراباً يأنيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فذلك لا يالف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق الزيتون بمنقارها وطين برجلها فعلم أن البلاد جفت قال فطوقها بالخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تسكن في أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله ألا تنطلق به إلى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لارزق له ؟ ثم قال له عد بإذن الله تعالى فعاد تراباً .

قال أهل التاريخ أرسل الطوفان لثلاثة عشر يوماً نخلت من آب ومضى ستمائة سنة من عمر نوح ولتتمة ألفي سنة ومائة سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم إلى الأرض وركب نوح ومن معه في السفينة لعشر خلوان من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم عاشوراء وأقاموا في الفلك سنة أشهر فلما هبط نوح ومن معه في الفلك سالمين صام نوح وآمن جميع من معه من الإنس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكراً لله تعالى ويقال إن نوحاً وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السمنية من دوام النظر إلى الماء فأمروا بالاكتمال يوم عاشوراء الذي خرجوا فيه من السفينة .

(عن ابن عباس) قال قال رسول الله ﷺ ومن اكتمل بالاثمديوم عاشوراء لم ترمد عينيه أبداً ، فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ من ناحية من الارض الجزيرة موضعاً وابتنى هناك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى بسوق ثمانين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا يعود الطوفان إلى الارض أبداً وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره الف سنة إلا خمسين عاماً ثم قبضه الله تعالى إليه (ويروى) أنه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال (كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر) ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه ساماً وجعله ولي عهده وكان ولد له سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساماً وهو بكره فقال يا بني أوصيك بإثنين وأنهاك عن إثنين فأما اللذان أنهاك عنهما فالإشراك بالله والكبر فإنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللذان أوصيك بهما فإن رأيتهما يكثران الولوج إلى الله تعالى قول لا إله إلا الله وسبحان الله فإن قول لا إله إلا الله لو جمعت السموات السبع والارضون السبع لخرقتهما حتى تباغ إلى ربها ولو جمعت لا إله إلا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع وما فيها وأوصيك بسبحان الله فإنها صلاة الخلق وبها يرزقون .

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهي خمسة عشرة خصلة لم يسم أحداً من الانبياء بإسمه وسمى بذلك لسكثرة نوحه على نفسه وكان أول نبي من أنبياء الشريعة وأول داع إلى الله تعالى وأول نذير عن الشرك وأول من عذبه أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال إن الله تعالى أوحى إليه بعد الطوفان إني خلقت خلقى وأمرتهم بطاعتى فانتهمكوا معصيتى فاشتد لذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع خلقى وقد حلفت إني لا أعذب بمثل هذا العذاب أحداً من خلقى بعدها ولكن جعل الدنيا دولا بين عبادي ثم أجزيهم بأعمالهم إذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام أطول الانبياء عمراً وقيل له أكبر الانبياء وشيخ المرسلين وعمر ألف

سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبلغ أحدهم الرسل في الدعوة مثل ما يبلغ
وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً وإعلاناً وسراً ولم يلق نبي من أمته من الضرب
والشتم والأذى والجفاء مثل ما لقي فلذلك قال الله تعالى (وقوم نوح من قبل لمهم
كانوا قوماً فاسقين .

وجعل ثانياً المصطفى ﷺ في الميثاق والوحي قال الله تعالى (ولما أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح) وقال تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين
من بعده) هو في البعث أول من تذشق عنه الأرض يوم القيامة بعد محمد ﷺ وأعطاه
الملك وعليه صنيعته وحفظه بما فيه وأجراه فوق الماء وسماه شكوراً فقال تعالى
(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً) وأكرمه بالسلامة والبركة فقال
تعالى (يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) الآية .

(قال) محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام وكل مؤمن ومؤمنة إلى
يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقيين فهو أول البشر وأصل النسل .

(وروى) عن الحسن بن سمره بن جندب قال قال رسول الله ﷺ د ولد
نوح ثلاثة سام وحام ويافت فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السود
ويافت أبو الترك وياجوج وماجوج (قال) عطاء ودعا نوح على حام أن لا يعدو
شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيد الولد سام ويافت فلما هبط نوح
وذريته من الملك قسم الأرض بين ولده أثلاثاً فجعل سام وسط الأرض ففيها
بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيهون وذلك ما بين قيسون إلى
شرق النيل وبين بحري الجنوب إلى بحري الشمال وجعل لحام قسمه غرب النيل وما بين
بحري ريج الجنوب وما وراء إلى سيحون إلى بحري ريج الدبور وجعل قسم يافت
من قيسون فما وراء إلى بحري الصبا فذلك قوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقيين
وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه
من عبادنا المؤمنين) :

(م ٥ -- قصص الانبياء)

(مجلس في قصة هود عليه السلام)

قال الله تعالى (وإلى عاد أخاهم هوداً) إلى (تتقون) وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وهو عاد الأول وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم بالشجر والاحقاف كما قال الله تعالى (راذاكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر) الآية وهو رمال يقال له رمل عاج وهو ما بين عمان إلى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشقوا في الأرض وكثروا وقهروا أهلها لفضل قوتهم التي آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة ما لم يعط غيرهم كما قال الله تعالى (واذاكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) أي عظماً وطولاً وقوة وشدة .

وقال محمد بن إسحق بن يسار وهود بن عامر بن شالح بن أرخشذ بن سام بن نوح وولد لشالح عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة فأمرهم هود أن يوحّدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه إلهاً غيره وأن يكفوا عن ظلم للناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى (أتبنون بكل آية تعيثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين) فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضربهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء وجهود طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم ليجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة عارف بحرماتها وسكانها عند الله تعالى وأهل مكة يومئذ العالقي وإنما سموا العالقي لأن أباهم عماليق ابن سام بن نوح وكان سيد العالقي وإذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية إسمها ناهدة بذت اجبيري رجل من عاد فلما قحط المطر هز عاد جهودوا وقالوا جهزوا منكم وفدأ إلى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عازن والقيم بن هزال بن هزيل وعبيد بن ضد بن عاد الأكبر ومرثد بن عفير وكان مسلماً كنتم لإسلامه وجهامة بن الخبيري .

قال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضاً لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الأكبر فاطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلاً فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فاقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قيتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهراً ومقامهم شهراً فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومه يستغيثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفى والله ما أدرى كيف أصنع بهم فاستمعى أن أمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه فيظنون أنه ضيق من بمقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً فشكا ذلك من أمرهم إلى الجرادتين فقالتا له قل شعراً تغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر :

ألا يا قبيل ويحك قم فميتهم	لعل الله يمنحنا غلاماً
فتسقى أرض عاد إن عاداً	قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجوا	به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهموا بخير	فقد أمسى تساؤهموا عيامى
وإن الوحش يأتهم جواراً	ولا يخشى لهادى سهاماً
وأنتم ههنا فيم اشتبهتم	نهاركموا وليلكوا تماماً
فتبجح وفدهم من وفد قوم	ولا لقوا التحية والسلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم إنما بعثكم قومه يستغيثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرّاً إنكم والله لا تسقون بدعائكم وإن أطعتم نبيكم وأنبئتم إلى ربكم سقيتم فأظهر إسلامه عند ذلك وقال جهامة بن الخبيري خال معاوية حين سمع قوله وعرف أنه قد اتبع دين هود عليه السلام

أيا سعد فإنك من قبيل	ذوى كرم وأملك من ثمود
فإننا لا نطيعك ما بقينا	ولسنا فاعلين لما تريد

أنا منّا لنترك دين رفد ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين أباء كرام ذوى رأى ونقبح دين هود

ثم قال لماوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخاً كبيراً احبسا عنا مرثد بن سعد حتى يقدم معنا مكة فإياه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا إلى مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا إليه فلما انتهى قام يدعوا الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم اعطنى سؤلى ولا تدخلنى فى شيء مما يدعوا وقد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد قد أمرهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم اعط قيلاً ما سألك واجعل سؤالنا مع سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم يدخل فى دعوتهم فقال اللهم إني جئتكم وحدي فى حاجتى فاعطنى سؤلى .

وقال قيل بن عنز حين دعا واستسقى اللهم لم أجىء لمريض فأداويه ولا لاسير فأفاديه اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم يا إلهنا إن كان هود صادقاً فاسقنا فإننا قد هلكنا فأنشأ الله سحاب ثلاث واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ناداه من السحاب ألا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحاب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء فناداه المنادى يقول اخترت يا قيل رماداً رمداً فلم تبق من آل عاد أحداً لا والداً تتركه ولا ولداً إلا جعلتهم رمياً همداً إلا بنوا اللويذة المهديا وبنو اللويذة رهط من هزال بنى هزير ابن بكر وكانوا سكاناً بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النعمة إلى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المفيت فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض مطرنا فقال الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها) أى كل شيء مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تدينت ما فيها من العذاب صاحت ثم صغقت فلما أفاقت قالوا لها ما رأيت؟ قالت رأيت ريحاً فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها .

(أخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسن بن علوة أنبأنا إسماعيل بن عيسى أنبأنا إسحاق بن بشر أخبرني المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى إلى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتقتطم لهم منهم فخرجت بغير كيل ولا وزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الأرض عا إلى المشرق والمغرب قال فقال الخزان يارب لن يطيقوها ولو خرجت على حالها لأهلك ما بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى الله إليهم أن يرجعوا فخرجت على قدر خربة الخاتم وهي الحلقة قال فسنخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً أي دائمة متتابعة فلم تدع أحداً من عاد إلا أهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيدونهم من الريح إلا ما يلين جلودهم ولذ به الأنفس وأنها من عاد لظن فتحمّلهم ما بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا قال محمد بن إسحاق السدي : بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض ، فبارت البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فأخرجتهم منها فمهلكوا ، فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيورا سوداء لئلا يبق منهم في البحر فألقتهم فيه (قال) ابن بشر لما خرجت الريح على عاد من الوادي قال تسعة رهط منهم أحدهم الخليلان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادي فنردها فجعلت الريح تدخل إلى تحت الواحد منهم فتجعله ثم ترمي به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى (كأنهم أعجاز نخل خاوية) حتى لم يبق منهم إلا الخليلان فقال إلى الجبل فأخذ بجانب منه فهزه فاهتز في يده ثم أنشأ يقول :

لم يبق إلا الخليلان : نفسه يالك من يوم دهاني أمسه

فقال له هود ويحك يا خليلان أليس تسلم فقال مالي عند ربك إذا أسلمت ؟ قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم في السحاب كأنهم البخت ؟ قال هود ذلك الملائكة قال إن أسلمت أيقينني ربك منهم لقومي قال ويحك هل رأيت ملاكا

يقيد من جنوده فقال لو فعل ما رضيت فبجأت الريح فالحقته بأصحابه وأهلكته وأفى الله عاداً سبوى من بقى من قومهم بمكة ونواحيها .

قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فينبأهم عنده إذ أقبل رجل على ناقة في ليلة مقمرة من أنصار عاد فأخبرهم بهلاك عاد فقالوا له أين فارقت هوداً وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكلمهم شكروا فبأحدثتهم به فقالت هرقة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومنصور بن يعقوب بن أخى معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عمرو حين دعوا بمكة قد أعطيتهم منها فاختاروا لأنفسكم فقال مرثد اللهم اعطني براً وصدقة فأعطى ذلك وقيل قال اختار أن يصيبني ما أصاب قومي فقيل له هلاك فقال لا أبالي لا حاجة لي في البقاء بعد قومي فأصابه الذي أصاب عاد من المذاب فهلك وقال لقمان يارب اعطني عمراً فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بقرات سمان نعوذ بك عن عقر لا يمسه القطر أو عمر سبعة أنسر إذا مضى نسر حولت إلى نسر آخر فالتفتعز بقاء الأبقار واختار عمر النسر فعمر عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى إذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى إلى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلم يبق غير السابيع .

قال ابن أح لقمان يا عم لم يبق من عمرك إلا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخى هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد طارت النسر غداة من رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكان نسور لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأى لبد لم ينهض مع النسر ونام إلى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان في نفسه وهماً ولم يكن يحده قبل ذلك فلما انتهى إلى الجبل رأى نسر لبد واقفاً بين النسر فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل (أتى لبد على لبد) وقال النابتة الذيباني :

ضجعت قفاراً وأضحى أهلها احتملوا أخى عليها الذى أخى على لبد

وقال محمد بن إسحاق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذي أخبر
بإهلاك عاد شعراً :

عصت عاد رسولهم فأمشوا	عطاشاً ما تبلهم السماء
وسير وفدكم شعراً ليدسقوا	فأردفهم مع العطش العناء
بكمهم برهم جواراً	على آثارهم عاد الصفا
ألا نزع الإله حلوم عاد	فإن قلوبهم قفر هواء
من الرب المهيمن إذا عصوه	وما تغنى النصيحة والشقاء
منفسى وإبتأى وأم ولدى	لنفس نبينا هود فداء
أنانا والقلوب مغميات	على ظلم وقد ذهب الضياء
لنا صنم يقال له حمود	يقابله صدى والهناء
فأبصره الذين له أنابوا	وأدرك من يكذبه الشقاء
دولاني سيف الحق آل هود	ولإخوته إذا جن المساء

أنهم لأنه لحق بهود ومن معه وبقي هود فإشياء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال أبو الطفيل عامر بن وائلة سمعت علياً رضي الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت هل رأيت كتيدياً أحمر يخالطه مدرة حمراء وأراك وسدر كثيرة يتاحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين إنك لتنته لي نعت رجل قدر آه قال لا ولاكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام .

أخبرنا أبو عمر وأحمد بن أبي العرابي أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة في المسجد الحرام بين الركن والمقام أنبأنا الفضل بن يحيى الجندی أنبأنا يوسف بن محمد أنبأنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبياً وأن قبر هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة .

(مجلس في قصة صالح عليه السلام)

قال الله تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحاً) وهو ثمود بن عامر بن لارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس وأراد ههنا القبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة ماؤها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ما ذكر محمد بن إسحق بن يسار والسدي والكلبي ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم في بعض أن عاداً الأولى لما أهلهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا في الأرض خلوا فيموا وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم ينفق المسكن من الحجر والبادر فيندم وهو حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فنحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا في سعة من معاشهم .

كما قال الله تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعشروا في الأرض مفسدين) .

تخالفوا أمر الله وعبدوا غيره فافسدوا في الأرض فبعث الله إليهم صالحاً نبياً وهو صالح بن عبيد بن آصف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوماً عرباً وكان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فبعثه الله تعالى إليهم رسولاً فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادة فلم يتبعه إلا قليل مستضعفون فلما أخلصهم صالح بالدعاء والتبليغ واكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يزيهم آية تكون صدقة لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم آية تريدون ؟ قالوا تخرج معنا إلى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعوا إلهك وتدعوا آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم ؛ فخرجوا بأثوابهم إلى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصلح في شيء مما يدعون به .

ثم قال جندع بن عمرو بن حواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة يعني الصخرة المنفردة عن الجبال من ناحية الحجر يقال لها الكائبة ناقة مختبرية جوفاء وراء عشراء والمخرجة ماشاكت البخت من الإبل فإن فعلت ذلك صدقتك وآمننا بك فأخذ عليهم صالح الميثاق أنه إذا فعل ذلك صدقوا وآمنوا به .

ثم أن صالحاً عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمنخت الصخرة تمنخض التوج بولدها ثم تحركت الهضبة فصعدت عن ناقة عشواء جوفاء وراء كما سأله لا يعلم ما بين جديبها إلا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت سقيا مثلاً في العظم فأمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويعاينوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والخباب صاحباً أو ثائهم ورياب بن صهر وكانوا من أشراف ثمود وكان جندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فأراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال رجل من ثمود :

وكأنت عصبة من آل عمرو	إلى دين النبي دعوا شهاباً
عزيز ثمود كلهم جميعاً	فهب أن يجيب ولو أجاباً
فأصبح صالح فينا عزيزاً	وما بدلوا بصاحبهم ذؤاباً
ولكن الفؤاة من آل حجر	نالوا بعد رشهم ذباباً

فلما خرجت الناقة قال صالح (هذه ناقة لها شرب يوم وليلكم شرب يوم معلوم) فمكثت الناقة ومعها سقيها في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فمكثت ترد الماء يوماً وليل يوم فإذا كان يوماً وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر يقال له بئر الناقة فيرفع الماء إليها فما ترفع رأسها إلا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتفجج ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ماشاؤا فيشربون ويدخرون ويملئون أوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذي وردت منه لأنها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لأنه يضيق عليها .

قال أبو موسى الأشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته سميناً فخراها فإذا كان الغد من يومهم - شبيهاً - من الماء وقد أخرجه الله تعالى من البئر

وأدخروا ما شاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا مع ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف إذا كان الحر تطلع ظهر الوادي فتهرب منها أغنامهم وبقورهم ولا يلهم وتربط إلى بطن الوادي في حره وحده فتكاثرت المواشي تنفق منها إذا رأيتها إذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتهرب مواشيتهم إلى ظهر الوادي في البر والحدة فأضر ذلك مواشيتهم للبلاء والاختبار فتكاثرت مراتعها الجبال فكبر ذلك عليهم حتى حملوا على الناقة فاحتالوا في عقرها .

وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنيم بن عثك وتمكني أم غنيم وهي من بني عبيد بن الممل وكانت امرأة ذؤاب بن عثر وكانت بحوزة مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الإبل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت الحيا بن مهر وكانت غنية جميلة ذات مواشي كثيرة وكانت هاتان المراتان من أسد الناس عداوة لصالح وكانتا تحتالان على عقور الناقة من كفرهما بصالح بما أضرت بمواشيتهم وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صقيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فأبلم وحسن إسلامه وكانت صدوق قد وضعت إليه مالها فأنفقته على من أسلم من أصحاب صالح عليه السلام حتى نفد المال فأطاع صدوق على إسلامه فعاتبته على ما فعل فأظهر لها دينه ودعاها إلى الله تعالى فأنت عليه وأخذت أولادها فغيبتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردي على أولادي فلما ألتح عليها قالت حتى أحاكك إلى بني عمي وذلك أن بني عمهم كانوا مسلمين فأبت أن تحاكمهم إليهم فقال لها بنو عمها والله لتمطينه ولده طائفة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده وكانت أوفر الناس جالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كالا فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف أهل قرح واسم أمه قديرة وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا ويزعمون أنه كان لزانية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولد لكنه قد ولد على فراشه فقالت له يا قدار أعطيتك من بناتي أيما شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزا في قومه وذكره رسول الله ﷺ وإذا انبعث أشقاها ورجل عزيز في قومه مثل أبي ذمة .

قالوا فانطلق قدار ومصدق واستعانوا بمن استعانوا من ثمود فأتبعهم سبعة نفر
مركبوا تسعة رهط كما قال الله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض
ولا يصلحون) فأتهم هديات بن مبالغ خال قدار وكان عزيزاً من أهل الحجر ودع
ابن شخم بن داغرة أخى مصدع وخمسة لم يذكروا أسماءهم فاجتمعوا على عقر الناقة .

قال السدى وغيره أوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك
فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم لأنه سيولد في شهركم هذا غلاماً يعقرها ويكون
هلاككم على يديه فقالوا لا بجرم لا يولد لنا في هذا الشهر ولد إلا قتله فولد
التسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد للماشرا بن فأب أن يذبح
إبنه وكان بكره لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن الماشر أزرق أحمر فنبئت نباتاً
سريعاً وكان إذا مر بالتسعة ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا
أحياء لمكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتل أولادهم
فقتلهم بالله لنبيته وأهله قالوا نخرج فيرى الناس أنا قد خرجنا لسفر فأتى الغار
فنسكن فيه حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أئذناه فنقله ثم رجع إلى
الغار فنسكن فيه ونصرف بعد ذلك . رجالنا فنقول ما شهدنا ملكاً أهله وإنا
لصادقون في صدقونا ويظنون أنا قد خرجنا إلى سفر وكان صالح لا ينام الليل
مهم في القرية . كان يأوى إلى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه بالليل فإذا
أصبح أتاهم ووعظهم وذكرهم فإذا أمسى خرج إلى المسجد فصلى فيه .

فلما دخلوا الغار وأضمرُوا أنهم يخرجون إليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم
صخرة من الغار فقتلتهم فالطابق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك إلى الغار فإذا هم
راضخ فرجعوا يصيحون في القرية يا عباد الله ما قنع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم
حتى قتلهم فاجمع أهل القرية عقر الناقة .

(قال) ابن إسحق إنما كان تهايم التسعة على تبديت صالح عليه السلام بعد
عقرهم الناقة ولذا نذر صالح إليهم بالهدايا ذلك أن التسعة الذين عقروا الناقة قالوا

هلم فليقتل صالحاً فإن كان صادقاً كسنا عجلنا قتله وإن كان كاذباً كسنا الحقناه بذاقته ليلاً فأتوه ليلاً ليبيتوه في أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطلوا على أصحابهم أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوه مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته وأخذوا السلاح وقالوا والله لا تقتلونه أبداً فقد وعدكم بأن العذاب نازل بكم في ثلاث فإن كان صادقاً قلم تزيدوا ربكم عليكم إلا غضباً وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون فأنصرفوا عنهم ليأتهم تلك .

(قال) السدي غيره فلما ولد ابن العاشر يعني قدار وكان يشرب في كل يوم شباب غيره في الجمعة ويشرب في الجمعة شباب غيره في الشهر ويشرب في الشهر شباب غيره في السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيدون الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شربهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء شربه الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن ولو كسنا نأخذ الماء الذي تشربه هذه الناقة فنسقيه أنعامنا وحرثنا كان خيراً لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أغقرها قالوا نعم .

(قال) ابن إسحق وغيره قالوا قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل شجرة على طريقهما وكمى لها مصدع في أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنمة وعذيرة وأمرت لبنها وكانت من أحسن الناس وجهاً فترأت لقدار وأسفرت عن وجهها لو حرصت على عقر الناقة فشدد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فأرداها وطعن في لبنها ونحرها وخرج أهل البلد واقسموها وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقيمها ذلك انطلق حتى أتى جبلاً منيعاً يقال له ضوه وقيل اسمه فارة .

وروى ذلك مسنداً عن رسول الله ﷺ من حديث شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة فأتى صالح عليه السلام فقيل له أدرك عاقبتك قد عقرت فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه ويقولون يا نبي الله إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم

صالح انظروا هل تدركون فصيلاً فإن أدركتموه فمسي أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا إليه ليأخذوه فأوحى الله إلى الجبل فتطاول في السماء حتى لا تناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم دعا ثلاثاً وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام ليكل أمة أجل فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب

قال محمد بن إسحق بن يسار أتبع الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصداق وأخوه ذؤاب ولد مخرج فرماه مصدع بسهم فأنظلم قلبه ثم جره برجله فأنزله وألقوا لحمه مع لحم أمه فقال له صالح عليه السلام انتم كتم حرمه الله فأبشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكان يسمون الأيام فيوم الأحد الأول والإثنين أهون والثلاثاء ديار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وفيه يقول الشاعر:

أومل أن أعيش وأن يومي بأول أولهم ون أول جبار
أو المردي ديار فإن أفته فوق نيس أو عروبة أو شبار

قالوا وكان عقرو الناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوهم عن وقت العذاب وآيته إنكم تصبحون غرة مؤنس وجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة وجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار وجوهكم مسودة ثم تصبحون يوم الأحد وجوهكم فاصبحوا يوم الخميس وجوهكم مصفرة كما لما طلعت بالخلق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هارباً حتى لحق ببطن عجل ثموثاً فقال لهم بتواظفتم قتل على رجل منهم يقال له نفيل ويكنى بأبا هذيل وهو مشرك فخبى عنهم فلم يقدروا عليه فعدوا على أصحاب صالح فقتلواهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أهل أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يابى الله إنهم ليعذبونا لنذنبهم عليك أفندهم

قال نعم فدلهم عليه مبدع فأبوا هذب فكلموه في ذلك فقال نعم هو عندي وليس لكم إليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما أنزل الله تعالى بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يزون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم الأجل فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم حمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع بهم فلما أمسوا فإذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعاً ألا قد حضركم العذاب .

فلما كان ليلة الأحد خرج صالحاً عليه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من آمن حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فاسبطين فلما أصبحوا تسكفونوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم بالأرض فجعلوا يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة ولا يدرون من أين يأتهم العذاب فلما أشد الضجى من يوم الأحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق فيهم صغير ولا كبير إلا هلك كما قال عز وجل (فأصبحوا في دارهم جاثمين) كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعداً لثمود) ولم ينج منهم إلا جارية مقعدة يقال لها ذريمة بذت شاف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق لها رجلها بعد ما طابت العذاب أجمع فخرجت كاسرع شيء يكون حتى أتت قرحاً وهو وادي القرى حد ما بين الحجاز والشام فأنخبتهم بما طابت من العذاب وما أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فلما شربت ماتت .

(وروى) أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي ﷺ بالحجر في غزوة تبوك قال لا صحابه لا يدخلن أحد هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا بأكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوهم رسالهم الآية فنبئت الله لهم الناقة .

وقال أهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك أنه انتقل من الشام إلى مكة بعد ما أهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد أقام في قومه عشرين سنة .

(أخبرنا) محمد بن عبد الله بن محمد الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله ﷺ يا علي أتدرى من أشقى الأولين قال قلت لله ورسوله ألم قال حافر الناقة قال يا علي أتدرى من أشقى الآخرين قال قلت لله ورسوله أعلم قال قاتلك والله أعلم .

(مجلس في قصة إبراهيم عليه السلام والنمرود)

وهو إبراهيم بن تازخ بن ناحور بن ساروغ بن ادغو بن قالع بن طابر بن صالح بن قينان بن أرخشدد بن سام بن نوح وكان اسم أبي إبراهيم الذي سماه به أبوه تازح فلما صار مع النمرود قيعاً على نخزائن آلهته سماه آزر وقال بجاهد إن آزر ليس اسم أبيه وإنما هو اسم صنم وقال ابن إسحاق ليس اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالقبطية الشيخ الهرم وولد لناخور تارخ بعد مائة من عمره سبع وعشرين سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم .

(الباب الأول في مولد إبراهيم عليه السلام)

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الالهواز وقال بعضهم كان مولده ببال من أرض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية حدود كسكر ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نمرود من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بخران ولكن نقله أبوه إلى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان وكان بين الطوفان وبين مولد إبراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة ونمرود بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن حام

ابن نوح (ويقال) ملك الأرض أربعة : مؤمنان وكافران ، فأما المؤمنان فإسحاق
ابن داود وذو القرنين عليهما السلام ، وأما الكافران فنمرود وبختنصر ، وكان
نمرود أول من وضع على رأسه التاج وتجبز في الأرض ودعا الناس إلى عبادته ؛
وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل
الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال إنهم وجدوا ذلك في
كتب الأنبياء .

(وقال السدي) رأى نمرود في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس
والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففرع فرعاً شديداً ودعا السحرة والكهنة والفاقة وهم
الذين يخطون في الأرض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه
السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه قال فأمر نمرود بذبح كل غلام
يولد في تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة
رجلاً رقيباً أميناً فإذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها إذا أمن المواقعة فإذا طهرت
عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو إبراهيم فرجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع
عليها في ظهريها فحملت بإبراهيم عليه السلام .

(وقال) محمد بن إسحق بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فخدمها عنده
إلا ما كان من أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحملها وذلك أنها كانت جارية حديثة السن
لم تعرف الحمل ولم يبين في بطنها .

(قال ابن عباس) لما حملت أم إبراهيم قال السكهان لنمرود إن الغلام الذي
أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فأمر نمرود بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم
إبراهيم وأخذها الخاض خرجت هاربة مخافة أن يطالع عليها فيقتل ولدها فوضعت
في نهر يابس ثم لفته في خرقه ووضعت في حلفاء ورجعت فأخبرت زوجها بإبنها وأنها
قد ولدت في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وخفر له سر داباً عند
نهر فوارة وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف إليه فترضعه ،

(وقال السدي) لما عظم بطن أم إبراهيم خشي آزر أن يذبح فانطلق بها إلى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فأنزلها في سرداب من الأرض وجعل يتهمد لها ويكتم ذلك عن أصحابه فولدت إبراهيم عليه السلام في ذلك السرداب فشب فكان وهو ابن سنة كإبن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت طمع الذباحين ثم ذكر آزر لأصحابه أن له إبناً فانطلق به إليهم .

(قال ابن إسحق) لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلة إلى مغارة وكانت قريبة منها فولدت فيها إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصلح المولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتجده حياً يمص إبهامه (قال أبو زريق) كانت أم إبراهيم كلما دخلت على إبراهيم عليه السلام وجدته يمص إبهامه فتألت ذات يوم لأنظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبناً ومن أصبع عسلاً ومن أصبع سمناً .

(قال ابن إسحق) وكان آزر سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل فتألت ولدت له غلاماً فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على إبراهيم عليه السلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم عليه السلام في المغارة إلا خمسة عشر يوماً حتى جاء إلى أبيه آزر فأخبره أنه إبنه وأخبرته امرأته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحاً شديداً .

(الباب الثاني في خروج إبراهيم عليه السلام من السرداب ورجوعه إلى قومه)
(ومحاботه إياه في الدين وإلقائهم إياه في النار وما يتعلق بذلك)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما شب إبراهيم عليه السلام وهو في السرداب قال لأمه من ربي ؟ قالت أنا قال فمن ربي ؟ قالت أبوك قال فمن ربي أبي ؟ قالت له ثمروذ قال فمن ربي ثمروذ ؟ قالت له اسكت فسكت ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرايت الغلام الذي يحدث أنه يغير دين أهل الأرض فإنه إبنك ثم أخبرته بما قال (م ٦ - - قصص الأنبياء)

لها فأتاه أبوه آزر فقال إبراهيم عليه السلام يا أبتاه من ربي ؟ قال أملك قال فمن رب أمي قال أنا قال فمن ربك ؟ قال نمرود قال فمن رب نمرود ؟ فلطمه لطمه وقال اسكت وذلك قوله تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) .

ثم قال لأبويه أخرجاني فأخرجاه من السرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر إبراهيم عليه السلام إلى الإبل والبقر والغنم والخيول يراح بها فسأل أباه ما هذه فقال إبل وخيول وبقر وغنم فقال ما لهذه بد أن يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر في خلق السموات والأرض وقال إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي مالي إله غيره ثم انظر فإذا المشتري قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر شهر فرأى السكوكب قبل القمر فقال هذا ربي فذلك قوله تعالى (فلما جن الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال إنني لم يهدي ربي لا كون من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر) لأنه رأى ضوءها أعظم (فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) قالوا وكان أبوهما يصنع الأصنام فلما ضم إبراهيم إلى نفسه جعل يصنع الأصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعهما فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فينادي من يشتري ما يضر ولا ينفع فلا يشتري أحد منه فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فضرب رؤسها وقال لها اشربي كسدت استمزاء بقومه بما هم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشى عيبه إياها واستمزأوه بها في قومه وأهل قريته فخاجه قومه في دينه فقال لهم (أتأججونني في الله وقد هداني) الآيات إلى قوله عز وجل (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ترفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) حتى خصمهم وغلبيهم بالحجة ثم إن إبراهيم عليه السلام دعا أباه آزر إلى دينه فقال (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً) إلى آخر القصة فأتى أبوه الإجابة إلى مادعا إليه ثم أن إبراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباءكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين) قالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا أتعني نمرود فقال إلا الذي خلقني

فهو يهديني إلى آخر القصة ففشا ذلك في الناس حتى بلغ نمرود الجبار فدعاه فقال له يا إبراهيم أرأيت إلهك الذي بعثك وتدعو إلى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره قال ما هو ؟ قال إبراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود أنا أحيي وأميت قال إبراهيم كيف يحيي ويميت قال آخذ رجلين استوجبا القتل في حكمي فأقتل أحدهما فأكون أمته ثم أعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته فقال له إبراهيم عند ذلك إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمرود ولم يرجع إليه شيئاً ولزمته الحجة فذلك قوله عز وجل (فبهت الذي كفر) الآية ثم أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يرى قومه ضعف الأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها إلزاماً للحجة عليهم فجعل ينتهز لذلك فرصة ويختال فيه إلى أن حضرهم عيد لهم .

قال السدي : كان لهم في كل سنة عيد يخرجون إليه ويجمعون فيه فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم طادوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان في بعض الطريق ألقى نفسه وقال إني سقيم أشتكى رجلي فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس (وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) فسمعوها منه .

وقال مجاهد وقتادة فإنما قال إبراهيم عليه السلام هذا في سر من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد منهم وهو الذي أنشأ عليه قالوا ثم رجع إبراهيم عليه السلام من الطريق إلى بيت الآلهة فإذا في البيت نهر مستقبل باب النهر صنم عظيم يليه أصغر منه إلى باب النهر وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعوه بين يدي الآلهة وقالوا إذا كان حين رجوعنا فرجعنا وقد باركت الآلهة في طعامنا أكلنا فلما نظر إبراهيم عليه السلام إلى الأصنام وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين وجعل يكسرهن بفأس في يده حتى لم يبق إلا الصنم الأكبر فعلق الفأس في عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل (فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون) فلما جاء القوم من العيد

إلى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا (من فعل هذا بآلهتنا أنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فليذكرهم يقال له إبراهيم) هو الذى نظنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشرف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة .

قال قتادة والسدى وقال الضحاك لعلمهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما أحضروه قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال إبراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبدوا معه هذه الأصنام الصغار وهو أكبر منها فكسروهن فاسألوهم إن كانوا ينطقون قال النبي ﷺ دلم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات كلها فى الله تعالى وقوله إنى سقم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذى عرض إيسارة هى أختي) فلما قال إبراهيم ذلك رجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون هذا الرجل فى سؤالكم إياه وهذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك قول إبراهيم عليه السلام فاسألوهم إن كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه إلا كما قال (قيل) إنكم أنتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم فكسوا على رؤسهم متجهرين فى أمره وعلوا أنها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لإبراهيم عليهم السلام قال لهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف تلمسوا تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حوقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) .

قال ابن إسحق كانوا يجمعون الحطب شهراً حتى إذا كثر الحطب وجمعوا منه ما أرادوا وأشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى إن الطير لير بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا إلى إبراهيم عليه السلام قرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقاً بإشارة إبليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من إلقائه فى النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيداً مغلولاً صلوات الله عليه فضجت السموات والأرض والجبال ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين ضجة واحدة وقالوا أى ربنا إبراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره

يحرق في النار فاذن لنا في نصرته فقال الله تعالى لهم إن استعان بشيء منكم أو دماء
فلينصره فقد أذنت لكم في ذلك وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني
وبينه فلما أرادوا إلقاءه النار أتاه ملك المياه فقال إن أردت أخذت النار فإن
المياه والأمطار بيدي وأتاه حازن الريح فقال إن شئت طيرت النار في الهواء فقال
إبراهيم عليه السلام ولا حاجة لي إليكم ثم رفع رأسه إلى السماء فقال اللهم أنت
الواحد في السماء ليس في الأرض أحد يعبدك غيري .

وروى المعتبر عن أبي بن كعب عن أرقم (أن إبراهيم عليه السلام قال حين
أوثقوه ليلقوه في النار لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك
لا شريك لك) ثم رموا به في المنجنيق إلى النار في موضع شاسع فاستقبله جبريل
عليه السلام فقال يا إبراهيم ألك حاجة قال أها إليك فلا قال جبريل فبذل ربك
فقال إبراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي عليه بحالي حسبي الله ونعم الوكيل وفي
الخبير (أن إبراهيم عليه السلام لما نجي بقوله حسبي الله ونعم الوكيل) قال الله
عن وجل (يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) .

قال السدي فأخذت الملائكة بصبعي إبراهيم فأقعدته على الأرض فإذا عين ماء
ورد أحمر ونرجس قالوا فأقام إبراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمر قال
إبراهيم خليل الله ما كنت أياماً قط أنعم مني عيشاً من الأيام التي كنت فيها في النار
(قال ابن إسحق وغيره) وبعث الله ملك الظل في صورة إبراهيم عليه السلام
فقدم فيها إلى جنب إبراهيم وهو مؤنسه فأناه جبريل عليه السلام بقميص من حرير
وقال يا إبراهيم إن ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبائي وألبسه القميص
ثم أشرف نمرود من صرح له عال ونظر إلى إبراهيم عليه السلام وما يشك أنه قد
هلك فرآه جالساً في روضة ورأى الملك قاعداً إلى جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا
من الخطب فناداه نمرود يا إبراهيم كبير إلهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك
وبين النار حتى لم تضرك يا إبراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل
تخشى إن أقمت فيها أن تضرك قال لا قال فقم اخرج منها إبراهيم عليه السلام .

يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج منها قال له النروذ ما الذي رأيته معك في مثل
حضورك قاعداً إلى جانبك قال ملك الظل أرسله إلى ربي ليؤنسني فيها .

(قال الشعبي) ألقى إبراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست عشرة سنة
وذبح إسحق وهو ابن سبع سنين وولدت له سارة رضى الله عنها وهي ابنة تسمعين مئة
وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد بإسحق بقيت يومين
وماتت في اليوم الثالث .

(قال ابن إسحق) استجاب لإبراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا
ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه برداً وسلاماً على خوف من نمرود
وملشهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو
أخو إبراهيم عليه السلام وكان لها أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ فهاران أبولوط
وناحور أبوتنويل وتنويل أبو لابان ورفقا بنت تنويل امرأة إسحق بن إبراهيم
أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضاً
به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم عليه السلام .

(قال السدي) كانت سارة بنت ملك حران ، وذلك أن إبراهيم ولوطاً عليهما
السلام انطلقا قبل الشام فلقى إبراهيم سارة هي بنت الملك حران ، وكانت قد
ظففت على قومها في ذئبهم فتزوجها إبراهيم عليه السلام على أن لا يضرها .

(قال ابن إسحق) خرج إبراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق
مهاجراً إلى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى
(فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) فخرج حتى نزل حران فمكث بها ما شاء
الله تعالى أن يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر إلى الشام فنزل
بالسبع من أرض فلسطين وهي بركة الشام ونزل لوط بالمؤتفة وهي من السبع على
مسيرة يوم وإيلة فبعثه الله نبياً فذلك قوله عز وجل (ونجينا لوطاً إلى الأرض التي
بباركننا فيها للعالمين) يعني الشام فبركتها أن بعث منها أكثر الأنبياء وهي الأرض

المقدسة وأرض المحشر والمذشر وبها يتزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله
المسيح الدجال بباب لد وهي أرض خصبة كثيرة الأشجار والأنهار والثمار يطيب
فيها العيش للغنى والفقير .

(الباب الثالث في مولد إسماعيل وإسحق عليهما السلام)
(ونزول إسماعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بثر زمزم)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما نجا الله خليله إبراهيم عليه السلام آمن به من
آمن وتابعوه على فراق قومهم وإظهار البراءة منهم فقالوا (إنا برآء منكم ومما
تعبدون من دون الله ككفرأ بكم) أيها المعبودون من دون الله ككفرأ بكم (أيها
المعبودون من دون الله (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء) أيها العابدون (حق
تؤمنوا بالله وحده) ثم خرج إبراهيم عليه السلام مهاجراً إلى ربه وخرج معه لوط
عليه السلام وتزوج إبراهيم عليه السلام بإبنة عمه سارة فخرج بها يلتمس القرار
بمدينة والأمان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم
خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى وكانت سارة
من أحسن النساء وأجملهن وكانت لا تعصى إبراهيم عليه السلام في شيء وبذلك
أكرمها الله .

قال فأتى الجبار رجل وقال له إني ههنا رجل معه امرأة من أحسن النساء
ووصف له حسننها وجمالها فأرسل الجبار إلى إبراهيم عليه السلام فجاءه فقال ما هذه
المرأة منك فقال هي أختي ونخوف إن قال هي امرأتى أن يقتله فقال زينها وأرسلها
إلى ختي أنظر إليها فرجع إبراهيم إلى سارة عليها السلام وقال لها أن هذا الجبار
قد سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فإنك أختي في كتاب الله عز
وجل أنه ليس في هذه الأرض مسلم غيري وغيرك .

ثم أقبلت سارة إلى الجبار وقام إبراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه
ورآها أهوى إليها ليتناولها بيده فبست يده إلى صدره فلما رأى الجبار ذلك عظم

أمرها وقال لها سلى ربك أن يطلق يدي فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم إن كان صادقاً فأطلق يده فأطلق الله تعالى يده .

(وفي بعض الاخبار المسندة) أنه فعل ذلك ثلاث مرات بقصد أن يتناولها مفتيس يده فلما رأى ذلك ردها إلى إبراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فقالت إلى إبراهيم فلما أحس بها إبراهيم أنفث من صلاته قال مهم فقالت كفى الله كيد الفاجر الباغي بما رأى ، قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ قال فذاك أمكم يا بني ماء السماء .

(وفي بعض الاخبار) أن الله تعالى رفع الحجاب بين إبراهيم وسارة حتى كان ينظر إليها من وقت خروجهما من عنده إلى وقت انصرافهما إليه كرامة لها وتطييباً لقلب إبراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيبة فوهبتها سارة لإبراهيم فقالت إني أرها امرأة وضيئة نخلها لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولداً وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسدت فوق إبراهيم على هاجر فولدت له إسماعيل عليه السلام .

(وروى) محمد بن إسحق عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ (إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً) .

قال ابن إسحق فسألت الزهري ما الرجم التي ذكرها رسول الله ﷺ فقال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم ثم خرج إبراهيم من مصر إلى الشام وهاب ذلك الملك الذي كان بها وأشفق من شره فزل السبع من أرض فلسطين واحتفر بها بئراً واتخذ بها مسجداً وكانت ماء تلك البئر معيناً ظاهراً وكانت غنمه تردها فأقام إبراهيم بالسبع مدة ثم أن أهله آذوه فيها ببعض الذي خرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وإيليا يقال لها قطة فلما خرج من بين أظهرهم نصب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعاً على ما صنعوا وقالوا أخرجنا من بين أظهرنا رجالاً صالحاً فأتبعوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع إلى بلد أخرجت منه

قالوا إن الماء الذي كنت تشرب منه وتشرب معك منه قد نصب وذهب فأعطاهم سبعة أدنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فإنكم إذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معيماً ظاهراً كما كان فاشربوا ولا تقربنها امرأة حائض فخرجوا بالأدنز .

قال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فيمكانوا يشربون منها وهي على تلك الحال حتى أتتها امرأة طاهية فاشرقت منها فركد ماؤها إلى الذي عليه اليوم وأقام إبراهيم عليه السلام ببلده وكان بضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى دلائل قوم لوط عليه السلام بعث إليه رسوله يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤوا بإبراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة بإسحق ومن وراءه إسحق يعقوب فلما نزلوا على إبراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوماً حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل إلا مع ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفاً لم يضاف مثلهم حسناً وجمالاً فقال لا يخرج هؤلاء أقوم إلا أنا فخرج فجاء بعجل سمين حديد وهو المشوى بالحجارة فقربه إليهم فأدسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا نأكلون (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكروهم وأوجس منهم خيفة) حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا إبراهيم لا نأكل طعاماً إلا بشئ قال فإن لها ثمناً قال وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمده ونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل عليهما السلام قال يحق لهذا أن يتخذ ربه خايباً لا ثم قال له لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامراته سارة قائمة بتخدمهم وإبراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه بإسحق ويعقوب ضحككت سارة واخفاف العلماء في العلة الجالبة لضحكها ما هي فقال السدي إنها ضحككت سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت يا عجبا لا ضيافنا هؤلاء أنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا .

(قال السدي) قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة البكر ما آية ذلك فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فادنز أخضر فقال إبراهيم هو لله إذا ذبح .

وقال مجاهد وعكرمة فضحكك أي حاضت في الوقت تقول العرب ضحكك الأرنب
إذ حاضت وقال السدي وابن يسار وغيرهما من أهل الأخبار فحملت سارة بإسحق
وقد كانت حملت هاجر بإسماعيل فوضعتا معاً وشب الغلامان فيبينما هما يتناضلان
ذات يوم وقد كان إبراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق إسماعيل فأخذه وأجلسه
في حجره وأجلس إسحق إلى جانبه وسارة تنظر إليه فغضبت وأخذها ما يأخذ
النساء من الخيرة فحلفت لتقطع بضعة منها ثم تاب إليها عقالها .

فقال لها إبراهيم عليه السلام اخفضيها واثقي أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة
في النساء ثم أن إسماعيل وإسحق عليهما السلام أفتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان
فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنيني في بلد واحد وأمرت إبراهيم عليه
السلام أن يعزلها عنها فأوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أن يأتي بهاجر وإبنها
مكة فذهب بها حتى قدم مكة وهي إذ ذاك عذاة وسلم وبعث إليها خارج مكة أناس
يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حراء فقال إبراهيم عليه السلام لجبريل
عليه السلام ههنا أمرت أن تضعها قال نعم فعمد بهم إلى موضع الحجر فأنزلهما
فيه وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ عريشاً ثم قال (ربنا إني أسكنت من ذريتي
يواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس
تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ثم انصرف فأتبعته هاجر
وقالت إني من تسكننا فجعل لا يرد عليها شيئاً فقالت الله أمرك بهذا ؟ قال نعم ؛
فقالت إذا لا يضيئنا ثم انصرف راجعاً إلى الشام .

وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنقذ الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت أي
الجبال أدنى من الأرض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتاً أو ترى إنسياً
فلم تسمع شيئاً ولم تر أحداً ثم إنها سمعت أصوات سباع الوادي نحو إسماعيل
فأقبلت إليه مهرولة بسرعة ثم سمعت صوتاً نحو المروءة فسعت وهي تزيد السعي
كالإنسان المجهود فهي أول من سعى بين الصفا والمروءة ثم صعدت إلى المروءة
فسمعت صوتاً كالإنسان الذي يكذب سمعه حتى استيقظت وجعلت تدعو اسمع إبل
يعني يا الله قد أسمعتني صوتك فأغثنى فقد هلك من ممى .

فإذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت ؟ فقالت سرية إبراهيم عليه السلام تركني وإني ههنا قال وإلى من وكلكما ؟ قالت وكلنا إلى الله تعالى قال لقد وكلكما إلى كريم كاف ثم جاء بهما وقد نفذ طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما إلى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عين فلذلك يقال لزمن ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر شنة لها وجعلت تسقى فيها وتدخره فقال لها جبريل عليه السلام أنها رى وجعلت أم إسماعيل تحبسها حبساً .

قال رسول الله ﷺ (لولا أنها عجبت لمكانت زمزم معيناً) وقال لها جبريل لا تخافي الظمأ على أهل هذه البلدة فإنها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها أما أن أبا الغلام سيجيء فيبنيان لله تعالى بيتاً هذا موضعه ومرت رفقة من جرهم تريد الشام قرأوا الطير على الجبل فقالوا إن هذا الطير لحائم على ماء فأشرفوا فإذا هم بالماء فقالوا لها جري إن شئت كمننا معك فآ نسنأك والماء ماؤك فأذنت لهم فزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول في نلبيتما :

لا هم أن جرهما عبادك الناس طارف وهم بلادك وهم قديماً عمروا بلادك فكانوا هناك حتى شب إسماعيل وماتت هاجر فتزوج إسماعيل امرأة من جرهم وأخذ أسانهم فتعرب بهم فهم أولاده العرب المنعربة .

ثم أن إبراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور هاجر وإبنتها فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال إنه قدمها راكباً البراق فلما قدمها ذهب إلى بيت إسماعيل فقلنا لامرأته أين صاحبك قالت ليس هنا ذهب يتصيد وكان إسماعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولعاً بالصيد نخس بالقنص والفروسية والرمي والصراع فقال لها إبراهيم عليه السلام هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد فقال لها إبراهيم إذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب إبراهيم عليه السلام ودخل إسماعيل فوجد ربح أبيه فقال لامرأته قد جاءك أحد فقالت شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال فاقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فابث إبراهيم عليه

السلام ما شاء الله سم استاذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة فقالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة أكثر أرض الله برأ وشعيراً وتمرأ ثم قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشيثك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعت قدميه عند شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فبقى أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الأيمن ثم جعلت المقام إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فقال إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء إسماعيل ووجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاء أحد قالت جاءني شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

(قال) أنس بن مالك رأيت المقام أثر أصابع إبراهيم عليه السلام وعقبه . ولا يخص قدميه غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم .

(وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا هدية بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح القرشي قال سمعت مسافر بن شبيعة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول شهد ثلاث مرات أني سمعت رسول الله ﷺ يقول (الركن والمقام يا قوتان من بواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس الله نورهما لأضاء ما بين المشرق والمغرب) .

(الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم)

(روت الرواة) عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينما أنا نائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال احفر درة قلت وما درة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فقال احفر المصونة فذهب عني فلما كان من الغد رجعت إلى منسجعي فنمت فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم ؟ وكانت قد رست وغار ماؤها لما مضت أيام إسماعيل عليه السلام قال بئر يستقى الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الخراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف أنه قد صدق فعدا بماله ومعه الحرث بن عبد المطلب وأيس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا إليه فقالوا يا عبد المطلب إنها من آثار أجدنا إسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا فيها فقال ما أنا بفاعل إن هذا شيء خصصت به دينكم وأعطيته من دينكم قالوا له فأنصفنا فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أخاصمكم إليه قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيل قال نعم وكانت من أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض إذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفذ ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا إنا بمفازة وإنا نخشى على أنفسنا أن يصيبنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لأصحابه ماذا ترون قالوا إن رأينا تبسح لرأيك فأمرنا بما شئت .

قال فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات دون صاحبه ودفنه في حفرة قال فحفروا وجلسوا يتذكرون الموت ثم قال عبد المطلب وما لنا لا نخرب في الأرض فعسى الله أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون وتقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما أن انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبّر عبد المطلب وكبّر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رووا وملأوا

أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا إلى الماء فقد سقانا الله تعالى وإياكم فشربوا وسقوا ثم قالوا والله قضى الله عيناً يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء في هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع ورجعوا معه حتى أوفوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما جن الليل رأى عبد المطلب في منامه كأن قائلاً يقول له :

يا أيها المدج احفر زمزم إنك إن حفرتها لم تندم
وهي تراث من أبيك الأعظم تسقى الحجيج حافلاً لم ينقم
فأما سمعه عبد المطلب قال وأين زمزم ؟ قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب
الأعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنة الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر
عند الوثنيين أساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما فجاء بالمعول وقام ليحفر
حيث أمر فقامت قريش وقالوا والله لا نتركك أن تحفرها ووثناها ومنحرونا
عندها وكانت قريش سدوة على ذلك لأنهم أخبروا أن جرهما لما سكنت مكة
أودعت في زمزم أموالاً وأسلحة للمصطفى ﷺ لما أخبرت أن الله تعالى باعث في
هذه القرية نبياً من صفته وحاله كيت وكيت وأما يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر
بذلك عبد المطلب نازعوه في ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطئ
الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فكبر فعرفوا أنه لم يخطئ فتمادى
حتى بلغ إلى تمثالين من ذهب هما الغزالان اللذان دفنهما جرهم ووجد فيهما سيوفاً
ودروعاً فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شركة قال لا ولكن
نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا للسكبة قدحين ولى قدحين
ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له قالوا
أنصفنا فجعل قدحين أصفرين للسكبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين
أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح التي تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو
فخرج إليهما الأصفران على الغزالين للسكبة وخرج الأسودان على الأسياف
والأدرع لعبد المطلب وتخلف قدحاه قريش قال فعلق عبد المطلب الأسياف والأدرع
بباب السكبة وضرب في الباب الغزالين الذهب فكان أول ذهب حلقت به السكبة

وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها وأخرج منها
ما أخرج ازداد بذلك في قریش عظماً وجاهاً ومنزلة وعافت الحجيج المياه التي
كانت بمكة ونواحيها وأقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة مائها ولينها من أثر
إسماعيل عليه السلام وافتخرت بنوعبد مناف على قریش وعلى سائر العرب والله أعلم

(الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبدء أمرها إلى وقتنا هذا)

أخبرنا أبو عمر وأحمد بن أبي أحمد الفرائي أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن
الوليد المغربي بمكة حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم بن المفضل حدثنا
عبد الله بن أبي غسان اليماني حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن
مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام
ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف
ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة حذاء الكعبة وأن الله تعالى أهبط آدم
عليه السلام إلى موضع الكعبة وهو مثل الملك من شدة رعدته وأنزل عليه
الحجر الأسود وهو يتلأل كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم وضمه إليه استئناساً به
ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم
العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطى فإذا هو بأرض الهند فمكث هناك ما شاء الله أن
يمكث ثم استوحش إلى البيت فقبل له حج يا آدم فأقبل يتخطى فصار موضع
كل قدم تربة وما بين كل ذلك مفاز حتى قدم إلى مكة .

فقال آدم يا رب اجعل لهذا البيت عمراً يعمرونه من ذريتي فأوحى الله تعالى
إليه إني معمره بذري من ذريتك لاسمه إبراهيم أنخذه خليلاً أفضى على يديه عمارته
وأهبط له سقايته وأورثه حله وحرمة ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه فلما
فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس إن الله تعالى بنى بيتاً فحجوه فاسمع ما بين الخافقين
فأقبل من يحج هذا البيت من الناس يقول لبيك لبيك وقال ﷺ وأن آدم عليه السلام
سأل ربه عز وجل فقال يا رب أسألك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك

بك شيئاً أن تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيئاً آمناً يوم القيامة .

روت الرواة بأسانيد مختلفة : أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض كان طواه ستين ذراعاً ، فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك إلى الله عز وجل فأنزل الله تعالى يا قوته من يراقبت الجنة فكانت موضع البيت الآن ، ثم قال يا آدم لاني أهبطته لك بيتاً تطوف به كما يطاف حوله عرشي وتصلى عنده كما كنت تصلى عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام إلى مكة ورأى البيت فطاف به ،

(وروي) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام أن لي حرماً بحيال عرشي فهنا لك أستجيب لك ولولدك من كان في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدي إليه فقيض الله ماسكاً فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام إذا مر بروضة وبمكان يعجبه قال للملك انزل بي ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فمكان كل مكان نزل فيه عمراناً وكل مكان تعداه مفاوز وقفار ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج الملك إلى عرفاته فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعاً ثم رجع إلى أرض الهند فمات على تود .

قال أبو يحيى بائع القم قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس أن آدم نزل حين هبط بالهند ولقد حجج منها أربعين حجة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله والله أن خطواته مسيرة ثلاثة أيام .

وقال وهب بن منبه أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض فرأى سمعتها وأم يرفيها أحداً غيره قال يارب أما لهذه الأرض طائر يسبح بحمدي ويقدمك غيري قال الله تعالى لاني سأجعل فيها من وادك من يسبح بحمدي ويقدمني وسأجعل فيها بيوتاً ترفع بذكرى ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصه بكرامتي وأوثره باسمي وأسميه يتي وأنطقه بعظمي وعليه

وضعت جلالى ثم أجعل ذلك البيت حرماً آمناً يحرم بحرمة من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمة بحرمة استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهله فقد ضيع دينى وخسر ذمتى وأباح حرمتى أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعماً غبراً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

(واختلاف) العلماء فى كيفية بيان ذلك فقال بعضهم إن الذى خرج مع إبراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل (وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت) الآية قالوا جعل إبراهيم ببنيه وإسماعيل يتأوله الحجارة وكان إبراهيم عبرانياً وإسماعيل عربياً فألهم الله تعالى أحدهما لسان صاحبه فكان إبراهيم عليه السلام يقول هب لى كيناً يعنى هات لى حجراً فيقول له إسماعيل هاك فخذ فبنيها السكينة من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى وبنيت قواعده من حراء قال فبقى حجر فذهب لإسماعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب حجراً فى مكانه فقال يا أبت من أتاك بهذا الحجر فقال أتانى به من لم يكنى لى لك ثم قال إبراهيم لإسماعيل ائتنى بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علماً للناس فناده أبو قبيس يا إبراهيم أن لك عندى وديعة فهالك فخذها فخرج إبراهيم عليه السلام الحجر الأسود من جبل أنى قبيس وركبه فى موضعه فلما فرغ إبراهيم وإسماعيل من بناء البيت وأتماه دعوا ربهما فذلك قوله تعالى (وإذا يرفع إبراهيم البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) إلى قوله (وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم) فأجاب الله تعالى دعاءه وأرسل جبريل عليه السلام ليعلمهما مناسك الحج فحج بهما يوم التروية إلى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتى أصبح الصباح ثم غدا بهما إلى عرفة فقام بهما هناك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما إلى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذى يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما إلى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة

فوقف بهما على قزح حتى إذا أسفر الصبح أفاض بهما إلى منى فأراهما كيف يرميان
الحجار وأمرهما بالذبح وأمرهما بالنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما إلى البيت

فأوحى الله تعالى إلى نبينا محمد ﷺ (أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من
المشركين) ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج فقال
يا رب وما يبلغ صدوتي ؟ فقال عليك الأذان وعلى البلاغ فعلا ثبيراً ونادى يا عباد
الله إن ربكم قد بنى بيتاً فحجوه وأجيبوا داعي الله فسمعوه ما بين السماء والأرض
وما بين البحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه كل من آمن بالله
من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك .

(وقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل إبراهيم عليه السلام اليمن
والمشرق والمغرب والشام فدعا إلى الحج فقبل لبيك اللهم لبيك وذلك قوله وعز
وجل (وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)
الآيات فلم يزل البيت على ما بناه إبراهيم عليه السلام إلى سنة خمس وثلاثين من
مولد نبينا محمد ﷺ وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بدنها
وكان السبب في ذكر علي ما ذكر محمد بن إسحاق وغيره من أن الكعبة كانت رضة
فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من
تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لسقيفها وكان بمكة رجل قبطي نجار
فنياهم أنهم أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها
ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهايونها وذلك أنه كان
لا يدنو منها أحد إلا كثرت وفتحت فهاها فكانوا يهايونها فبينما هي ذات يوم
على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائراً قاخطةمها فذهب بها .

وقالت قريش إنا نلجوا أن الله تعالى قد رضى ما أردناه من عمارة بيته وأن
عندنا عاملاً رقيقاً وخشباً وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس
عشرة سنة فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمر وابن عمير
ابن عامر بن مخزوم فتناول من الكعبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه

فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائنا من كسبكم إلا طيباً ولا تدخلوا فيها من مهر
بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم إن الناس هابوا هدمها فقال الوليد
ابن المغيرة أنا أبدأ لكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا تريد
إلا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس به في تلك الليلة وقالوا ننتظره
إإن أصيب أم نهدم منها شيئاً ورددناها كما هي وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله
تعالى بما فعلناه فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله فهدم الناس معه حتى
انتهى الهدم إلى الأساس فأفضوا إلى حجارة خضر كأنها أسنة الإبل آخذة بعضها
ببعض فأدخل من قريش عتلة بين حجرين ليقلع أحدهما فلما تحرك الحجر
تحركت مكة بأسرها فعلموا أنهم قد انتهوا إلى الأساس .

وقالوا إن القبائل قد اجتمعت لبنائنا فجعلت كل قبيلة تجتمع على حديثها ثم
بنوا فلما بلغوا البنيان إلى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت أن
تضعه في صفة دون الأخرى حتى تجاوروا وتخالفوا وتواعدوا للقتال فقرب
بنو عبد الدار حفنة مملوءة دماء ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب على الموت
وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا أربع ليال أو خمس
ليال على ذلك ثم أنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض
الرواة أن أبا أمية بن المغيرة وكان حينئذ أسن قريش كلها فقال يا معشر قريش
اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضى بينكم
فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه .

فكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله فلما رآوه قالوا هذا محمد الأمين
اد رضىنا به فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال هلموا إلى ثوباً فأتوا به فأخذ
ولركن فوضعه فيه بيده ثم لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ادفعوه جميعاً
ففعلوا به ذلك حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا فكانت
المكة كذلك على ما بنته قريش إلى أربع وستين من الهجرة حتى حاصر الحصين بن
نمير المكنوني عبد الله بن الزبير فقتلوا البيت بالمنجنيق وجعلوا يرتجزون ويقولون

حجارة مثل النبيق المزيّد ترمى بها عيدان هذا المسجد
وقال آخر منهم :
كيف ترمى صنيع أم قروة تأخذهم من الصفا والمروة

أم قروة لاسم منجنيق فالت حيطان الكعبة بما رميت به من حجارة المنجنيق
وأنها مع ذلك احترقت وكان السبب فيه أنهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرار
هبت بها الريح فاحترقت باب الكعبة واحترق خشب البيت وقال بعضهم كان
السبب في ذلك أن امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت
وكان أول ما تكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم
ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض
وكان الناس يطوفون بها من وراء الأساس ويصلون إلى موضعها وجعل الحجر
الأسود في تابوت في خرقه من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه
من ثياب وطيب عند الحجر في خزانة البيت ثم أعاد بناءه .

وقال إن أمي أسماء بنت أبي بكر حدثتني أن رسول الله ﷺ قال لعائشة :
« لو لا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس إبراهيم فإزيد في
الكعبة الحجر وإن قریشاً أعوزتهم النفقة فأخرجوا الحجر من البيت وجعلت لها
بابين باباً شرقياً وباباً غروبياً فأمر به الزبير فحفر فوجدوا قلاعاً أمثال الإبل
فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال أقررها على أساسها فبناها ابن الزبير وأدخل
فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة
ملى ما بناها ابن الزبير إلى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي
عبد الله بن الزبير وولى الحجاز من قبل عبد الملك بن مروان فنقض الحجاج نذيان
الكعبة الذي كان بناء الزبير بأمر عبد الملك وأعادها إلى بنائها الأول بمشهد من
عشاخ قریش فهي اليوم على ما بناها الحجاج .

(الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى (فلما بلغ معى السعى قال يا بنى لنى أرى فى المنام لنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) واختلاف السلف من علماء المسلمين فى الذى أمر إبراهيم عليه السلام بذبحه من بنيه بعد إجماع أهل الكتاب على أنه كان إسماعيل عليه السلام .

(وروى) شعبة عن إسحاق عن أبى الأحوص قال افتخر رجل عند عبد الله ابن مسعود قال أنا فلان بن فلان بن الأشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف ابن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله .

(وروى) سفيان عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يا رب يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال إن إبراهيم لم يعدل بى شيئاً قط إلا اختارنى عليه وإن إسحاق جادل بالذبح فهو بغير ذلك أجود إن يعقوب كلما زده بلاء زادنى حسن الظن

وروى حمزة بن الزيات عن أبى إسحاق عن أبى ميسرة قال قال يوسف عليه السلام لملك مصر أرغب أن تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله وقال الآخرون هو إسماعيل وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن عمرو وأبو الطفيل عامر بن وائلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف ابن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة .

(وروى) محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى أنه كان يقول أن الذى أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنه إسماعيل وأنا لنجد ذلك فى كتاب الله تعالى فى قصة الحق عن إبراهيم عليه السلام وما أمر به من ذبح ابنه أنه إسماعيل وذلك أن الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبح من لبنى إبراهيم وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين وقال تعالى (فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق

يعقوب) يقول باين وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح إسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل .

وأما الرواة التي روت عنه عليه السلام أن الذبيح إسماعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابي بإسناده عن الصحابي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا أن الذبيح إسماعيل أو إسحق فقال علي الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء رجل فقال يا رسول الله أعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحين فقال إن عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه إن نهل عليه أمرها لينذبحن أحد ولده قال فخرج السهم عبد الله فنهقه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثاني إسماعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفي القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على أنه إسحق فهو أن الله تعالى أخبر إبراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجراً إلى الشام مع سارة ولوط وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين أنه دعاء فقال ربي هب لي من الصالحين يعني ولداً صالحاً من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم إسماعيل ثم أتبع ذلك الخبر عن إجابة دعوته وتبشيره بإياه بغلام حلیم وعن رؤيا إبراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القرآن أنه بشر بولد ذكر إلا بإسحق .

وأما الدليل على أنه إسماعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبر أن قرني السكبش كانا معلقين بالكعبة إلى أن احترق البيت فاحترق القرنان في أيام ابن الزبير والججاج وهذا ادل دليل على أن الذبيح إسماعيل ، وأما قصة الذبيح وصفته وفعل إبراهيم بإبنه عليهما السلام .

قال السدي بإسناده لما فارق إبراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجراً إلى الشام هارباً بدينه كما قال تعالى (إني ذاهب إلى ربي سيهدين) دعاء الله أن يهب له ابناً صالحاً من سارة (رب هب لي من الصالحين) فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين إلى الموقفة بشروه بغلام حلیم فقال إبراهيم لما بشر به هو إذاً لله ذبيح

فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل له أوف بنذرك الذى نذرت قرباناً إلى الله تعالى وكان هذا هو السبب فى أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بذبح لابنه فقال إبراهيم عند ذلك لابنه إسماعيل تقرب قرباناً إلى الله تعالى وأخذ سكيناً وحبلًا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال (يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر - مستجدينى إن شاء الله من الصابرين) .

قال ابن إسحق كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو عن الشام فيقبل بمكة ويرجع من مكة فيبديى عند أهله بالشام حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يامل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه رأى فى المنام أن يذبحه فلما رأى ذلك قال لابنه يا بنى خذ هذا الحبل والمدية ثم انطلق إلى هذا الشعب لتحتطب فلما خلا إبراهيم لابنه فى شعب ثمير أخبره بما أمر به وقال (يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك) الآية فقال له لابنه الذى أراد أن يذبحه يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينضح عليها دمي فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن وأشحد شفرتك وأسرع بمر السكين هلى حلقى ليكون أهون للموت على فإن الموت شديد فإذا أتيت أمى فاقرأها منى السلام فإن رأيت أن ترد قيصى فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عنى .

فقال إبراهيم نعم العمون يا بنى أنت على ما أمر الله به ففعل إبراهيم ما أمره لابنه ثم أنه أقبل عليه يقبله وهو يبكى الابن يبكى حتى استنبح الدموع تحت خده ثم أنه أوضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم تعمل السكين شيئاً .

قال السدى وضرب الله صحيفة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا أبت كبنى على وجهى فإنك إن تنظر إلى وجهى رحمتنى وأدركتك على رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل إبراهيم ذلك فذلك قوله تعالى (فلما أسلما وتله للجبين) ثم إنه وضع السكين على قفاه فانقلب وتودى (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر إبراهيم عليه السلام فإذا هو

بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقزن فشكّر الكهش وكبر إبراهيم
وكبر ابنه فذلك قوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) .

قال سعيد بن جبير وغيره وعن ابن عباس خرج عليه الكهش من الجنة قد رعى
فيها أربعين خريفاً وروى عنهما أيضاً أن الكهش الذي فدى به عن إبراهيم عليهما
السلام هو الكهش الذي قرب به هايل بن آدم فتقبل منه فارسل إبراهيم وأخذ
الكهش وأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول
الإسلام وإن رأس الكهش لمعلق بقرنيه في ميازيب الكعبة قد وحش يعني يابس .
وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبيه أنه كان يقول ما فدى إسماعيل
إلا بكهش من الأروى أهبط عليه بثبير وهي رواية أبي صالح عن ابن عباس
قال كان وعلا .

(وى) أبو هريرة عن كعب الأحبار وابن إسحاق عن رجال قالوا لما
رأى إبراهيم في المنام أن يذبح ابنه قال الشيطان والله نثن لنم أفئن أنا آل إبراهيم
وإلا لم أفئن أحداً منهم أبداً فمثل لهم الشيطان رجلاً فأتى أم الغلام فقال لها
أتدريين أين ذهب إبراهيم يا ابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال
لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به منى وأشد حياء من ذلك
فقال لها إنه يزعم أن الله أمره بذلك فقالت له إن كان أمره بذلك فقد أحسن
في امتثال طاعة ربه وفي استسلامه لأمر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هارباً
حتى أدرك الإبن وهو يمشى على أثر أبيه فقال له يا غلام هل يدري أين يذهب
بك أبوك قال يحتطب لأهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد إلا ذبحك قال
ولم ؟ قال يزعم أن الله أمره بذلك قال فليفعل ما أمره الله به فسمعاً وطاعة لأمر
الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم فقال أين تريد أيها الشيخ ؟ قال
أريد هذا الشعب لحاجة لي فقال والله إنى أرى الشيطان قد جاءك في منامك يا مارك
بذبح ابنك هذا فمرفه إبراهيم فقال له اليك عنى يا ملعون فوالله لا مضين لأمر
ربى فرجع ابليس لعنه الله بغیظ لم يصب من إبراهيم وأهله شيئاً مما أراد وقد
امتنعوا منه بعون الله وتأييده .

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن إبراهيم عليه السلام لما
أمر بذلك عرض له إبليس عند المشعر الحرام فاسبغته فسبغته إبراهيم عليه السلام
ثم ذهب إلى جرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم
عرض له عند الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجرة
السكرية فرماه بسبع حصيات ثم مضى إلى إبراهيم عليه السلام لأمر الله تعالى
فهذه قصة الذبح وقال أمية بن الصلت الثقفى في ذلك شعراً :

ولا إبراهيم الموفى بنذر	احتساباً وحامد الأجزاء
يكره لم يكن ليصبر عنه	لو رآه في معشر اقتال
أى بنى أنى نذرتك لله شحيطاً	فاصبر فلذلك حالى
واشدد المضد حين جبنى للسكين	جبد الأسير الأغلال
له مديّة تخايل فى اللحم	غلاماً جبينه كالللال
بينما يخلع السراويل عنه	فككه ربه بكبش حلال
تخذ ذا فدا لإبنك أنى	للذى فعلتما غير قالى
ربما تجزع النفوس من الأمر	له فرجة كسكل العقال

(الباب السابع فى هلاك النروذ بن كنعان وما أحل الله تعالى به)
(من نقدته وقصة الصرح)

قال الله تعالى (قد مكّر الذين من قبلهم فأتى الله بذيانهم من القواعد فخر عليهم
السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) .

(زوت الرواة) باسانيد مختلفة أن أول جبار كان فى الأرض النروذ بن كنعان
وكان الناس يخرجون إليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج إليه إبراهيم يمتار مع
من يمتار وكان النروذ إذا مر به الناس قال لهم من ربكم ؟ قالوا أنى حتى مر إبراهيم
قال من ربك قال ربى الذى يحبى ويميت قال أءأ أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله
يأتى بالشمس من المشرق فأتى بها من المغرب فبهت الذى كفر ورد إبراهيم بفهم

طعام فرجع إبراهيم إلى أهله فرز بكثيب أغفر فقال لآخذن من هذا فتأتى به أهلى فتطيب به قلوبهم حين أن أدخل عليهم فأخذ إبراهيم منه فتأتى به إلى أهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته إلى متاعه ففتحتة فإذا هو بأجود دقيق رآته فأخذته وصنعت منه طعاماً فلما أفاق قدّمته اليه وكان عهد أهله أن ليس معهم شيء ولا عندهم طعام فقال لهم من أين هذا فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم إبراهيم أن الله رزقه فحمد الله وشكره .

ثم إن النروذ الجبار لما حاجه إبراهيم عليه السلام فى ربه قال إن كان مايقوله إبراهيم حقاً فلا انتهى حتى أعلم من فى السماء فبنى صرحاً عظيماً عالياً ببابل وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد إلى أربعة أفراخ من النسور فعلقها اللحم والخبز ورباها حتى شبت واستفحلت ثم قعد فى تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابيه وجعل لذلك التابوت باباً من أعلاه وباباً من أسفله ثم ربط التابوت بأرجل النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم دخل على النسور فطار وتصدت طعاماً فى اللحم حتى أبعدت فى الهواء فقال النروذ لفتاه افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الأعلى ونظر فإذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الأسفل فالظر إلى الأرض كيف يراها ففتح فقال أى الأرض مثل الحبة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لعلامه افتح الباب بين ففتح الأعلى وإذا السماء كهيئتها وفتح الباب الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة ونودى أيها الطاغى أين تريد .

قال عكرمة فأمر عند ذلك غلامه قزى بنهم فعاد إليه السهم متلطحاً بالدم فقال كفيت شغل إله السماء واختلّفوا فى ذلك السهم من أى شيء تلتطح فقال عكرمة من سمكة بحر معلق فى الهواء بين السماء والأرض قربت نفسها لله تعالى وقال بعضهم أصاب السهم طائر من الطير فتلطح من دمه ثم أمر النروذ غلامه أن يصوب العصا وينكس اللحم ففعل ذلك فتلطح النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيف التابوت

والنفسور ففزع وتظنت أنه أمر حدث في السماء وأن الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى (وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم لنزول منه الجبال) ثم إن الله تعالى أرسل ريحاً على صرح النمرود فألقت رأسه في البحر فخر عليهم الباقي وانقلبت بيوتهم وأخذت النمرود وعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط صرح النمرود من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لساناً فلذلك سميت بابل لتبلبل الألسنة فيها فلذلك قوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) وذلك أن الله تعالى بعث إلى النمرود ملكاً أن آمن حتى أتركك على ملكك قال فمل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام فجمع جموعه وجنوده فأمر الله تعالى أن يفتح عليه باباً من البعوض ففعل فظلمت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمرود وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم إلا العظام والنمرود كما هو لم يصبره شيء من ذلك فبعث الله إليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت إلى دماغه فحكك أربعمئة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جباراً أربعمئة سنة فعذبه الله أربعمئة سنة كدة ملكة ثم إن البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله .

((الباب الثامن في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج إبراهيم وولده))

قال الله تعالى (أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته) الآية قال أهل العلم بأخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابة من أرض كنعان في جبرون في مزرعة اشتراها إبراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر قبل سارة بمكة فدفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج إبراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قورا ابنة يقطان فولدت له ستة نفرية شان وزهران وممدان ومدين وأشبقي وشوخ وتزوج أيضاً بامرأة أخرى من العرب اسمها عجيون فولدت له خمسة بنين كيسان وفروح وإهيم ولوطا ونافس فكان

جميع بني إبراهيم مع إسحق وإسماعيل ثلاثة عشر وكان إسماعيل بكراً وأكبر أولاده فأنزل
إسماعيل بأرض الحجاز وإسحق بأرض الشام وفرق سائر ولده في البلاد فقالوا لإبراهيم
يا أبا نانا أنزلت إسحق معك وإسماعيل بقربك وأمرتنا أن ننزل بأرض الغربة والوحشة
قال بذلك أمرت ثم علمهم أسماء الله تعالى فتكاثروا يستسقون منه ويستنصرون .

(الباب التاسع في ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام)

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام
أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخ هرم قال السدي بإسناده وكان إبراهيم كثير
الإطعام يطعم الناس ويصيفهم فبينما هو يطعم الناس إذ هو بشيخ كبير يمشي في
الجادة فبعث إليه بعمار فركبه فلما أتاه قدم إليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة
ويريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه مرة وفي أذنه مرة ثم إذا أدخلها في فيه حصلت
في جوفه نخرجت من دبرة وكان إبراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون
هو الذي يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال
يا إبراهيم من السكبر قال ابن كم أنت قال كيت وكيت لحسب إبراهيم فوجد عمره
يزيد على عمر إبراهيم بسنتين فقال له إبراهيم بني وبينك سنتان فإذا بلغت عمرك
ضرت مثلك قال نعم فقال إبراهيم اللهم اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه
وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر إبراهيم مائتي سنة وقليل مائة وخمسين وتسعون
سنة ودفن عند قبر سارة عند مزرعة جبرون .

(الباب العاشر في ذكر خضائض إبراهيم عليه السلام)

هو إبراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى (واتخذ إبراهيم خليلًا) وهو سيد الفتيان
روى في الحديث أنه قيل للنبي ﷺ يا سيد البشر . قال ذاك إبراهيم وهو
أبو الضيفان وكان لا يتغذى ولا يتعشى إلا مع ضيف وربما مشى ميلين أو أكثر
حتى يجد ضيفاً .

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (بعثت على ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وهو المجمعول على لسان الصدق في الآخرين فليس من نبي تجرى السنة الخلق كما هم بتصديقه وتفضيله وتبجيله كل أمة غيره وذلك بدعائه عليه السلام) (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) وهو المبتلى بأنواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى (ولذا ابتلي إبراهيم ربه بكلمات فأتمن) وقال (ولإبراهيم الذي وفى) بما أمر به وهو الأمة القانت قال الله تعالى (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) إلى آخر الآية ومعنى الأمة أنه كان معلماً للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجمع في أمة كما قال الشاعر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وهو الذى أوتي رشده من قبل بلوغه وهو إمام الموحدين وجعل له لسان الحجّة في التوحيد فدعا الخلق إلى الحق بالسان الحجّة من صغره إلى كبره قال تعالى (وتلك حجتنا آتيناها لإبراهيم) الآية وأول من سماه الله حنيفاً مسلماً قال تعالى (ولم يكن كان حنيفاً مسلماً) وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالإسلام والإخلاص فقال (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) الآية وهو أول من اختتن

قال أبو منصور الخشاري حدثنا أبو العباس العقلي أخبرنا عبد الحكيم أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال قرأ على ابن وهب أخبرنا عن محمد بن المسكندر عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال اختتن إبراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة وأخبر الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا محمد بن مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر عن مقاتل عن الضمك عن ابن عباس قال إن إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النعلين

وأول من قسم النىء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختن واختن على رأس
مائة وعشرين سنة من ميلاده ختن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو
الفأس وذلك أنه كان وقع بينه وبين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق
عظيم فلم يعرف إبراهيم أصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة لأهل الإسلام فاختن
يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل .

أخبرنا الحسن الدينوري أخبرنا أحمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان أخبرنا
محمد بن إسماعيل بن حسان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى
ابن عيينة قال أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إنك أكرم أهل
الأرض على فإذا سجدت فلا ترى الأرض عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من
شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يارب ما هذا قال لو قار فقال يارب زدني وقاراً
وهو أول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال (وأرنا مناسكنا وتب علينا)
فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذى بوأ له مكان البيت وأراه ذلك بعد
دروسه حتى بناء قال الله تعالى (ولأذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) الآية وهو أول
من ألقى فى النار فجعلت النار عليه برداً وسلاماً وهو أول نبي أحيى الله له الموتى
بسؤاله حيث قال رب أرني كيف تحي الموتى (وهو الذى يكسى حلة بيضاء يوم
القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال عليه الصلاة والسلام) يحشر الناس
يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهما وأول من يكسى إبراهيم خليل الرحمن) وهو
الكفيل لأطفال المسلمين والقائد لأهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول
من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من نتف الإبط وأول من استاك وأول
من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء
وأول من هاجر لله قال تعالى (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) وجعل مقامه
قبلة للناس قال الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وجعله إماماً للناس
قال الله تعالى (إني جاعلك للناس إماماً) وقال تعالى (قد كان لكم أسوة حسنة فى
إبراهيم) وأن محمداً خيراً الأنبياء وأمه خير الأمم بإتباع ملته قال الله تعالى (ثم أوحينا

إليك أن أنبع ملة إبراهيم حنيفاً) وقال (قل بل ملة إبراهيم حنيفاً) وسماه سليمان منيباً أوهاً قال تعالى (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) الحليم السيد الذي يملك نفسه عند الغضب والأواه الذي يكسر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه إلى ربه فمذه ستة وأربعون خصلة من خصاله التي أكرمها الله بها .

(روى) أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم يا إبراهيم إنك لما سلمت مالك إلى الضيفان وابنتك إلى القربان ونفسك إلى النيران وقلبك إلى الرحمن اتخذناك خليلاً .

(وروى) أبو إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله كم كتاباً أنزل الله تعالى مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل الله على آدم عشر صحائف وهي شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قال فقلت يا رسول الله فما كانت صحيف إبراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المساط المغرور إن لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولسكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردّها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام في المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانته ومن علم أن كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا ينفيه والله عن محذور يغنيه .

(بحاس في ذكر بعض أخبار إسماعيل واسحق ابني إبراهيم عليهما السلام)

وقد ذكرنا سير إبراهيم الخليل بإنته إسماعيل وهاجر إلى مكة وإسكانه إياهما بها ولما كبر إسماعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قدمنا

ذكره ثم طلقا بأمر أبيه ثم تزوج امرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها إبراهيم حين قدم مكة إذا جاء زوجك فاقرنيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لإسماعيل اثني عشر رجلاً نابتا وقيدار وأذيل وبسام ومسمع وذومسا وحرا وفيما ونطور نافس وقيدما ومن نابت وقيدار ابني إسماعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى إسماعيل فبعثه إلى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت إسماعيل الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق أن يزوج بنته من عيص بن إسحاق وعاش إسماعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر .

(وروى) عمر بن عبد العزيز أنه قال شكوا إسماعيل إلى ربه تعالى حر مكة فأوحى الله تعالى إليه أني فاتح لك باباً من الجنة يجري عليك روحها إلى يوم القيامة وفي ذلك المكان دفن وأما حديث إسحاق عليه السلام فإنه نكح رفقة بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد ماضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ما ذكره السدي قال حملت رفقة في بطن واحد بغلامين وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكن عيصاً خرج قبله فلما كبر الغلامان وكان عيص أحبهما إلى أبيه ويعقوب أحبها إلى أمه وكان صاحب صيد فلما كبر إسحاق وعصى قال لعيص يا بني اطمعني لحم صيد واقرب مني أدعو لك بدعاء دعائي به أبي وكان عيص رجلاً أشمر ويعقوب رجلاً أجرد فخرج عيص يطلب الصيد .

فسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب يا بني اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة واشوها واليس جلدها ثم قدمها إلى أبيك وقل له انا ابنك عيص ففعل ذلك واتى إلى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من انت قال انا عيص فمسه وقال المس من عيص والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال أدن مني فدنا منه فدعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد جئت بك بالصيد الذي أردته

فَقَالَ يَا بَنِي قَدْ سَبَقَكَ أَخُوكَ يَعْقُوبُ فَغَضِبَ عِيصُ وَقَالَ وَاللَّهِ لَا قَتْلَئِهِ فَقَالَ يَا بَنِي قَدْ بَقِيتَ لَكَ دَعْوَةٌ فَهَلُمَّ أَدْعُ لَكَ بِهَا فَتَقْدِمُ إِلَيْهِ فَدَعَا لَهُ فَقَالَ أَنْ تَكُونَ ذُرِّيَّتَكَ عَدَدَ التُّرَابِ وَلَا يَمْلِكُكُمْ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ ثُمَّ إِنَّ أُمَّ يَعْقُوبَ قَالَتْ لِيَعْقُوبُ الْحَقُّ بِخَالِكَ فَكُنْ عِنْدَهُ خَشِيئَةً عَلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَهُ عِيصُ فَانْطَلَقَ يَعْقُوبُ إِلَى خَالِهِ كَانَ يَسِيرُ فِي اللَّيْلِ وَيَكُنْ بِالنَّهَارِ فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ إِسْرَائِيلَ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَرَى بِاللَّيْلِ فَأَتَى يَعْقُوبُ إِلَى خَالِهِ وَكَانَ إِسْحَقُ أَمْرَهُ أَنْ لَا يَسْكُحَ امْرَأَةً مِنَ السَّكَنَانِينَ وَأَمْرُهُ أَنْ يَسْكُحَ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ خَالِهِ لِبَنانِ بْنِ نَاهِرٍ وَأَنَّ يَعْقُوبَ لَمَّا مَكَثَ عِنْدَ خَالِهِ لَخَطْبِ ابْنَتِهِ رَاحِيلَ وَكَانَ لَهُ ابْنَتَانِ لِيَا وَهِيَ السَّكْبَرَى وَرَاحِيلُ وَهِيَ الصَّغْرَى فَقَالَ لَهُ هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ فَأَزْوَجَكَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَا لَكِنْ أَخْدَمُكَ أَجِيرًا حَتَّى تَسْتَوْفِيَ صَدَاقَ ابْنَتِكَ فَقَالَ لَهُ أَنْ صَدَاقَهَا أَنْ تَخْدُمَنِي سَبْعَ حَبَجٍ فَقَالَ يَعْقُوبُ تَزْوَجَنِي رَاحِلَ لَأَنْهَا أَصْغَرُ وَلَا جُلُهَا أَخْدَمُكَ فَقَالَ لَهُ خَالُهُ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَرَعَى لَهُ يَعْقُوبُ سَبْعَ سَنِينَ فَلَمَّا وَفَى لَهُ شَرْطُهُ دَفَعَ لَهُ ابْنَتَهُ السَّكْبَرَى لِيَا وَأَدْخَلَهَا عَلَيْهِ لَيْلًا فَلَمَّا أَصْبَحَ وَجَدَ غَيْرَ مَا شَرَطَ فَجَاءَ يَعْقُوبُ وَهُوَ فِي نَادٍ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُ غَرَّرْتَنِي وَخَدَعْتَنِي وَاسْتَحَلَلْتَ عَمَلَ سَبْعَ سَنِينَ وَدَلَسْتَ عَلَيَّ غَيْرَ امْرَأَتِي فَقَالَ لَهُ خَالُهُ يَا ابْنَ أُخْتِي أَرَدْتَ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ الْعَارُ وَأَلْبَسَهُ وَأَنَا خَالُكَ وَوَالِدُكَ مَتَى رَأَيْتَ النَّاسَ يَزْوَجونَ الصَّغْرَى قَبْلَ السَّكْبَرَى فَهَلُمَّ فَتَأْخُذْ سَبْعَ سَنِينَ أُخْرَى حَتَّى أَزْوَجَكَ الْآخَرَى .

وَكَانَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَى أَنْ بَعَثَ مُوسَى وَأَنْزَلَتِ التَّوْرَةُ فَرَعَى لَهُ يَعْقُوبُ سَبْعَ سَنِينَ أُخْرَى فَدَفَعَ إِلَيْهِ رَاحِيلَ فَوَالِدَتْ لَهُ لِيَا أَرْبَعَةَ أَسْبَاطَ رُوبِيلَ وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ يَهُوذَا وَشِمْعُونُ وَلاوِيٌّ وَوَالِدَتْ لَهُ رَاحِيلُ يَوْسُفَ وَبَنِيَامِينَ وَهُوَ بِالْعَرَبِيَّةِ شَدَادٌ وَلِئِمَّا سَمَى بَنِيَامِينَ لِأَنَّ أُمَّهُ رَاحِيلَ مَاتَتْ فِي نَفْسِهَا وَبَنِيَامِينَ بِالْعَرَبِيَّةِ الشَّكْلَ وَكَانَ لِبَنانِ دَفَعَ إِلَى ابْنَتَيْهِ حِينَ جَهَّزَهُمَا إِلَى يَعْقُوبَ أُمْتَيْنِ وَيُقَالُ لِأَحَدَاهُمَا زَلْفَى وَالْآخَرَى بِلَهْمَةُ فَوَطِيءَ الْأُمْتَيْنِ يَعْقُوبُ فَوَالِدَتْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ثَلَاثَةَ أَسْبَاطَ فَوَالِدَتْ زَلْفَةُ لِيَعْقُوبَ دَانَ وَنَفْتَالِيَّ وَرُوبَالَوْنَ وَوَالِدَتْ لَهُ بِلَهْمَةُ جَادَ وَبِشْرَ وَآشَرَ فَكَانَ لِيَعْقُوبَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا إِثْنَانِ مِنْ رَاحِيلَ وَأَرْبَعَةً مِنْ لِيَا

(م ٨ - قصص الأنبياء)

وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلمة وهم الذين سماهم الله تعالى الأسباط وسموا بذلك لأن كل واحد منهم ولد قبيلة .

والسبط في كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الأغصان والأسباط من بني إسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم أن يعقوب فارق خاله إبان وانصرف بولده وامراتيه وجاريته المذكورات إلى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص فلم ير منه إلا خيراً فنازل أخاه وتآلفه وتلطفه حتى ترك البلاد ونقل في الشام وصار إلى السواحل ثم عبر إلى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده .

وقال ابن إسحق تزوج عيص ابن إسحق بنت عمه نسييه بنت إسماعيل بن إبراهيم فولدت له الزوم بن عيص فكل بني الأصفر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمى آدم لأمته ولذلك سمي ولده بني الأصفر قالوا وعاش إسحاق بعد ما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفنه أبناؤه عند قبر ابنه إبراهيم عليه السلام في مزرعة جبرون والله أعلم .

(مجلس في قصة لوط عليه السلام)

وهو لوط بن هاران بن نارج بن أخى إبراهيم عليه السلام وإنما سمي لوطاً لأن حبه لاط بقاب إبراهيم عليه السلام أى تعاق به ولصق ، ومنه حديث أبي بكر رضى الله عنه حين ذكر عمر اللهم اغفر لولا ذاك لوط أى ألصق بالقلب ، وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً ، وكان من أمر لوط فيما ذكر أهل العلم بأخبار الأنبياء . وذكر وهب في المبتدأ له أنه شخص من أرض بابل مع عمه إبراهيم مؤمناً به متبعاً له على دينه مهاجراً معه إلى الشام ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارح أبو إبراهيم مخالفاً لإبراهيم في دينه ، ومقماً على كفره إلى أن وصلوا إلى حران ومكثوا بها فمات تارح وهو آزر أبو إبراهيم بحران على كفره وشخص إبراهيم ولوط وسارة إلى الشام ثم مضوا إلى مصر فوجدوا بها فرعون من فراعينها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه

الصلاة والسلام فرجعوا عوداً إلى أرض الشام فنزل إبراهيم فلسطين وانزل لوطاً
الأردن فبعثه الله تعالى إلى أرض سدوم وما يليها وكانوا أهل كفر بالله وركوب
فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى (أنأتون الفاحشة ما سبقكم منها من أحد
من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون) .

قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى
إنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر) فكان قطعهم
السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن إتيانهم الفاحشة مع من ورد بلادهم وإتيانهم
المنكر في ناديهم قال المفسرون هو أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم على الطريق
فيحذفون من مر بهم ؛ ويتضارطون في مجالسهم وينسكح بعضهم ببعض في الطريق
وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم على الطريق .

وروى أبو صالح عن أم هاني قالت : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية
فقال : كانوا يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم ويستخرون به وهو
المنكر الذي كانوا يأثرونه وكان لوط ينههم عن ذلك ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى
ويتوعدهم على إصرارهم على ما هم عليه ويأمرهم بالتوبة منهم ويخوفهم من العذاب
اللايم فلا يجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه إلا تمادياً وعتوا واستعجالاً
بعذاب الله تعالى وإنكاراً وتكذيباً ويقولون له (أثنا بعذاب إن كنت من
الصادقين) حتى سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال (رب انصرني على القوم
الْمُفْسِدِينَ) فأجاب الله دعاءه وبعث جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام
لإهلاكهم وبشارة إبراهيم عليه السلام بالولد فاقبلوا مشاة في صورة رجال مره
حسان حتى نزلوا على إبراهيم عليه السلام فتضيفوه وبشروه بإسحق وقد مضت
القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا إبراهيم أن الله تعالى بعثهم لإهلاك قوم لوط
فناظرهم إبراهيم وحاجهم في ذلك كما قال الله تعالى (فلما ذهب عن إبراهيم الروع
وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط) .

وكان جداله إياهم على ما ذكر ابن عباس وغيره أنهم لما قالوا له إنا مهلكوا أهل هذه القرية ؛ قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا : لا قال : أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا : لا ؛ قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً ؟ قالوا : لا ؛ قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا : لا ؛ وكان إبراهيم يهدم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه .

وروى سعيد عن ابن عباس قال : قال الملك لإبراهيم إن كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف إبراهيم حال قوم لوط ، قال للرسول : إن فيها لوطاً ، قالها إشفافاً منه عليه ، فقالت له الرسول : (نحن أعلم بمن فيها لننجينهم وأهلهم إلا امرأته) .

ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا إليها لقوا لوطاً في أرض له يعمل فيها قتاده راوياً عن حذيفة أن الله تعالى قال للملائكة ، لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فأتوه ، فقالوا إنا متضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت وقال : أما بلغكم أمر هذه القرية ؟ قالوا وما أمرها ؟ قال أشهد بالله إنها أشرف قرية في الأرض ، وما أعلم على وجه الأرض أنا أنخبث منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى (وجاءت رسلنا لوطاً وهم ذرعاً وقال هذا يوم هصيب) أى شديد

قال السدي بإسناده : لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ؛ فاتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا بنت لوط تسقى الماء لأهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والآخرى عيثا فقالوا لها يا جارية على من تنزل ؟ قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففرغت عليهم من قومها ثم أتت أباهما فقالت يا أبته أدرك فتياناً على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم فطأ أحسن منهم لئلا يأخذهم قومك فيفضحوك ، وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالاً وقالوا له

خلى عنك فله ضيف الرجال فلذلك قوله تعالى (أو لم ننمك عن العالمين) فجاء بهم لوط إلى منزله ما يعلم بهم أحد إلا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت : إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسناً قط .

قال أبو حمزة الثمالي : بلغنا أن العلم الذي كان بين امرأة لوط وقومه إذا اتهم الضيفان يقول رسولها هيثوا لنا ملأها تدعوهم بذلك إلى الفاحشة بأضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مستخفاً ملأها قالوا فلما أخبرت امرأة لوط قومها بأضياف زوجها جاء قومه يهرعون إليه أي يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط : (يا قوم اتقوا الله ولا تتخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد) وقال لهم (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) قالوا (أو لم ننمك عن العالمين) أن تضيف الرجال وقالوا (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وأنتك لتعلم ما نريد) فلما لم يقبلوا منه من عرض عليهم قال (لو أن لي بكم قوة آوى إلى ركن شديد) قالوا فما بعث الله نبياً بعده إلا في شرف من قومه منعه من عشيرته ، وقال ﷺ لما قرأ هذه الآية ربحم الله أخى لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد .

قال ابن عباس وغيره وغلق بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يألهون تسور الدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من السكر والنصب والتعب بسببهم قالوا له (يا لوط إن ركنك شديد ولأنهم آتيهم عذاب غير مردود ، إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فاسر بأهلك بقطع من الليل) الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فأنشر جناحيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبيك مثل المرجان كأنه الثلج بياضاً وقدماه إلى الخضر فضرب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم) الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم ثم انصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة إن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض .

وقالوا للوط أجهتتنا بقوم سحرة سحرنا كن كما كنت حتى تصبح يتوعدونه فلما علم لوط أن أضيافه رسل ربهم وأنهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم أهلكوهم الساعة ، فقال له جبريل (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) ثم أمره أن يسرى بأهله يقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعه امرأته فذ قوله تعالى (إلا آل لوط نجيتناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر) .

فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت أرضهم فاقتلع قرى قوم لوط الأربع . وكان في كل قرية مائة ألف فرغهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهل السماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم كفأها وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى (فجعلنا عاليها سافلها) ثم أنبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجين منضودة مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد) أي ممن يفعل كفعلمهم .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا نخلد بن جعفر الباقري أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر أخبرنا جوبير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إني لأسمع البواصف والقواصف من الرعد فأخشى أنها الحجارة التي أعدت لقوم لوط أو من يفعل بفعالهم » .

وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عقيل القطان أخبرنا أبو الفضل عبدوس ابن الحسين بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازي أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع الحمصي عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان إلى أن أتى شعيب قاضي حمص وكان رجلاً عالماً فسأله عن عقوبة اللوطي قال أن يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فإن الله تعالى قال (وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين) وقال تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) فقيل عبد الملك ذلك منه واستحسنه مقالوا وكان الرجل منهم يتحدث في قرية التي يكون فيها فيأتيه الحججو فيقتله قال

وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفت وقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى (إلا امرأته كانت من الغابرين) أى الباقيات فى العذاب .

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى قال أخبرنا المهيب قال سمعت أبا روق يقول : (إلا امرأته كانت من الغابرين) وكانت تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعة ، قالوا وكانت قرى قوم لوط خمساً سدوم وعمورة ودومة وساعورة فأما سدوم ففى القرية العظمى وكان فى هذه القرية أربعة آلاف فاحتلمها جبريل على جناحه فقتلها فلذلك سميت بالمؤتفكات أى المتقلبات وأما القرية فإنها تسمى صفرة ونجت من العذاب لأن أهلها آمنوا بلوط .

وروى أن النبى ﷺ قال لجبريل عليه السلام : إن الله تعالى سمالك بأسماء ففسرها لى قال وصفك فى قوله تعالى (ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين) فأخبرنى عن قوتك : قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الأرض على جناحى فى الهواء حتى سمعت ملائكة السماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهر آ لبطن . قال فأخبرنى عن قوله تعالى مطاوع ؟ قال أن رضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران متى قلت لهما أو كلمتهما فتح أبواب الجنان أو النيران ففتحاهما ؛ قال فأخبرنى عن قوله تعالى أمين ؟ قال إن الله تعالى أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأتهم عليها غيرى .

أخبرنا عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفى أخبرنا أبو عثمان بن أحمد بن سميان البرارى أخبرنا عبد الله بن قحطبة أخبرنا ياسر بن ثوبة أخبرنا محمد بن راموز أخبرنا أبو بكر بن عياش قال . سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط بفعل رجالهم ؟ فقال ؛ الله تعالى أعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعاً .

أخبرنا ابن فتحويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحق بن بشر حدثنى مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا أبا الحجاج هل بقى من قوم لوط أحد ؟ قال لا إلا رجل بقى أربعين يوماً وكان

يحمكة فجاءه حجر ليصديه في الحرم فقام إليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع
من حيث جئت فإن الرجل في حرم الله ؛ فوثب الحجر خارج الحرم أربعين يوماً
بين السماء والأرض حتى قضى الرجل حاجته ، فلما خرج أصابه الحجر فقتله عن
مقاتل عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال (ما عمل ذلك قوم لوط . إنما كانوا ثلاثين
رجلاً ونيفاً لا يبلغون الأربعون فأهلكهم الله جميعاً) وقال رسول الله ﷺ
(لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو لتعمنكم العقوبة جميعاً) .

(مجلس في قصة يوسف بن يعقوب وإخوته عليهم الصلاة والسلام)

قال الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) الآية قال سعد بن أبي وقاص
نقلت الصحابة لرسول الله ﷺ لو حدثتنا ؛ قال فأنزل الله تعالى (الله نزل أحسن
الحديث كتاباً متشابهاً) الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى
(نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) الآية فدلهم الله
تعالى في هذه الآية على أحسن القصص ، فقال بعض أهل المعاني معنى الآية قصة حسنة
اللفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى (وهو أهون عليه) قال الشاعر
إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائه أعز وأطول

إرادة عزيزة طويلة وأجراه الباقيون على الظاهر فقالوا هي أحسن القصص
ثم اختلفوا في وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول
الله ﷺ إلى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان جئنا عن التوراة بأحسن ما فيها
فأنزل الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) يعني أن قصص القرآن أحسن
بما في التوراة وقيل سمى الله هذه القصة أحسن القصص لأنها ليست قصة في القرآن
تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال
الله تعالى (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) وقال تعالى (لقد كان في
قصصهم عبرة لأولي الألباب) وقال تعالى (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم)
وقيل لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشیاطين والجن والإنس

والأنعام والظير وسير الملوك والمماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء ، وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضاً ذكر العفة والتوحيد ، وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعاني الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خير الدنيا والعقبى .

أخبرنا أبو عبد الله الثقفى أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد بن محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازى أخبرنا مسلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال : حدثني عمارة عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ « مررت ليلة أسرى نى إلى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا ؟ فقال : هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله ؟ قال - كالقمر ليلة البدر . »

وعن أبى اسحق بن عبد الله بن أبى فروة قال : كان يوسف إذا سار فى أزقة مصر يرى تلاًواً وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران . قال كعب الأحبار . إن الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الأنبياء عليهم السلام نبياً نبياً وأراه فى الطبقة السادسة يوسف متوجاً بتاج الوقار متزراً بحلة الشرف مرتدياً برداء الكرامة مقمصاً بقميص البهاء .

وكان يخبر بالامر الذى يروى فى المنام أنه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الامر عليه الله ذلك كما علم الاسماء كلها لآدم ، ويقال إنه ورث الحسن من جده اسحق بن إبراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الضاحك بالبرانية وهو ورث الحسن عن أمه سارة فإن الله تعالى صورها على صورة الخور العين ولكن لم يعطها صفاءهن وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة . ما لم يعطه أحداً من العالمين .

وقال وهب : الحسن عشرة أجزاء ، ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس .

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال (هبط جبريل عليه السلام

فقال يا محمد إن الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور السكينة
وكسوت وجهك من نور عرشى .

وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد ؟ فقال كان يوسف من أحسن
الناس ومحمد ﷺ أحسن الناس ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال - نظرت
إلى رسول الله ﷺ وعليه حلة حمراء ونظرت إلى القمر ليلة البدر فهو أحسن في
عينى من القمر .

(القول فى القصة)

قال أهل العلم بقصص الأنبياء وأخبار الماضين - كان ابتداء أمر يعقوب
ويوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وإيثاره على سائر ولده أن الله تعالى
أنبت ليعقوب شجرة فى صحن داره ، فكان كلما ولد له ولد أخرج الله تعالى من
تلك الشجرة غصناً ، فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ ، فإذا
بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه إليه فولد له عشر بنين فأخرج
الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان ، فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى
من الشجرة شيئاً فلما كبر وشب قال لآييه يا بنى الله إنه ليس أحد من إخوتى إلا
حوله غصن إلا أنا فادع الله تعالى أن يخصنى بغصن من الجنة .

فرفع يعقوب يديه إلى السماء وقال اللهم إني أسألك أن تهب ليوسف غصناً من
الجنة يفتخر به على جميع إخوته فهبط جبريل عليه السلام ومعه قضيب من الجنة من
الزبرجد الأخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع إخوته
قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو إذ ذاك حبي كأن قضيبه غرس فى الأرض
فعلق وتدلأت أغصانه وأثمر من كل ثمرة ثم أتى بأغصان إخوته فغرست حوله
فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر ، وإذا بغصن يوسف أقصرها وأصغرها فلم يزل يتعالى
فى السماء ويطول حتى طال على أغصان إخوته من أصولها وألقتها فى البحر وثبت
غصن يوسف فى الأرض قائماً فأنبأه فرعاً مرعوباً فقال له أبوه ما الذى دهاك يا بنى
فقص عليه رؤياه (إذ قال يوسف لآييه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً) الآية

وكان ينام إلى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالي إذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمة إلى صدره وقبله بين عينيه وقال يا حبيب أبيه ما الذي رأيت؟ قال يوسف؛ رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم واشترقت الجبال وزخرفت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأنني ألبست رداء اشرقت الأرض من حيه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الأرض القيت بين يدي فبينما أنا كذلك إذ رأيت أحد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعهما الشمس والقمر نخروا إلى ساجدين .

فقال يعقوب (يا بني لا تقصص رؤياك على أخوتك) الآية ثم غبر رؤياه فقال (وكذلك يحتميك ربك ويعلمك أمن تأويل الاحاديث) الآية ، قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لأبيه فقال لها يعقوب اكتمى ما قال يوسف لأبيه ولا تخبري أولادي بذلك فقالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا التي أمرها يعقوب بكتمها لحسدوه على ذلك فلذلك قيل في الحكمة (لا تأمن قارئنا على صحيفة ولا شاباً على امرأة ولا امرأة على سر) .

وروى الحكم بن ظهير عن إسماعيل السدي عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله . قال جاء رجل من اليهود يقال له نسطار إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها ؟ فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه بشيء حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها فأرسل إلى اليهودي ودعاه وقال له إن أخبرتك بأسمائها أتسلم ؟ قال نعم ، فقال له جريان والطارق والذبال وذو السكتفين والفرغ ووثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح ورآها يوسف في أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال ، أرى شيئا مشتركا ويجمعه الله لك ؟ فقال اليهودي هذه والله أسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف في الغصن ورؤياه في السكواكب سبع سنين ؛ فلما ما كان من أمر يوسف ما كان وانضاف إلى ذلك تخصيص أبيه يعقوب إياه بالحبة والقربة حسدوه .

وأخوته وحملهم الحسد على أن تآمروا بينهم في أن يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من الاحتيال ويهلكوه فيما هم بينهم كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى (إذ قالوا ليوסף هو أخوه أحب إلينا أبدينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين) أي خطأ بين في إشارته يوسف وأخاه عليهما (اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين) أي تائبين فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب .

قال قائل منهم وهو يهوذا وكان أفضلهم وأعلمهم لا تقتلوا يوسف فإن القتل عظيم وألقوه في غيابة الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين قيل للجسن ، أي الحسد المؤمن فقال للسائل ما أنساك بنى يعقوب ولهذا قيل - الأب جلاب والأخ سلاب فعند ذلك أجمعوا رأيهم أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه في إرسال يوسف معهم إلى البرية فقال لهم روبيل وهو أكبر ولد يعقوب إن أبأبكم لا يأمنكم على يوسف واسكنوا بطناً إلى يوسف حتى نلعب بين يديه فإذا نظر إلينا كيف تفرح ونلعب اشتاق إلى ذلك فأقبلوا على يوسف وهو قاعد يسبح فجعلوا يتلاعبون ويتضاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق إلى اللعب معهم فأقبل عليهم وقال يا أخوتاه أهكذا تلعبون في مراعيكم ؟ فقالوا نعم يا يوسف إنك لو رأيتنا ونحن نلعب في مراعيها لتمنيت أن تكون معنا فشوقوه إلى ذلك حتى كان هو الطالب إليهم فقال لهم يا أخوتاه انطلقوا إلى أبي واسأله أن يرسلني معكم فأقبلوا إلى يعقوب ووقفوا بين يديه صفوا وكانوا يفعلون هكذا إذا أرادوا أن يسألوه حاجة فلما رأهم بين يديه وقفا صفوا قال ما حاجتكم ؟ قالوا يا أبانا (مالك لا تأمننا على يوسف وإنا له لناصحون) نحوطه ونحفظه حتى نرده إليك (أرسله معنا غداً يرتع ويلعب) في الصحراء (وإنا له لحافظون) فقال لهم يعقوب (إنى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه خافلون) لا تشعرون بذلك .

قال ابن عباس وغيره إنما قال ذلك يعقوب لأنه رأى في منامه كأن يوسف على رأسه جبال وكان عشرة من الذئاب قد شددوا عليه لئلاكلوه وإذا ذئب منها يحمى عنه وكان الأرض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة

أيام فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم
الخاف ان يأكله الذئب .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا عبد الله بن شبة أخبرنا أبو نعيم
وعبد الرحمن بن قريش أخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم الهروي أخبرنا مالك بن
سليمان القروي أخبرنا عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن عمر قال قال رسول الله
ﷺ ولا تلقنوا الناس السكذب فيكذبوا فإن بني يعقوب لم يعلموا إن الذئب يأكل
الإنسان حتى لقتلهم أبوه فلما لقتلهم وقال إن أخاف ان يأكله الذئب قالوا أكله
الذئب (فقال بنوه (لأن أكله الذئب ونحن عصبة) أي عشرة رجال (لنا إذا لخاسرون)
عجزة مغلوبون ثم قالوا يا بني الله كيف يأكله الذئب وفيما شمعون إذا غضب لا يسكن
غضبه حتى يصيح فإذا صاح لا تسمعه حامل إلا وضعت مافي بطنها وفيما يهوى إذا غضب
شق السبع نصفين فلما سمع يعقوب ذلك منهم اطمأن إليهم وأقبل يوسف حتى
وقف بين يدي أبيه ثم قال يا أبت أرسلني معهم قال أوتحب ذلك يا بني ؟ قال نعم قال
إذا كان غداً أذنت لك في ذلك فلما أصبح يوسف لبس ثياباً بهو شد عليه منطقتة وأخذ
قضيبه وخرج مع إخوته ثم عمد يعقوب إلى السلة التي حمل فيها إبراهيم زاد إسحق
فحمل فيها زادا ليوسف وخرج ليشتريهم فقالوا يا بني الله ارجع فقال يعقوب يا بني
أوصيكم بتقوى الله وبحببي يوسف أسألكم بالله إن جاع فاطعموه وإن عطش
فاسقوه وقوموا عليه ولا تتبعوه ولا تأخذوه وكونوا متواصلين متراحمين، قالوا نعم
نعم يا أبانا كنا لك وهو أخونا كأحدنا بل له الفضل علينا بحبك إياه فقال نعم يا بني
الله خليفتي عليكم مع أني خائف ان أكون قد ضيعته ثم إنه أقبل على يوسف فالتزمه وضمه
إلى صدره وقبله بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف راجعاً .

وروى السدي ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي
ﷺ وإسحق بن بشر بن جوير عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بكيرة
عن كعب الأحبار وعن سعيد بن أبي عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض
قالوا أرسل يعقوب يوسف مع إخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة فلما برزوا
إليه إلى البرية أظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحداً بعد واحد وهم

يضربونه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشاً شديداً فقال لهم اسقوني جرعة من ماء .
قبل أن تقتلوني فلم يسقوه فعند ذلك بكى الملائكة رحمة ليوسف فلما رأى يوسف
أن ليس أحد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا ابتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع
يا بنيك بنو الآباء فلما هموا يقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأياً
ليس إنكم قد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على إلقائه في الجب كما قال
الله تعالى (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) فالهملقوا به إلى الجب .
ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب في الأردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس
على قارة الطريق في واد من أوديتها على ثلاث فراسخ منزل يعقوب وكان بئراً
وحشة مظلمة وأسفلها واسع وأعلامها ضيق يملك من طرح فيها من سمه أسفلها لا يمكنه
الصعود وكان الجب من حفر سام بن نوح ويسمى جب الأحزان فلما أرادوا أن يلقوه
فيه جعلوا يدلونه في البئر فيتملق بشفير البئر فربطوا يديه إلى عنقه ونزعوا قميصه فقال
يا إخوتاه ردوا علي قميصي أستربه عورتى ويكون لي كفناً بعد عاتى وأطلقوا يدي أطرد
بهما عنى هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك
وتؤانسك فدلوه في البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه :
فأخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة مملعة لينية ورفعها إلى يوسف فوقف عليها
وجعل يوسف يبكي فنادوه فظن أنها رحمة لحقتهم فأجابهم فهموا أن يرضعوه بالحجارة
فمقتلوه فمنهم يهوذا وقال لقد أعطيتموني موثقاً أن لا تقتلوه قالوا فلما ألقى يوسف في
الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى إليه ملكا فخل عنه
قيده وكان إبراهيم حين ألقى في النار حرد من ثيابه وقذف في النار عرياناً فأتاه جبريل عليه
السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه وكان ذلك القميص عند إبراهيم فلما مات
إبراهيم ورثه إسحق فلما مات إسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك
القميص في تمويذة وعلقه في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقى في الجب
عرياناً ساء ذلك وكان عليه التمويزة فأخرج القميص وألبسه إياه وجعل يؤنسه بالتمار
ويروى أن الملك أتاه بنسفر جلة من الجنة فأطعمه إياها فلما أمسى يوسف نهض
الملك ليذهب فقال له يوسف إنك إذا خرجت عنى استوحش فقال له الملك قل إذا

هبت شيئاً يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعرف حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري ؛ فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله إليه سبعين ملكاً فخفوا به وآسوه في النهر ثلاثة أيام ؛ فلما كان في اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحك ههنا في هذا الجب ؟ قال إخوتي لاني ولم قال ؟ حسدوني على منزلي من أبي قال أنحب أن تخرج من هذا الجب ؟ قال قل يا صانع كل مصتوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل ملاً ويا شاهد كل نجوى ويا قريباً غير بعيد ويا مؤنس كل وحيد ويا غالباً غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا حياً لا يموت ويا حي الموتى لا إله إلا أنت سبحانك أسألك يا من له الحمد يا بديع السموات والأرض يا مالك الملك ويا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لي من أمري ومن ضيقى فرجاً ومخرجاً وترزقني من حيث أحسب ومن حيث لا أحسب فقالها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجاً ومن كيد إخوته فرجاً وآتاه ملك مصر من حيث لا يحسب وأوحى الله إليه وهو في البئر لتنبئ إخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون أنك يوسف فذلت قوله تعالى (لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) .

وقال مجاهد - خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين ولم يشعر وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين سنة .

أخبرنا أبو عبد الله الدينوري أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف المصرى أخبرنا أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبرى أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقى يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في اليهودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة .

وصلنا إلى قصة يوسف عليه السلام وإخوته بعد ما أتى في الجب فلما ألقوه في الجب عمدوا إلى سحلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قيص يوسف بدمها وشووها وأكلوا لحمها - ثم لأنهم رجعوا إلى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم

من يأتون بيوسف فلما أدنوا منه اضطربوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة ، فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال مالكم يا بني وأين يوسف (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أي نتفضل وكذلك هو في قراءة عبد الله (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) وهذا قيسه ملاحظ بدمه - فذلك قوله تعالى (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) وإنما فعلوا ذلك ليكونوا في الظلمة أجراً على الاعتذار وتزوير ما مكروا فقد قالوا - لا تطلب الحاجة في الليل فإن الحيام في العيين ولا تعتدوا بالنهار فاعلمك فتتلعجج في الاعتذار فلا تقدر على إتمامه .

وروى الشعبي - قال جاءت امرأة إلى شريح فجعلت تبكي فقال رجل ألا ترى إلى هذه المسكينة كيف تبكي فقال شريح قد جاء إخوة يوسف عشاء يبكون ثم إنه أنشد في معناه -

أغرك من شيخ بكاء ومعلقة
أم اللحية البيضاء للنتف معلقة
فإن بني يعقوب جاءوا أباهم
عشاء وهم يبكون زوراً ومخرقة

قال فلما قالوا (يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أي نتفضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب الآية إلى قوله - بدم كذب . لأنه لم يكن دم يوسف وإنما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كذاب بدال غير معجمة أي طرى فلما قالوا ذهب ليعقوب بكوا بكاء شديداً وقال لهم أروني قيسه فأروه ، فقال تالله ما رأيت كاليوم ولا ذنباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق له جيباً ولا خرق له شقاً وصاح صيحة وخر مغشياً عليه فلم يفق إلا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديداً ثم أخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه .

أخبرنا ابن فتحويه أحمد بن إبراهيم بن شاذان أخبرنا عبد الله بن ثابت أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أسامة حدثني زكريا عن سماك عن الشعبي قال كان في قيس يوسف ثلاث آيات لما جاءوا به إلى أبيه فقالوا أكله الذئب - فقال أبوه لئن أكله الذئب ليشقن قيسه وحين سمى نحو الباب فشقت قيسه من خالف فعرف

الوزير أنه لو كان هو الذي راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقى على وجهه فارتد بصيراً .

قالوا فلما أصبح إخوة يوسف من الغد رجعوا إلى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فإن أردتم أن يصدقكم ويخرجكم من الملامة فمروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرك بين اضلاعه ولحمه ونجى به فقال لهم يهوذا يا إخوة أين العهد الذي بيني وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لا تخبرن يعقوب بما كان منكم إليه ثم لا تكونن لكم عدواً ما بقيت فتركوه فمئذ ذلك قال يعقوب لأولاده (بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى د والله المستعان على ما تصفون ،

قال ابن عباس إنما كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جار له فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بأمر يوسف قال فمكث يوسف في الجب ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعا له بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة أى رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فأخططوا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريباً من الجب قال وكان الجب في قفر بعيد من العمران إنما هو للرعاة والمجنازة

فلما نزلت السيارة أرسلوا رجلاً من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) قالوا والوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء فيبشئ الأرضية والدلاء فوصل الوارد إلى البئر فأدلى دلوه أى أرسلها فتعلق يوسف بالحبيل فلما وصل إلى فم البئر ورآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من الغلمان فقال يا مالك يا بشرى هذا غلام يبشر أصحابه أنه أصاب عبداً وأسروه بضاعة قال المفسرون أسر مالك ابن دعر وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقال لهم بضاعة استبضعناها من بعض الناس إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه الشركة إن علموا حاله .

(م ٩ — قصص الأنبياء)

قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرّاً من اخوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجد في البئر فنظر فإذا هو بمالك وأصحابه نزولاً ويوسف معهم وقد باعوه بثمان بختس بعد أن أخرجه من الجلب وان الذي اشتراه منهم هو عزيز مصر فذلك قوله تعالى (وشروه بثمان بختس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) أي باعوه بثمان ناقص ظلم حرام لأن ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وإنما قال ذلك لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أربعين درهماً إنما كان يعدونها عدّاً فإن بلغ أوقية وزنه لأن أقل أوزانهم واصغرها يومئذ أوقية أربعون درهماً .

ويروى أنهم ذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما نزلت منزلاً ولا ارتحلت إلا استبان لي بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحاً ومساءً وكنت انظر إلى غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه إذا سار وتقف على رأسه إذا وقف فلما قدموا مصر أمره مالك بن دعر أن يغتسل فاغتسل وألبسه ثوباً حسناً وعرضه للبيع فاشتراه قطيفير بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزائن الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشه بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام .

ويروى أن هذا الملك ما مات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ، ثم مات ويوسف حتى ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافراً فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يسلم .

قال ابن عباس لما دخلوا مصر تلقى قطيفير السيارة وأبتاع يوسف من مالك ابن دعر بعشرين ديناراً وزوج نعال وثوبين أبيضين .

أخبرنا أبو بكر الجوزقي أخبرنا أبو العباس الدعولي بسر حين أخبرنا على ابن الحسين الهلالي أخبرنا أبو نعيم أخبرنا زهير عن ابن إسحاق عن أبي عبيد عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة ، العزيز حين تفرس في يوسف وقال

لامراته أكرمي مشواه ، والمرأة التي أتت موسى فقالت لا يبها يا أبت استاجرهم وأبو بكر حين استخلف عمر ، قال الله تعالى - وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يعني أرض مصر .

(قال أهل الكتاب) لما تم ليوسف في الأرض ثلاثون سنة استوزر فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى . (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث) الآية فلما أتى العزيز بيوسف إلى منزله وقال لامراته أكرمي مشواه فتأملته امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه في قلبها وعشيقته فراودته أي طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى (وراودته التي هي في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقال هيت لك) أي هلم تدعوه إلى نفسها فقال يوسف عند ذلك (معاذ الله إن ربي أحسن مشواي) يعني زوجك قطفير سيدى إنه أحسن مشواي أنه لا يفلج الظالمون ؛ يعني ان فعلت هذا فخنثته في أهله بعد ما أكرمني وائتمنى فانا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) ومعنى ألهم بالشىء ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد - قال الشاعر

همت ولم أفعل وكدت وليتنى تركت على وعثمان تبكى حلاله

أما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهما به فاختلف أهل العلم في ذلك .

قال السدى وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها فقالت له - يا يوسف ما أحسن شعرك ؛ قال هو أول شيء يثبتر من جسدى قالت - يا يوسف ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل في الأرض من جسدى قالت - ما أحسن وجهك ، قال التراب يا كله فلم تزل تأمره وتمطه أخرى وتدعوه إلى اللذة وهو شاب مستقبل مجد شبق الشباب وهي حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا في بعض البيوت وهم بها ، لولا أن رأى برهان ربه .

وأما البرهان الذي رآه يوسف ، وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه
فأختلفوا فيه .

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبراني أخبرنا حسن بن
عطية عن إسرائيل بن أبي حسين عن أبي سعيد قال ابن عباس في قوله تعالى
(لولا أن رأى برهان ربه) قال له مثل له يعقوب فضربه بيده على صدره .

قال فكل بنى يعقوب ولد اثنا عشر ولداً إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر
ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيا منه . وقال قتادة
رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف اعمل عمل السفهاء وانت مكتوب
في ديوان الأنبياء .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الأصفهاني أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد
الأسكوفي أخبرنا محمد بن إبراهيم بن خالد بن عمر حفص البصري ببغداد أخبرنا
خالد بن يزيد البصري أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى
(ولقد هممت به وهماً) فإذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب
فيها (وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون) فقام هارباً فإفلاما ذهب
عنهما الروح والرعب عادت وعاد وإذا السكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا
معصم مكتوب فيها (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) فقام هارباً وقامت فلما
ذهب عنهما الرعب عادت وعادوا إذا السكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم
مكتوب فيها (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) وقال الله تعالى
(كذلك أنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين)

أخبرنا يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد
ابن جابر الطبرستاني حدثني أبي قال حدثني علي بن موسى الرضا حدثني أبي عن
أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن أبيه عن علي بن الحسين في قوله تعالى

(أولاً أن رأى برهان ربه) قال قامت امرأة العزيز إلى الصنم فظلمت دونه بثوب فقال لها يوسف ما هذا؟ قالت استحي أن يرانا فقال لها يوسف استحيين من لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا استحي أنا من خلق الله كلها وعلمها :

قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادراً إلى باب البيت هارباً عما أرادته فاتبعتة المرأة فذلك قوله تعالى (واستبقا الباب) يعنى تبادر يوسف وراعى إلى الباب أما يوسف ففراراً من ركوب الفاحشة وأما المرأة فطالباً ليوسف ليقضى حاجتها التى راودته عنها ، فأدركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته إليها مانمة له من الخروج ففقدت أى خرفت وشقت قميصه من دبر أى من خلفه لأن يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا ألفا سيدها لدى الباب أى وجد زوجها قفاً عند الباب جالسا مع ابن عم لراعى فلما رآته هابته، وقالت سابقة بالقول لزوجها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) يعنى الزنا (إلا أن يسجن أو عذاب أليم) يعنى الضرب بالسياط .

عن ابن عباس - وهكذا كالمثل السائر خذ اللص قبل أن يأخذك فقال يوسف بل هى راودتنى عن نفسى فأبىدت وقررت منها فأدركتنى وشقت قميصى قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً غضب وقال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها واختلفوا فى هذا الشاهد من هو ؟

قال سعيد بن جبيرة والضحاك كان صبياً فى المهد انطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : تسكنم أربعة فى المهد وهم صغار ، ابن ماشطة بدت فرعون ، وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى ابن مريم .

وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبياً ولكن كان رجلاً حكيماً وله رأى وكان من خاصة الملك ، وقال السدى هو ابن راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما أخبر الله تعالى عنه (إن كان قميصه قدس من قبل فصدقت وهو من

الكاذبين ، وإن كان قبيصه قد من دبر فسكذبت وهو من الصادقين) فلما رأى قبيصه
دبر من دبر ، عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال لأنه من كيدكن إن
كيدكن عظيم ثم أقبل على يوسف فقال يا يوسف أعرض عن هذا الحديث لا تذكره
لأحد ثم قال لامرأته (واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين) أي من المذنبين
حين راودت شاباً عن نفسه وخنت زوجها فلما استعظم كذبت عليه .

قال فشاع أمر يوسف وراعى وتحدثت الناس بذلك (وقال نسوة في المدينة)
وهي امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن
وامرأة الحاجب (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) أي عبدها الكنعاني قد
شغفها حباً أي دخل حبه في شغاف قلبها وهو حجابها وغلافه إذا تراها في ضلال
مبين أي خطأ بين حيث تراود عبدها عن نفسه ..

فلما سمعت راعيل بمكرهن أي بقولهن وحديثهن قال ابن اسحق يعني بكيدهن
وذلك إنما قلته مكرأ بها لترين يوسف لما بلغن من حسنه وجماله فاتخذت راعيل
مائة ودعت أربعين امرأة ممن هؤلاء اللواتي عيرنها فذلك قوله تعالى (وأرسلت
إليهن وأعدت لهن متكئاً) اعتدت أي هيات لهن مجلساً للطعام وما يتكئن عليه
من النارق والوسائد .

عن ابن عباس ومعه بن جبير وقتادة : يعني هيات طعاماً وقال بجاهد متكئاً
نخيفاً غير مهموز - وهو كل طعام تجزه بالسكين وقال وهب اعتدت لهن أترجا
وبطيخاً وموزاً ورمناً وورداً وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقال ليوسف
خرج عليهن وكانت قد أجالسته في مجلس غير المجلس الذي هن فيه جلوس فخرج
عليهن يوسف فلما رأيته أكبرته وهاهن أمره وبهتن وقطن أيديهن بالسكاكين
اللاتي معهن وهن يحسبن أنهن يقطن الاترج وغيره ..

قال قتادة قطن أيديهن حتى القينها فما أحسن إلا بالدم ولم يجدن من جرح
الأيدي ألماً اشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام ..

﴿وقلن حاش لله﴾ أي معاذ الله (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) فقالت راعيل عند ذلك للنسوة (فذلك الذي لم تنن فيهِ) أي في حبه وشفقي به ثم لأنها أبدت لهن الميل الذي عنوها فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف اطع مولانا لك فقالت راعيل (لئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) فاختار يوسف حين عاودته المرأة في المراودة وتوعدته بالسجن على المخالفة فقال (رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ولا تصرف عني كيدهن أصب إليهن) أي أمل وأنا بهن (وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن لأنه هو السميع العليم ثم بدا لهم) أي العزيز وأصحابه (من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر ونمش الوجه وقطع النسوة أيديهن (ليسجننه حتى حين) .

قال السدي - وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس فإما ان تأذن لي اخرج فأعذر وأما أن تحبسني فحبسه بعد علمه ببرأته دفعاً للتهمة عن امرأته ، وذلك ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيراً ليوسف من همه وتكفيراً لذاته قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكري عند ربك قلبك في السجن بضع سنين وحين قال لإخوته إنكم تشارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل .

ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كان للوليد بن الريان حاكم مصر الأكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه بيوص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك أنه بلغه عنهما أن خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه وافقه على ذلك وكان السبب فيه أن جماعة من مصر أرادوا المنكر بالملك واغتياله فدرسوا إلى هذين الغلامين وضمنوا لهما مالا ليسما الطعام للملك والشراب فأجابهم إلى ذلك ثم إن الساقى نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقى أيها الملك لا تأكل فإن الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب لأن الشراب مسموم فقال الملك

للساقى اشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فأبى فحرب ذلك الطعام في دابة من الدواب فأكلته فهلكت فأمر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لأمله إني أعبر الأحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب حلم هذا العبد العبراني فنتراعى له فسألا من غير أن يكونا رأيا شيئاً قال عبد الله بن مسعود ما رأى صاحباً يوسف شيئاً وإنما كان تحالماً ليحربا عليه وقال قوم بل كانت رؤياهما على صحة وحقيقة فسألاه عنها . وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قال له والله لقد أحبتناك حين رأيتك فقال لهما يوسف أنشدكما الله تعالى لا تحباني فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتني عمي فدخل على من حبه بلاء ثم أحبني أبي فدخل على من حبه بلاء ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل على من حبه بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما قال فأبيا إلا حبه وألفاه حيث كان وجعل يهيج بهما ما يريان من فهمه وغفله وقد كانا رأيا حين دخل السجن رؤيا فأتيا يوسف فقال الساقى أيها العالم إني رأيت كأنني في بستان فإذا أنا بأصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عتب فجنيتهما كلها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى (قال أحدهما إني أراي أعصر خمراً . وقال الخباز إني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبشاً يتأويله إنا نراك من المحسنين) .

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عجيل أخبرنا عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قالويه أخبرنا محمد بن يزيد السلمي أخبرنا أبو الربيع الزهراني أخبرنا خلف بن خليفة أخبرنا سليم بن الضحاك بن مزاحم في قوله (إنا نراك من المحسنين) قال كان إحسانه إذا مرض رجل في السجن قام فإذا ضاق عليه وسع له وإن احتاج جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا أن إحسانه كان يداوى مريضهم ويعزي حزينهم ويحتمد لربه وقال لما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوماً قد انقطع رجائهم واشتد بلاؤهم وظال جزئهم فجعل يقول أبشروا والصبروا وتوجروا إن في هذا الأجر جواباً . فقال يافق بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقتك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك إنا لانحب أن نكون في غير هذا المكان منذ رأيتك لما تخبرنا به من

الأجر والكفارة والطهارة في ذلك فمن أنت يافتي ؟ قال أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب بن إسحاق بن خليل الله إبراهيم عليه السلام فقال له عامل السجن والله يافتي لو استظمت لخليت سيدك ولكن سأحسن جوارك وأحسن إيثارك فمكن في أي بيت شئت قال فذكره يوسف أن يعبر لهما ما سألاه لما علم في ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض يوسف عن سؤالهما وأخذ في غيره وقال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأكما بتأويله قبل أن يأتيكما فقال هذا فعل السكينة والسجرة فقال ما أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما بما علمني ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال (إن تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب) الخ الآية فأراهما يوسف فطمته ودرايته ثم دعاها إلى الإسلام وأقبل على أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال إلزما للحجة (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الواحد القهار ما نعبدون من دونه) الآية ثم فسر رؤياهما لما ألحا عليه فقال (يا صاحبي السجن أما أحدهما) وهو الساقى (فيسقى ربه خمرآ) يعني الملك ويعود إلى منزلته التي كان عليها أما العنقايد الثلاثة فإنها ثلاثة أيام في السجن ثم يخرج (وأما الآخر فيصلب) والسلال التي رآها في المنام ثلاثة أيام فيبقى في السجن ثم يخرج (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) .

قال ابن مسعود : لما سمعنا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيئاً إلا بما كنا نلعب ونجرب عليك هذا فقال يوسف قضى الأمر الذي فيه نستفتيان أي فرغ الأمر الذي عنه تسألان .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الوزان أخبرنا محمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن مهران عن أبي رزين العقيلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت ، إن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وأحسبه قال لا تقصها إلا على ذي رأي وعقل قال ﷺ : الرؤيا الأولى عابر ، فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذي علم أنه ناج منهما وهو الساقى اذكرني عند ربك يعني الملك وقل له في السجن غلام محبوس ظالماً (فأنساه الشيطان ذكره)

ربه (الآية والبضع ما بين الثلاثة إلى العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين .

وقال وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين .

وروى يونس عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ رحم الله أخى يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث ، يعنى قوله اذ كرتى عند ربك ثم بكى .

وقال الحسن : نحن إذا نزل بنا أمر فرعنا إلى الناس .

وقال مالك بن دينار . لما قال يوسف للساقى (اذ كرتى عند ربك) فقيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لا طيلان حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبى كثرة البلى ، فقلت ما قلت فويل لإخوتى .

ويحكى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو فى السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين ما لى أراك بين المخطئين ؟ فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين اقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت منى استشفعت بالآدميين فوعزتى لأبئذك فى السجن بضع سنين قال يوسف يا أخى يا جبريل وهو فى ذلك راضى عني ؟ قال نعم . قال إذا لا أبالى .

وقال كعب الأحبار قال جبريل ليوسف إن الله تعالى يقول لك من خلقتك ؟ قال الله تعالى ؛ قال فمن حببك إلى أميك ؟ قال الله تعالى قال فمن آنسك فى البئر وألبسك وأنت عريان ؟ قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر ؟ قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا ؟ قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمى مثلك ؟ قالوا فلما انتقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس التى كانت قبلها وذلك أنه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع بالساقى وهو قوله تعالى (ليسجننه حتى حين) .

فلما استشفع بالساقى وقال له أذكرنى عند ربك لبث فى السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الأكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبه فهااته وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت فى بطونهن فلم ير منها شيئاً ورأى سبع سذيلات خضر قد انعقد حبها وأفركت وسبع أخرى يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والسكينة ومعبريه وقصها عليهم وقال (أيها الملأ أفتونى فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون) أى تفسرون (قالوا أضغاث أحلام) مختلفة مشتبهة التأويل أباطيل (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) وقال الذى نجا منهما (أى من الفتيين وهو الساقى) وادكر بعد أمة (أى يوتدكر حاجة يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد أمة أى بعد سنين) أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون (أى إلى السجن).

قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن السجن فى المدينة فبعثوه فأتى ليوسف فقال له (أيها الصديق) يعنى فيما عبرت لنا من الرؤيا والصديق هو كثير الصديق (أفتنا فى سبع بقرات سمان يا كنان سبع عجاف) إلى قوله (لعلهم يعلمون) أى فضلك وعلمك فقال له يوسف (تزرعون سبع سنين دأباً) إلى قوله (وقيه يعصرون) فرجع الساقى إلى الملك وأخبره بما أفناه به يوسف من تأويل رؤيا كالنهار وعرف الملك أن الذى قال كاهن فقال الملك اتتوني بالذى عبر رؤياى هذا فلما جاء الرسول إلى يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبرأته ويعرف صحة أمره من قبل الذنوة فقال للرسول (ارجع إلى ربك) أى سيدك الملك (فأسأله ما بال الذنوة اللاتى قطعن أيديهن إن ربي يكيدهن عليم).

قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك شأنه مازالت فى نفسه منه حاجة يقول هو هذا الذى راود امرأتى وقال رسول الله ﷺ لقد عجزت من أخى يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف

ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشتراط أن يخرجوني ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لأسرعت الإجابة وبادرت الباب ولم أبتغ العذر والله إنه كان حليماً
 ذا أناء ، قال فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالة فدعا النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن (ما خطبكن إذ راوتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء) قالت امرأة العزيز (الآن حصحص الحق أنا راوته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) فلما سمع يوسف قال (ذلك ليعلم إنى لم أخذ به بالغيب وإن الله لايهدي كيد الخائنين) فقال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف؟ فقال يوسف عند ذلك (وما أبرئ نفسي) الآية فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفائته وديانته وعلمه وعقله قال (ائتوني به استخلصه لنفسى) فلما جاء الرسول إلى يوسف قال أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا لاهل السجن بدعاء يعرف إلى اليوم وذلك أنه قال : اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار إلى اليوم في كل بلدة .

ثم إنه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثياباً جدداً حسناً وقصد إلى الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربى من دنياى حسبي ربى من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره ، فلما دخل على الملك قال ، اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره ، فلما نظر إليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان ؟ قال لسان عمى إسماعيل ثم إنه دحاله بالعبرانية ثانياً فقال له ما هذا اللسان ؟ قال لسان أبى يعقوب .

فأعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه قال لمن عنده إن هذا تأويل علم رؤياى ولم تعلمه السكينة والسحره ثم أنه أجلسه وقال إني أحب أن اسمع رؤياى منك شفها فأقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل قطعن عليك من شاطئه تشعب أنخلافهن لبناً فبينما أنت كذلك تنظر إليهن وقد

أعجبك حسنين إذا غضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج من حمته ووحله سبع
 بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لهن ضرور ولا أخلاف ولهن
 أنياب وأضراس وأكف كما كف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع ؛ فاختلطن
 بالسمان واقتربن اقتراس السباع وأكلن اللحم ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن
 ومششن مخن ، فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبتن وهن مهازل لم يظهر فيهن سمن
 ولا زيادة بعد أكلن إذا سبع سذبلات خضر وسبع آخر سود يابسات في منبع واحد
 عروقهن في الثرى والماء . فبينما أنت تقول في نفسك ما هذا ؟ هؤلاء خضر مشمرات
 وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولها في الماء إذ هبت ريح فردت أوراق السود
 اليابسات على الخضر المشمرات فأشعلت فيهن النار فأحرقتن وصرن سوداً متغيرات
 فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ، إنك انتهيت مذعوراً فقال له الملك والله ما شأن
 هذه الرؤيا وإن كانت عجيباً بأعجب مما سمعته منك ، فما ترى في رؤياي أيها الصديق ؟
 فقال يوسف الصديق : إني أرى أيها الملك أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كبيراً في
 هذه السنين الخصبه وتبنى الخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسذبله ليكون أبقي له
 ويكون قصبه وسذبله علفاً للدواب ، وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس
 فيكفيك الطعام الذي جمعه لأهل مصر ومن حولها ثم تأتيك الخلق من جميع
 النواحي فيمتارون منك بحبكم فيجتمع عندك الكمنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك
 فقال له الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفيني الشغل فيه ؟ فقال له يوسف
 (أجمعني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) أي كاتب حاسب ، وقيل حفيظ لما
 استودعني عليم بسف المجاعة وبلغة من يأتيني . قال له الملك ومن أحق به منك
 وولاه ذلك كله وقال له (إنك اليوم لدينا مكين أمين)

وروى سفيان عن أبي سنان عن عبد الله بن أبي الهذلي قال : قال الملك
 ليوسف إني أريد أن تخاطني في كل شيء غير إني آنف أن تأكل معي . فقال له
 يوسف إني أحق أن آنف بذلك منك لأنني أنا ابن يعقوب ابن إسحق ابن إبراهيم
 خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه .

قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الأمانة دعاه الملك فتوجه
بتأجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه فدانت له الملوك ولزم الملك وفوض إليه أمر
مصر وهزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب
فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيراً
مما كنت تريدين مني ؟ فقالت له أيها الصديق لا تقلني فإنني كنت امرأة حسناء ناعمة
تكارأيت في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي الأفساء وكنت كما جعلك الله في صورتك
وهيئتك فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فأصابها فولدت له ابنتين
إفرائيم وميشا لإبنى يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيها العدل
فأحببه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى (وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مكنا
ليوسف في الأرض) يعني أرض مصر (يتبوا منها من حيث يشاء نصيب برحمتنا
من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) ولله خيرة في هذا المعنى :

أما في رسول الله يوسف أسوة لمثلك محبوساً على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في السجن برهة فآل به الصبر الجميل إلى الملك
وكتب بعضهم إلى صديق له هذه الأبيات :

وراء مضيق الخوف متسع الآمن وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تياسن فالله ملك يوسف خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف في ملكه وخلت السنون المخضبة ودخلها المجدة جاءت
يهول لم يعهد الناس مثله فأصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فبينما هو
نائم إذ أصابه الجوع (فنهف الملك يا يوسف الجوع فقال يوسف هذا أول
القحط والجوع) فلما دخل أول سنة من سنى الجذب هلك فيها كل شيء أعدوه من
السنين فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في أول سنة بالنقود من
الذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار إلا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحناء
والخلل والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي

والدواب حتى احتوى عليها أجمع؛ وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق عبد ولا أمة إلا أخذه وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لأحد ملك، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم فإن الرجل كان يشتري بولده الخنطة أو الشعير من شدة السنة فلم يبق لأحد ولد ذكر ولا أنثى إلا بمالك وباعهم في السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة إلا صار مملوكاً له فتمجّب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا مملوكاً أجمل من هذا ولا أعظم ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربي فيما خولني فما ترى في هذا فقال له الملك الرأي رأيك وإنما نحن لك تبع فقال يوسف فإني أشهد الله وأشهدك أني قد اعتقت أهل مصر جميعاً .

وروى أن يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الأيام ف قيل له أتجوع ويديك خزان الأرض فقال لاني أخاف إن شبعت أن أنسى الجائع .

وروى أن يوسف أمر طبّاخ الملك أن يجعل غذاءه نصف النهار مرة واحدة في اليوم والليلّة ، وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويحسن إلى المحتاجين ففعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غذاءهم نصف النهار ، وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن أحداً منهم وإن كان عظيمًا من أكثر من حمل بعير نقسيطاً بين الناس وتوسيعاً عليهم . فتزاحم الناس عليه قالوا وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل يعقوب من ذلك منازل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر يطلبون الميرة وأمسك عند بنيامين أخا يوسف لأمه ، فجاء بنو يعقوب إلى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشام وكانوا أهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكره لما أراد الله تعالى يبلغ يوسف ما أراد .

وقال ابن عباس وكان بين أن قذفوه في الحب وبين أن دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك أنكره وقيل إنه كان متزيياً بزي فرعون مصر فكانت عليه

ثياب الحرير جالسا على سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب
فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك أنكروه .

قال بعض الحكماء المعصية تورث النكرة ولذلك قال الله تعالى (وجاء إخوة
يوسف فدخلوا عليهم فعرّفهم وهم له منكرون) قالوا فلما نظر إليهم يوسف وكلّوه
بالعبرانية قال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فإني أنكرت شأنكم ؟ فقالوا نحن قوم
من أهل الشام رعاه أصدابنا الجهد فجئنا ننتار فقال لعلمكم عيون جئتم تنظرون
عورة بلادى ؟ فقالوا لا والله وما نحن بجواسيس وإنما نحن إخوة بنو أب واحد
شيخ كبير صديق من أنبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم أنتم ؟ قالوا نحن
كنا اثنا عشر فذهب منا أخ إلى البرية فهلك فيها وكان أحب إلى أبينا منا قال كم
أنتم ههنا ؟ قالوا عشرة قال فأين الآخر ؟ عند أبينا لأنه أخو الذي هلك من أمه
فأبونا يتسلى به . قال فمن يعلم أن الذي تقولون حق ؟ فقالوا أيها الملك إننا في بلاد
لا نعرف فيها . فقال يوسف : فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين فإني
أرضى بذلك قالوا إن أبانا يحزن على فراقه وسراوده عنه ، قالوا فضعوا بعضكم
عندى رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصاب القرعة شمعون وكان أبرهم
بيوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى (لما جهزهم بجهازهم قال اتّوني بأخ لكم من
أبيكم) الآية إلى قوله (وإنا لفاعلون) فقال عند ذلك يوسف لفتيانه أي لغلمان
الذين يكيلون الطعام (اجعلوا بضاعتهم) أي ثمن طعامهم .

قال ابن عباس كانت بضاعتهم النعال والادم ، وقال قتادة كانت ورقا في
رحالهم (لعلمهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلمهم يرجعون)

واختلف العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف بهم من أجله : قال يوسف تخوف
يوسف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به إليه مرة أخرى ، وقيل خشى أن يشق
أخذ ذلك منهم على أبيه إذا كانت السنة سنة جدد وقيل رأى لو ما أخذ ثمن الطعام
من أبيه وإخوته مع احتياجهم إليه فرد عليهم من حيث لا يعلمون تذكرا وتفضلا ،

وقيل فعل ذلك لانه علم ان دياتهم وأمانتهم تحمّلهم على رد البضاعة ولا يستحلون
إمسأكم فیرجعون إليه لأجلها فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا قدمنا على خير
رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال
لهم يعقوب إذا أتيتم ملك مصر فاقرءوا عليه مني السلام وقلوا له إن أبانا يصلي
عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم إنه قال لهم أين شمعون ؟ فقالوا له إن الملك ارتبه
لنأتيه بنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك ؟ فقالوا إنه أخذناه
وقال إنكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة (وقالوا
يا أبانا منع السكيل فأرسل معنا أخانا) يعني بنيامين (نسكتل وإنا له لحافظون)
فقال يعقوب (هل آمنكم عليه إلا كما آمنكم على أخيه من قبل) الآية .

قال كعب لما قال يعقوب (فآله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) قال الله وعزتي
وجلالى لأردن عليك كلاهما بعد ما توكلت على قالوا (ولما فتحوا متاعهم) الذى
حملوه من مصر (وجدوا بضاعتهم) أى ثمن طعامهم (ردت إليهم) قالوا يا أبانا
ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك
كيل يسير) فقال لهم يعقوب (إن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتينى
به إلا أن يحاط بكم) أى تهلكوا جميعاً .

وروى جوبير عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى (حتى تؤتون موثقاً
من الله) يعنى حتى تحلفوا الى بالله وبحق محمد خاتم النبیین وسيد المرسلين أن لا تغدوا
بأخيك ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب (الله على ما نقول وكيل) أى شاهد
بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد ودخلوا
من أبواب متفرقة وذلك أنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوى جمال وهيبة وصور
حسان وقامات ممتدة وكانوا أولاد رجل واحد فامرهم أن يتفرقوا فى دخولهم البلد
لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم (وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله

(م ١٠ - قصص الأنبياء)

عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم)
 وكان لمصر أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها (ما كان يغنى عنهم من الله من شيء)
 صدق الله يعقوب عليه السلام فيما قال إلى قوله تعالى (ولما كان أكثر الناس لا يعلمون)
 ولما دخلوا على يوسف في المرة الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا أخونا الذي أمرتنا
 أن نأتيك به قد جئناك به قال لهم أحسنتم واصبتم وستحمدون على ذلك عندي .
 ثم إنه أنزلهم وأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة وأجلس بنيامين
 وحده وحيداً فبكى وقال لو كان يوسف حياً لأجلسني معه فقال لهم يوسف لقد
 بقي أخوكم هذا وحيداً فريداً ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما
 كان الليل أمر لهم يوسف بمثل ذلك وقال ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد .
 فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل
 يوسف يضمه إليه ويشم ريحه حتى أصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا .
 فلما أصبح قال لهم إني لأرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس له أخ يؤنسّه فإنه
 تشاءوا أضيه إلى ليكون منزله معي ثم إن يوسف أنزلهم منزلاً وأجرى عليهم
 الطعام والشراب وأنزل أخاه لأمه معه .

فذلك قواه تعالى (آوى إليه أخاه) فلما خلا به قال له ما اسمك . قال بنيامين .
 قال له وما بنيامين ؟ قال المشكل وذلك أنه لما ولد فقد أمه قال وما اسم أمك ؟ قال
 راحيل بنت لئان بن ناحور قال فهل لك من ولد ؟ قال نعم كم ، قال عشرة بنين
 قال فلما أسماؤهم لقد اشتقت أسماءهم من اسم أخ لي من أمي هلك اسمه يوسف فقال
 يوسف لقد اضطررت ذلك إلى حزن شديد فما أسماؤهم ؟ قال بالما وأخير وأشكل
 وأحيا وخير ونعمان وورد ورأس وعيثم وغيثم قال فما هذه الأسماء ؟ قال أما بالما
 فإن أخى ابتاعته الأرض وما أخير فإنه كان بكر أمي وأما أشكل فإنه كان أخى لاني
 وأمى ومنى وأما أحيا فلمكونه كان حياً وأما خير فإنه كان خيراً حيث كان وأما
 نعمان فإنه كان ناعماً بين أبويه وأما ورد فإنه كان بمنزلة الورد في الحسن ، وأما رأس
 فإنه كان بمنزلة الرأس من الجسد وأما عيثم فاعلمني أبي أنه حى وأما عيثم فلو رأيت

غراته لقرت عيني وتم سرورى فقال له يوسف أتتعب ان أكون أخالك بدل أخيك . ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخا غشاك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وطأقه وقال (إني أنا أخوك فلا تبتس بما كانوا يعلمون) ولا تعلمهم بشيء من هذا ثم إن يوسف أوفى لإخوته السكيل وحمل لبنيامين بعيراً .

قال كعب : لما قال له إني أنا أخوك قال بنيامين فإني إذا لا أفارقك قال يوسف إني قد علمت باغتيال الوالد فإن حبسته زاد غمه ولا يمكنني حبسك إلا بعد اشتهارك بأمر فظيع فقال لا أبالي أفعل ما تريد فقال يوسف إني أدس صاعى هذا فى رحلك ثم أنادى عليكم بالسرة ليتبيناً لى ردك بعد تسريحك قال افعل فذلك قوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم جعل الساقية فى رحل أخيه) وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كأساً من الذهب مكلاً مرصعاً بالجواهر جعلها يوسف مكياً لا يكتال بها ثم إنهم ارتحلوا وأمرهم يوسف حتى ظعنوا ثم إن يوسف أمرهم بخادركوا وحبسوا عن المسير (ثم أذن مؤذن أيتها المير إنكم لسارقون) فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيلكم وفعلنا لكم ما لم نفعل لغيركم قالوا بلى وما ذاك ؟ قال سقاية الملك فقدناها ولم نتمم عليها غيركم (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين) وإنا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد أحداً بسوء واسألوا عنا من مررنا به هل أضررنا أحداً أو أفسدنا شيئاً وإنا قد رددنا الدراهم لما وجدناها فى رحالنا فلو كنا سارقين ما رددناها . وفى الحديث (إنهم لما دخلوا مصر كموا أفوافدوا بهم لثلاثتناول من حروث الناس شيئاً) فقال الرسول إنه صاع الملك الأكبر الذى يتسكن فيه وإنه لا تمنى عليه فإن لم أجده تخوفت أن تسقط منزلى عنده وأفتضح فى مصر فمن رده على فله حمل بعير من طعام وأنا به زعيم أى كفيل قالوا معاذ الله أن تسرق فقال المؤذن وأصحابه فما جزاؤه أى جزاء من وجد فى رحله إن كنتم كاذبين (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين) فقال الرسول عند ذلك لا بد

من تفتيش أمتعتكم واستم بيارحين حتى أفتشها ؛ ثم إنه انصرف بهم إلى يوسف (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) لإزالة التهمة ؛ وكان يفتش أمتعتهم واحداً واحداً .

قال قتادة : ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر إلى وعاء أحد إلا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق إلا الغلام فقال ما أظن هذا الغلام أخذ شيئاً فقالت إخوته والله ما تركك حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك ولا نفسنا فإلى فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين فكس إخوته رؤوسهم من الحياء ثم أقبلوا على بنيامين فقالوا إيش الذي صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منكم بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين : هل بنوا راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي إلى البرية فاهلكتموه إن الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدراهم في رحالكم ثم إنهم قالوا ليوسف (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) وهذا هو المثل السائر : عذره شر من جرمه .

واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف قال سعيد بن جبير وقتادة السرقة التي وصفوا بها يوسف أنه سرق صنماً لجده أبي أمه من ذهب فكسره والقاه في الطريق وقال ابن جريج أمرته أمه وكانت مسلمة أن يسرق صنماً لحاله من ذهب فأخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل يوماً فسرق يوسف بيضة من البيت وأعطاهما السائل وقال ابن عيينة دجاجة فناولها السائل فديره بها وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره - كان أول ما دخل على يوسف من البلاء أن عمته بنت إسحق كانت أكبر ولد إسحق وكانت منطقة إسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت راحيل أم يوسف ماتت فخضنته عمته وأحبته حباً شديداً وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع وبلغ سنوات وقع خبئه في قلب يعقوب فأناها وقال لها يا أختاه سلمى إلى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت

له ما أنا بتاركته فلما ألح عليها يعقوب قالت ذعه عندي أياما انظر إليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت إلى منطقة إسحق فحزمت يوسف بها تحت ثيابه ثم إنها قالت فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها فالتفت فلم تجد فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقال والله إنه سلم لي اصنع فيه ما شئت وكان ذلك حكم آل إبراهيم في السارق فأتاها يعقوب فأخبرته بذلك فقال إن كان هذا فهو سلم لك لا أستطيع غير ذلك فأمسكته بعلة المنطقة فما قدر عليها يعقوب يأخذه منها حتى ماتت فهو الذي قال لإخوته (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبد لها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) .

قالت الرواة لما دخلوا على يوسف واستخرج الصاع من رحل بنيامين ودعا يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال إن صاعى هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلا وإنكم انطلقتم بأخ فبعتموه فلما سمع بنيامين قام فسجد ليوسف وقال أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى أخى أين هو؟ فنقره ثم قال له جئ وسوف تراه فقال بنيامين واصنع بي ما شئت فإنه أعلم بي سوف يستنقذنى قال فدخل يوسف إلى منزله ثم إنه بكى وتوضأ فقال بنيامين أيها الملك إنى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذى سرقه فجعله في رحله فنقره ثم إنه قال إن صواعى غضبان وهو يقول كيف تسألنى عن صاحبي الذى سرقتى وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله إن لم تتركنا وأترك أخانا لأصيحن صبيحة لا يبقى في مصر امرأة حامل إلا ألقى ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب إذا غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لابنه قم إلى جنب روبيل ومسه فقام الغلام فمسه فسكن غضبه فقال روبيل إن في هذا البيت شيئا من ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب؟ فغضب روبيل وقال أيها الملك لا تذكر يعقوب فإنه إسرائيل الله ابن إسحق بن إبراهيم خليل الله قال يوسف أنت إذا إن كنت

صادقاً فلما أراد يوسف أن يحتبس أخاه عنده ويصير بحكمه وإنه أولى به منهم واحتبسه ورأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه منه سألوه أن يخليه لهم ويعطوه واحداً منهم بدله فقالوا (يا أيها العزيز إن له أبا شيخاً كبيراً فنأخذ أحداً مكانه إننا نراك من المحسنين قال) يوسف (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) ولم يقل من سرق تحرزاً من الكذب (إننا إذا لظالمون) إن أخذنا بريئاً بسقيم (فلما استقيأوا منه خالصوا نجياً) أي خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعني في العقل وهو شمعون .

وقال قتادة والسدي كبيرهم في السن وهو روبيل (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله) في هذا الغلام لتردوه (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) أي من قبل هذا قصرتم في شأن يوسف (فلن ابرح الأرض) يعني أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) فأرجع إلى الملك فأنا جزه القتال (أو يحكم لي وهو خير الحاكمين) أرجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا (أي نحن رأينا سرقة معه) وما كنا للغيب حافظين (حين سألتك أن ترسله معنا ولو علمنا الغيب أن يسرق ما ذهبنا به معنا) (واسأل القرية) يعني (التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها) يعني قوماً أصحابوهم من أهل كنعان (وإننا لصادقون) لك في قولنا فرجعوا إلى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب (بل سواكم أنفسكم أمراً فصبراً جميل) وهو الذي لا جزع فيه (عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً) يعني يوسف وبنيامين (إنه هو العليم الحكيم) وتولى عنهم يعقوب (وقال يا أسفا على يوسف) وذلك أنه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فأعرض عنهم (وقال يا أسفا على يوسف) والاسف أشد الحزن .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : لم تعط أمة من الأمم عند المصيبة إلنا لله وإلنا إليه راجعون إلا أمة محمد ﷺ ، ألا ترى إلا يعقوب حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع إلنا قال يا أسفا على يوسف .

وقال الحسن ؛ كان بين خروج يوسف من عند أبيه إلى يوم الإلتقاء معه أكثر من ثلاثين سنة لأن يوسف أخذ من أبيه وهو ابن عشرة سنين ثم توصل إلى الملك وهو ابن ثلاثين ولم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الأرض أكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكى وبكى قال له ولده (تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً) أى مريضاً ذاهب العقل من الهم (أو تكون من الهالكين) فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) لا إليكم وفى الحديث د إن يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقه فقال له بعض جيرانه فتعشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أخوك فما بلغ بك ما أرى ؟ فقال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله تعالى إلى يعقوب أتشكونى إلى خلقى ؟ فقال يارب أخطأتها فاغفرها لى ، قال قد غفرت لك فإمكان بعد ذلك إذا سئل قال (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) .

أخبرنى الحسين بن فتحويه : أخبرنا أحمد بن الحسين بن حامد أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا عبيد الله بن أبى زياد أخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السلط قال سمعت أبى يقول بلغنا أن رجلاً قال ليعقوب ما الذى أذهب بصرى ؟ قال حزنى على يوسف قال فما الذى قوس ظهرك ؟ قال حزنى على أخيه فأوحى الله تعالى إليه يا يعقوب أتشكونى وعزتى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فقال عند ذلك (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) .

قال قتادة ذكر لنا أن نبى الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى فى طول بلائه ساعة من ليل أو نهار فعند ذلك خرج لإخوة يوسف راجعين إلى مصر وهذه كرة ثلاثة فدخلوا على يوسف (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز) أى الملك بلغة مصر (مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة) أى قليلة رديئة لا تتفق فى ثمن الطعام إلا بتجاوز من البائع فيها واختلف المفسرون فى هذه البضاعة ما هى فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تتفق إلا بوضيعة .

وقال ابن أبى مليكة رضى الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال رداء المتاع .

وقال عبد الله بن الحارث والحسن كانت أمتعة الأعراب الصوف والسن والاقط
وقال الضحاك كانت النعال والادم والسريق المقل (فأوف لنا السكيل وتصدق
علينا إن الله يجزي المتصدقين) .

قال الضحاك : لم يقولوا إن الله يجزيك إن تصدقت علينا لأنهم لم يعلموا أنه
مؤمن وقال عبد الجبار بن العلاء سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على
أحد من الأنبياء سوى نبيينا محمد ﷺ فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق
علينا) أراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالا وإنما حرمت على نبيينا عليه الصلاة
والسلام فقال لهم يوسف بجيبا لهم عند ذلك (هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه إذ
أنتم جاهلون) واختلاف العلماء في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول الذي كان
بده فرج يعقوب وراحله وآخى بلائه ومحبته فقال بن إسحق ذكر لنا أنهم لما
كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وأدركته الرقة فأرفض دمه با كيا ثم باح بالذي
كان يكنم فقال (هل علمتم ما فعلتم) الآية .

وذلك ان يعقوب لما قيل له إن ابنك سرق كتب إلى يوسف كتابا من يعقوب
إلى إسرائيل الله بن إسحق ابن إبراهيم خليل الله عزيز مصر المظهر العدل والموفى
السكيل أما بعد فإننا أهل بيت موكل بنا بالبلاء فأما جدى فابتلى بالنمر وذفشت يداه
ورجلاه وألقى في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبى فشدت يداه ورجلاه
ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم . وأما أنا فمكنا لى ابن وكان
أحب أولادى إلى فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا
قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه
وكنيت ألسلى به فذهبوا ثم رجعوا وقالوا إنه سرق وإنك حديثه لذلك وإننا
أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فإن رددته على ولادعوت عليك دعوة تدرك
السابع من ولدك .

فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من الحكام وعيل صبره فاظهر أمره

وقال بعضهم إنما قال ذلك حين سأل إخاء بنيامين هل لك ولد؟ قال نعم: ثلاثة بنين، قال فما سميتهم؟ قال سميت الأكبر منهم يوسف قال ولم؟ قال بحبة لك ولذكرك قال. فما سميت الثاني؟ قال ذنباً قال ولم الذئب وهو سبع عاقر؛ قال لا ذكرك به قال فما سميت الثالث قال دماً قال ولم قال، لا ذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك أن قال لإخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذا أنتم جاهلون قالوا أنك لانت يوسف) ابن إسحق لما قال يوسف لإخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا (أأنتك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى).

وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف (هل علمتم ما فعلتم) الآية ثم تبسم وكان إذا تبسم كأن ثناياه اللواق المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له مستنممين أنتك يوسف.

وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال إن إخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في فرقه علامة وكان ليعقوب مثلاً وكان لإسحاق مثلاً وكان لسارة مثلاً شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له (أنتك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا) بأن جهنا بعد ما فرقتم بيننا (لأنه من يثق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) ثم لأنهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجريمتهم إليه فقالوا (تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين) فقال يوسف وكان حليماً كريماً موقفاً (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين).

قال السدي وغيره: لما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبي من بعدى؟ قالوا ذهبت عيناه فأعطاهم قميصه.

قال الضحاك كان ذلك القميص لا يقع على مبتلى ولا على سقيم إلا صح وعوفي فأعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذي كان لإبراهيم وقد مضت قصته فقال لهم

(اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً واثبتوني بأهلكم أجمعين)
فلما فصلت العير من مصر متوجهين إلى كنعان قال أبوهم يعقوب (إني لأجد ريح
يوسف لولا أن تفندون) أي تسفهون .

وروى أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن
يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها ، قال ابن عباس : وجد يعقوب ريح
يوسف من مسيرة ثمان ليال وقال بجاهد وذلك أنه هبت ريح فصفقت القميص
فاحتملت الصبا ريح القميص إلى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الأرض
من رياح الجنة إلا ما كان عن ذلك القميص فمن ذلك قال (إني لأجد ريح يوسف
لولا أن تفندون) فقال له بنوه (تالله إنك لفي ضلالك القديم) فلما جاء البشير
وهو يهوذا ابن يعقوب قال ابن مسعود جاء البشير من بين يدي العير ، وقال السدي
قال يهوذا ليوسف انا ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف
أكله الذئب فأعطني اليوم قميصك لأخبره أنك حي فأفرحه كما أحزنه .

قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشياً حاسراً خافياً وجعل يعدو حتى أتى أباه
وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين
فرسخاً فلما أتاه بالقميص القاء على وجهه فارتد بصيراً قال الضحاك رجع إليه بصره
بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل
الأرض على ملك الموت وإن ملك الموت استأذن ربه أن يأتي يعقوب فأذن له
فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك بالذي خلقتك هل قبضت نفس يوسف
فهيمن قبضت من النفس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب ألا أعلمك كلمات؟
قال بلى قال قل ياذا المروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعاها
يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيراً فقال
لهم عند ذلك (ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر
لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي) الآية

قال أكثر المفسرين آخر ذلك إلى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة طشوراه وذلك أن الدماء في الأسفار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب إلى الوعد قام إلى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه إلى الله عز وجل - وقال - اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لوالدي ماجنوا على أخيهم يوسف فأوحى الله إليه إني قد غفرت لك ولهم أجمعين - وقال وهب - كان يستغفر لهم كل جمعة في نيف وعشرين سنة

أخبرنا الحسن بن محمد بن فتحويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شعبة أخبرنا أحمد بن أبي السفر بن ثوبان البصري أخبرنا إسحق بن زياد الأرملي أخبرنا الفضل بن حميد البغدادي أخبرنا بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة عن عطاء الخرساني قال - طالب الخوائج إلى الشباب أيسر منها إلى الشيوخ - ألا ترى قول يوسف لأخوته لا تريب عليكم اليوم - وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى .

وروى أن يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف ؟ قال له إنه ملك مصر فقال يعقوب ما صنع بالملك على أي دين تركته - قال على دين الإسلام - فقال يعقوب الآن تمت النعمة .

وقال الثوري - لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام طاق كل واحد منهما صاحبه وبكى فقال يوسف يا أبت بكيت على حق ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمنا ؟ قال بلى يا بني ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك يوم القيامة - قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازاً ومائتي راحلة وسأله أن يأتيه بأهله وولده أجمعين فتمياً يعقوب للخروج إلى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الأكبر الذي فوقه فخرج مع يوسف في أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب - وكان يعقوب يمشي متوكأ على يهوذا فنظر يعقوب إلى الجند والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر الأكبر لا هذا ابنك

فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فنهض الله من ذلك وكان يعقوب افضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال : السلام عليك يا مذهب الاحزان (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه) ورفعهما على العرش وأبواه يعقوب وخالته ليا فسمى الخالة أما كما سمي العم أبا في قوله تعالى (قالوا تعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق) وقال الحسن وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض فلما رأى يوسف أبويه وإخوته قد خروا له سجداً أقشعر عند ذلك جلده - (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً) الآية .

قال وهب دخل يعقوب وولده مصر وهم إثنان وسبعون إنساناً ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلاً سوى الذرية والمهرمي والزمني وكانت الذرية ألف ألف سوى المقالة وقال الفهليل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف وعمل مكتبته فكان يطوف يوماً من الايام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضاء فقال له يا بني لقد تغيرت بعدى لك كل هذه القراطيس وما حملت بطاقة منها تكتب إلى كتاباً ؟ فقال يوسف هذه القراطيس كلها لك كنت كلما زاد شوقي وكثر حنيني أخذ ورقة أكتب إليك يا أبت فيمنعني جبريل ان أكتب إليك فأتركها في هذه الخزانة حتى بلغت هذه المبالغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعني ربي فسأل الله عن ذلك فأوحى الله إليه لا لك قلت أخاف ان يأكله الذئب ففلا خفتني هذه العقوبة لأجل تخوفك من غيري

وروى صالح المروى عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : إن الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله خلا ولده نجبا ، فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب ويوسف ؟ قالوا بلى قالوا فإن عفوا عنكم فكيف لكم بربكم ؟ فاستقام أمرهم على ان يأتوا بالشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف إلى جنب أبيه فاعد فقالوا يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط

والانبياء أرحم البرية - فقال ما بكم يا بني ؟ فقالوا أأست تعلم ما كان منا إليك وإلى
 أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فلمستما قد عفوتما عنا ؟ قالوا بلى قالوا فإن عفوكما
 لا يعنى عنا شيئاً إذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال - فما تريدون يا بني قالوا نريد أن
 ندعو الله لنا فإذا جاءك الوحي من عند الله فسله هل عفا الله عنا فإن أجابك بأنه قد
 عفا عنا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا وإلا فلا قرت لنا عين في الدنيا أبداً فقام الشيخ
 واستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب
 وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريباً من عشرين سنة - قال صالح المري -
 ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال إن الله تعالى بعثني إليك أبشرك بأنه قد
 أجاب دعوتك في ولدك وأنه قد عفا عما صنعوا وإنهم قد انعمت مواثيقهم بعدك على
 النبوة قالوا - فأقام يعقوب بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعة وعشرين سنة
 بأحسن حال وأهنأ عيش وأتم راحة وأدوم سلامة ؛ ثم حضرته الوفاة فلما احتضر
 جمع بين بنيه - وقال (ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم
 وإسماعيل واسحق) ثم قال (يا بني أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم
 مسلمون) ثم أوصى إلى يوسف أن يحمل جسده إلى الأرض المقدسة حتى يدفنه
 عند أبيه اسحق وجده إبراهيم ففعل ذلك ونقله إلى بيت المقدس في تابوت من ساج
 وخرج معه يوسف في عسكره وإخوته وعظماء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة
 عيسى ثم دفنوا في يوم واحد وكان عمرهما جميعاً مائة وسبعاً وأربعين سنة لأنهما
 ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد .

قال قتادة فلما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان
 موسعاً عليه في ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وأنه لا بد له من فراقه
 فأراد نعيم الجنة إذ هو أفضل منه فتأقت نفسه إلى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن
 نبى قبله ولا بعده الموت فقال (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل
 الأحاديث) الآية .

روى أن يوسف لما حضرته الوفاة جمع إليه قومه من بنى إسرائيل وهم ثمانون رجلاً وأعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به - فقالوا يا نبي الله تحب أن تعرفنا كيف تتصرف الأحوال بنا بعد خروجك من بين أظهرنا وإلى ما يؤل إليه أمرنا وديننا وملتنا - فقال لهم أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم إلى أن يبعث رجل جبار من القبط يدعى الربوبية فيقهركم ويذبح أبناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتدأ أيامه مدة مديدة - ثم يخرج من بنى إسرائيل من ولد لاوى بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طويل جعد الشعر آدم اللون فينبجكم الله من أيدي القبط على يده قال فجعل كل من بنى إسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمى عمران ابنه موسى .

ثم مات يوسف عليه السلام ، وكان قد أوصى إلى أخيه يهوذا واستخلفه على بنى إسرائيل فتوفاه الله طيباً طاهراً ودفن في النيل في صندوق من رخام وكان قبره في النيل إلى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر ببنى إسرائيل فنقله إلى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الصين حيث هو اليوم فذلك تنقل اليهود موتاهم إلى الشام من فعل ذلك فيهم .

وروى يونس بن عمران عن أبي موسى قال ؛ نزل رسول الله ﷺ بأعرابي فأكرمه فقال رسول الله ﷺ اكرمتنا فأحسنيت شئ حاجتك فقال ناقة نرحلها وعزة تحلبها أهلى فقال رسول الله ﷺ أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بنى إسرائيل فقالوا يا رسول الله وما عجوز بنى إسرائيل ؟ فقال إن بنى إسرائيل لما خرجوا أضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا ؟ فقال علمواؤهم إن يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقاً من الله أن لا يخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبنى إسرائيل فبعث اليها موسى فأتته فقال دليني على قبر يوسف فقالت وتعطينى حكى قال وما حكى قالت أن أكون معك في الجنة فذكره أن يعطيها حكما فأوحى الله إليه إن أعطاها حكما .

وروى من طريق أن هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم : فقال لا أخبرك حتى تعطيني أربع خصال تطلق رجلى وتعيدنى إلى بصرى وشبابى وتجعلنى معك فى الجنة فكبر ذلك على موسى فأوحى الله إليه أن أعطيها ما سألت فإنك إنما تعطى على فعل فانطلقت بهم إلى موضع عين فى مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل فى صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه .

قال أهل التاريخ : عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وهكذا تنتهى قصة يوسف فى روعتها وجلالها ، والحمد لله رب العالمين .

(مجلس فى قصة موسى بن ميثا بن يوسف عليه السلام)

وقال موسى الأول وقد ذكرنا فيما مضى أن يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له أفرايم والآخر ميثا وابنة يقال لها رحمة وهى امرأة النبى أيوب عليه السلام فولد لأفرايم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى بن عمران وخليفته على بنى إسرائيل وأما ميثا فولد له موسى فنباؤه الله تعالى فزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر والعمامة من العلماء أن صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ .

قال أهل العلم والتاريخ لما مات يعقوب وإسحاق عليهما السلام وآل الأمر إلى الأسباط كثروا وتموا وظهر فيهم ملوك فغيروا سيرتهم وأفسدوا فى الأرض وفشا فيهم السحر والسكهاة فبعث الله تعالى إليهم موسى بن ميثا رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وأداء أمره وإقامة سنته وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتى سنة فاطاعه قوم منهم وعصاه آخرون .

وقال وهب بن منبه وغيره كان مما أوحى الله إليه أن قل لقومك إني بريء من سحر أو سحر أو تسكهن أو تسكهن له أو تطير تطير له من آمن به صادقاً وتوكل على فإني كنت له كافياً ومثلياً وكفيلته هم دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بى ومن عدل عنى ووثق بخيرى فأنا أغنى الشركاء عن الشرك أكله إلى من وثق به دونى ومن وكلته إلى غيرى فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباغض عنى كنت عنه أشد تباغضاً ومن تقرب إلى كنت أشد تقرباً منه إلى وقل لعبادى لا تغفلوا عن ذكرى وليكثروا ذكر الموت عند كل شهوة فإنه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ما شاء الله أن يلبث يقوم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والله تعالى أعلم .

(مجلس فى ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة إرم ذات العماد)
قال الله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) الآية

روى سفيان عن منصور عن أبى وائل قال إن رجلاً يقال له عبد الله بن قلابة خرج فى طلب إبل له قد ضلت أى شردت فبينما هو فى بعض صحارى عدن فى تلك الفلوات إذا وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوالي فلما دنا منها ظن أن فيها من يسأله عن إبله فلم ير فيها أحداً لاداخل ولا خارجاً فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فإذا هو ببابين عظيمين لم ير فى الدنيا أعظم منها ولا أطول وإذا خشبهما من أطيب عود وعليها نجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المسكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فإذا هو بمدينة لم ير الرءون مثلها قط وإذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عرد رطب قد انضدت عليه اليواقت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك أحداً أخذه الفرع ثم أنه نظر إلى الأزقة فإذا فى كل زقاق منها أشجار قد أثمرت وتحتها أنهار تجري فى قنوات من فضة أشبه

بمياضاً من الثلج فقال هذه الجنة التي وصفها الله لعباده في الدنيا والحمد لله الذي أدخلني الجنة ثم إنه حمل لؤلؤة وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيئاً ولا من يواقتها لأنها كانت مثبتة في أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منشورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم إنه سار يقفو أثر ناقته حتى رجع إلى اليمن فأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ .

(قال) أرسل معاوية إلى كعب الأشجاري فلما حضر قال يا أبا إسحق إن دعوتك لا مرجوت أن يكون علمه عندك ، فقال له أمير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له أخبرنا يا أبا إسحق هل بلغت أن في الدنيا مدينة بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها في الأزقة تجري تحت الأشجار فقال كعب والذي نفس كعب بيده لقد ظننت أني سأسألك قبل أن يسألني أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين ولما هي ومن بناها أما تلك المدينة فهي حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له وأما الذي بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهي إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فقال له معاوية يا أبا إسحق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال كعب يا أمير المؤمنين إن عاداً كان له إبنان سمي أحدهما شديد والآخر شداد فملك عاد وبقى ولداه بعده فملكا وتجزرا وقهرا كل البلاد وأخذها عنوة وقهراً حتى دان لها جميع الناس ولم يبق أحد في زمانهما إلا دخل في طاعتهم لا في شرق الأرض ولا غربها وأنهما لما صفا لها ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد وبقى شداد فملك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعاً بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعتة نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه في الدنيا عتواً على الله تعالى وكفراً فلما قر ذلك في نفسه أمر بصنع تلك المدينة التي هي إرم ذات العماد وأمر على صنعها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان ثم قال لهم انطلقوا إلى أطيب بقعة في الأرض وأوسعها واعملوا فيها مدينة من

ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الأنهار تحت الأشجار فإني أرى في الكتب صفة الجنة وإني أحب أن أجد مثلها في الدنيا وأتمجل سكنها .

فقلت له قهارته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبتى منها مدينة كما وصفت لنا ؟ فقال لهم شداد أستم تعلمون أن ملك الدنيا كلها بيدي قالوا بلى قال فانطلقوا كل إلى موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأي بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالاً تخرج إليكم ما في كل معدن من تلك الأرض ثم انطلقوا إلى ما في أيدي الناس من ذلك فخذوه سوى ما يأنىكم به أصحاب المعادن فإن معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وفيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة .

قال فخرجوا من عنده وكتب معهم إلى كل ملك في الدنيا كتاباً يأمره أن يجمع لهم ما في بلاده من الجواهر وأن يحفر معادنها فانطلق هؤلاء القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتاباً يأخذ ما يوجد في مملكته فيبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى تجمعوا كل ما يحتاجونه إلى إرم ذات العباد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موضعاً كما أراد ووصف لهم قال فخرج عند ذلك الغملة والقهارمة فتفرجوا في الصحارى ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك إلا في أرض أبين من بلاد عدن فوقها بها على صحراء عظيمة نقيية من التلال والجبال وإذا هم بعيون مطرودة فقالوا هذه صفة الأرض التي أمرنا بها فأخذوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدوداً محدودة ثم عمدوا إلى مواضع الأزقة التي فيها الماء فأجروا فيها القنوات لتلك الأنهار ثم وضعوا الأساس من صخور الجزع اليماني وعجنوا طين ذلك الأساس من دهن اللبان والمخاط فلما فرغوا من وضع الأساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك إليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد مضروبة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة

مفروغاً منها فدفعوا كل ذلك إلى أولئك القهارمة والوزراء فأقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا أبا إسحاق إني لأحسبهم أقاموا في بنائها زماناً من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين إني لأجد في التوراة أنهم أقاموا في بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قل كان عمره سبع مائة سنة فقال له معاوية يا أبا إسحاق لقد أخبرنا خبراً عجيباً فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين إنما سماها الله تعالى إرم ذات العماد من أجل العماد التي تحتها من الزبرجد والياقوت وليس في الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال (التي لم يخلق مثلاً في البلاد) .

قال معاوية يا أبا إسحاق لقد ظهر فضلك على غيرك من العلماء واقدر أعطيت من علم الأولين والآخرين ما لم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذي نفس كعب بيده ما خلق الله في الأرض شيئاً إلا وقد فسره في التوراة لعبد موسى عليه السلام تفسيراً وإن هذا القرآن أشد وعيداً وكفى بالله شهيداً ووكيلاً .

قال الشعبي أخبرنا غفل الشيباني عن رجل من حضرموت يقال له بسام أنه وقع على حفيرة شداد بن عاد في جبل من جبال حضرموت يطل على البحر وأخرج منها لوح مكتوب لا يوجد أحد يقرؤه حتى جاء رجل من أهل صنعاء حميري وكان يحسن قراءة تلك الكتابة فأخرجنا إليه اللوح فقرأه فإذا فيه مكتوب هذه الآيات :

اعتبرني أيها المنرور	بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد	صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأ	سما والملك الحشيد
دان أهل الأرض طراً	لي من خوف وعيد
وملك الشرق والغز	ب بسلطان شديد
ويفضل الملك والعدة	فيه والمعدي
جاء هود وكنا	في ضلال قبل هود

فدعا لو قبلنا كان بالامر الرشيد
فهمينا وناديننا ألا هل من محيد
فأتنا صيحة تهوى من الأفق البعيد
فتواقبنا كزرع وسط بيداء حصيد

قال دغفل : سألت علماء حمير عن شداد وقلت إنه أصيب وقد كان دنا من
إرم ذات العماد فكيف وجد في تلك المغارة وهي بحضرموت قالوا إنه لما هلك هو
ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة ملك من بعده يزيد بن شداد وقد
كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فأمر بحمل أبيه إلى حضرموت فحمل مطلقاً
بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك
السرير الذي من الذهب والله أعلم .

(مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس)

قال الله تعالى (وعاد وثمود وأصحاب الرس) اختلف العلماء من أهل التفسير
وأصحاب الأقاصيص فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام
بعضهم في بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس أن أصحاب الرس
بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البشر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى
(وبشر معطلة وقصر مشيد) .

(قال) وكان قوم لهم نهر يدعى الرس ينسبون إليه وكان فيهم أنبياء كثيرة
لا يقوم فيهم نبي إلا قتلوه وذلك النهر بمنطق أذربيجان بينها وبين أرمينية فإذا
قطعته مدبراً دخلت في حد أرمينية وإذا قطعته مقبلاً دخلت في حد أذربيجان
وكان من حولهم من أرمينية يعبدون الأوثان ومن إمامهم من أهل أذربيجان
يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجوارى العذارى فإذا تمت لإحدها ثلاثون
سنة قتلوها أو استبدلوها غيرها وكان عرض نهرهم ثلاث فراسخ وكان يرتفع في
كل يوم وليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التي حوله وكان لا ينصب في بحر ولا بر

فإذا خرج من حدهم يقف ويدور ثم يرجع إليهم فبعث إليهم ثلاثين نبياً في شهر واحد فقتلوه جميعاً فبعث الله تعالى إليهم نبياً وأيده بنصره وبعث معه ولياً فجاهدهم في الله حق جهاده ثم بعث إليه ميكائيل حين نابذوه وكان في أوران وقرع الحب في الأرض وكانوا عند ذلك أخرج ما يكونون إلى الماء فحفر نهرهم في البحر وانصب ما في أنفله وأتى إلى عيونهم من فوق فسدّها وبعث الله إليه خمسمائة من الملائكة أعواناً له فحرفوا ما بقي في وسط نهرهم ثم أمر الله جبريل فنزل فلم يدع في أرضهم شيئاً ولا نهرأ إلا أيدسه بإذن الله تعالى وأمر ملك الموت فأنطلق إلى المواشي فأماها دفعة واحدة وأمر الرياح الأربع الجنوب والشمال والديور والصبا فضمت ما كان لهم من متاع وألقى الله تعالى السبات .

ثم خفت الرياح الأربع بذلك المتاع أجمع فرمته في رؤوس الجبال وبطون الأودية وأما ما كان من حلي وتبر وآنية فإن الله تعالى أمر الأرض فابتلعته فاصبحوا لاشاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون إليه ولا ماء يشربونه ولا طعاماً يأكلون فآمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله إلى غار في جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا أحداً وعشرين رجلاً وأربع نسوة وصبيان وكان عدد الباقي من الرجال والنساء والذراى ستمائة ألف ماتوا عطشاً وجوعاً ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم إلى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين لله أن يحيشهم بماء وزرع وماشية ويجعله قليلاً لئلا يطفوا فأجابهم الله تعالى إلى ذلك لما علم من صدق نياتهم وإخلاصهم وقالوا إنه لا يبعث الله رسولا إلا من يليهم ويقاربهم إلا أعانوه وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فأطلق لهم نهرهم وزادهم على ما سألوه فأقام أولئك القوم في طاعة الله ظاهراً وباطناً حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله في الظاهر ونافقوا في الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادراً وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقمهم وخالفهم فأسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقي نهرهم ومنازلهم وما فيها ما نفي عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين .

وروى علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أن رجلاً من أشراف بني تميم يقال له عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس وفي أي عصر كانوا؟ وأين كانت منازلهم؟ ومن كان ملائكتهم؟ وهل بعث الله إليهم رسولاً أم لا؟ وبماذا أهلكتهم؟ فأني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم؟ فقال له أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدى كان من قصتهم يا أخا تميم أنهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شات ذرخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان وكانت نبعت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وإنما سموها أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض وذلك قبل سليمان ابن داود عليهما السلام وكانت لهم اثنتا عشر قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكاناً وعمراناً منها وكان أعظم منازلهم اسفنديار وهي التي كانت ينزلها ملائكتهم وكان يسمى تركون بن طبور بن نوح بن سارب ابن النروذ بن كنعان فرعون إبراهيم عليه السلام وفيها العين التي يسقون منها الصنوبرة التي كانوا يعبدونها وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت تلك الحبة وتصور شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والأنهار فلا يشربون منها لا هم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتله ويقولون هي حياة آلهم فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم ، وقد جعلوا في كل شهر من السنة عيداً يجتمع إليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبكونها قرباناً للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فإذا سطع دخان تلك الذبائح ونارها وبخارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجداً للشجرة فيكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم وكان الشيطان يحس فيحرك أغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي .

عبادى قد رضيت عنكم فطيبوا نفساً وقرأوا عيتاً فيرفعون عند ذلك رؤوسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم ولياليتهم ثم ينصرفون حتى إذا كان عيد قريرتهم العظمى اجتمع إليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقاً من ديباج وعليه أنواع الصور له اثنا عشر باباً كل باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون إليها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم فيجىء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً ويتكلم من جوفها كلاماً جهورياً يعدم وينهيم بأكثر مما وعدتهم الشياطين جميعاً فيرفعون رؤوسهم من السجود ولهم من الفرح والسرور ما لا يفقهون ولا يتكلمون معه فيديعون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثنا عشر يوماً وليلة بعدد أعيادهم في السنة ثم إنهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله إليهم نبياً من بنى اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمناً طويلاً يدعوهم إلى الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ما هم فيه من الفى والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشده والصلاح حضر عند قريرتهم العظمى وقال يا رب إن عبادك أبوا تصديقى ودعوتى إليهم وما أرادوا إلا تكذيبى والكفر بك .

فبينما هم في عيدهم إذ غشيتهم ريح عاصف حمراء فتعيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم إلى بعض ثم إن الأرض صارت من تحتهم كحجر كبير يتوقد وأظلمت سحابة سوداء فألقت عليهم حجراً كالقبة يلتهب فأذاب أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته إنه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والله أعلم .

(مجلس في قصة نبي الله أيوب عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه) الآية وقال تعالى (وأيوب
إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) .

قال وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب رجلاً من الروم وكانت
رجالاً طويلاً عظيم الرأس جمداً الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين
والساعدين وكان مكتوب على جبهته المبتلى والصابر وهو أيوب بن أموص بن تارخ
ابن روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن
هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا وكان له الثنية من أرض الشام
كلها مهالها وجبلها وما كان فيها وكان له من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم
والخيل والحير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له بها خمسمائة
فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان
واكل أتان ولد من الإثنين إلى فوق الخمسة وكان الله أعطاء أهلاً وولداً من رجال
ونساء وكان أمراً تقياً رحيماً بالمساكين يكفل الأيتام ويكرم الضيف
ويبلغ ابن السبيل وكان شاكراً لأنعم الله تعالى مؤدياً لله قد امتنع من هدو الله
إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من الفرة والغفلة والتشاغل والسهو
عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه
وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليغن ورجلان من أهل بلاده يقال
لأحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولاً .

قال وهب إن لجبريل عليه السلام بين يدي الله مقاماً ليس لأحد من الملائكة
مثله في القرية والفضيلة وإن جبريل هو الذي يتلقى الكلام فإذا ذكر الله تعالى
عبداً بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والخائفين من
حول العرش فإذا شاع ذلك في الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من
أهل السموات فإذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة إلى ملائكة
الأرض وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد

ومن هناك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد إلى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان بعد ثلاث فلما بعث الله محمداً ﷺ حجب عن الثلاث الباقية فهو وجنوده محجوب عن جميع السموات إلى يوم القيامة .

(إلا من استترق السمع فأتبعه شهاب مبين) قال فسمع إبليس نواوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد وصعد سريراً حتى صعد في السماء موقفاً كان يقفه فقال يا إلهي نظرت في أمر عبدي أيوب فوجدته عبداً أتممت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تخبره لا بشيء ولا بلاء وأياك زعيم أثنى ضربته ببلاء ليكفرن بك وليذهبك فقال الله نزل المطر إليه ففقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الأرض ثم جمع غنارات الشياطين وعظماءهم ، فقال ماذا كان عندكم من القوة والمعرفة فإني قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هو المصيبة الفادحة والفتنة التي لا تعبر عليها الرجا فقال غنرات من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحوكت أعصاراً من نار فأحرقت كل شيء فقال إبليس فأت الإبل فأحرقها ورعاتها فانطلق يوم الإبل وذلك حين وضعه في وسطها وثبتت في مراعيها فما يشعر الفاس حتى نار من تحت الأرض أعصار من نار تمنع فيه رياح السموم لا يدنوا منها أحد إلا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها في حدة راعيها ثم انطلق يوم أيوب حتى وجدته قائماً يصلي فقال له يا أيوب قال لي بك فقال هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بإيمالك ورعاتها فقال أيوب إنها ماله إعارنيها وهو أولى بها إن شاء تركها وإن شاء أخذها وقد تحققت وعطيت النفس أن يرمي مالي للفناء والزوال فقال له إبليس فإن ربك أرسل إليها ناراً من السماء فأحرقها كلها وصار الناس مبهوتين وقوفاً عليها يمججون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان إلا في غرور ومنهم من كان يقول لو كان إله أيوب بقدر هلي أن يصنع شيئاً لمنع وليه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل

قشمت به عدوه ونجح به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذي أعطاني وحيث شاء
نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود إلى القبر وعريانا أحشر إلى
ربي ليس يذنبني لك أن تفرج حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى
بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها الصديق خيراً لنقل روحك مع تلك الأرواح
وصيرك شهيداً مع الشهداء وليكنه علم فيك شراً فأخرجك وخلصك من البلاء
يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع إبليس إلى أصحابه خائباً ذليلاً .

قال : وأيوب كلما انتهى إليه بهلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه
ورضى بالفتنة ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقي له مال فلما رأى إبليس
أنه قد أفنى ماله ولم ينل منه شيئاً ولا نجح في شيء من أفعاله شق عليه ذلك وصعد
سريعاً ووقف الموقف الذي كان يقفه وقال إلهي إن أيوب يرى أنك مهما متعتهم
نفسه وولده فأنت معطيه المال فهل أنت مسيطر على ولده فإنها الفتنة المضلة والمصيبة
التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد
سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بني نبي الله أيوب وهم في قصرهم فلم يزل
يزلله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل ينأطح بجداره بعضها بعضاً فرماهم
بالخشب والجنود حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقابه فصاروا منكسين
ثم إن إبليس انطلق إلى أيوب متمثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح
مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من دماغه فأخبروه بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت
بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤوسهم تسيل دماؤهم
وأدغمتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم
لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رق أيوب لذلك وبكى وقبض قبضة
من التراب فوضعهما على رأسه فاغتم إبليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعاً بالذي
كان من جزع أيوب مسروراً ثم لم يلبس أيوب أن أبصر فاستغفر وشكر فصعد
قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا إبليس وسبقوه إلى الله والله أعلم بما
كان فوق إبليس خائلاً فقال إلهي إنما هون على أيوب خطر المال والولد
أنه يرى أنك مهما متعتهم بنفسه وأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسيطر على

نفسه وبدنه فإنك زعيم لثن ابتليته في جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن
تعمتك ، فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده وامكن ليس لك سلطان
على لسانه وقلبه ولا على عقله ، وكان والله أعلم به أنه لم يسلطه عليه إلا رحمة ليعظم
له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكري للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به
في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعاً فوجد أيوب ساجداً فقبل أن
يرفع رأسه أتاه من قبل الأرض في موضع وجهه ونفخ في منخريه نفخة أشعل منها
جسده فذهل وخرج به من قومه إلى ثلآ ليل مثل أليات الغنم ، ووقعت فيه حكة
لا يمسكها ولا يتماسك عن حكاها فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ، ثم حكها بالمسوح
الخشن حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع
وتغير وأثن ، فأخرجوه أهل القرية لجعلوه على كمناسة وجعلوا له عريشاً فرفضه
خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بذت افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام ،
وكانت تختلف إليه بما يصالحه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به
اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا إليه وهو في
بلائه ، فبكته ولاموه وقالوا له تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به .

قال وكان حاضر معهم فني حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال إنكم
تكلتم أيها الكهول وكنتم احق بالكلام لأسنانكم ولمكنكم قد تركتم من القول
أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأسر أجل من الذي
أتيتم وقد كان لا يرب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم ، فهل تدرون
أيها الكهول حق من أنقصتم وجرمة ما أنهكتم ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم ألم
تعلموا أن أيوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الأرض في يومكم هذا
ثم إنكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على أنه سخط شيئاً من أمره منذ أتاه ما أتاه
إلى يومكم هذا ولا علمتم أنه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا أن
أيوب غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا فإن كان البلاء هو الذي
أزرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله تعالى يبتلي النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين ثم إن بلاءهم ليس دليلاً على سخطه عليهم ولا هو انهم عليه
ولسكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة إلا أنكم
أنهتوه على وجه لصحبه لكان لا يحمل بالحكيم أن يعدل أخاه عند البلاء ولا يعيره
بالمصيبة ولا يعلم وهو مكروب حزين ولسكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر الله له
ويحزن لحزنه ويدله على أرشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله
أيها السكحول فقد كان لكم في عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم
ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن الله عبادة أسكنتم خشيتهم من غير عى ولا بكم وإنهم
لهم الفصحاء النبلاء الأولياء العالمون بالله وآياته ولسكنهم إذا ذكروا عظمة الله
أفقطغت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاماً
لله تعالى وإعزازاً وإجلالاً فإذا استفاقوا استبقوا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية
الصالحة يعدون أنفسهم مع الخاطئين الصالحين وإنهم برآء ويعدون أنفسهم مع
المفترطين المقصرين وإنهم لا كياس أقوياء وإنهم لا يستكثرون الله الكثير ولا يرضون
له بالقليل ولا يدلون عليه بالأعمال ، فهم مروعون مفزعون خاشعون مستكينون
فقال أيوب إن الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب المؤمن الكبير والصغير فتى
نبتت في القلب أظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن
والشيب ولا طول التجربة فإذا جعل الله العبد حكماً في الصبا لم تسقط منزلته عند
الحكماء وهم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة ثم إن أيوب أقبل على الثلاثة
وقال : أتيتوني غضاباً رهبتهم قبل أن تسترهبوا وبكيتهم قبل أن تسترهبوا وبكيتهم
قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم لعل الله يخلصني
وقربوا عني قرباناً لعل الله يتقبلها ويرضى عني وإنكم قد أعجبتم أنفسكم وظننتم أنكم
قد عوفيتهم بإحسانكم فبينائكم بغيتهم وتعزتهم ولو نظرتهم فيما بينكم وبين ربكم ثم
صدفتهم لوجدتم لكم عيوباً سترها الله عليكم بالعافية التي ألبستكم إياها وقد كنت
فيما خلا الرجال ترفرتي وأنا معروف كلامي معروف حتى منتصف من خصمي ؛
فأصبحت اليوم وليس لي رأى ولا كلام معكم فأنتم اليوم أشد على من مصيبي
ثم أنه أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثاً متضرعاً إليه فقال : رب لا شيء

خلقتني ليتني إذ كرهتني ما خلقتني يا ليتني كنت حيضة ألقني أمي أو ليتني قد
عرفت الذنب الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتي وألحقتني
بأبائي فالموت كان أجمل لي يا إلهي ألم أكن للغريب داراً وللمسكين قراراً ولليتيم
ولياً والارملة قيماً إلهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فالمنة لك وإن أسأت فبيدك
عقوبتي جعلتني للبلاء عرضاً وللفتنة نصيباً لقد وقع على بلاء لو سلطته على جمل
الضئف عن حمله فكيف يحمله ضعفي ، إلهي تقطعت أصابعي فإني لا أرفع الأكلة
من الطعام إلا بيدي جميعاً فما يبلغان في إلا على الجهد مني ، إلهي تساقطت لهواتي
ولحم رأسي فما بين أذني من سداد بل إحداهما ترى من الأخرى ، وإن دماغني
ليسيل مني ، إلهي تساقط شعر عيني كأنما أحرق بالنار وجهي وحدثتني متدليتان على
خدي وورم لساني حتى ملاء فمي فما أدخل فيه طعاماً إلا غصني وورمت شفقتني
حق غطت العليا أنفي والسفلى ذقني وتقطعت أعمالي في بطني وإني لأدخل الطعام
فيهخرج كما دخل ما أحسسه ولا ينفعني وذهبت قوة رجلي فكأنهما قد دبستا
ولا أطيق حملها وذهب المال فصرت أسأل بكفي ويطعمني من كنت أعواه اللقمة
الواحدة فيمن بها علي ويعيرني ، إلهي مالك أولادي ولوبيقي واحد منهم أعانني على
بلائي ونفسي ، وقد ملني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفي ؛ ورغب عني
صديقي وقطعتني أصحابي وجحدت حقوقي ، ونسيت صنائعي ، أصرخ فلا
يصرخونني ، وأعتذر فلا يعذرونني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لأمتي فلم
ترحمني ، وإن قضاءك هو الذي أذنتي وأدناني وأهانني وأقامني وإن سلطانك
هو الذي أسقمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري فأطلق
لساني لأتكلم بملء فمي ولو كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن
يعاقبني عند ذلك بما بي وليكنه ألقائي وتخلي عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني
ولا أسمعه ، ولا نظر إلي فرحمي ولا دنائتي ولا أدناني فأتكلم ببراءتي وأخاصم
عن نفسي ؛ فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلمته غمامة حتى ظن أصحابه أنه
عذاب ثم نودي يا أيوب إن الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل
منك قريباً فقم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك .

وقال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك حكى وسبقت رحمتى غضبى إذا أخطأت فقد غفرت لك ما قلت ورحمتك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للمصابين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء ؛ وقرب عن أصحابك قرباناً واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك ؛ فاركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل ؛ فأذهب الله ما كان فيه البلاء ؛ ثم إنه خرج وجلس فأقبلت امرأته فقامت تلتصقه في مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالواهلة فرت به فقالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذى كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه إذا رأيته ؟ فقالت نعم وكيف لا أعرفه فتبسم وقال ما أنا هو فعرفته لما ضحك فاعتنقته .

وقال كعب - كان أيوب في بلائه سبع سنين ؛ وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين ولم يزد يوماً واحداً ؛ فلما غلب أيوب لإبليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بنى آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وجمال ؛ فقال لها أنت صاحبة أيوب المبتلى ؟ قالت نعم قال فهل تعرفينى ؟ قالت لا قال أنا إله الأرض وأنا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك أنه عبد إله السماء وتركنى وأغضبني ولو سجد سجدة واحدة رددت عليك ما كان لكما من مال وولد فإنهم عندي ثم أراها ليأهم في بطن الوادى الذى لقيها فيه .

قال وهب - وقد سمعت أنه قال لها - لو أن صاحبك أكل طعام لم يسم عليه لعوفي عما فيه من البلاء والله أعلم ؛ وأراد عدو الله يأتيه من قبلها ورأيت في بعض الكتب أن إبليس قال لرحمة ؛ وإن شئت اسجدى لى سجدة واحدة حتى أرد عليك الأولاد والمال وأعافى زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراد فقال لقد أراد عدو الله أن يفتك عن دينك ثم أن أيوب أقسم إن عافاه الله ليضربنها مائة جلده فقال عند ذلك مسنى الضر من طمع إبليس في سجود

حرمق ، ودعائه إياها وإياي إلى الكفر قالوا ثم إن الله تعالى رحم رحمة امرأة
أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره أن
يأخذ جماعة من الشجرة مبالغ مائة قضيب خفافاً لطافاً فيضربها ضربة واحدة كما
قال تعالى (وخذ بيدك ضعفاً فاضرب به ولا تحث) الآية .

وقد كانت امرأة أيوب تتكسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته ؛ فلما طال عليها
البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التست يوماً من الأيام ما تطعمه فما وجدت
شيئاً فجرت قرناً من رأسها قباعته برغيف وأتته به فقال لها أين قرنك ؟ فأخبرته
فقال عند ذلك مسنى الضر ؛ وقيل إنما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه
فخشى أن يعيا عن الذكر والفكر ؛ وقيل إنما قال ذلك حين وقعت الدود من
فخذه فأخذها وردّها إلى موضعها وقال لها كلى فقد جعلني الله طعامك فعضته
عضة زاد ألمه على جميع ما قاسى من عض الديدان .

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير كان لأيوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد
لا يقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في
أيوب خيراً ما ابتلاه بما ترى .

قال فما وجع أيوب شيئاً كان أشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شيء
أصابه جزع من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسنى الضر ثم قال اللهم إن كنت تعلم
إنى لم أبت ليلة شعبان قط وأنا أعلم بما كان جائئاً فصدقنى فصدقه وهما يسمعان
ثم قال اللهم إن كنت تعلم إنى لم أتخذ قيصاً قط وأنا أعلم بما كان عرياناً فصدقنى
فصدقته وهما يسمعان فخر ساجداً لله وقيل معناه مسنى الضر من شماتة الأعداء
يدل عليه ما روى أنه قيل له بعد ما عوفى ما كان أشد عليك فى بلامك ؟ فقال
شماتة الأعداء والأشد بعضهم فى معناه :

كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الحساد
إن المصائب تنقضى أيامها وشماتة الأعداء بالمرصاد

وقال الجنيد في هذه الآية عرفه فافقه السؤال لمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى (فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله) الآية .

واختلاف العلماء في كيفية ذلك ؛ فقال قوم لما ابتلى الله أيوب في الدنيا مثل له أمره فأما الذين هلكوا فإنهم لم يردوا عليه في الدنيا وإنما وعد الله أيوب أن يؤتيه إياهم في الآخرة .

وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين ؛ وقال آخرون بل ردهم الله تعالى إليه بأعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكتب قالوا أحياهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية .

وذكر أن عمر أيوب كان ثلاثاً وتسعون سنة وأنه أوصى عند موته إلى ابنه حمز وأنه بعث بعده بشر بن أيوب نبياً وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء إلى توحيده وأنه كان مقيماً بالشام طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمساً وتسعين سنة وأن بشراً أوصى إلى ابنه عبدان وأن الله تعالى بعث بعده شعبياً عليه السلام والله أعلم .

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

هذا المجلس يأتي بعد في آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب ههنا زيادة في المجلس المذكور .

وروى الأعمش عن المنهال بن عمر عن عبد الله بن الحارث أن نبياً من الأنبياء قال من يكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب ؟ فقال شاب أنا فقال له اجلس ثم إنه أعاد مثل قوله الأول فقال ذلك للشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم إنه أعاد قوله ثالثاً فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب فقال نعم فمات ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس فكان لا يغضب فجاء الشيطان في صورة إنسان لينغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب

ضرباً شديداً فقال من هذا ؟ فقال رجل له حاجة فأرسل إليه رجلاً فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج إليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلّاه وذهب فسمى ذا الكفل ؛ وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا إلى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم إن الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر إنا نحب الحياة ونكره الممات ؛ ومع ذلك نكره أن نعصى الله تعالى ورسوله ؛ فلو سألت الله أن يطيل أعمارنا ولا ييمتنا إلا إذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتوني عظيماً وكلفتموني شططاً ثم إنه قام وصلى ودعا وقال إلهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتني أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم أني لا أملك إلا نفسي وإن قومي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم به مني فلا تؤاخذني بجزيرة غيري فأنا أعوذ برضائك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فأوحى الله تعالى إليه ؛ يا بشر إني سمعت مقالة قومك وإني قد أعطيتهم ما سألوني طولت أعمارهم فلا يموتون إلا إذا شاءوا فكن كفيلاً لهم مني بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله إليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمى ذا الكفل .

ثم إنهم توأدوا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنقصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشر أن يدعو الله أن يردهم إلى آجالهم فأوحى الله تعالى إلى بشر أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم ثم إنهم ردوا إلى أعمارهم فماتوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال إن الدنيا دارهم خمسة أسداسها للروم وسموا روماً لأنهم نسبوا إلى جدتهم روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام .

قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفل مقيماً بالشام حتى مات وكان عمره خمسين سنة وتسعين سنة والله أعلم .

(مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيباً) الآية اختلف العلماء في نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفوان بن عيفا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم وقال محمد بن إسحق هو شعيب بن ميكائيل بن مدين بن إبراهيم اسمه بالسريانية بترون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فإذ لك قوله تعالى إخباراً عن قومه (وإنا لنراك فينا ضعیفاً) أى ضريراً وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وأن الله تعالى بعثه نبياً إلى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة والأيكة الشجر الملتف .

وقال قتادة بعثه الله تعالى إلى أمتين - أهل مدين وأصحاب الأيكة .

قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطيف في المسكيات والموازن وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجاً منه فقال لهم شعيب (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المسكيات والميزان) الآية ونظيرها في الأعراف (فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم) الآية وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيباً ليؤمن به أنه كذاب فلا يفتنك عن دينك وكانوا يتواعدون المؤمنين بالقتل ويخونونهم .

قال السدي وأبو روق كانوا عشارين ، وقال عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق ، وقال النبي ﷺ (رأيت ليلة أسرى في خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد إلا شقته ولا شيء إلا خرقتة . فقلت ما هذا يا جبريل ؟ فقال هذه أقوام من أمتك يقطعون على الطريق فيقطعونه ثم تلا (ولا تعدوا بكل صراط تواعدون) الآية ، وكان من قول شعيب وجواب قومه إياه ما ذكر الله تعالى من سورة الأعراف وسورة هود وسورة الشعراء .

قال المفسرون ، وكان ما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لأجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى (وقالوا يا شعيب أصلانك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا) وقوله تعالى

(إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوه
وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) سورة الشعراء .

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثرت فسادهم
وقل صلاحهم دعا عليهم فقال (ربنا افنح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير
الفاتحين) فأجاب الله تعالى دعاه فيهم فأهلكهم بالرجفة وهى الزلزلة عن السكلى
ويقال بالصيحة وبعباب الظلة .

قال ابن عباس وغيره وهى أن الله تعالى فتح عليهم باباً من أبواب جهنم
فأرسل عليهم برداً وحرّاً شديداً فأخذ بأنفسهم فدخلوا فى أجواف البيوت فلم
ينفهمهم ظل ولا ماء فأضجعهم الحرف فخرجوا هرباً إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة
فأظلمتهم ووجدوا لها برداً وجاءت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضاً فلما اجتمعوا
تحت السحابة ألهمها الله عليهم ناراً ورجفت الأرض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد
فى المقل فصاروا رماداً وذلك قوله تعالى (فأصبحوا فى دارهم جاثمين)

وقال تعالى (فأخذهم عذاب يوم الظلة لأنه كان عذاب يوم عظيم) .
قال ابن عباس بلغنى أن رجلاً من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى
الظلة فيها العذاب أقشع جلده وقال

يا قوم إن شعيباً مرسل فذروا عنكم شميراً وعمران بن شداد
إني أرى غيمة يا قوم قد طلعت تدعو بصوت على حنانة الوادى
فإنه لن يرى فيها ضحاً غد إلا الرقيم يمشى بين أنجاد
وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبد الله البجلي أبو جاد
وحطى وهوز وكلن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى
بمن شعيب كلن فقالت أخت كلن تبكيه حين هلك

كلن هدد ركنى هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه الـ تتحف ناراً وسط ظله
جعلت ناراً عليهم دارهم كالمضمحلة

قال الله تعالى (الذين كذبوا شعيباً كان لم يغتوا فيها الذين كذبوا شعيباً كما ذوا
هم الخاسرين) أى لهم الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

(بحسب ما في ذكره رضي الله عنه ونحوه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على عدة أبواب)

(الباب الأول في ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً) وهو موسى بن عمران بن يصر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب عليه السلام.

قال أهل العلم باخبار الأولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوي وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم إن لاوي نكح نابتة بنت ماوي بن يشجب فولدت له غرسون ومرزي ومردى وقاهت ثم أن قاهت بعد أن مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح قاهي بنت ميين بن تنويل بن إلیاس فولدت له يصر بن قاهت فنكح يصر بن قاهت سميت بنت يتادم بن برکيا بن يشعان بن إبراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره ستون سنة وكان عمر يصر مائة وسبعة وأربعين سنة فنكح عمران بن يصر نجيب بنت شمويل بن برکيا بن يشعان بن إبراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف في اسم أمهما فقال ابن إسحاق نجيب وقيل ناحية وقيل يوحايل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعاً وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره سبعون سنة والله أعلم.

(الباب الثاني في ذكر مولد موسى عليه السلام)

قال أهل التاريخ لمية مات الريان بن الوليد فرعون مصر الأول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذي ولي يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثاني فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى وكان جباراً وقبض الله على يوسف في ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن أراشة بن شروان بن عمرو ابن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان أغنى من قابوس وأكبر وأجبر وامتدت أيام ملكه وأقام بنو إسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد أنتشروا وكثروا وهم تحت العمالة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيه من الإسلام متمسكون به حتى كان فرعون

وموسى الذى بعثه الله إليه وقد ذكر اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعق منه .
على الله ولا أعظم قولاً ولا أقى قلباً ولا أطول عمراً فى ملكه ولا أسوأ ملكاً
لبنى إسرائيل وكان يعذبهم ويستعبدهم وجعلهم خدماً ونحو لا وصنفهم فى أعماله
فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الأعمال القذرة ومن لم يكن أهلاً
للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى (يسومونكم سوء العذاب) وقد استنكح
فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنها من خيار النساء
المعدودات ويقال هى آسية بنت مزاحم بن عبيد بن أريان بن الوليد فرعون
يوسف الأول فاسلمت على يد موسى .

قال مقاتل ، لم يسلم من أهل مصر إلا ثلاثة ، آسية وحزقييل ومريم بنت
ناموسى التى دلت موسى على قبر يوسف عليهم السلام قالوا فعمر فرعون فيهم
وهم تحت يده عمراً طويلاً يقال إنه أربع مائة سنة يسوموهم سوء العذاب فلما أراد
الله أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ما ذكره السدى
عن رجاله أن فرعون رأى فى منامه كأن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى
اشتعلت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرق القبط وترك بنى إسرائيل فدعا
فرعون الكهنة والسحرة والمعبدين فسألهم عن رؤياه فقالوا يولد فى
بنى إسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك
ويبدل دينك وقد أظلم زمانه الذى يولد فيأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى
بنى إسرائيل فجمع القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لهن لا يسقط على
أيديكن غلام من بنى إسرائيل إلا قتلته ولا جارية إلا تركتها وكل بهن وكلاء
فكن يفعلن ذلك .

قال مجاهد . لقد بلغنى أنه كان يأمر بالقصب فيشق ثم يجعل أمثال الشفار ثم
يصف بعضه إلى بعض ثم يأتى بالحبالى من بنى إسرائيل فيوقفهن عليه فتجرح
أقدامهن حتى إن المرأة منهن لتضع ولدتها فيقع بين رجلها فتظل تطؤه وتتقى به
حد القصب عن رجلها لما بلغ من جهدها .

وكان يقتل الظلمان الذين في وقته ويقتل من يولد بعدهم ويعذب الجبالى حتى يضمن ما في بطونهم وأسرع الموت في مشيخة بنى إسرائيل فدخل رموس القبط على فرعون وقالوا له إن الموت قد وقع في مشايخ بنى إسرائيل وأنت صغارهم وتميت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبح الولدان صنة وتركهم سنة فولدت هرون في السنة التى لا يذبح فيها أحد فترك وولد موسى في السنة التى يذبحون فيها قال فولدت هرون وأمه علانية آمنة .

فلما كان العام الذى أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فأوحى الله تعالى إليها (أن أرضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم) إلى قوله (المرسلين) فلما وضعت في خفية أرضعته ، ثم لأنها اتخذت له تابوتاً وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه .

قال مقاتل وكان الذى صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل أنه كان من بردى فأنخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطناً ملحوجاً ووضعت فيه موسى وصرت رأسه ثم ألقتة في النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها أباها الشيطان فوسوس إليها فقالت في نفسها لماذا صنعت يا بنى لو ذبح عندي لو رأيته وكفلته كان أحب إلى من أن ألقيه بيدي في البحر وأدخله إلى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين الأشجار عند دار فرعون إلى روضة هي مستقى جوارى فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير في دار فرعون داخل في بستانه فخرجت جوارى فرعون يغتسلن ويستيقن فوجدن التابوت فأخذنه وظن أن فيه مالا فجعلنه على حالته حتى أدخلنه إلى آسية فلما افتحته رأت فيه الغلام فالقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسية وأحبته حباً شديداً فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا على آسية بشغارهم لينبحوا الصبى فقالت آسية للذباحين الصرفوا فإن هذا لا يزيد في بنى إسرائيل فانا آتى فرعون وأستوهبه إياه فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وإن أمركم بذبحه فلا ألوكم ثم إنها أتت به فرعون وقالت (قره عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا) فقال فرعون قره عين لك

ما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله ﷺ والذي يخاف به لو أقر فرعون ان يكون له قرعة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امراته ولكن الله تعالى حرمة ذلك ، قال فاراد ان يذبحه وقال لاني اخاف ان يكون هذا من بنى اسرائيل ان يكون هذا الذي هلاكنا على يده وزوال ملكتنا فلم تزل آسية تكلمه حتى رهبه لها فلما آمنت آسية ارادت ان تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موسى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط هو الماء وشى للشجر فعرب فقيل موسى .

اخبرنا ابن فتحويه اخبرنا مخلك بن جعفر اخبرنا الحسن بن علوية اخبرنا اسماعيل بن عيسى اخبرنا ابن بشير اخبرني جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم اشرارهم ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاشتضعفوهم وساموهم سوء العذاب فذبحوا ابناءهم .

وفي بعض الروايات ، لانه كان يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب صغير فضرب به على راس فرعون فغضب غضباً شديداً وتطير منه وقال هذا عدوى المطلوب فارسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون وقالت له ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي فاخبرها بما فعل موسى فقالت له لئما هو صبي لا يعقل ولئما صنع هذا من صباه وانا اجعل فيه بيني وبينك امر تعرف به الحق واضع له حلياً من الذهب والياقوت واضع له جمرأ فان اخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان اخذ الجرة علمت انه صبي ثم انها وضعت له طستاً فيه الذهب والياقوت وطستاً فيه الجرة فعد موسى يده على ان ياخذ الجوهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمره ووضعها في فيه فجاء على لسانه فاحرقته وذلك الذي قال في قوله تعالى (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فقالت له آسية ألا ترى الى فعله وانه صبي لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك سوء فلم يزل عزيزاً مكرماً في بيت فرعون وحببه الله اليه وإلى اس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه .

ويروى انه سئل لبليس هل أحببت أحداً من العالمين قال لا إلا موسى بن عمران عليه السلام فقليل له وكيف ذلك قال لأن الله تعالى قال (وألقيت عليك محبة مني) فلم أتمالك ان أحببته .

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران عليهما السلام)

قال كعب الأحبار - كان هرون بن عمران نبي الله رجلاً فصيح اللسان بين الكلام إذا تكلم تكلم بتؤدد وعلم وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضاً شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلاً آدم اللون سمداً طويلاً كأنه من رجال أزد شنوءة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان أيضاً على طرف لسانه شامة سوداء .

(الباب الرابع في قصة قتله القبطى وخروجه من مصر ووروده مدين)

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بني إسرائيل كثير من الظلم والسخرية التي كانت فيهم ولا يعلم الناس أن ذلك إلا من قبل الرضاة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركباً وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل إن فرعون قد ركب مركب موسى في أثره وأدركه المقييل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد وهي التي قال تعالى فيها (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) فبينما هو يمشى في ناحية المدينة إذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) الآية والذي من شيعته يقال له السامري والذي من عدوه رجل من القبط كان خبازاً لفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى حطباً للمطبخ فسخر السامري له حطباً

فامتنع السامري فلما مر به موسى استغاثه السامري على القبطى فقال موسى للقبطى .
دعه فقال الخباز لموسى إنما آخذه في عمل أبيك وأبى أن يخل سبيله فغضب موسى .
فبسط به ونحاه السامري من يده فنازعه القبطى (فوكزه موسى ففقد عليه) .
قال موسى (هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) ثم قال (رب إنى
ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم)

وقال وهب : أوحى الله إلى موسى بن عمران وعزتى وجلالى : لو كانت
النفس التى قتلت أقرت لى طرفة عين أنى إله خالق رازق لاذقتك طعم العذاب
ولما عفوت عنك لأنها لم تقر لى ساعة واحدة إنى إله خالق رازق قالوا ولما قتل
موسى القبطى لم يرهما إلا الله تعالى والإسرائيلى فلما قتله أصبح فى المدينة خائفاً
يتربص الأخبار فأتوا فرعون وقالوا له إن بنى إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل
فرعون نخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك فقال فرعون ائتونى بقاتله ومن
شهد عليه لأنه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم
فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك
لإسرائيلى يقاتل فرعونياً فاستغاثه الإسرائيلى على قتال الفرعونى فصادف موسى
وهو نادم على ما كان منه بالأمس فسكره الذى رآه فغضب موسى فمد يده وهو
يريد أن يبسط بالفرعونى وقال للإسرائيلى (إنك لغو مبين) ففر الإسرائيلى من
موسى وظن أنه يبسط بالفرعونى وقال للإسرائيلى (إنك لغو مبين) ففر الإسرائيلى
من موسى وظن أنه يبسط به من أجل أنه أغاظ عليه فى الكلام وكان غضبان فلما
أقبل لنصره ومد يده ظن أنه يريد قتله فقال له (يا موسى أتريد تقتلنى كما قتلت
نفساً بالأمس) الآية إنما قال ذلك مخافة من موسى وظن أن يكون موسى أراده
إنما أراد الفرعونى فتنازعا فذهب الفرعونى فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلى
وذكر أن موسى هو الذى قتل الرجل بالأمس وهو المثل السائر ، العدو
العاقل أحرى عليك من الصديق اللاحق ويذهب فى معناه :

إن اللبيب إذا تزايد بغضه أحرى عليك من الصديق اللاحق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فإنه غلام لا يهتدى إلى الطريق فطلب موسى في ثنيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الأعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقييل وكان بقية من دين إبراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به .

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال دسباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفه عين حزقييل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو أفضلهم ، قال فجاء حزقييل مؤمن آل فرعون فأخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقاً قريباً حتى سبق الذباحين إليه فأخبره الخبر لذلك قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) فتحير موسى ولم يدر أين يذهب فجاء ملك على فرس بيذه عنزة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق إلى مدين .

وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر إلى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ويقال نحو من السكوفة إلى البصرة فلم يكن له طعام إلا ورق الشجر فما وصل إليها إلا وقد وقع خف قدمه وإن خضرة البقول ل ترى من بطنه .

(الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب لابنته إياه)

قال العلماء : لما انتهى موسى إلى أرض مدين في ثمان ليال نزل في أصل شجرة وإذا تحتها بئر وهي التي قال الله تعالى (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسهقون ووجد من دونها امرأتين تذودان) أي تحبسان أغنامهما فقال لهما (ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء) لأننا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فإذا سقوا مواشيهم سقيننا أغنامنا من فضول حاجتهم وما يبقى من حياتهم (وأبونا شيخ كبير) تعنيان شعيباً .

وروى حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال اسم أبي امرأة موسى الذي استأجره ثيرون صاحب مدين ابن أخى شعيب النبي عليه السلام واسم إحدى

الجاريين ليا ويقال سنونا والاخرى صفورا وهى امرأة موسى عليه السلام فلما
قالتا ذلك لموسى رجهما وكان هناك بئر على رأسها صخرة عظيمة وكان النفر من
الرجال يجتمعون اليها حتى يرفعوها عن رأسها .

وحكى الأستاذ أبو سعيد عبد الملك بن أبى عثمان الواعظ أن تلك البئر غير
التي تسقى منها الرعاة وقد حضرتها ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها
وأخذ دلوأ لهما وقال لهما قدما غنمكما فسقى لهما أغنامهما حتى أرواهما فرجعتا إلى
أبيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى إلى الظل ظل الشجرة (وقال رب انى لما
أنزلت إلى من خير فقير) قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء إنسان
أن ينظر إلى خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى إلا أكلة .
وقال أبو جعفر محمد الباقر لقد قالها وإنه لمحتاج إلى شق ثمرة قالوا فلمما رجعتا إلى
أبيهما قال لهما ما أعجزكما وأسرع رواحكما الليلة قالتا وجدنا رجلا صالحا فرحمنا
فسقى لنا أغنامنا فقال لإحداهما اذهبي فادعيه إلى (فجماعته إحداهما) وهى التى
تزوجها موسى وهى (تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ايجزيك أجر
ماسقيت لنا) فقام موسى فقدمته وهو يليها أى يتبعها فهبّت ريح فالتصقت ثوب
المرأة بزديها فذكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشى خافى ودائى على
الطريق فإذا أخطأت فارمى قدامى بحصاة حتى أنهج نهجا فإذا بنى يعقوب لا تنظر
إلى أعجاز النساء فنعمت له الطريق إلى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب .
فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فأنخبره الخبر فقال له (لا تخف نجوت من
القوم الظالمين فقالت إحداهما) وهى التى كانت الرسول إلى موسى (يا أبت
استأجره إن خير من استأجرت القوى الامين) .

قال النبى ﷺ أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاها قفرستا فى موسى فأصابتا
إحداهما امرأة فرعون حين قالت قرّة عين لى ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب
حيث قالت (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الامين) وإنما قالت القوى
الامين لانه أزال الحجر العظيم الذى لا يرفعه إلا أربعون رجلا ، فقال لها أبوها

كيف أنك عرفت قوته فما أعلمك بأمانته فأخبرته بما أمرها موسى من استدبارها إياه في الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال له (إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمان حجج) إلى قوله (من الصالحين) أي في حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى (ذلك بيدى وبينك أيما الابلين قضيت) الآية.

روى عن رسول الله ﷺ أنه سئل : أى الابلين قضى موسى قال : أكلهما وأفضلهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصنراهما .

(الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبده أمرهما)

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيهم فقالوا ثم أن شعيباً أمر لإبنته أن تأتية بعصا فيعطيا لموسى فيستعين بها في رعايته فجاءته بعصا وكانت تلك العصا وديعة عنده ودفعتها إليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وأمرها أن تأتية بعصا أخرى فما زالت ترجع وتأتية بها بهينها لأنها كانت كلما ردتها إلى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت هي في يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاهم لموسى فلما أعطاه إياه ندم على ذلك لأنها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد على العصا فأبى أن يردّها عليه فتنازعا إلى أن شرطاً على أنفسهما أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فأتاها ملك يمشى فتعها كما إليه فقال ضعها على الأرض فمن حملها فهي له ووضعها موسى على الأرض فجعلها الشيخ فلم يطق حملها فأخذها موسى وقال لبث موسى عند شعيب ما شاء الله ثم استأذنه في الإلصراف فأذن له وقال له : ادخل هذا البيت وخذ عصي من العصي تكون معك ادراً بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصي الأنبياء عند شعيب فلما دخل موسى تدلت ووثبت إليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال شعيب ردها وخذ غيرها وذلك أن شعيباً كان أخبر بأمر العصا ولم يدر شعيب أن صاحبها هو موسى فردها موسى إلى البيت فالتقاها وذهب إليها أخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مراراً فقال له شعيب ألم أقل

ذلك خذ غيرها فقال موسى قد رددتها مرات فكلم فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي فها لم شميمب أن ذلك أمر يزيد الله تعالى فقال له خذها .

قالوا ؛ وزوجه لابنته ورعى له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من لابنه شميمب قالوا لما خرج موسى من مدين ووافى مصر كان شميمب يزوره في كل سنة فإذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل

(الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى)

قال أهل العلم بأخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومججن في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى إذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر اقضى شعبتاها كالشعبتين من نار تضئتان له مد البصر وكان إذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير في رأسها شبه الدلو فيستقى بها وإذا احتاج الطعام ضرب الأرض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان إذا اشتهى فأكبه من الفواكه غرسها في الأرض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى لموسى فأكبتها وأثمرت له ساعتها ويقال كانت عصا موسى من اللوز وكان إذا جاع ركزها في الأرض فأورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان إذا قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تزيينان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرح له الطريق وكان إذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبدا له فيه طريق منفرج وكان يشرب من إحدى شعبتيها العسل ومن الأخرى اللبن وكان إذا أعيا في طريقه ركبتها فتحمله إلى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان إذا طاب منها الطيب فاح منها الطيب فيطيب ويطيب ثوبه وإذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تمككه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكانت يمش بها على غنمه ويدفع بها الشباع عنها والحشرات والحيات

وإذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه .

قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يراها اذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق نخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك . وإن كان السكلا بها أكثر فإن هناك تقيماً عظيماً أخشى عليك وعلى الأغنام منه . فذهب موسى بالأغنام حتى إذا بلغ مفرق الطرق أخذت الأغنام ذات الدين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريد ثم نام موسى والأغنام ترعى وإذا التين قد جاء فقامت العصا لخاربتة فقتلته وأتت فاستلقت إلى جانب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتين مقتولا . فعلم موسى أن في تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأناً فهداه مآرب موسى إذا كانت في يده . وأما إذا ألقاها فیری أنها كانت تقلب حبة كأعظم ما يكون من الثمابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتها فماً وفيه اثنا عشر ناباً وضرساً ولها صريف وضرير يخرج منها لهيب النار ويصير محجتها عرقاً لها كأمثال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلعب البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيئاً إلا أحرقتة .

تمر بالصخرة مثل الناقة السكوما فتبتلعها حتى أن الصخور في جوفها لتقعقع وتمر بالشجر فتقصمها بأنيابها وتحطمها وتبتلعها وجعلت تلتبظ وتقرم كأنها تطلب شيئاً تأكله وكانت تسكون في هظم الثعبان وفي خفة الجان وابن الحية وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع (فإذا هي ثعبان مبين) وفي موضع آخر : (كأنها جان) وفي موضع آخر . (فإذا هي حية تسعى) .

(الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين)
وتكليم الله إياه في الطريق وإرساله إلى فرعون واستغاثة بأخيه هرون
وكيفية ذهابهما إلى فرعون لتبليغه الرسالة

قال الله عز وجل (فلما قضى موسى الأجل) الآية قالت العلماء بسير الأنبياء
لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين قال له شعيب
لاني وهبت لك كل بلاء وأبلى من نتاج أغنامي التي تضعها في هذه السنة يعني السنة
العاشرة أراد بذلك مبرة موسى وصلة لبنته صفورا امرأة موسى ، قال فأوحى الله
إلى موسى ان اضرب بعصاك الماء في مستقى الأغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى
الأغنام من ذلك الماء ما أخطأت واحدة من تلك الأغنام إلا وضعت حملها مرتين
ما بين أبلى وبلاء ، فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى إلى موسى وأهله فوفى
موسى بشرطه وسلم إليه الأغنام التي وهبها منه وقضى موسى أتم الأجلين وأوفاهما
(فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله) منفصلاً عن أرض مدين وكان في أيام الشتاء
ومعه امرأته وأغنامه وهي في شهرها لا تدرى أتضع ليلاً أو نهاراً فانطلق في برية
الشام عادلاً عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر هذه
يومئذ ظلم أخيه هرون وإخراجه من مصر إن استطاع إليه سبيلاً فصار موسى
في البرية غير عارف بطريقها فألجأه المسير إلى جانب الطور الايمن الغربي في عشية
شائية شديدة البرد وأظلم الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته
الطلق فعمد موسى إلى زنده فتدحجه فلم ينور فتحير وقام وقعد إذ لم يكن له عهد بمثل
ذلك في الزند وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيراً وضجراً ثم أخذ يتسمع طويلاً
هل يسمع حساً أو حركة فبينما هو كذلك إذا آنس من جانب الطور نوراً فحسبه
ناراً (فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً اعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار
هدى) يعني من يدلني على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيماً
يمتد من عنان السماء إلى شجرة عظيمة هناك واختلموا في تلك الشجرة ما كانت فقيلاً
والعوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى ناراً عظيمة ليس

لها دخان وهي تلتهب وتشتعل في جوف شجرة خضراء لا تزدد النار إلا عظماً ولا تزدد الشجرة إلا خضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته إلى النار فرجع إليها ودنت منه فنودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة (أن يا موسى) فنظر فلم يرى أحداً فنودي (إني أنا الله رب العالمين) فلما سمع ذلك علم أنه ربه تعالى فداده ربه أن ادن وأقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت يديه وصار حياءً كيت إلا أن روح الحياة تتردد فيه من غير حراك وأرسل إليه ملكاً يشده ظهره ويقوى قلبه فلما ثاب إليه عقله تودى (فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى) وكان السبب في أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الأصمبها نى قال حدثنا يحيى السدي قال حدثنا أحمد بن بحدثة قال حدثنا الجمالى قال حدثنا عيسى بن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ في قوله فاخلع نعليك قال (كانتا من جلد حمار ميت) وفي بعض الأخبار غير مدبوغ ،

وقال مجاهد وعكرمة إنما قال (فاخلع نعليك) كي تمس راحة قدميه الأرض الطيبة فتنااله بركتها لأنها قدست مرتين ، وقال سعيد بن جبير إنما قال له ذلك لأن الحفوة من أمارات التواضع والاحترام ففعل له طأ الأرض حافياً كما تدخل السمكة لتعصل على بركة الوادي ، وقال أهل الإشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تأويله في المنام ففعل له مرغ قلبك من شغل أهلك ، ثم قال تعالى سكناً لقلبه وإذها بالدهشته (وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاى) الآية فقال الله تعالى (ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى) قد صارت شعبهاها فيها وعجنها عرفاً لها في ظهرها وهي تهتز لها أنياب وهي كما شاء الله أن تكون فرأى موسى أمراً فظيماً فولى موسى مدبراً ولم يعقب فداده ربه تعالى أن (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين) (سنعيدها سيرتها الأولى) أى نردها عصا كما كانت ويقال إن الحكمة في أمر الله تعالى إياه بالقاء العصا قبل أن يصل إلى فرعون لكيلا يفرغ منها موسى إذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما أقبل موسى قال له خذها إذ كانت عصا ولا تخف لأنه كان ادعى الملك فقال هي عصاى فنبه على ذلك ، وكان على موسى جبة من صوف

فلما كف على يده وهو لها هائب فنودي أن أحسري يدك فحسركم على يده ثم أدخل يده تحت لحية فلما أدخل يده قبض فإذا هي عصاة في يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له (أدخل يدك في جيبك تخرج ببضء من غير سوء آية أخرى) قالوا ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عتيقاً فلما نزل موسى عنه عاد إلى حالته الأولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولاً بولده وأراد أن يختنه فأمر الله تعالى ملكاً فمد يده ولم تزل قدمه عن موضعه حتى جاء به الملك ملفوفاً في خرقة وناول له إلى موته فأخذ حجرين فحك أحدهما بالآخر حتى حددته كالسكين من الحديد فخن به ابنه ثم إن الملك عالج المقطوع من المختون فتفل فيه فبرأ من ساعته بإذن الله تعالى ثم أن الملك رده إلى موضعه الذي جاء منه ولم يزل أهل موسى مقيمين في ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فاحتماهم وردهم إلى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فاق البحر وجاوزه ببني إسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب إلى مصر لموسى ، قالوا وخرج موسى من فوره لما بعثه الله إلى مصر لا علم له بالطريق ، وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حولة ولا صاحب له ولا شيء من الأشياء غير العصا ومدرعة من صوف وقلنسوة صوف ونعلين وكان يظل صائماً ويبيت قائماً ويستعين بالصيد ويقول الأرض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى إليه لا تخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى إلى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيراً له ورسولاً معه إلى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت غرة ذي الحجة متذكراً إلى شاطئ النيل ليلتقى بموسى تلك الساعة ، قال فخرج هارون وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس ، ثم إن موسى وهرون انطلقا في تلك الغيضة حتى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الذي هو أقرب أبوابها إلى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الإثنين بعد هلال ذي الحجة بيوم فأقاما عليه سبعة أيام فسكناهما واحد من الحراس وقال لهما أتدريان لمن هذا الباب ؟ فقال موسى إن هذا الباب

(م ١٣ - قصص الأنبياء)

والارض كلها وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيد له فسمع ذلك الرجل كلاماً ولم
سمع مثله قط ولم يظن أحد من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع
إلى كبرائه الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولاً وعائدت عجباً من رجلين هما عندي
أعظم وأشنع وأفظح مما أصابنا في الأسد وما كانا يقدران أن يقدموا علي ما قدما
عليه به من عظيم وأخبرهم بالقصة ، فلم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى
إلى فرعون .

قال السدي بإسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى أتاهم ليلاً فتضيف أمه
وهي لا تعرفه فأتاهم في ليلة كانوا يأكلون الطفيل فنزل في جانب الدار فجاءه هرون
(فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيفه فدعاه فأكل معه) فلما قدما وتحدثا
سأله هرون من أنت ؟ فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه
فلما تعارفا قال له موسى يا هرون انطلق معي إلى فرعون فإن الله تعالى قد ارسلنا
إليه فقال هرون سماعاً وطاعة فقامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله
أن لا تذهبا إلى فرعون فيقتلكما فأبيا عليهما ومضيا لأمر الله تعالى فانطلقا إليه ليلاً
فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلاً فقرعا الباب فمزع فرعون وفزع البواب
فقال فرعون من هذا الذي يضرب بابي في هذه الساعة فأشرف عليهما البواب
وكلمهما فقال له موسى إني أنا رسول رب العالمين فمزع البواب وأنى فرعون
وأخبره بما سمع وقال له ، إن هنا إنساناً مجنوناً يزعم أنه رسول رب العالمين .

قال ابن إسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون
هو وأخوه هرون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان - إنا رسول رب العالمين ،
فكشاً نحو سنتين يقدوان إلى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترى
أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطل يلعب معه ويضحك فقال أيها الملك ، إن
علي بابك رجلين يقولان قولاً عجيباً يزعمان أن لهما إلهاً غيرك . فقال فرعون
دخلوهما فأدخل موسى ومعه هرون عليهما السلام .

(الباب التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون)
قال الله تعالى (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) وقال تعالى :
(فقولا قولا ليناً له يندكر أو يخشى) .

وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري في هذه الآية قال قال لهما اعذرا
إليه له يندكر أو يخشى فقولا له إن لك رباً ومعاداً وإن بين يديك جنة وناراً
له عند ذلك يندكر أو يخشى وعيدكما ، وهو عندى لا يندكر ولا يخشى قال
لـسكيلا يقول أهلـكته قبل أن أعذر إليه ، قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون
دخلا عليه فلما وقف عنده دعا موسى بدعاء وهو لا إله إلا الله الحليم الكبير ؛
لا إله إلا الله العلي العظيم ؛ سبحان رب السموات والأرضين السبع وما فيهن
وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، اللهم إني
أدرك بك في نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال
فتحول ما في قلب موسى من الخوف أمناً ؛ وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو
خائف أمن الله وخوفه ونفس الله كربته وهون عليه سكرات الموت ثم أن فرعون
قال لموسى من أنت ؟ فقال أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فقال له (ألم تربك
فيما وليدت فينا من عمرك سنين وفعالت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين)
معنا على ديننا هذا الذي هو الآن تعييه قال موسى (فعلتها إذا وأنا من الضالين)
أي من الخطئين ولم أرد بذلك القتل (ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً
وجعلني من المرسلين) ثم أقبل موسى ينكر عليه ما ذكره له من يده عليه فقال
(وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل) أي اتخذتهم عبداً تتزع أبناءهم
من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أي إنما صيرني إليك ذلك (قال
فرعون وما رب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين)
قال فرعون (لمن حوله) من ملته (ألا تستمعون) ؟ إنكاراً لما قال موسى ربكم
ورب آبائكم الأولين (قال) فرعون (إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) يعني
ما هذا بكلام رجل صحيح العقل إذ يزعم أن لكم إلهاً غيري (قال) موسى (رب
المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) ثم قال فرعون لموسى (إن اتخذت

لها غيري لا جعلتك من المسجونين قال أولو جعلتك بشيء مبین (تعرف به صدقي وكذبك وحقى وباطلك) قال فرعون (فأت به إن كنت من الصادقين فألقى موسى عصاه فإذا هي ثمان مبین) فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبي القصر واضعة لحيةها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجاً من مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنحو فرعون تأخذه فانفض منها الناس وذعر منها فرعون ووثب عن سريرته وأحدث حتى قام من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة وكان فيما يزعمون لا يعمل ولا يتمخط ولا يتصدع رأسه ولا تصيبه آفة ما يصيبه الناس قالوا فلما قصدته الحية صاح يا موسى أنشدك الله وحرمة الرضاع إلا ما أخذت وأمسكتها عني وأنا أو من بك وأرسل ملك بني إسرائيل فآخذها موسى فعادتها عصا كما كانت ، ثم إن موسى نزع يده من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذه يدك فما فيها فأدخلها موسى في جيبه ثم أخرجها وإله نور ساطع في السماء تكل عنه الأبصار قد أضاء ماحولها ودخل ضوؤها البيوت ورؤس من السكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر إليها ثم ردها موسى إلى جيبه ثم أخرجها فإذا هي على لونها الأول . قالوا فهم فرعون بتصديقه فقام إليه هامان وجلس بين يديه ، ثم إنه قال بينما أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد ، فقال فرعون لموسى مهلنى اليوم وغدا فأوحى الله لموسى أن قل لفرعون إنك إن آمنت بالله وحده عمرتك في ملكك ورددتك شاباً طرباً فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل إليه هامان وقال له والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوماً واحداً ونفخ في منخره ثم قال هامان أنا أردك شاباً فاتى بالوشم فخصبه فهو أول من خضب بالسود فلذلك كرهه ^{بالتلويح} ونهى عنه فلما دخل عليه موسى وراه على تلك الحالة هاله ذلك فأوحى الله تعالى إليه لا يهولك ما رأيت فإنه لن يلبث إلا قليلاً حتى يعود إلى حالته الأولى .

وفي بعض الروايات أن موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر في الطريق فأنيا على عجوز من أقرباء أمهم أركار فرعون وجه الطالب في أثرهما فلما دخل عليهما الليل ناما في دارها وجاء الطالب إلى الباب والعجوز منتبهة فلما أحسست بهما خافت عليهما فخرجت المصا من جانب الباب والعجوز تنظر إليهما فقامتا فقتلتا منهن سبعة أنيس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهما وأمنت

(الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة)

(وخرجهم يوم الزينة إلى الفضاء للمغالبة)

قالت العلماء بأخبار الأنبياء إن موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون
مرهما وما أنيابه من سلطان الله تعالى على السحر فقال للملأ حوله إن هذان
الساحران عليان فإذا تأمرون ؟ قالوا اقتلهم فقال العبد الصالح حزقييل مؤمن آل
فرعون (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) إلى قوله تعالى (سبيل الرشاد) وقال
فلاً من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث في المداين حاشرين يأتوك بكل ساحر
عليهم وكانت لفرعون مداين فيها سحرة معدة للأمر إذا حزبه .

فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئاً على عصاه ومعه أخوه هرون
حتى أنيا المجتمع وفرعون في مجلسه مع أشرف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم
(وبكم لا نفرؤا على الله كذباً فيسحركم بهذاب قد خاب من افترى) فتناجوا فيما بينهم
فقال بعضهم لبعض ما هذا يقول ساحر فذلك قوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم
وأسرؤا النجوى) فقالت السحرة لنا دينك اليوم بسحر لم تر مثله (وقالوا بعزة
فرعون إنا لنحن الغالبون) وكانوا قد جاءوا بالمصي والحبال يحملهاستون بعيراً
فلما أبوا إلا الإصرار على السحر قالوا لموسى (إنا أن تلقى وأما أن نسكون نحن
المالقين) قال لهم موسى بل اقروا انتم حباليكم وعصيتكم فاقروا فإذا هم حيات كامثال
الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً تسهي فذلك قوله تعالى (يخيل إليه من
سحرهم أنها تسهي) إلى قوله (خيفة موسى) فقال موسى إنها كانت لمصايا في أيديهم
ولقد عادت حيات وما عصاي هذه ؛ فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله إليه (لا تخف
إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا لأنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح
الساحر حيث أنى) ففرح موسى ثم إنهلقى عصاه من يده فإذا هي ثعبان مبين
كاعظم ما يكون من الثعابين اسود مدلهم يدب على أربع قوائم فصار غلاظ شداد
وهو أعظم وأطول من بختي عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة
برأسه وعقله وكامله لا يضرب بذنبه على شيء إلا حطمه وقصمه ويكسر بقوامه
الصخر الصلاب ويطحن كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسه فار ؛ وله

عينان تلتهمان ناراً ومنخراه ينفخان سموماً وعلى ممرفته شجر كأشكال الرياح وصارت
 السمعتان له فما سمعته إلّا عشر ذراعا وفيه أنياب وأضراس لها خيخ وكشيش
 وصريف وصرير فاستمرضت ما ألقت السجرة من حبالهم وعصيمهم وهى نخيل فى
 أعين الناس وعين فرعون وإنها تسعى لجماعت تلتقفها وتبلمها واحداً واحداً حتى لم
 ير فى الوادى لأقليل ولا كثيراً مما ألقوا وانهم قوم فرعون هاربين منقلبين
 فتزاحوا وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضاً حتى مات منهم يومئذ فى ذلك الزحام
 خمسة وعشرون ألفاً وانهم فرعون فيمن انهم منخوفاً مرعوباً ذاهباً عفاه ، وقد
 استطاع عليه بطنه من يومه ذلك أربع مائة مرة فصار يحصل لذلك أربعين مرة فى
 كل يوم وليلة على الدوام إلى أن هلك فلما انهم الناس وطائى السحرة ما عاينوا
 قال لبعضهم لو كان ساحراً ما علمنا ولا نخفى علينا أمره ولو كان سحراً فإين حبالنا
 وعصينا (فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون
 وكان فيهما اثنان وسبعون شيخاً قد انحمت ظمورهم من السكر وكانوا علماء ورؤساء
 وكان رؤوس السحرة خمسة نفر سابورا وغادر وحفظ وخطط ومصفاء وهم الذين آمنوا
 حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلدة
 (آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) إلى قوله تعالى (أشد
 عذاباً وأبقى قالوا نؤثرك على ما جاءنا من البينات) الآية فقطع ايديهم وأرجلهم
 من خلاف وصلبهم فى جذوع النخل وهو أول من فعل ذلك فأصبحوا سحراً
 كفر : وأمسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوباً مهزوماً مكسوراً ثم أبى إلا
 الإقامة على الكفر والتأدى فى الشر فتابع الله عليه الآية وأخذه وقومه بالسنين
 إلى أن أهلكهم ثم إن موسى عاد راجعاً إلى قومه والعصا على حبالها حية تتبعه
 وتبصص حوله وتلوذ به كما يلوذ السحاب الألوف بصاحبه والناس ينظرون إليها
 ويتمجبون منها وقد ماتوا رعباً فلم تزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون
 وينظرون إليها ويتصاعقون ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بني
 إسرائيل فأخذ برأسها فإذا هى عصا كما كانت أول مرة وشتت الله على فرعون
 أمره ولم يجد إلى موسى سبيلاً واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره
 وكانوا مجتهدين إلى أن صاروا ظافرين .

(الباب الحادى عشر فى قصة حزقيل مؤمن آل فرعون)
(وامراته ومقتله وأولاده رضى الله عنهم أجمعين)

قالت الرواة : كان حزقيل من أصحاب فرعون نجاراً وهو الذى صنع لآم موسى التابوت حين ولدته وألقته فى البحر . وقيل لأنه كان خازناً لفرعون وقد خزن له مائة سنة وكان مؤمناً مخلصاً يكتنم لإيمانه إلى أن ظهر موسى على السحرة فأظهر حزقيل أمره فأخذه يومئذ وقتل مع السحرة صليباً وهو الذى ذكره الله فى القرآن قوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) وقال رسول الله ﷺ سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلى مؤمن آل محمد ﷺ وهو أفضلهم . وأما امرأة لحزقيل فإنها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من إمام الله الصالحات لا إله إلا الله كانت مع بنات فرعون تخدمهن وكانت من قصتها ما أخبرنا به بالأسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال (لما أسرى نى مررت برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ما هذه الرائحة : قال هذه ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوق المشط من يديها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أنى ؟ قالت لا بل رنى ورب أبىك فقالت لها لا تخبرن بذلك أنى فلما أخبرته دما بها وبولدها وقال لها من ربك ؟ فقالت إن رنى وربك الله فأمر بتنوير من نحاس فاحمر وأمر بها وبولدها أن يلقوا فيه فقالت له إن لى إليك حاجة فقال وماهى قالت تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنها قال ولك ذلك لما لك علينا من الحق ثم أمر بأولادها فألقوا واحداً واحداً فى التنور حتى إذا كانت آخر أولادها ولداً صبيهاً رضيها فقال اصبرى يا أمه فإنك على الحق فالقيت فى التنور مع ولدها .

فستل ابن عباس فيمن تكلم فى المهد فقال : تسكلم فى المهد أربعة ، عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي .

(الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون)
(ومقتلها رحمها الله تعالى)

قال الله تعالى (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون) يقال إن امرأة فرعون آسية كانت تعال في قضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في مئذنها خوفاً من فرعون وكانت على تلك الحالة إلى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطاعة من كوة قصر فرعون تنظر إلى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة طابت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقيناً بالله وتصديقاً فبينما هي كذلك إذ دخل عايمها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجراك على الله تعالى فقال لها لعلك قد أعتراك الجنون الذي اشتهى صاحبك فقالت ما اشتهى جنون ولا مكفى آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها إن ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة ثم إنه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن بالله موسى نخلت بها أمها وسألته موافقة فرعون فيما أراد فأبت وقالت تريدن أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك بها فأمر بها فرعون فمدت بين أربعة أو ثمانية ما زالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى (وفرعون ذى الاوتاد) .

عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتداء بها يعذبها لتدخل في دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت إليه بأصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب المأ إلى أن ماتت في عذاب فرعون فقالت وهي في العذاب (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني) الآية فأوحى الله إليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة من در فضحكت فقال فرعون انظروا إلى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب .

(الباب الثالث عشر في بناء الصرح)

قال الله تعالى (وقال فرعون يا هامان ابن لي عندك صرحاً) الآية قالت العلماء
كان الله تعالى قد أملى لفرعون في كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة
والتنعم والرفع والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى استعبدواهم
فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتي من العمر الطويل والقوة والمنعة
والسعة والجود والشوكة والعدة والعدد .

قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربعمائة سنة لا يرى مكروهاً ولو كان في تلك
المدة فأدرك جوع يوم أوحى ليلة ما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر
جسيم فلم يمسسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه إلا بحبوب ومرغوب وكان له قصر من
قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله دابة من درابه يركبها فيصعد
بذلك القصر عليها ، وكان يركبها صاعداً ونازلاً مع أنعم الله تعالى عليه استدراجاً
منه فلما عاين من أمر موسى ما عاين لم يزد ذلك إلا عتواً واستكباراً وعلم من
قومه الرعب والخوف فخاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فاحتال لنفسه
وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه وبشيد أركانه فقال لوزيره (يا هامان ابن لي
صرحاً لعل أبلغ الأسباب السموات فاطلع إلى إله موسى ولأنى لاظنه كاذباً)
فأمر هامان ببناءه فجُمع له العمالة والفيلة ولم يترك أحداً يقدر عليه ممن يعمل البنيان
إلا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأنباغ والأجراء ممن يطبخ
الآجر والجبس ويتخذ الخشب والأبواب والمسامير فلم يزل يبني الصرح ويسر الله
تعالى له أمره استدراجاً منه وأناه الأمر على ما يريد إلى أن فرغ منه في سبع سنين
فارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض فشق
ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه أن دع و ما يريد فإني مستدرجه وأخذ به فتة
ولأنى يبطل كل ما عمله في شاعة واحدة وكان ذلك لمرج إذا طاعت الشمس ضرب
ظله نحو المغرب وإذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه إلا الله تعالى
فلما أنتم بنائه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فغرب بمناحه الصرح ضربة فقطعته

ثلاث قطع فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم أن حيله لم تغنى عنه شيئاً فعزم على قتال موسى وقومه فأمر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم إن عسكر فرعون قالوا لموسى إنك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتربيته ونسيت إحسانه إليك ومنته عليك حيث ألقاك أمك في اليم قبجاً بك وبغضاً لك لما علمت ما أنت صائر إليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق واستدركك من الموت فآواك وكفلك ورباك واتخذك ولداً ثم فررت منه آبقاً كافراً وجهته عدواً محارباً فلما رأينا بمهنتهم منك حتى نردك إلى عبادته وخدمته أو نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم أنه لا يغنى عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب وإبلاهم الله بالعذاب والآيات .

(الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى بها فرعون وقومه)
(حين دنا هلاكهم لإظهار آقدرته وإلزاماً لحجته) .

قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) قال المفسرون : هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفاق البحر فقال تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثرات) .
وقال قتادة : أما السنون فكانت يباديتهم ومواشيهم ، وأما نقص الثرات فكان في أمصارهم قال الله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) الآية .
واختلف المفسرون في ذلك الطوفان ما هو .

قال ابن عباس كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء . وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فأهلكها ، وقال الضحاك هو الفرق ، وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف ، وروى ذلك عن رسول الله ﷺ وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل النين أرسل الله الطاعون على أبكار آل فرعون فافتضهن في ليلة فلم يبق منهم باقية ، وقال أبو قلاية الطوفان الجدرى فهم أول من عذب به فبقى في الأرض (والجراد والقمل) .

واختلفوا في القمل ما هو فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة ، وروى عن علي بن أبي طلحة أنه الدبا وقال مجاهد والسوس وقتادة والمكبي وغيرهم الجراد الطيارة التي لها أجنحة والقمل الصغار التي لا أجنحة لها وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم وقال أبو عبيدة هو الخنثان وهو ضرب من القردان ؛ قال أبو العالية أرسل الله الخنثان على دوابهم فأكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يقدروا على المسير قال أمية بن أبي الصلت الثقي أرسل الذر والجراد عليهم وهذا بأ فاهلكتهم دبور

(باب في صفة تنزيل الآيات تفصيلاً وكيفيتها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحق وغيرهم من أصحاب الأخبار دخل حديث بعضهم في حديث بعض ؛ لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوباً مقهوراً انصرف موسى وهرون إلى عسكر بني إسرائيل فأمر فرعون قومه أن يكفوا بني إسرائيل مالا يطيقون فكان يقول من القبط يجرى إلى الرجل من بني إسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس عشي وعالف دواني واستق لي وتجرى القبطية إلى الكريمة من بني إسرائيل فتكفها مالا تطيق ولا يطعمونهم في كل ذلك خبزاً فإذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكتمسبوا لأنفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك إلى موسى فقال لهم (استمعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده والمعاينة للمعتقين) قالوا يا موسى (أؤذينا من قبل أن يأتينا ومن بعد ما جهننا) كنا نطعم إذا استعملونا من قبل أن تأتينا فلما جهننا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسى (عسى ربكم أن يهلك عدوكم) يعني فرعون والقبط (ويستخلفكم في الأرض) يعني الشام ومصر فينظر كيف تعملون فلما أرى فرعون وقومه إلا التماس على الكفر والإفامة على الشر والظلم ودعا موسى ربه فقال : يا رب عبدك فرعون قد طغى في الأرض وبغى وعثا وإن قومه نفقوا عبدك وأخلفوا وعبدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نعمة ولقومي عظة ولهم بهداهم من الأمم اعتباراً فتابع الله عليهم الآيات المفصلات وبعضها في أثر بعض فأخذهم

بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط وشعبك مختلطة بعضهم في بعض فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم من جاس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركد فلم يقدرُوا على أن يحرقُوا ولا يعملُوا شيئاً حتى جهدُوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل وعادوا إلى أشرف ما كانوا عليه فأزيت الله تعالى لهم في تلك السنة من المكأ والزرع والتمر ما لم يذبت قبل ذلك فأعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا ما كنا نتمنى وما كان هذا الماء إلا نعمة لنا وما يسرنا أنا لم نمتطر فأقاموا شهراً في عافية ثم بعث عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى إنها كانت تأكل الأبواب والشياب والآتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني إسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فهججوا وضجوا وقالوا (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لأن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك في بني إسرائيل) فأعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ويقال أن موسى برز إلى الفضاء فأشار إلى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن.

(فصل في بعض ما ورد من الأخبار الغريبة في الجراد)

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن جابر وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه كان يدعو على الجراد يقول : اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم واهلك صغارهم وافسد بيضه وخذ بأقوامهم عن معايشنا وارزقنا إنك أنت سميع الدعاء فقال له رجل من القوم كيف ذلك يا رسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابرهم ؟ فقال إنما الجراد نثر هوت من البحر .

وقال ابن علاثة : حدثني من رأى الحوت ينثره وبإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (في صدر الجراد مكتوب جند الله الأعظم) وبإسناده عن جابر بن عبد الله قال : عدم الجراد في سنة من تنفى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يخبر عنه بشيء فأنتم لذلك فأرسل راكباً إلى اليمن وراكباً إلى الشام وراكباً إلى العراق يسألون هل رأوا شيئاً من الجراد أم لا فأتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد فألقاه في يده فلما رآه كبر ثلاثاً ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك الجراد يتابع مثل النظام إذا قطع سلسلكه .

وبإسناده عن أبي أمامة الباهلي يحدث عن النبي ﷺ أنه قال « إن مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحماً لا دم له فأطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شياع » فقلت يا أبا المظفر ما الشياح ؟ قال الصوت .

وبإسناده عن عبد الله بن ضميرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى إبليس من الجنة قال لا تأخذن من عبادك نصيباً مفروضاً قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقى جنداً هو الجراد فقال إبليس وأنا جندي النساء هي شبكتي التي لا تخطيء أبداً .

أخبرنا الحسين بإسناده عن الأوزاعي يقول كان ببغداد رجل صالح يذكر أنه رأى رجلاً صالحاً راكباً على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها ويقول بيده هكذا فحيثما أشار استأق الجراد إلى ذلك الموضع فبلغنا أن ذلك الرجل ملك الجراد قال فأقام قوم فرعون شهراً في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك أن موسى أمر أن يمشي إلى كشيب أعقر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى إلى ذلك الكشيب وكان مهبطاً عظيماً فضربه بعصاه فانهاال عليهم القمل فنتبع ما بقى من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكلها ولحس الأرض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملًا حتى أن أحدهم لينى الاسطوانة بالجص ويزلفها حتى لا يرتقى فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فإذا صعد إليه ليأكله وجدده ملياً قملًا فما أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشعار

هيونهم وحواجبيهم ولزمت جلودهم كأنها الجدرى عليها ومنعتهم النوم والقرار ولم يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد بن جبير النمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة إلى الرحا فلا ترد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا إلى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر : أي أيها العالم إنا نتوب ولا ندع فادع لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا في أقطار الأرض وأطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا إلى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا أحق أن نستيقن أن موسى ساحر لنا إلا اليوم فيجعل الرمل دواب فعلى ماذا تؤمن وترسل معه بني إسرائيل فقد أهلك زرعنا وحرثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما فعل وعزة فرعون لا تصدق به أبداً ولا نذبحه فدعا عليهم موسى بعد ما أقاموا شهر في عافية وقيل أربعين يوماً أوحى الله تعالى إليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل فيخزن عصاه فيه ويشير بالعصا إلى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ففعل ذلك فتنابعث له الضفادع بالثقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضاً وأسمع أدناها أنصاتها ثم لأنها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعاً تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم بغتة وامتلات منهم أفنييتهم وآنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوباً ولا إناء ولا طعاماً ولا شرباً إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان أحدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعاً بعضها فوق بعض وتصير عليه ركماً حتى لا يستطيع أن ينصرف إلى شقه الأيمن ولا الأيسر وكان أحدهم يفتح فاه لا كاته فتسبقه الضفدعة إلى فيه وكانوا لا يعجزون شيئاً من العجيين إلا الشدخت فيه ولا يطبخون قدراً إلا امتلات منه وكانت تلب في زيراتهم فتطفتها وفي طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديداً روى عكرمة عن ابن عباس قال : كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تدور وفي التناير وهي مسحورة فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجروا إلى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقتها مأوذة جيفة

من كثرة ما يطأونها بأقدامهم وأروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا
 وشدوا إلى موسى وقالوا كشف عنا هذا البلاء فإننا نتوب هذه المرة ولا نعود
 فأخذ على هذا عمودهم وموائيقهم ثم أن موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع
 وذلك فيما يروى أن موسى أمر أن يهتف بعصاه ويميلها ففعل ذلك فانتشع ما كان
 منها حياً فلاحق بالنيل وأرسل الله على الميتة ريحاً ففتحها عن مدينتهم بعد ما أقامت
 عليهم سبعة أيام من النسبت إلى النسبت فأقاموا شهراً في عافية وقيل أربعين يوماً ثم
 نقضوا العهد وعادوا إلى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم
 الدم وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب إلى شاطئ البحر فيضربه بعصاه
 ففعل ذلك فسال عليهم النيل دماً وسارت مياههم كلها دماً وما يسقون من الأنهار
 والآبار إلا وجدوه دماً أحر عبيطاً فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا إنا قد ابتلينا
 بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم إنه قد سحر كم موسى فكان يجتمع الرجال
 على الإناء الواحد القبطى والإسرائيلى فيكون ما يلى الإسرائيلى ماء وما يلى القبطى
 دماً عبيطاً وكان القبطى والإسرائيلى يستقيان ماء واحد فيخرج ماء القبطى دماً
 وماء الإسرائيلى ماء عذبا وكان يقومون إلى الجرة التى فيها ماء فيخرج للإسرائيلى
 ماء وللقبطى دم حتى إن المرأة من آل فرعون أتت إلى المرأة من بنى إسرائيل حين
 يجهدن العطش فنقول اسقينى من مائك فتسكب لها من جرتها أو تصب لها من
 فربتها فتعود فى الإناء دماً قالوا والنيل على ذلك يسقى الزرع والأشجار فإذا ذهبوا
 ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دماً عبيطاً وإن فرعون اعتراه العطش فى تلك
 الأيام حتى إنه اضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها صارت ماء لها ملجأ
 أجاجاً ومرأز عاقاً فكشوا فى ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون إلا الدم .
 وقال زيد بن أسلم : كان الدم الذى سلط عليه الرعاف فلما ضجروا من ذلك
 قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك وترسل معك
 بنى إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك أن موسى أمر أن يضرب
 النيل بعصاه أخرى فيضربه فتحول ماء صافياً كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما
 عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) الآيات قال نوف البكالى

هن امرأة كعب الاحبار مكث موسى في آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب
السحرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع وقال أصحاب الأخبار
لما يئس موسى من إيمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون إلا الظفیان والكفر
والتمادى والكبر دعا عليهم وأمن فرعون عليهما السلام وهو (ربنا إنك آتيت
فرعون وملائه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس
على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) فأجاب الله
دعاهما كما قال تعالى (قد أجيبتم دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان) الآية قالوا وكان
لفرعون وأصحابه من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة والياواقيت
وأنواع الحلى والجواهر ما لا يحصيه إلا الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه
يوسف عليه السلام في زمانه أيام القحط فبقى ذلك في يد القبط فأوحى الله إلى
موسى عليه السلام إنى مورت بنى إسرائيل ما فى يد آل فرعون من العروض والحلى
وجاعله لهم جهازاً وأعياداً إلى الارض المقدسة ما جعل لذلك عيداً تمتكف عليه
أنت وقومك تشكرونى وتذكرونى وتعظمونى ذلك اليوم وتعيدونى فيه لما أريكم
من الظفر تجاه الاولياء وهلاك الاعداء واستعيروا لعيدكم من آل فرعون الحلى
وأنواع الزينة فإنهم لا يمنعون عنكم بسبب الحال بهم فى ذلك الوقت لما قذف فى
قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فأمر فرعون بزينة أهله
وولده وما كان فى خزائنه من أنواع الحلى فغيرت لبنى إسرائيل لما أراد الله بذلك
أن ينفى على موسى وقومه أفضل أموال أعدائهم بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا رجل
لطفاً منه بهم وإفضالا عليهم لما دعا موسى عليهم مسخ الله الأموال التى بقيت فى
أيديهم حجارة كلها حتى المئخل والدقيق .

قال محمد بن كعب القرظى : سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى أراها
الله فرعون وقومه فقلت : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد
والبيضة والطمس وخلق البحر فقال عمر لا يكون الفقه إلا هكذا ثم إنه دعا بخريطة
ففيها أشياء مما كان أصاب لعبد العزيز بن مروان إذ كان فيها بقايا أموال فرعون فأخرج
البيضة مشقوقة نصفين وإنما الحجر والجوزة مشقوقة وإنما الحجر والحصى والعدسة

وروى محمد بن إسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال : قد رأيت نخلة
مصرية وإنما الحجر وقال رأيت إنساناً وما شككت أنه إنسان وإنما الحجر وكان
ذلك المسخ في أرقاتهم دون أحرارهم إذ العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال إلا مسخه
الله تعالى ما خلا الذي بأيدي بني إسرائيل من الخلي والجواهر وأنواع الزينة .

وقال ابن عباس : أول الآيات العصا وآخرها الطمس ؛ قالوا وبلغنا أن الدنانير
والدراهم صارت حجارة منقوشة كهيئة ثمنها صاحباً وأنصافاً وأثلاثاً وجعل سكرهم حجارة

(الباب الخامس عشر في قصة إسراء موسى عليه السلام ببني إسرائيل)
(وخبر فلق البحر لهم)

(قالوا) لما سار موسى ببني إسرائيل من مصر وأرادوا أن يسيروا ضرب
الله عليهم النية فلم يدروا أين يذهبوا فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني إسرائيل
فسألهم عن ذلك فقالوا له إن يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ على إخوته عهداً
أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه في الأرض المقدسة فلذلك نالنا
هذا الأمر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من
يعلم موضع قبر يوسف ألا أخبرني ومن لا يعلم صمت أذناه عن قول فكان يمر بين
الرجلين ينادي فلا يسمعان قوله حتى سمعت عجوز منهم فقالت له رأيتك إن دلته
عليه أتعطيني ما سألتك ؟ فإني عليها وقال استأذن ربي فأمره ربه أن يعطيها منها
فأعطاهما ذلك فقالت له : إنني أريد أن لاتنزل غرفة من الجنة إلا نزلتها معك قال نعم
قالت فإني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشي فأحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له
إنه في جوف هذا الماء فادع الله أن يحسر عنه هذا الماء فدعا الله تعالى فحسره عنه
فقالت له احفر ههنا ففعل فاستخرجوه وهو في صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه
في الأرض المقدسة .

قال عروة بن الزبير : وقد كان الله تعالى أمر موسى أن يسير ببني إسرائيل
إذ طاع الفجر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل ففمن ثم
تحمل اليهود موتاهم من كل بلد إلى الأرض المقدسة من فعل نبيهم ذلك .

(م ١٤ — قصص الأنبياء)

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن ابن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن النبي ﷺ قال : نزل النبي ﷺ بأعرابي فأكرمه فقال له عليه السلام : يهاهدنا فاتاه الأعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك ؟ قال له الأعرابي ناقة يا رسول الله برحمتها وأعنز بحلبها أهلي فقال له رسول الله ﷺ ثانية ما حاجتك فقال ما لي حاجة غيرها ، فقال عليه السلام إن عجز بني إسرائيل كانت أحسن مسألة من هذا وذكر الحديث الذي في قصة يوسف .

قال فلما انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح وعادت ترمي بموج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كريم الله أين أمرت فقد غشيننا فرعون والبحر أمامنا فقال موسى همنا نخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء .

وقال الذي يكتم إيمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كريم الله أين أمرت قال همنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فاراسب في الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدرُوا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله إليه (أن اضرب بعصاك البحر) وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فاوحى الله تعالى إليه أن كنهه فضربه ثانياً وقال . انفلق يا أبا خالد بإذن الله تعالى (فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) فلما انفلق البحر فإذا بالرجل الذي أقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبدته وظهر في البحر اثنا عشر طريقاً لاثنى عشر سبطاً لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يابساً كما قال الله تعالى (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى) .

قال سعيد بن جبير . أرسل معاوية إلى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة فأرسل إليه إنه المكان الذي انفلق عنه البحر ابنى إسرائيل أخبرنا الحسن بن محمد بإسناده عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال . يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء اجعل لنا فرجاً ومخرجاً فاوحى الله تعالى إليه (أن اضرب بعصاك البحر) فضرب بعصاه البحر (فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) .

وروى الأعمش عن شفيق عن عبد الله قال . قال رسول الله ﷺ : ألا أعلمكم
الكلمات التي تكلم بها موسى حين جاز البحر ببني إسرائيل ؟ فقلنا بلى يا رسول الله
قال قولوا . اللهم لك الحمد وإليك المنة وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال عبد الله . فما تركتم من سمعتم من رسول الله ﷺ
قالوا نخاض بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعلى جانبيه الماء كما لجبل
العظيم لا يرى بعضهم بعضاً فخافوا وقالوا كل سبط قد قتل إخواننا فأوحى الله
إلى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء شبكات كهيئات الطبقات فنظر بعضهم بعضاً
فأخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم بعضاً حتى عبروا
البحر سالمين فذلك قوله تعالى (ولما فرقنا بكم البحر) أي فلقنا وميزنا لكم الماء
يميناً وشمالاً (فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وذلك أنه لما خرجت
ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون إليه فأراد موسى أن
يدعو البحر ليرجع إلى حالته الأولى فأوحى الله إليه أن (اترك البحر رهواً) أي
سائماً على حاله . لأنهم جند مفرقون ، فلما وصل جند فرعون إلى البحر رأوه
مفلقاً . فقال فرعون . انظروا إلى البحر كيف انقلب لهيبتى حتى أدرك أعدائى
وعبيدى الذين أبقوا منى فاقتلهم فادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن
في خيل فرعون أنثى وإنما كانت ذكوراً كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس
له أنثى وهى مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم ونخاض البحر فظن أصحاب
فرعون أن الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر أثرها حتى خاضوا
كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحشهم ويقول لهم الحقوا بأصحابكم
فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له إني قد أتيت
إلى هذا الموضع مراراً وما لى عهد بهذا الطريق وإني أخاف ولا آمن أن يكون
مكرراً من الرجل ويكون فيه هلاكنا وأهلك أصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب
معاجلاً على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاءه جبريل على رمحه بيضاء
فصهلت فحمهم إليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون

فألقاه البحر فلما توافوا في البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم ففرقهم أجمعين وذلك بمراى من بنى إسرائيل فذلك قوله تعالى (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) يعنى إلى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدرك فرعون الغرق (قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) فقال له جبريل (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) ثم إن جبريل أراه فتياه وتوقيعه الذى فيه ، وقال إنما هذا فتياك الذى أفتيت به ، ثم جعل يدس فى فيه من حما البحر مخافة أن يعيد تلك الشهادة .

وفى الحديث أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ ، ما أبغضت أحدا من الخلق ما أبغضت رجلين ، أما أحدهما فن الجن وهو إبليس عليه لعنة الله - حين أنى أن يسجد لآدم ، والآخر من الإنس ، وهو فرعون حين قال (أنا ربكم الأعلى) ولو رأيتنى يا محمد وأنا آخذ من حما البحر وأدسه فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله تعالى بها .

أخبرنى الحسن بن محمد بإسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودى إلى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا ؟ فقال بلى قد كان صبر وخير ولست بكنكم ما جفت أقدامكم من حما البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بنى إسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا إلى مدائن فرعون وهى يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عليهم ورؤسائهم وقادتهم ومقاتلتهم ، فلم يبق منهم إلا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فأمر على الجنديين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون) إلى قوله تعالى (فاكهين كذلك أورتناهم قوما آخرين) إلى آخر القصة ثم أن يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعمد إلى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين .

(الباب السادس عشر في ذهاب موسى إلى الجبل لميقات ربه)
(وصفة لإيتاء الله تعالى الألواح وإنزاله التوراة وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) وقال في موضع آخر (وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة)

قال العلماء بقصص الأنبياء وسير الماضين إن موسى كان واعد بنى إسرائيل وهو بمصر إذا خرجوا منها وهلك عدوهم أن ياتيهم بكتاب فيه ما ياتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بنى إسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليها قالوا يا موسى اثبتنا بالكتاب الذي وعدتنا به فقال موسى ربه ذلك فامر الله أن يصوم ثلاثين يوماً ثم يتطهر ويظهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوماً فلما صعد الجبل أنكر خلوف فيه فتسوك بعود خروب

وقال أبو العالقية - أخذ من لحاء الشجر فمسه فقالت له الملائكة إنا كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك ، فأوحى الله تعالى إليه أن صم عشرة أيام آخر ، وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من رائحة المسك ؛ وكانت فتنتهم في العشرة الأيام التي زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ذى القعدة (وأتممناها بعشر) من ذى الحجة قال وهب - كان بين الله وبين موسى سبعون حجاباً فرفعها الله كلها لإحجاباً واحداً فنجلي موسى لكلام الله تعالى واشتاق إلى رؤيته وطمع فيها فقال (رب أرني أنظر إليك)

واختلف العلماء في معرفة النجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضجك أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الشور وقال عبيد الله بن سلام وكعب الأحبار ، ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل إلا كسم الخياط حتى صار دكاً دكاً

وقال السدي ما تجلي إلا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبي ﷺ أنه قرأ هذه الآية فقال (هكذا ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل يعني غار

وقال الحسن أوحى الله تعالى إلى الجبل وقال هل تطيق رؤيتي فغار الجبل وتساخ في الأرض وموسى ينظر إليه حتى ذهب أجمع .
وقال السدي ما تجلي للجبل إلا قدر جناح بهوضة فصار الجبل دكاً
وقال ابن عباس نراباً وقال سفيان ساح حتى وقع في البحر
قال عطية العوفي صار رملاً هائلاً

وقال الكلبي جله دكاً أي مكسراً جبلاً صفاراً وبالإسناد عن أنس بن مالك .
قال قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً) .

(قال) فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الألواح فيحملها موسى فلم يطيق حملها فقال يا رب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقاً يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا له الألواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع ، وقال يا رب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها .
وضرب الله مثلاً في القرآن فقال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطيق حملها ، قال فلما وضعوها على الجبل بين يدي موسى وذلك عند صلاة العصر فقبض موسى على الألواح فلم يطيق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله (يا موسى إني اصطفيتك) الآية .
وقوله تعالى (وكتبنا له في الألواح) الآية .

(فصل في نسخة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه)
(في الألواح وهي معظم التوراة وعليه مدار كل شريعة)

وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار
أعبدوه ورسوله موسى بن عمران أن سبحنى وقدسنى لا إله إلا أنا فاعبدنى
ولا تشرك بى شيئاً واشكر لى ولوالديك إلى المصير أحبك حياة طيبة ولا تقتل
النفس التى حرم الله عليك فاضيق عليك السماء بأقطارها والأرض برحبها ولا تخاف بإسمى
كاذباً فإنى لا أظهر ولا أزكى من لا يعظم إسمى ولا تشهد بما لا يعى سمعك
ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فإنى لا أوقف أهل الشهادات على شهادتهم
يوم القيامة وأسالهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فإن
الحاسد عدو نعمتى ساء خط لقسمتى ولا تزن ولا تسرق فأحجب عنك وجهى
وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تذبح لغيرى فإنه لا يصعد إلى من
قربان أهل الأرض إلا ما ذكر عليه إسمى ولا تفجرن بحليلة جارك فإنه أكبر
مقتاً عندى وأحبب للناس ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لنفسك فهذه
نسخة العشر الكلمات وقد أعطاهما الله جميعاً لمحمد ﷺ فى ثمان عشر آية وهي قوله
تعالى فى سورة بنى إسرائيل (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) إلى قوله
(ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة) ثم جمعها فى ثلاث آيات من سور
الأنعام وهي

قوله تعالى (أتأل ما حرم ربكم عليكم) إلى قوله تعالى (ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون)

أخبرنا أبو عمر محمد اليرباني بإسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ
(لما أعطى موسى الألواح نظر فيها فقال يا رب لقد أكرمتنى بكرامة لم تسكرم
بها أحداً من العالمين قبلى) قال (يا موسى إني اصطفتك على الناس برسالاتى
وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين)

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن نصير المكي قال أخبرنا أبو الهيثم
محمد بن إسحاق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن
المعافري عن أبيه أن كعب الأحبار رأى حبراً من اليهود يبكي فقال ذكرت بعض
الأمم فقال كعب الأحبار أنشدك الله لأن أخبرتك بما أبكاك فتصدقني قال نعم
قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام أن
موسى نظر في التوراة فقال - إني أجد أمة هم خير الأمم أخرجت للناس يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وتؤمنون بالكتاب الأول والآخر ويقاؤون أهل
الضلالة حتى يقاؤوا الأعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قال هم أمة محمد
يا موسى قال له الحبر نعم .

قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر
في التوراة فقال إني أجد أمة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون إذا أرادوا
أمراً قالوا نفعله إن شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتي فقال هم أمة محمد
يا موسى قال الحبر نعم .

قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة
فقال يا رب إني أجد أمة يا كلون كماراتهم وصدقاتهم وكان الأولون يحرقون
صدقاتهم بالنار غير أن موسى كان يجمع صدقات بني إسرائيل فلا يجد عبداً مملوكاً ولا
أمة إلا اشترأ من تلك الصدقة وما فضل يحنر له حنرة عميقة القعر وألقاه فيها ثم
دفنه كي لا يرجعوا فيه وهم المسبحون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون
والمشنعون قال موسى يا رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم .

قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة
فقال إني أجد أمة إذا اشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى وإذا هبط إلى واد
حمد الله تعالى ، الصعيد لهم طور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من

الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غراً محجلين من آثار
لوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم .

قال كعب أشدك الله تجد في التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب لاني
أجد أمة إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وإذا عملها كتبت له
عشر إلى سبعمئة ضعف ، وإذا هم أحدهم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وإذا
عملها كتبت عليه سيئة مثلاً فاجعلهم يارب أمتي ، قال هم أمة محمد يا موسى قال
الخبر نعم .

قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة
فقال يارب لاني أجد أمة مرحومة أصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم إلا مرحوماً فاجعلهم
أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى .

قال فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله لأمة محمد ﷺ وعليهم أجمعين
قال موسى يا ليتني من أصحاب محمد - فأوحى الله تعالى لإليه بثلاث آيات يرصيه
بهن فقال تعالى (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ
ما آتيتك وكن من الشاكرين) إلى قوله تعالى (دار الفاسقين) وقوله تعالى
(ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال فرضى موسى كل الرضا ،

وقال ابن عباس : لما صار موسى إلى طور سيناء إلى الميقات - قال له ربه
ما تبتغي ؟ قال جئت أبتغي الهدى قال وجده يا موسى قال موسى يارب أي
عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني ، قال فأى عبادك أقضى قال
الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس
إلى علمه فيسمع الكلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى .

وقال عبد الله بن مسعود لما قرب الله تعالى موسى إلى طور سيناء رأى عبد
 في ظل العرش جالساً قال يارب من هذا ؟ قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم
 الله من فضله بر بوالديه ولا يمشى بالنميمة قال موسى يارب اغفر لي ما جرى من
 ذنبي وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به مني أعوذ بك من وسوسة نفسي
 وأعوذ بك من سوء عملي قال كيفيت ذلك يا موسى قال موسى يارب فأى الأعمال
 أحب إليك أن أعمل به قال تذكرني ولا تفساني قال أى عبادك خير عملاً قال من
 لم يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزن في مؤمن في خلق حسن قال أى عبادك
 شر عملاً قال فاجر في خلق سيء جيفة بالليل بطل بالنهار قال فلما رجع موسى
 إلى قومه وقد آتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الأفعال
 والأغلال التي كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبالاً
 على قدر عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ قرفعه فوق رؤوسهم مثل الظلمة مقدار
 قامة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبالاً من جبال فلسطين
 فأنقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلمة فذلك قوله تعالى (وإذا أخذنا
 ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور) وقوله تعالى (وإذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة)

وقال عطاء عن ابن عباس - رفع الله تعالى فوق رؤوسهم الطور وبعث ناراً
 من قبل وجوههم وآتاهم البحر ملحاً من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة
 واسمعوا فإن قبليتموه وفعلتم ما أمرتكم به وإلا رخصناكم بهذا الجبل وأغرقكم في
 بهذا البحر وأحرقكم بهذه النار - فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك
 وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود
 لا يسجدون إلا على انصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا
 ولولا الجبل ما أطعناك .

واخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى قال حدثنا محمد بن
 بشير شعبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله القزوينى قال حدثنا محمد بن

مرزوق النضري قال حدثنا هاني بن يحيى السامى قال حدثنا الحسين بن أبو سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك ديبب النلة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشر فراسخ .

وأخبرنا أبو عبد الله الثقفى قال حدثنا عبد الله بن سبيعة قال حدثنا أبو حامد المستعلى قال حدثنا إسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه أن موسى كان إذا غضب اشتعلت قلوبسوته ناراً لشدة .

(باب ذكر قصة بنى إسرائيل وهرون مع السامرى حين اتخذ لهم المعجل لها)

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى إني ذاهب إلى الجبل لميثقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما نأتون وما تذكرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستحلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال لها فرس الحياة وهي بقاء أنى لا تضيب شيئاً إلا حي فلم يـأـر آه السامرى على تلك الفرس عرفه وقال أن هذه الفرس لشأناً عظيماً وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدى .

قال الكلبي إنما اتخذ السامرى من تراب حافر فرس جبريل المعجل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بقاء خطوتها مد البصر عليهم تركب الأنبياء كلهم وخاض البحر وسمت خيول قوم فرعون ريحها خاضت في أثرها قالوا وإنما عرف السامرى جبريل دون بنى إسرائيل لأن فرعون حين أمر بذبح أولاد بنى إسرائيل جعلت المرأة إذا ولدت الغلام انطلقت به سرّاً في جوف الليل إلى صحراء أو واد أو غار في جبل فأخفته فيقيض الله ملكاً من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يخلط بالناس وكان الذى رب السامرى جبريل عليه السلام فجعل بمصر .

من أحد إيهاميه سمناً ومن الآخر عسلاً فمن ثم عرفه ، ومن ذلك الوقت إذا جاع الطفل يمص إيهامه فيروى من المص لأنه جعل فيه رزق .

وقال الحسن البصري لاسم عجل بنى إسرائيل الذي عبدوه بهموت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامري ففتنوا به غير لاثني عشر ألفاً وكان مع هرون ستمائة ألف ، فمكفوا عليه يعبدونه من دون الله وأحبوه حباً ما أحبوا شيئاً مثله قط ، فقال لهم هرون يا بنى إسرائيل (إنما فتنكم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكمين حتى يرجع إلينا موسى) فأقام هرون نعيم من المسلمين وأقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون إن سار بمن معه من المسلمين إلى المغتوين الضالين أن يقول له موسى فرقت بين بنى إسرائيل وكان له هائباً مطيعاً وقال فتادة في هذه القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم .

أخبرني الحسن بإسناده عن راشد بن سعيد قال ، لما واعد الله موسى أربعين يوماً قال الله تعالى يا موسى إن قومك قد افتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم ، قال إنهم اتخذوا العجل إلهاً من دوني وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب من نفخ فيه الروح قال أنا ، قال أنت وعزتك فتنهم (إن هي إلا فتنك) الآية

عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ (ليس المعاني كالخبر قال الله تعالى لموسى إن القوم قد فتنوا فلم يلق الألواح فلما عاين ألقى الألواح فأكسرها .

عن تميم الداري قال - قلت يا رسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت تريبة من ساحل البحر ، فقال عليه الصلاة والسلام (تلك أنطاكية) أما إن في غار من غيراتها رضا من الألواح موسى وما من سخابة شرقية ولا غربية تمر بها إلا ألقت عليها من بركانها وإن تذهب الأيام والليالي حتى يسكنها رجل من أهل بيتي يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً) قالوا فلما رأى موسى ما صنع

قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه وطميته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم في اثني عشر ألفاً (لم يعبدوا العجل) فقال هرون (ما منعك إذ رأيتهم ضلوا إن لا تتبعن أفهصيت أمرى) هلا قاتلهم إذ علمت إنى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون (يا ابن أم) الآية قال المفسرون كان هرون أخا موسى لأبيه وأمه ولكن أراد بقوله يا ابن أم ترفيقه واستعطافاً عليه (لا تأخذ بالحيث ولا برأسى) أى بذوائبى (إنى خشيت) إن قاتلهم أن يصيروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً فنقول (فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى) أى ولم تحفظ وصيتى حين قلت لك (اخلفنى فى قومى واصلاح ولا تتبع سبيل المفسدين) ثم أن موسى أقبل على السامرى وقال (ما خطبك يا سامرى) أى ما أمرك وما شأنك ؟ فقال السامرى (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول) يعنى أخذت تراباً من أثر فرس جبريل (فنبذتها) وطرحتها فى العجل (وكذلك سولت لى نفسى) أى زينت لى .

قالوا فما علم بنو إسرائيل لإنهم قد أخطئوا وضلوا فى عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال الله تعالى (ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا وينقر لنا لنكونن من الخاسرين) فقال لهم موسى (يا قوم إنكم ظالمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) قالوا له فأى شئ نصنع وما الحيلة ؟ قال (توبوا إلى الله بارئكم) أى ارجعوا إلى خالقكم قال فكيف نتوب قال (فاقتلوا أنفسكم) أى ليقتل البرىء المجرم (ذلکم) يعنى القتل (خير لكم عند بارئكم) قال ابن عباس أى الله أن يقبل توبة بنى إسرائيل إلا بالحل الذى كرهوا أن يقاتلوه حين عبدوا العجل .

وقال قتادة : جعل الله توبة عبدة العجل القتل لأنهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا لأمره وقالوا نصبر لأمر الله ، فجالسوا فى الألفية محبين وأظلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان الرجل يرى أخاه وإبنته وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه إلا إرضاء الله فقالوا يا موسى

كيف اصنع ؟ فأرسل الله ضيابة وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضاً ، وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاء يده أو رجل فهو ملعون مردودة توبته فيكانوا يقتلونهم فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً دعا موسى وهرون وبهما جزعاً وتضرعاً وقال يارب هلكك بنو إسرائيل البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا القتل فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه : أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة ؟ فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقي منهم مكفراً فذلك قوله تعالى (فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) .

وروى أنه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا إثنتين وسبعين رجلاً فقال إنما أمرت بسبعين رجلاً فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى إن لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فامر موسى السبعين أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم إلى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى (واختار موسى سبعين رجلاً لميقاتنا) الآية ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه فلما دنا موسى إلى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى إذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه فضرب دون الحجاب ودون القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجداً وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني ولا تعبدوا غيري ، فلما فرغ موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل إليهم فقالوا إن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعاً .

قال وهب بل أرسل الله عليهم جنوداً من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا يوماً وليلة فذلك قوله تعالى (وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن حتى نرى الله جهرة فأخذتكم

الصاعقة وأنتم تنظرون) فلما ماتوا قال موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا مما فعل السفهاء منا) يا رب كيف أرجع إلى بني إسرائيل ، وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد ربه حتى أحياهم الله جميعاً رجلاً بعد رجل ينظر بعضهم بعضاً كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم من بعد موتكم) الآية .

(باب في قصة قارون حين عصا ربه واستكبر وأورثه ماله الطغيان)
(والبطر حتى أهلكه الله تعالى)

قال الله تعالى (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) الآية قالت العلماء بأخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لأنه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي ابن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء :

وقال ابن إسحق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماريث بن برشيا بن يقشان ابن إبراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنسبهم عمران بنحيت بنت شمويل بن برشيا بن يقشان فولدت هارون وموسى ابن عمران فموسى على قول ابن إسحق بن أخى قارون وقارون عمه لأبيه وأمه على قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ ، وكان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجلهم .

قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني إسرائيل أقراً للتوراة منه وإن كان عدو الله نفاق كما نفاق السامري فبغى على قومه كما قال الله تعالى (فبغى عليهم) واختلغوا في معنى هذا البغى .

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني إسرائيل حين كانوا بمصر .

وأخبرني الحسن بإسناده عن المسيب بن شريك أن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم . وقال عطاء الخرساني وشهر بن حوشب زاد عليهم في الشياب شهراً .

وروى شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم كما قال تعالى (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء) الآية .

(وفي الخبر) إن الله تعالى علم موسى الكيمياء ، فعلم موسى أخته فاعلمته قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى (إنما أوتيته على علم عندي) أو بالتصرف في التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب وقيل في سبب جمعه تلك الأموال ما أخبرنا الثقفى بإسناده عن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني كان يقول تبهى إبليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة يتعبد حق إذا غلب جميع بني إسرائيل في العبادة بعث إليه إبليس شياطينه فلم يقدروا عليه فنقدم هو له وجعل يتعبد مع قارون وجعل إبليس يقهره بالعبادة ويفوقه فخضع له قارون وقال له إبليس يا قارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه ولا يشهد ابني إسرائيل جماعة ولا تعود لهم مريضاً ولا تشهد جنازة قال فاحذره من الجبل إلى البهية فكانوا يؤتون بالطعام فقال له إبليس يا قارون قد رضينا أن نكون هكذا كلا على بني إسرائيل فقال له قارون فأى رأى عندك قال نسكتسب يوماً في الجمعة ونتعبد ببقية الجمعة قال فتكسبنا في يوم الجمعة وتعبداً ببقية الجمعة فقال له إبليس يا قارون قد رضينا أن نكون هكذا قال قارون فأى رأى عندك قال نسكتسب يوماً ونتعبد يوماً فنتصدق ونعطى ، قال فلما كسبنا يوماً وتعبدنا يوماً جاس إبليس وتركه ففتحت على قارون أبواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فتحويه بإسناده عن المسيب بن شريك قال ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربعمائة ألف في أربعين خزانة فصار في الثروة وكثرة الأمثال حيث يضرب به الأمثال أنشدني أبو العباس سهل بن محمد المروزي عن بعضهم :

وعدتني وعسـدك حتى إذا أطعمتني من كنز قارون
جئت من الليل بغسالة تغسل ما قلت بصابون

فبغى قارون وطفى وتجر حين استغنى وأثرى حتى هلك فصار عبرة للعابرين
وعظة للباقيين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة
الأموال فكان يخرج في زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى (يخرج على قومه في
زينته) الآية .

قال مجاهد نخرج على براذين بيض عليها سروج الأرجوان وعليها المعصفرات
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نخرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات .

قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات في الأرض فيما كان أنى يذكر لى
عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليهم الأرجوان
ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهم
الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب فتعنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذى أوتيه
فقالوا (ياليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم) فأنكر عليهم أهل
العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فإن
(ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون) عن لذات الدنيا
وشمواتها قال الله تعالى (وما يلقاها إلا الذين صبروا) أى لا يوفق لهذه الكلمة
إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا .

قال فلما قطع موسى ببني إسرائيل البحر جعلت الحبارة وهى رياسة المذبحة
وبيت القربان لهرون فكانت بنو إسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه إلى هرون
فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون فى نفسه من ذلك فأقنى
موسى وقال يا موسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست أنا فى شيء
من ذلك وأنا أقرأ التوراة منكما ولا صبرى على هذا . فقال موسى والله ما جمعتها
أنا فى هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك فى ذلك حتى تربى
(م ١٥ — قصص الأنبياء)

نه . قال فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل وقال ، هاتوا عصيكم فن أصبحت
عصاه خضراء فهو الحق بالخبرة فجمعوا العصي وجاءوا بها وكتب كل واحد اسمه
على عصاه فخر بها موسى وألقاها في القبة التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون
عصيتهم حتى أصبحت عصاه هرون قد اهتزت ولها ورق أخضر وكانت
من شجر اللوز فقال موسى : يا قارون ترى هذا من فعلي فقال قارون . والله
ما هذا بأعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضباً واعتزل موسى باتباعه
وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم
لا عتواً وتجبراً .

(قال) جمع قارون بني إسرائيل وقال لهم يا قوم إن موسى قد أمركم بكل
شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا
فمرنا بما شئت فقال أمركم أن تجهشوا بفلاة البقي فنجعل لها جولا على أن نقذف
موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو إسرائيل فرفضوه فاسترحنا منه
فأتوا بها لجعل لها قارون ألف درعم وقيل ألف دينار وقيل طستاً من ذهب على
أن نقذف موسى بنفسك غدا إذا حضر بنو إسرائيل .

فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال إن بني إسرائيل
اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنههم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام
شرعهم فخرج إليهم موسى وهم في راح من الأرض فقام فيهم خطيباً ووعظهم وقال
يها قال . يا بني إسرائيل من سرق فطعننا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن
زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وإن كان له امرأة رجلاه حتى يموت .

فقال له قارون وإن كنت أنت ؟ قال وإن كنت أنا قال إن بني إسرائيل
يزعمون أنك فجرت بفلاة قال أنا ؟ قال نعم . قال أدعوها فإن قالت فهو كما قالت
فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلاة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء . وعظم
عليها وألها بالذي فلق البحر لموسى وبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى
إلا صدقت .

فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها لأن أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله فقالت . لا بل كذبوا ولا تكن جمل لي قارون جملاً على أن أفذلك بتفسي فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يد قارون ونمكس رأسه وسكت الملاً وعرف أنه قد وقع في مهلكة فخر موسى ساجداً لله يبكي ويقول يا رب إن عدوك هذا قد آذاني وأراد فضيحتي وسبني اللهم إن كنت رسولك فأنضب لي وسلطني عليه ، فأوحى الله تعالى إليه أن ارفع رأسك وأمر الأرض بما شئت تطعمك فقال موسى : يا بني إسرائيل إن الله تعالى قد بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون ؛ فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه إلا رجلاً ثم قال موسى يا أرض خذهم فأخذتهم إلى كهابهم ثم قال يا أرض خذهم إلى ركيبهم ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى جنوبهم ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى أحقابهم ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى أعناقهم وقارون وصاحبه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روى في بعض الأخبار أنه ناشده سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذهم فانطابت الأرض عليهم وأوحى الله إلى موسى يا موسى ما أظفرك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغشهم ولم ترحمهم أما وعزتي وجلالي لو لم يأت دعوا لوجدوني قريباً مجيباً .

قال قتادة ذكر لنا أن الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قائمة وأنه يجملجمل بهم فيها لا يبلغون قعرها إلى يوم القيامة .

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتي عليه قال أحمد بن محمد بن الحسين أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قال أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن ممام ابن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ : بينما رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفه وقد أعجبته نفسه إذ خسف

الله به الأرض فهو يتجمل فيها إلى يوم القيامة ، قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الأرض أصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم إن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الأرض وأوحى الله تعالى إليه إنى لا أعيد الأرض لأحد بعدك أبداً فذلك قوله تعالى (فنخسفنا بداره الأرض فما كان له من فئة ينصروه من دون الله وما كان من المنتصرين) فلما حلت نعمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى (إذ قال لقومه لا تنفرح إن الله لا يحب الفرحين) أى لا تبطر ولا تأسر (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالأمس وماله وحاله كما قال الله (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة ، وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض) الآيات .

(باب فى قصة موسى حين لقى الخضر وما جرى بينهما من المعجائب)
(إلى أن بلغ من أمرهما ما بلغ)

قال الله تعالى (وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا) قال الاستاذ الإمام : اختلف العلماء فى السبب الذى قصد موسى لأجله الخضر فروى الحسن بن عمار عن الحكم بن عتيبة عن سعد بن جبیر قال : جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس إن نوحا ابن امرأ كعب يزعم عن كعب أن موسى عليه السلام الذى طلب العالم إنما هو موسى بن ميثم ، قال ابن عباس كذب نوح حدثني أنى بن كعب عن رسول الله ﷺ أن موسى نبى إسرائيل سأل ربه ، فقال يارب إن كان فى عبادك أحد

هو أعلم مني فداني عليه ، فقال الله عز وجل نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم ذهبت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له في لقائه .

وروى هرون بن عنتره عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال يارب أي عبادك أحب إليك ؟ فقال الذي يذكرني ولا ينساني ، قال فأى عبادك أقضى ؟ قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال يارب أي عبادك أعلم ؟ قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى ، قال فهل في الأرض أحد أعلم مني ؟ قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال فأين أطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة التي يفلت عندها الحوت وجعل الحوت علماً له ودليلاً ، وقال إذا حيي هذا الحوت فإن صاحبك هناك ، وكان قد تزود سمكاً ملجأ .

وروى عطية العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم في الأرض ؛ قال وكلم الله نبيكم تسليماً واصطفاه لنفسه ولحق عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه ، فنبهكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرءون التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرفهم إياها ؛ فقال له رجل منهم من بنى إسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟ قال لا قال فمتب الله عليه حيث لم يرد العلم إليه فبهت إليه جبريل عليه السلام ، فقال له يا موسى ما يدريك أين أضاع علمي بل إن لي عبداً بمجمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه أن يريه إياه فأوحى الله إليه أن ائت البحر فإنك تجد على شاطئ البحر حوتاً فخذوه وادفعوه إلى فتاك ثم ألزم شاطئ البحر فإذا نسيت للحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح .

قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما
 حوت مالح فذلك قوله تعالى (وإذا قال موسى) يعنى ابن عمران (لفتاه) أى
 لصاحبه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام (لا ابرح) أى لا أزاله
 أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) يعنى ببحر فارس والروم وما يلي المشرق ، قاله
 قتادة وقال أبى بن كعب دو أفريقية وقال محمد بن كعب طنبجة (أو أفضى حقبا)
 دهرأ وزماناً طويلاً فذهبا ومعهما الخبز والسمك المملوح وسار حتى انتهيا إلى
 الصخرة عند مجمع البحرين ليلا فذلك قوله تعالى (فلما بلغا) يعنى موسى وفتاه
 (مجمع بينهما) يعنى البحرين (نسيا) تركا (حوتهما) وإنما كان الحوت مع يوشع
 وهو الذى نسيه يدل عليه قوله تعالى (إني نسيت الحوت) ولما كانه صرف النسيان
 اليهما والمراد به أحدهما كما قال تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وإنما
 يخرجان من المالح دون العذب (فاتخذ) الحوت (سبيله في البحر سربا) أى مذهبا
 ومسلكا واختلوا في ذلك .

فروى أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ قال د أنجباب الماء عن مسلك الحوت
 فصار كوة لم يلتشم فدخل موسى الكوة على إثر الحوت فإذا هو بالخضر عليه السلام
 وقال ابن عباس رأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء وجعل الحوت
 لا يعص شيئا من البحر إلا يبس حتى يصير صخرة .

وروى ابن عباس عن أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ قال لما انتهيا إلى
 الصخرة وضعا رمومهما فناما فاضطرب الحوت في المسكتل فخرج منه وسقط في
 البحر هابا فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء
 فصار عليه مثل الطلاق فلما استيقظ موسى عليه السلام لسى صاحبه أن يخبره بالحوت
 فالطلقا ببقية يرمهما وإيلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه (آتنا غداءنا)
 الآية وفتاده رد الله إلى الحوت روحه فسرب حتى أفضى إلى البحر ثم سلكه جعل
 لا يسلك منه موضعا إلا صار ماء جامدا ظريفا يابساً .

قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار : الأول سفر البحر وهو قوله تعالى (ففررت منكم لما خفتكم) الآية . والثاني سفر الطور وهو قوله تعالى (فلما أتاها نودى أن بورك من في النار ومن حولها) الآية وقوله تعالى (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) الآية . والثالث سفر الطالب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبدى) والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى لإخبارا عن قول قومه (فاذهب أنت وربك فقاتلا) الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى (لقد أقمنا من سفرك هذا نصيباً) وذلك أنه لما ألقى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة يتذكر الحوت ويرجع إلى موضع مطالبه فقال له فتاه وتذكر (أرأيت إذا أوتينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت) أى تركته وفقدته . وقيل فيه اضممار تقديره فإني نسيت أن أذكر أمر الحوت (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر سجياً) قال عبد الرحمن بن زيد أى شيء أعجب من حوت كان دهرأ من الدهور يؤكل منه ثم صار حياً حتى حشر في البحر قال وكان شق حوت .

وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من أثر جرى الحوت أخذود شبه نهر حيث دخل إلى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى إلى مجمع البحرين وإذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى (قال ذلك ما كنا نبغ) أى لطالب (فارتدا) فارتجما (على آثارهما) الذي جاءا منه (قصصاً) أى يقصان الأثر (فرجدا عبداً من عبادنا) يعنى الخضر عليه السلام .

(فصل في ذكر جهل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله)

واسمه بلياً بن ملكان بن فالج بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وإنما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله حمدون بقراءتي عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشرقي، قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوراق

قال أنبأنا مكى بن غيدان قال أنبأنا أبو الأزهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا
معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ
(إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء)

أنبأنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قال أنبأنا أبو بكر محمد
الحسن القصار قال أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي قال أنبأنا محمد بن يوسف
الفرباني قد ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال : إنما سمي الخضر لأنه أنبأ
صلى الخضر حوله .

(فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام)

يروى أن رسول الله ﷺ (لما أسرى به إلى السماء بينا هو على البراق وجبريل
يمر به إذ وجد رائحة طيبة ، فقال له يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة ؟ قال إنه كان
ملك في الزمان الأول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره
قال أصحاب الأخبار وكان أبوه ملكا عظيما فسلمه إلى المؤدب يؤدبه وكان يختلف
إليه وكان منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فألفه وكان يجلس
عنده والمعلم يظن أنه في المنزل وأبوه يظن أنه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من
العابد شمائله وعبادته ، فقالوا لأبيه ليس لك ولد غيره يرث ممالكك فلو زوجته
له يرزق أولادا فعرض عليه أبوه التزويج فأبى ثم عاوده فعرض عليه فرفض
فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت إليه .

فلما بقيت عنده قال لها إني مخبرك بأمر إن أنت سمعته صرف الله عنك شر
الدنيا وعذاب الآخرة وإن أفشيت سرى عذبك الله في الدنيا والآخرة : قالت
وما ذاك ؟ قال إني رجل مسلم است على دين أبي وليست النساء من حاجتي فإن
رضيت أن تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك لإيالك وإن أنت أبيت
لحققت بأهلك فقالت المرأة بل أقيم معك فلما أتت عليها مدة قالوا لأبيه ما نظن

إلهيك إلا عاقر لا يولد له ولد فساله أبوه فقال ما الذى بيدى وإنما ذلك بيد الله
فيؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسألها فردت عليه مثل ما رد عليه الخضر .

فكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه إليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه
وأزوجه امرأة غيرها ولودا ربما ترزق منها ولدا فذكره ذلك الخضر وألح عليه
أبوه حتى رق بينهما . وزوجه امرأة غيرها ولودا ثيباً فمرض عليها مقالته الأولى
فرضيت وقالت أقيم معك فلبثا زمانا ثم إن أباه استبطأ الولد سنة فدعاه وقال له
ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدى ولا كنهه بيد الله ثم إنه دعا امرأته وقال له
أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غير إبنى ولست تلدين عند إبنى
فقلت مامسى منذ صبغته وكذلك المرأة الأولى فدعاهما وسألها ؟ فقالت مثل ذلك
فدعا ابنه وعيره وعنفه ؛ ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده
فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما فعل
فأرسل في طلبه مائة رجل من طرق شتى بخلفه فأنطلقوا في طلبه فأدرك منهم
عشرة في جزيرة من جزائر البحر فقال لهم إني أقول لكم شيئا واحداً فاكمثوه
عنى فإن كتمتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وإن أبيتم ذلك
وأفشيتم سرى عذبكم الله فى الدنيا وفى الآخرة قالوا له قل ما شئت قال هل بعث أبى
إبنى طلبى أحدا غيركم ؟ قالوا نعم ، فقال لهم إذا فاكمثوا أمرى ولا تخبروا أبى
أنكم رأيتمونى وقولوا مثل قول نظائركم الذين لو أرسلهم فى طلبى فلم يرونى
لأنكم إن أخبرتموه بى وذهبتم بى إليه قتلنى وصرتم أنتم مؤخذين بدمى
فدخلوا عنى وانصرفوا .

فلما دخلوا على أبيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا كيت وكيت فدخلنا
عنه وقال الماشر ما لنا به علم ومالى به خبر والتسعة قالوا بلى ظفروا به وإن شئت
أتينا به فقال لهم ارجعوا فى طلبه وأتوني به وإن الخضر خاف أن يظفروا به
فأنحاز من ذلك الموضع إلى موضع آخر فأنوا إليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم
نره فقتلهم أبوه .

قال وإن أباه دعا بالمرأة الشيب وقال لها أنت صنعت هذا يا بني حتى هربت فقتلها وسميت المرأة الأولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذي أنكر رؤيا الخضر ما يؤمنني أن يقتلني كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة الهاربة أيضا في تلك القرية فمكثت تحتظب : فقالت يوما باسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها من أنت ؟ فأخبرته خبرها فقال يا هذه أنا العاشر خرجت خوفاً من القتل فهل لك أن أتزوجك ونعبد الله حتى نموت . فقالت نعم ثم إنهما انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فاتخذوا بيتاً من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة أولاد فقال لها الرجل إذا أنا مت فادفني في هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فاني لا أحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتاً أو وصي ان يهدم عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته :

ثم أنه بلغ فرعون زمانهم أنهم يوحّدون الله ويعبدونه فجاء بالمرأة إلى محضرته فأمرت أن ترجع عن دينها فأبى فأمر بقدر من نحاس فملئت ماء وغلى غلياً شديداً وأمر بالمرأة وولدها ، فلما أحضروا قال لها إرجعي عن دينك وإلا ألقيتك أنت وأولادك في هذا القدر فأبى عليه فأمر بولدها الأكبر فألقى فيه وكذلك الثاني وكان في خبرها ابن رضيع فأرادوا إلقاءه فرقت المرأة ونازعتهم في رأيه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبري فإننا جميعاً في الجنة فلما أرادوا أن يلقوها في القدر قالت لهم لي إليكم حاجة يسيرة قالوا وما هي . قالت إذا رميتوني في القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا في بيتنا واهدموه علينا ففعلوا ذلك فلما أسرى برسول الله ﷺ وجدوا رائحة طيبة فقال ما هذه يا جبريل فأخبرهم بقصتهم وقال هذه رائحتهم...

ويروى ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ إن قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر في تجارتهم فضربتهم الأمواج فتكسرت بهم سفينتهم فانقلبت منهم رجلان على لوح من الزاخر فضربتهم الأمواج حتى اسندتهم إلى جزيرة من

جزائر البحر فتخرجنا بحرلان بالجزيرة فإذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلي فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت إليهما وقال لهما من أنتم؟ قالوا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا في هذا البحر لطلب التجارة قال فانكسرت بنا هذه السفينة ودفننا إلى هذه الجزيرة فقال اختارا إن شئنا أن نقيم في هذا الموضع تعبدان الله تعالى وتأتيكم أرزاقكما وإن شئنا أردكما إلى منزلكما قالوا بل نردنا إلى منازلنا فقال لهما على أن تعطيانى عهد الله وميثاقه على أنكما لا تخبران بشيء مما تريان فاعطياهما العهد والميثاق على السكنان فنظر فإذا سحائب تمر فدهاهن ونسألن فقالت كل واحدة منهن أريد بلد كذا وكذا فدعا التى تريد بلادها فقال لهما احملين هذين حتى تضعيهما فسدقت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ومضت حتى وضعتهما على سطحيهما فوزم أحدهما على السكنان ونزل إلى منزله وعزم الآخر على إذا عته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق إلى باب المدينة ونادى بالصيحة فأدخل على الملك فقال له ما نصيحتك؟ فقال رأيت ابنك فى موضع كذا وكذا وصنع به كذا .

فقال له من يعلم ذلك فقال له فلان كان رفيقى فبعث إليه وسأله عما قال؟ فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعاً وقد انكسرت السفينة وصرنا على لوح من ألواحها فلم نزل الأمواج تنخر بنا حتى صرنا إلى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر وأبات الأرض والثر ترفعنا الأرض وتضعنا أخرى حتى لاقتربنا إلى منازلنا فقال له الغادر ابعث معى رسلك حتى أدفعه إليك وتعلم أن هذا قد كذب فأمر بالرجل الكاتم فحبس وتوعده بالصلب إن وفى صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب إن هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلاً فركبوا البحر حتى انتهوا إلى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيئاً فرجعوا بالرجل إلى الملك وقالوا هذا أ كذب نخلق الله ما رأينا مما قال شيئاً فصلبه وخلي عن الآخر .

ثم إن أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المماصى حتى غضب الله عليهم فقال جبريل عليه السلام فبعثنى الله تعالى إليهم فأدخلت جناحى تحتها واقتلعتهما فرفعتها

حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبتهما فجاءت تهوى
بمن فيها حتى انتهيت إلى وجه الأرض فبقى الرجل السكاتم والمرأة السكاتمة من
جانب سالمين ثم انطبقت الأرض بمن فيها فلم ينبج منهم غيرهما فجعل لا يدوران في
حدود المدينة فلا يلتقى كل واحد منهما غير صاحبه فلما ان كثر ذلك قال الرجل
أيتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم ولأنه لم يفلت غيري وغيرك فبأى شيء نجونا
فأخبريني وأنا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على السكتان فتصادقا فأتيا
قصتهما واحدة وإنما نجاهما السكتان ، فقال لهما هل لك أن تزوجيني نفسك ونخرج
إلى مدينته من هذه المدائن فاكتمسب عليك وتمكثسبين على حتى يقضى الله
من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبا إلى مدينة فرعون من الفراعنة فاتخذ لهما
بيتاً وولداً لهما أولاد وتلطفت المرأة لآل فرعون وصارت ماشطة لهم
فخطت عندهم .

فبينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك إذ سقط المشط من يدها فقالت
باسم الله تعس من كفر بالله ففرغت الجارية من ذلك وقالت إيا من الله ؟ قالت ربى .
فقالت لها إن لك ربا غير أبى ؟ فقالت نعم هو ربى ورب أبى رب كل شيء فمبهطت
الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم أن فلانة تقول قولا دجيباً تقول كذا وكذا
فأرسل إليها فحضرت ، فقال لها ما هذا الذى بلغنى عنك ؟ فقالت ما بلغك قال فهل أحد
يقول بقولك ؟ قالت نعم بعلى وصليتى فبعث إليهم وامتنحهم فاذا هم يقولون قولا واحداً
فقال لهم إنا لا نقركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا إلى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت
صانع فأمر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطرب الماء ثم
دعا بالصبية فعرض عليهم واحداً ليكفروا فأبوا أن يكفروا فأخذهم وطرحهم
في القدر ثم إنه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فأبى فالقاه في القدر ثم دعا بالمرأة
وقال لها إن علينا حقاً فإن أنت رجعت إلى ديننا وإلا القيناك في القدر فقالت له
اصنع ما أنت صانع إنها قالت لي إليك حاجة : قال وما هي ، قالت إذا صنعت
مائة صانع فر بيتنا ان يحفر فيه حفرة ، ثم تأمر بالقدر فتكمل بما فيه ثم

يأتون بها منزلاً فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاود علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك .

وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ في حديث أبي كعب أن صاحب موسى ابن عمران الذي أمر بطلبه وبالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله ﷺ أعام الخاق بالاهور الماضية والباقية وموسى بن عمران إنما نبي في عصر منو شهر الملك وكان منو شهر الملك مالك بعد جدد أفريدون فدل هذا على خطأ من قال أنه أرميا بن خلفيا لأن أرميا كان في أيام بختنصر وبين عهد موسى وبختنصر من المدة ما لا يخفى على أهل العلم .

رجعنا إلى حديث موسى وفتاه - قالوا فانتبى موسى وفتاه إلى الخضر وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشبع بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارضك السلام ؟ فقال أنا موسى بنى إسرائيل قال نعم قال ياه موسى لقد كان فى بنى إسرائيل شغل قال موسى إن ربي أرساني إليك لأتبعك وأتعلّم من عندك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر ياه موسى خطر ببالك أنك أعام أهل الأرض ما عندك وعلى وعلم جميع الألوان والآخريين فى جنب علم الله تعالى إلا أقل من الماء الذى حملته الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى (فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا) أى تبوّه وحكمة (وعلمناه من لدنا علماً)

وقال ابن عباس كان الخضر يعلم عام الغيب فقال موسى (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً قال إنك أن تستطيع همى صبرا) لأننى أعلم عام الباطن عام علمه الله تعالى (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) يعنى على ما لم تعلمه (قال) موسى (ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء) علمته مما تنكره (حتى أحدث لك منه ذكراً) وأبين لك شأنه (فانطلقا) لثمنان سفينة يركبان فيها فرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركبهما فقال أصحاب

السفينة هؤلاء اصوص وأمرهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ما هؤلاء بلصوص وليكني أرى وجوههم وجوه أنبياء .

وقال أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ اطلقا يثميان على ساحل البحر إذا مرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نوال فلما دخلوا البحر أخذ الخضر عليه السلام فأسأ فخرق لوحا من السفينة قال موسى (أخرقتها لتفرق أهلها) وقد حملونا وأحسنوا إلينا فخرقت سفينتهم ما هذا جزاؤهم منا (لقد جئت شيئا لأمرا) أي عجبنا منكراً قال الخضر (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) قال موسى (لا تأخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا) يعني لا تكفني ولا تضيق على أمري .

ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن حنبل الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا) فقال الخضر لموسى (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا) قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) أي في فراق .

أخبرنا عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن ابن بشير أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي كعب قال كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحدا بدعائه بدأ بنفسه فقال ذات يوم ، رحمة الله علينا وعلى أحى موسى لو لبثت مع صاحبه لأبصر العجب العجيب ولكنه قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) فاطلعا يثميان حتى أتيا أهل قرية

واختلفوا في القرية قال ابن عباس ، هي انطاكية وقال محمد بن سيرين هي ايلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة وإليها

ينسب النصارى قالوا فوافياها قبل غروب الشمس ، فاستطاعا أهلها واستضافاهم فأبوا أن يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية ثلثاً وقال قتادة في هذه الآيات شر القرى التى لا تضيف الضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة فى تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة باردة فالتجشوا إلى حائط على شارع الطريق (يريد أن ينقض) أى يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يربيه أهل القرية ولا غيرهم من الناس إلا خوف منه وكان قد بناه رجل صالح .

وقال ابن عباس هدمه وبناه ، وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه يده ومنكبيه فاستقام فقام له موسى (لو شئت لاتخذت عليه أجراً) ليكون لنا بقوتنا وبلغه على سفرنا إذ استضافناهم فلم يضيفونا ، فقال الخضر (هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) ثم أخذ يفسر له فقال (أما السفينة فمساكين يعملون فى البحر) الآية .

ويروى عن عكرمة قال ، قلت لابن عباس فى قوله (أما السفينة فمساكين) كانوا مساكين والسفينة تساوى ألف دينار ، فقال إن المسافر مسكين وإن كان معه ألف دينار ولهذا قيل إن المسافر وماله على قلة إلا ما وقى الله تعالى (فأردت أن أعيبها) قطعاً لطمع الطامعين فيها ودفعاً لشرهم (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) ووراءهم أى أمامهم قال الله تعالى (من وراءهم جهنم ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون) أى أمامهم وقيل خلفهم لأنه كان رجوعهم فى طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فأعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، وكذلك كان يقرأها ابن عباس فخرقتها وعيبها كيلا يتعرض لها ذلك الملك .

واختلفوا فى اسم ذلك الملك ، فقال أكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافراً وقال ابن إسحق ، كان اسمه منواه بن جلندى الأردنى ، وقال شعيب الجبائى كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلاثمائة وستون قصراً فى كل قصر امرأة ، قال فلما جاوز الملك سد الخضر خرق السفينة ورمها (وأما الغلام فكان

أبواه مؤمنين ، فخشينا) أى فعلنا (أن يرهقهما) يغشاهما (طغيانا وكفراً)
فيمالكهما وقيل خشى أن يدرك فيدعو أبويه إلى الكفر فيجيباه ويدخلا معه
في دينه لفرط محبتهم له .

وقيل خشيا على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيتغافل أبواه فيدخلان النار
(فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة) وصلاة (وأقرب رحماً)
(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) واسمهما أصرم وأصرم (وكان
تحتة كنز لهما) .

واختلفوا في ذلك الكنز ما هو ؟ فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان
صحفاً مدفونة تحتة فيها علم ، وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحاً من ذهب
مكتوب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم عجباً لمن يؤمن بالآخرة كيف يحزن ، وعجباً لمن
يوقن بالرزق كيف يتعب ، وعجباً لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجباً لمن يؤمن
بالحساب كيف يجمع وعجباً لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها ، لا إله
إلا الله محمد رسول الله ﷺ)

وقال آخرون كان ذلك الكنز مما لا يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الحمادى المراكى
أخبرنا أبو الحسن أحمد بن قيدوس الطرائفى أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان
ابن صالح الدمشقى أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعانى عن يزيد عن مكحول عن أبى
الدرداء قال قال رسول الله ﷺ فى قوله تعالى (وكان تحتة كنز لهما) قال كان
ذهباً وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان صالح تقياً أميناً يحفظاً لصلاح أبيهما
ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذى حفظاً به سبعة آباء .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدى
أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سودة عن محمد بن المنكدر قال (إن الله عز وجل
ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعة النى هو فيها والدويرات النى حوله
فما يزالوا فى حفظ الله . وستره)

وعن سعيد بن المسيب أنه كان إذا رأى ابنه قال : يا بني لازیدن من صلاتي
هن أجلك لعل أحفظ فيك ، ويتلو هذه الآية .

أخبرنا يحيى بن إسماعيل بن سلمة قال كانت لي أخت أسن منى فاختلفت وذهب
عقلها فتوحشت وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة
وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فيبينا أنا نائم ذات ليلة إذا
أنا بباب بيتي يدق في نصف الليل فقلت من هذا ؟ فقالت بحة فقلت أختي ؟ قالت
أختك فقلت لبيك فقامت فتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من
عشرين سنة ، فقلت : يا أختي خيراً فقالت خيراً يا أختي بت الليلة فأتاني آت في
منامي فقال لي السلام عليك يا بحة فقلت وعليك السلام ، فقال لي : إن الله قد حفظ
أباك إسماعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بأبيك إسماعيل فإن شئت
دعوت الله لك فيذهب ما بك وإن شئت صبرت ولك الجنة فإن أبا بكر وعمر
رضي الله عنهما قد تشفعا لك إلى الله تعالى لمح أبوك وجدك إياهما فقلت إن كان
ولا بد من اختياري أحدهما فأصبر على ما أنا فيه والجنة وإن الله لو اسع الفضل
لخلقه لا يتعاضده شيء في حكمه ولو شاء لجمعهما لي قالت فقل لي قد جمعهما الله لك
ورضى عن أبوك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر فانزلي فإن الله أذهب ما كان بك .
ويحكى عن بعض العلوية أنه دخل على هارون الرشيد وتقدم بقتله فلما دخل
عليه أكرمه ونحلي سبيله فقيل له بجم دعوت حتى نجاك الله .

قال قلت : يا من حفظ الكنز على الصديقين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاحي
أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي (فأراد ربك أن يبلغنا أشد هـما ويستخرجنا
كنزهما) المدفون تحت الجدار (وما فعلته عن أمري) وإنما فعلته بأمر الله تعالى
(ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) :

ويقال لما عاب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام وإقامته الجدار
محتسباً بما قال له يا موسى أنلو مني على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك

حين أقتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف فحفظك الله وتلومنى على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطى بغير أمر ؟ وتلومنى على ترك أخذ الأجر فى إقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شهيب محتسباً لأجل الملك الجبار .

قال بعض أهل الأخبار هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كانوا فى النيه فلما فارق موسى الخضر رجع إلى قومه وهم فى النيه ، وروى أبو أمامة الباهلى عن النبى ﷺ أنه قال (ألا أحدثكم عن الخضر ؟) قالوا بلى يا رسول الله قال : بينما الخضر يمشى فى سوق من أسواق بنى إسرائيل إذ لقيه مكاتب فقال له تصدق على بارك الله لك ، فقال آمنت بالله وما يقضى من أمر سيكون ما معى شيء أعطيكه ، فقال له الرجل تصدق على بارك الله عليك . فإنى أرى الخير فى وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضى الله من أمر سيكون ما معى شيء أعطيكه فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت على ؟ فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضى من أمر سيكون ما معى شيء أعطيكه إلا أن تأخذ يدي وتدخلنى السوق فتبيعننى قال الرجل وهل يكون مثل هذا ؟ قال الحق أقول إنك سألتنى بعظيم سألتنى بوجه ربي وقد أجبته بخذ يدي وأدخلنى السوق فبيعننى فأخذ بيد الخضر فأدخله السوق فباعه بأربعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياماً لا يستعمله فى شيء فقال له الخضر استعملنى فقال لك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق على ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا إلى هناك وكانت الحجارة لا ينقلها إلا ستة نفر فى يوم تام فقام ونقلها فى ساعة واحدة وأمره الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر إنى أراك أميناً صالحاً ناصحاً فاخلفنى فى أهلى قال نعم إن شاء الله تعالى فاستعملنى فى شيء قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك على فقال اضرب لى لبناً أريده لقصر لى ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره إذا هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فازداد تعجباً منه وقال له من أنت ؟ قال أنا المملوك الذى كنت اشتريتنى فقال له

سألتك بوجه الله أن تخبرني من أنت ؟ فقال الخضر إن هذا القسم هو الذي أوقني في العبودية ، أما أنا فما أخرجك أنا الخضر سألني سائل بوجه الله رب أن أعطيه ولم يكن مني شيء أعطيه فأمكنته من نفسي حتى باعني وبلغني أن من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدي ربه وليس عليه لحم ولا جلد إلا عظم يتققق . قال فبكى ذلك الرجل وانسكب عليه يقبله ويقول له يا بني أنت وأمي شفقت عليك ولم أعرفك فاحكم علي في مالي وأهلي وإن أحببت أن أخلي سبيلك فعلت قال نعم بل أحب أن تخلي سبيلي لأعبد ربي وكان الرجل كافراً فأسلم على يديه وأعطاه أربعمائة دينار وخلي سبيله فأوحى الله إليه قد نجيتك من الرق وأسلم المكافر على يديه وأعطاك مكان كل درهم ديناراً لتعلم أن لا يخسر أحد في معاملتي فهذه آخر قصة الخضر وموسى وفتادة والله أعلم .

(باب في ذكر قصة عاميل قتيل بني إسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى (وإذا قال موسى لقومه إن الله تعالى يأمركم أن تذبحوا بقرة) قال المفسرون : وجد قتيل في بني إسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا في قتله وسبب قتله فقال عطاء والسدي : كان في بني إسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه . وقال بعضهم : كان تحت عاميل ابنة عم ما لها في بني إسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية إلى قرية أخرى فألقاه هناك قال عكرمة : وكان لبني إسرائيل مسجد له إنا عبر باباً لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر إلى باب سبط آخر فاختم فيه السبطان .

وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعوه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثأره ودمه ويدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختم أهلها وجاء أولياؤه إلى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصاص فسألهم موسى عن ذلك فحدوا ولم يكن لهم بيعة فاشتبه أمر القاتل على موسى ووقع بينهم قتال

واختلاف وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليمين لهم أمر ذلك القتل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أنتخذنا هزواً) جئناك لنسألك عن القتل فتأمرنا بذبح بقرة وإنما قالوا ذلك لتباعد الأمرين والظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) أي من المستهزئين المؤمنين فلما علم القوم أن ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد ألزمهم سألوه الوصف فقال (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) ولو أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم لكنهم شددوا الأمر على أنفسهم فشدد الله عليهم وإنما كان تشديدهم تقديراً من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدي وغيره أن رجلاً في بني إسرائيل كان باراً بأبيه وبلغ من بره أن رجلاً أتاه بلواؤة فابتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل ورج فقال البائع اعطني ثمن اللواؤة فقال إن أبي ناثم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمراني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أباك واعطني المال فقال ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وانتظرنى حتى ينتبه أباي فقال الرجل أنا أدفع عنك عشرة آلاف إن أيقظت أباك وعجلت النقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفاً إن انتظرت انتباهه فقال قبلت فقام ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعا له وجزاه خيراً وقال له أحسنت يا بني وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله ﷺ في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لأجل البر .

وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من أهل الكتب كان في بني إسرائيل رجل صالح وله ولد طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة إلى غيضة وقال اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة والغيضة حتى صارت عواناً وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الإبن وكان باراً بوالده وكان يقسم الليل إلى ثلاثة أثلاث يصلي ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطى والدته ثلثه .

قالت له أمه يوماً يا بن إن أباك ورثك عجلة وذهب بها إلى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق إليها وعزم عليها بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحق أن يردّها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يتخيّل لك أن شمّاع الشمس يخرج من جلدّها وكانت اسمها المذمّبة لحسن خلقها وصنّاء لونها وصفرتها فأتى الغيضة فرآها وهي ترعى فصاح بها الفتى وقال لها أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب أن تردى على فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة بإذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته أركبني فإن ذلك أهون لك فقال إن أمي لم تأمرني بذلك وإنما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة وإله بني إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر على أبداً فانطلق فإنك لو اشرت إلى الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق لفعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقبله عدو الله إبليس في صورة راع فقال له أيها الفتى إنى راع من رعاة البقر اشتقت إلى أهلى فأخذت ثوراً من ثيرانى وخملت عليه زادى ومتاعى حتى إذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لأقضى حاجتى ففقدنا وسط الجبل وما قدرت عليه ، وإنى لأخشى على نفسى الهلكة فإن رأيت أن تحملنى على بقرتك هذه وتنجينى من الموت وأعطيك بقرتين مثل بقرتك ، فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل على الله لو علم الله منك اليقين لبغتك بلا زاد ولا راحلة فقال له إبليس لعنه الله إن شئت فبعننيها بحكمك وإن شئت فأحملنى عليهما وأعطيك عشرة أمثالها فقال له الفتى إن أمي لم تأمرنى بهذا .

فبينما الفتى كذلك إذ طار طائر من بين يدى البقرة ، ففرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعى فدعاها الفتى وقال باسم الله إله إبراهيم فرجعت إليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر إلى الطائر الذى طار فإنه إبليس عدو الله اختلسنى أما أنه لو ركبنى لما قدرت على أبداً فلما دعوت بإله إبراهيم جامنى ملك انتزعنى من يد إبليس وردنى إليك لبرك بأهلك وطاعتك لها .
فجاء بها الفتى إلى أمه فقالت له إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبيع هذه البقرة وخد ثمنها فقال بكم أبيهما ؟ فقالت

بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضا ومشورتي ، وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله تعالى إلى الفتى ملكاً ليرى خلقه وقدرته وليختبر الفتى كيف يره بوالدته وكان الله به خبيراً .

فقال له الملك : بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير واشترط عليه رضا والدتي فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا أمي فردها إلى أمه فأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبيعها بستة دنانير على رضا فانطلق الفتى بالبقرة إلى السوق فأتى الملك فقال له استأمرت والدتك ؟ فقال الفتى نعم أمرني أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن تستأمرها فقال له الملك إني أعطيتك اثنا عشر ديناراً على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت إن ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليختبرك فإذا أتاك فقل له أنا أمرني أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك ، فقال له الملك اذهب إلى أمك وقل لها امسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل في بني إسرائيل ولا تبيعها إلا بملء مسكها دنانير .

فأمسك البقرة وقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على يره بوالدته فضلاً منه ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) وما سمعتها قال موسى أنه يعني الله يقول (إنها بقرة لا قارض ولا بكر) أي لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين (فافعلوا ما تؤمرون) من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) قال إنه يقول (إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) أيها وتمجيهم من حسناتها وصفاتها لأن العين تسر وتولع بالنظر إلى الشيء الحسن .

وقال علي بن أبي طالب من لبس نعلاً صفراء قل همم لأن الله تعالى يقول : صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أسائبة أم حامله (إن البقرة تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون) إلى وصفها .

قال رسول الله ﷺ (وأيم الله لو لم يستثنوا لما بينت منهم إلى آخر الأبد)
 (قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول) مذلة بالعمل (تثير الأرض) تقلبها للزراعة
 (ولا تسقى الحرث مسامة) بريئة من العيوب (لا شية فيها) قال عطاء لا عيب
 فيها ، وقال قتادة لا بياض فيها أصلاً ، وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف
 معظم لونها .

قال فلما قال موسى هذا (قالوا الآن جئت بالحق) أى بالوصف الثابت التام
 البين فطلبوها فلم يجدوها بكال وصفها إلا عند الفقى البار بأمه فاشتروها منه بملء
 مسكها ذهباً ، وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً (فذبحوها
 وما كادوا يفعلون من غلو ثمنها) .

وقال القرطبي : وما كادوا يذبكونها باجتماع أوصافها ، وذلك قوله تعالى
 (وإذا قتلتم نفساً) يعنى عاميل وهذه الآية أول القصصة (فأدرأتم فيها) أى
 فاختلأتم فيها (والله مخرج) أى مظهر (ما كنتم تكتمون) أى تخفون (فقلنا
 اضربوه) يعنى القتل (ببعضها) أى بعض البقرة واختلفوا فى بعضها البعض ما هو .

قال ابن عباس ؛ ضربوه بالعظم الذى يلى المضروف وهو المقتل .

قال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل ، وهذا أولى الأقاويل لأن المراد من
 لحياها القتل كلامه واللسان آلة وقال سعيد بن جبير بهجب ذنبها .

قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لأن عجب الذنب أساس البدن
 الذى ركب عليه الخلق وأول ما يخلق الله وآخر ما يبلى .

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة)
(وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى (الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) الآية .

أبانا محمد بن حمدويه بإسناده عن وهب بن منبه قال ؛ وأوحى الله إلى موسى أن يتخذ مسجداً لجماعتهم وبيتاً مقدساً للتوراة والتابوت والسكينة وقبائلاً للقربان وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها ، وأن تكون تلك الجلود جلود ذبائح القربان وحبالها التي تمد بها من أصواف تلك الذبائح وعهد إليه أن لا تزال تلك الحبال حاتض ولا يدمغ تلك الجلود جنب ن وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعاً ويجعل فيها اثني عشر قسماً مسرجاً ؛ فإذا انقضى وصار اثني عشر جزء ، جعل على كل جزء بما فيه من العمود سبطاً من أسباط بني إسرائيل وأمره أن يجعل ستة تلك السرادقات سنمائة ذراع وأن ينصب فيه سبعة قباب ستة منها مشتبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منها منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعاً .

وأوحى الله إليه أني منزل عليكم من السماء ناراً لا دخان لها ولا تحرق شيئاً ولا تطفأ أبداً لتأكل القربان المتقبلة وتسرج القناديل التي ببيت المقدس وهي من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللالء وأنواع الجواهر وأمره أن يضع في وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كانون تلك النار التي تنزل من السماء فدعا موسى أخاه هرون وقال له : إن الله قد اصطفاني بنار تنزل من السماء تأكل القربان المتقبلة وتسرج منها القناديل وأوصاني بها ؛ وإني قد اصطفيتك بها وأوصيتك بها .

فدعا هرون لإبنيه وقال لهما ؛ إن الله تعالى قد اصطفاني موسى بأمره وأوصاه به وإني قد اصطفاني له وأوصاني به وإني قد اصطفيتكما له وأوصيتكما به وكان أولاد

هرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وأمر القربان والنار فشرّبوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت وأسرجوا القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فأحرقتهما وموسى بن هرون يدفعان عنهما النار فلم يغنيا عنهما من أمر الله شيئاً فأوحى الله تعالى إلى موسى وهكذا أفعل بمن عصاني ممن يعرفني فكيف أفعل بمن لا يعرفني من أعدائي وهذا آخر النصّة والله أعلم .

(باب في ذكر مسير بنى إسرائيل إلى الشام حين جاوز البحر)
(وصفة حرب الجبارين وقصة النيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى (ولما قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً) الآيات اختلفت عبارات المفسرين في الأرض المقدسة ما هي :

فقال مجاهد هو الطور وما حوله ؛ وقال مقاتل هي إيلياء وبيت المقدس ؛ وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والأرض والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والأرض ؛ وقال عكرمة والسدي هي أريحا ؛ وقال السكبي هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن ؛ وقال الضحاك هي الرملة والأردن وفلسطين ؛ وقال قتادة هي الشام كله .

(فصل في فضل الشام وأهله)

قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ نواف القرآن من الرقاع إذ قال (طوبى لأهل الشام) قيل يا رسول الله ولم ذلك قال (إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم) .

عن عبد الله بن خولة قال ؛ كنا عند النبي ﷺ فقال (والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح الله لكم أرض فارس والروم وأرض حمير حتى تكونوا أجناداً ثلاثة ؛ جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن ، فقلت يا رسول الله اختل

إن أدركنى ذلك ؛ فقال أختار لك الشام فإنها صفوة الله تعالى من بلاده وإليها يجتبي صفوته من عباده يا أهل الإسلام عليكم بالشام فإن صفوة الله من الأرض الشام وكان الله تعالى قد تكفّل لي بالشام وأهله .

وقال عبد الله بن مسعود ؛ حدثنا رسول الله ﷺ قال (قسم الله الخيرة عشرة أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء في الشام وواحد في العراق) وقسم الله الشر عشرة أجزاء فجعل منه تسعة في العراق وواحد بالشام .

ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي ﷺ ونزل حصص تسعة مائة من أصحاب النبي ﷺ فيهم سبعون يدوياً

وقال الكلبي صعد إبراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم) يعنى كتب الله في اللوح المحفوظ أنها لكم الساكن ، وقال ابن إسحق وهبها الله لكم مساكن ، وقال السدي أمركم أن تدخلوها

(ذكر قصة بلعام بن باعوراء)

قال الله تعالى (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية واختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن بادوراء بن باعر بن أيد بن مارث بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهى مدينة الجبارين وسميت بلقاء لأن ملكها رجل يقال له بالقي بن صافوراء

وكانت قصة بلعام على ما ذكره ابن عباس وابن إسحق والسدي والكلبي وغيرهم أن موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بنى كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام إلى بلعام وكان عنده اسم الله الأعظم فقالوا له إن موسى رجل حديد ومعه جهود كثيرة وإنه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلبنا بنى إسرائيل وإنا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فأقدم إلينا وأشر علينا في هذا الرجل العدو الذى قد أهلكنا

أتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان ووقفت فضربها فقالت له
لم تضربني وأنا مأمورة فلا تظلمني وهذه نار أمامي قد منعني أن أمشي فرجع
فأخبر الملك فقال له لتدعون عليه وإلا صلبتك فدعا على موسى بالإسم الأعظم أي
لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في النيه بدعائه فقال
موسى يا رب بأي ذنب وقمنا في النيه ؟ قال بدعاء بلعام فقال موسى يا رب كما
سمعت دعاءه على فاسمع دعائي عليه أن تنزع منه الإسم الأعظم والإيمان فسلخه الله
مما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآية
وقال عبد الله بن عمرو وزيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية
ابن أبي الصلت الثقفي كانت قصته أنه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة
وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول
فلما أرسل محمد ﷺ حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر بقتلى بدر
فسأل عنهم ف قيل له قتلهم محمد ؛ فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه

فلما مات أمية أتت أخته فارعة رسول الله ﷺ فسألتها عن وفاة أخيها فقالت
بينما هو راقد إذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقام أحدهما عند رجليه
والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى ؟ قال وعى ،
قال أزكا ؟ قال زكا ، قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد بي ؛ ثم قطرت عيناه ،
ثم غشى عليه فلما أفاق قال :

كل عيش وإن تطاول دهرأ صائر أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في تلال الجبال أرعى الوعولا
إن يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوما ثقيلا
ثم قال لها رسول الله ﷺ ما أظيبي من شعر سألتك بالله أن تمشدي شعر
أخيك فأنشدته :

لك الحمد والنعاء والفضل ربنا فلا شيء أعلى منك جدأ وأجد
ملك على عرش السماء مهيمن لعزته تمنو الوجوه وتسجد

وهي قصيدة طويلة وأشدته حتى أنت على آخرها ثم أنها أشدته قصيدته
ثلاثي يقول فيها :

عند ذى العرش يعرضون عليه	يعلم الجهر والمكلام الخفيا
يوم تأتية وهو رب رحيم	إنه كان وعده مأتيا
يوم تأتية مثل ما قال فرداً	لم يذر فيه رشداً وغوياً
أسعيد سعادة أنا أرجو	أم مهان بما كسبت شقيا
رب إن تعف فالمغافاة ظني	أو تعاقب فلم تعاقب برياً
إن أوأخذ بما اجترمت فإني	سوف ألقى من العذاب قويا

فقال ﷺ (آمن شهره وكفر قلبه) فانزل الله تعالى فيه (وائل عليهم نبأ
آتيناه آياتنا) الآية .

قال سعيد بن المسيب نزلت في أبي عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي
سماه النبي ﷺ الفاسق ؛ وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة ؛
فقال النبي ﷺ ما هذا الذي جئت به ؟ قال جئت بالحنيفية دين إبراهيم قال فانا
عليها فقال النبي ﷺ لست عليها ولمكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر
أعانت الله الكاذب منا في مناظرته طريداً فريداً فخرج إلى الشام وارسل إلى
المنافقين أعدوا القوة والسلاح وابنوا لي مسجداً فإني ذاهب إلى قيصر وآتي
بجند لتخرج محمداً وأصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى (وإرصاداً لمن حارب
الله ورسوله من قبل) يعني انتظارك لمحبيته فمات في الشام طريداً وحيداً فريداً ؛
ومنهم من قال إنها نزلت في اليسوس ؛ وكان رجلاً قد أعطى ثلاث دعوات
مستجابات ؛ وكان له امرأة وله منها ولد ، فقالت له اجعل لي منها واحدة ،
فقال لك منها دعوة فما تريد ؟ قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في
بني إسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة في بني إسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم
مثالها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحه فذهب فيها دعوتان
فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت آمنة كلبة نباحه ؛ وان
الياس يعيروننا بها فادع الله أن يردها إلى الحالة التي كانت عليها فدعا الله فصارت
كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها .

(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم)
(حين بعثه إياهم إلى أرض كنعان جواسيس له ولقومه)

قال الله تعالى (ولقد اخذنا ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً)
الآية وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يورثه قومه الأرض المقدسة وهي الشام
وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العمالة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام
ابن نوح ووعد الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن لبني إسرائيل فلما
مرت ببني إسرائيل الدار أمرهم الله بالمسير إلى أريحا من أرض الشام وهي
المقدسة فقال يا موسى إني قد كتبتها لك داراً وقراراً فاخرج إليها
فمن العدو فإني ناصركم عليهم فتخذ من قومك اثنا عشر رجلاً من
أهلهم يكون كفلاء على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختار موسى من كل
سبيلاً وأمره عليهم وهذه أسماءهم من سبط روبيل شمعون بن ذكور ومن
سبط شمعون شوقط بن حوري ومن سبط يهوذا كالب بن يوقنا ومن سبط جاد
ابن يوسف ومن سبط رايالون حدي بن سوري ومن سبط اشير شايون بن
مليكيك ومن سبط يافا حي بن وقسي ومن سبط دان حمل بن وكييل بن خمل
ومن سبط لاوي حولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرايم ومن سبط افرايم
يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط ميسا حي بن موسى ومن سبط
بنيامين ناظم بن زقون .

ثم إنه سار ببني إسرائيل قاصداً أريحا فبعث إليها هؤلاء النقباء يتجسسون
الأخبار له ويعلمون حالها وحال أهلها فلقمهم رجل من الجبارين يقال له عوج
ابن عفق .

(فصل في ذكر أخبار جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً بالذراع الأول وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ؛ ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بهين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله

ويروى أنه أنى نوحاً في أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينةك فقال له اذهب يا عدو الله فإنى لم أومر بك فطبق الماء الأرض من سهل ومن جبل ؛ وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر إليهم ثم جاء إلى الجبل وقدر منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فاقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز إلى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه إلا كعبه وهو مصروع في الأرض فقتله قالوا فاقبل جماعة كثيرة معهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فحسره سنة قالوا وكانت أمه عنق هي إحدى بنات آدم من صلبه ويقال إنها كانت أول من بغى على وجه الأرض وكان كل أصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين كل أصبع ظفران حادان مثل المتجلين وكان موضع مقعدها خربة من الأرض ولما بلغت بعث الله إليها أسوداً كالفيلة وذئاباً ونموراً كالإبل ونسوراً كالخمر وسلطهم عليها فقتلوها وأكلوها

قال تعالى (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين) الآية قال قتادة كان لهم اجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله (وإنا إن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون) قال موسى ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم فإن الله سيفتحها عليكم وإن الذي أنجاكم من آل فرعون وفاق لكم البحر

هو الذي يبلغكم ويظهركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمرق وهموا بالانصراف إلى مصر فخرج يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وهما اللذان أنخبر عنهما بالتوفيق والعصمة في قوله تعالى (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) بالتوفيق والعصمة (ادخلوا عليهم الباب) يعنى باب مدينة الجبارين فإذا دخلتموه فإنكم غالبون لأن الله منجز وعده فإننا رأيناهم ونخبرناهم فكلمات جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فأراد بنو إسرائيل أن يرموها بالحجارة وعصوها وقالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وروى أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت إني ذاهب بالهدى فناحره عند البيت فاستشار أصحابه في ذلك

فقال المقداد بن الأسود السكندري إنا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا لقاعدون ولكننا نقول إنا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك وبين يديك ولو خضت بحرا لخضناه ولو تسنمت جبلا لعلواناه ولو ذهبت بنا إلى برك العماد يعنى مدينة بالحديثة لتبعناك فلما سمع أصحاب النبي ﷺ تابعوه على ذلك فاشرق لذلك وجه النبي ﷺ

قال ابن عباس لأن أكون صاحب هذا المشهد أحب إلى من الدنيا وما فيها قال فلما فعلت بنو إسرائيل ما فعلت من معصيتهم نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال (رب إني لأملك إلا أنفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أى العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب فيه موسى واوحى الله تعالى إلى موسى (إلى متى يهيننى هذا الشعب وإلى متى لا يصدقون بهذه الايات لأهلكهم جميعاً ولاجعل لك شعباً اقوى وأكبر منهم) فقال موسى ؛ إلهى لو انك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الأمم الذين سمعوا ذلك إنما قتلت هذا الشعب من أجل أنه لم

يستطيع أن يدخلهم الأرض المقدسة فقلهم في البرية وإنك طويل صبرك كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء من الأبناء وأبناء الأبناء فاغفر لهم ولا توبقهم .

(استجاب الله لموسى وغفر لهم)

فقال الله تعالى لموسى (لى غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم ؛ حلفت بعزتي لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكالب ولآتينهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التى تحبسوا فيها سنة) وكانت أربعين يوماً وليأتينهم حتفهم فى هذه القفار .

وأما بنوهم الذين لم يعصونى ولم يعملوا الخير ولا الشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة .

فذلك قوله تعالى (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض) متعيرين (فلا تأس على القوم الفاسقين) .

فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشى من ذرايرهم ساروا إلى حرب الجبارين وفتح الله لهم .

(باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل في النيه وخصمهم بذلك)
(ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام)

قال الله تعالى (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) الآية كقوله
تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) والعد لا يقع على الواحد (التي أنعمت
عليكم) أي على أجدادكم وأسلافكم .

وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأنزل عليهم النوراة فيها بيان كل شيء
يحتاجون إليه وأعطاهم ما أعطاهم في النيه وذلك أنهم قالوا لموسى أهلكتنا
وأخرجتنا من العمران والبنيان إلى مفازة لا ظل فيها ولا كون فأنزل الله تعالى
عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق وأطيب وأبرد منه فأظلمتهم
وكانت تسير بسيرهم إذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم إذا نزلوا وذلك قوله
تعالى (وظلمنا عليهم الغمام) يعني في النيه يقيكم حر الشمس ومنها أنه جعل لهم
عموداً من نور يضيء لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر ، فقالوا هذا الظل والنور
قد حصل فآين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن .

واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الأشجار وطعمه كالشهد
وقال الضحاك هو البر يختبر ، وقال وهب هو الخير الرقاق ، وقال السدي كان عسل
يقع على الشجر من الليل فياً كونه منه ، وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل
الربو الغليظ ، وقال الزجاجي المن ما يمن الله به بما لا تعب فيه ولا نصب ،
وقال النبي ﷺ (الحكمة من المن وماؤها شفاء للعين) .

قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الأشجار مثل الثلج لكل إنسان
منهم صاع كل ليلة .

فقالوا يا موسى قتلنا هذا المنى بحلاوته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا
موسى فأنزل الله عليهم السلاوى .

واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السماني .

وقال أبو العالاية ومقاتل هو طير أحمر بعشه الله عليهم فأمطر به السماء في عرض
ميل وقدر ربح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك ، وقيل
لأنه كان طيراً مثل فراخ الحمام طيباً سميناً قد تمتع ريشه وزغبه وكانت الريح تأتي
به إليهم فيصبحون وهو في معسكرهم .

وقيل لأنه كان يأتهم فيستمرسل إليهم فيأخذونه بأيديهم ، وقال عكرمة هو طير
يكون بالهند أكبر من المصفور ، وقال الماورخ هو العسل بلغة كتمانة قال شاعرهم
وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألد من السلاوى إذا ما نشورها
فكان الله ينزل عليهم المن والسلاوى ، وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وإيلته
فإذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل عليهم يوم
السبت فذلك قوله تعالى (وأنزل عليكم المن والسلاوى كلوا) أى قلنا لهم كلوا من
طيبات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فخبأوا لغد ففدود وفسد ما أدخروا
وقطع الله عنهم ذلك .

قال الله تعالى (وما ظلمونا) أى أضرونا بالمعصية ومخالفة الأمر (ولما كن
كانوا أنفسهم يظلمون) باستصحابهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذى كان ينزل
عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعه في العقي .

أخبرنا شعيب بن محمد قال أخبرنا مكي بن عبدان قال أخبرنا محمد بن الأزهر قال
حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عون بن عبد الله عن جلاس بن عمر عن أبي هريرة
قال قال رسول الله ﷺ (لولا بنو إسرائيل لم يخزن اللحم ولم يخبث الطعام ولولا
حواء لم تخن أنثى زوجها) ومنها أنهم عطشوا في الزينة فقال يا موسى من أين
نشرب ؟ فاستسقى لهم موسى فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك الحجر فقالوا

كيف بنا إذا مضينا إلى الرمل وإلى الأرض التي ليس فيها حجارة فأمر موسى أن يحمل معه حجراً فحينما نزل ألقاه .

وقال آخرون : كان حجراً مخصوصاً بعينه ، والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الآف واللام للتعريف والتخصيص كقوله : رأيت الرجل .

ثم اختلفوا في ذلك الحجر ما هو ؟ فقال ابن عباس كان حجراً خفيفاً مربعاً مثل رأس الرجل أمر أن يحمله فحمله فكان يضعه في مخلاته فإذا احتاجوا إلى الماء أخرجه وضربه بعصاه فينفجر عيوناً كما ذكرنا فسقام .

وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر بثوبه ، فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال يا موسى أن الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله تعالى مما قالوا) الآية وهو ما أخبرنا به الحسن بن أحمد الخلدی بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراًة ينظر بعضهم إلى سواة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع في أثره موسى يقول ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر حتى نظر بنو إسرائيل إلى سواة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعد ما نظر إليه بنو إسرائيل فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضرباً فقال أبو هريرة والله إن أثر ضرب موسى بالحجر ستة أو سبعة .

قال عبد الميز الكنانى كان موسى ضرب الحجر اثنتى عشرة ضربة فكان يظهر في كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة ، ثم ينفجر بالانهار المطرودة فذلك وله تعالى « فانفجرت منه اثنتا عشر عينا » .

ومنها أنهم قالوا لموسى في التيه من أين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم التي عليهم حتى لا تزيد على الأيام ومرور الأعوام إلا جدة وظرافة ولا تخلق ولا تبلى وتنموا على صديانهم كما تنموا فكشوا على ذلك زماناً طويلاً والله أعلم .

(باب فتح أريحا ونزول بني إسرائيل الشام)

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم
نما فتح أريحا موسى بن يوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى إليهم بمن
من بني إسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين
الذين كانوا بها فدخلها موسى ببني إسرائيل فقام فيها ما شاء الله أن يقيم ثم قبضه
له تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الأقاويل بالصدق وأقربها إلى
الحق لإجماع العلماء بأخبار الأنبياء .

أن عوج بن عنق قتله موسى ، وقال آخرون : ما قاتل الجبارين إلا يوشع
بن نون ولم يسر إليهم بعد موت موسى وهلاك من كان أبي المسير إليهم
قالوا مات موسى وهرون عليهما السلام في التيه .

(قصة وفاة هرون عليه السلام)

قال السدي أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام : إني متوف
هرون فأت جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل وإذا هما
بشجرة لم ير مثلها وببيت مبنى وفيه سريراً عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة فلما نظر
هرون إلى ذلك أعجبه وقال يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير فقال نعم
عليه فقال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي فقال موسى لا تخف أنا
كفنيك رب هذا البيت فثم فقال يا موسى نعم فإني جاء رب هذا البيت غضب
علينا جميعاً فنام موسى وأخذ هرون الموت .

وقال عمرو بن ميمون : مات موسى وهرون في التيه ومات هرون قبل موسى
وكان خرجا في التيه إلى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف إلى بني إسرائيل
فقال أين هرون ؟ قال مات قالوا كذبت ولمكنك قتلتك لحبنا إياه وكان محبباً في
بني إسرائيل فتضرع موسى إلى ربه وشكا إلى ربه ما لقي من بني إسرائيل .
فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى قبره فإني باعثه حتى يخبرهم أنه مات ولم
تقتله فانطلق بهم إلى قبر هرون فناداه يا هرون نخرج من قبره ينفض التراب عن
رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا والله ولكني مت فماد وانصرفوا والله أعلم .

(ذكر وفاة موسى عليه السلام)

قال ابن إسحاق : كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه أراد أن يحبب إليه الموت ويكره إليه الحياة ، وكان يوشع بن نون يغدو إليه ويروح فيقول له موسى يا نبي الله ما أحدث الله إليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصبح بك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تقتدي به وتذكره ولا يذكر له شيئاً ، فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت .

قال الأستاذ بإسناده : حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهباً يقول : وذكر من كرامة موسى عليه السلام أنه ضاق ببني إسرائيل ذرها لما كثروا عليه فبعث الله إليه ألف ملك يَكُونُونَ أعواناً له ، فلما مال الناس إليهم وجد موسى في نفسه خيرة فأماهم الله لكرامته في يوم واحد .

واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام .

حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بإسناده عن أبي عن رسول الله ﷺ قال : جاء ملك الموت إلى موسى فقال له أجب ربك فاطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت إلى الله عز وجل فقال يا رب إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت وفقاً عيني فرد الله عينه وقال ارجع إلى عبدى وقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شهر فانك تعيش بعدد كل شجرة من ذلك سنة قال ثم ماذا ؟ قال ثم تموت ، قال فالآن من قريب قال يا رب فادنني من الأرض المقدسة رمية حجر .

قال رسول الله ﷺ . لو كنت عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند المشيب الأحمر .

قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول : سمعت أبا حامد الشرقي يقول : سمعت
عبد بن يحيى يقول قد صحح هذا عن رسول الله ﷺ يعنى قصة ملك الموت وموسى
عليه السلام لا يردّها إلا كل مبتدع ضال .

وفى حديث آخر : أن رسول الله ﷺ قال : أن ملك الموت كان يأتى الناس
معيافاً حتى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقد عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خيفة .
ويروى أن يوشع بن نون رآه بعد موته فى المنام فقال : كيف وجدت الموت
يا نبي الله ؟ قال : كشاة تسليخ وهى فى الحياة .
ويروى أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفى الله موسى
ابن عمران فمن الذى يطمع فى البقاء ، وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة وعشرون
هنها فى ملك أفريدون ومائة سنة فى ملك منوجهر .

قال الاستاذ : رجعنا إلى قصة حرب أريحا ونخبر الفتح ، قال : فلما انقضت
أربعون سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبياً فأخبرهم أنه نبي الله وأن
الله قد أمره بقتل الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه بنى إسرائيل إلى أريحا
ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر ،

فلما كان فى الشهر السابع نفخوا فى القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط
سور المدينة فدخلوها وقتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم
فكانت المصيبة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها ولا يقطعونها

وكان القتال يوم الجمعة فبقى منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة
الجمعة فخشى يوشع أن يعجزوه فقال : اللهم اردد الشمس على ، أو أنه قال للشمس
إنك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى
ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيد له فى النهار ساعة
واحدة حتى قتلهم أجمعين .

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن حامد الأصفهاني بإسناده عن عروة بن عبد الله قال : دخلت على فاطمة بنت علي رضوان الله عليهما فرأيت في عنقها خرزاً ، ورأيت في يدها مسكيتين غليظتين وهي عجوز كبيرة ، فقلت لها ما هذا ؟ فقالت إنه يكره للمرأة أن تتشبه بالرجل .

ثم حدثني أن أسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد أوحى الله إليه فجعله بشوبه ولم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول غابت أو أرادت أن تغيب ثم إن نبي الله سرى عنه فقال : أصليت يا علي ؟ قال لا ، فقال النبي ﷺ اللهم اردد عليه الشمس ، فرجعت حتى بلغت نصف المسجد .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ غزا نبي من الأنبياء فقال القوم : لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولا آخر قد بنى له بيتاً ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنماً أو خرافات وهو ينتظر أولادها قال فدنا من القوم صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقالت الشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه .

قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تأكلها فقال إن فيكم غولاً فليجاءي من كل قبيلة منكم رجل فبأيعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غللتهم .

قالت : فأخرجوا مثل رأس البقره من ذهب فألقوه في الغنيمة وهي بالصميم فجاءت النار فأكلتها .

قال النبي ﷺ (لم تحمل الغنائم لأحد قبلنا ، وذلك أن الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا) .

قالوا ثم أمرهم الله أن يدخلوا أريحا متواضعين مستغفرين خائفين رءوسهم
وذلك قوله تعالى (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً
وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة) وكان لهم سبعة أبواب سجداً أى منجنين
متواضعين وقولوا حطة أى حط عنا خطايانا .

قال وهب : إنهم أذنبوا بآبائهم وكان توبتهم إذا أذنبوا دخلوا أريحا ؛
فلما فصلوا من التيه أحب الله أن يستنقذهم من الخطيئة .

قال ابن عباس حطة قول لا إله إلا الله سميت بذلك لأنها تحط الذنوب
(فغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين إحساناً . فبدل الذين ظلموا قولاً غير
الذى قيل لهم : وذلك أنهم دخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حطاً سمعاً أى
حطة هراء استخفافاً بأمر الله تعالى : فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء)
أى عذاباً من السماء بما كانوا يفسقون .

وذلك أن الله تعالى أرسل عليهم طاعوناً وظلماً فهلك منهم سبعون ألفاً في ساعة
واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم :

قالوا فلما استقرت بنو إسرائيل بالشام وصفت لهم توفى الله نبيه يوشع
ودفن في جبل افرايم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتدبره أمم بني إسرائيل
بهمك موت موسى سبعاً وعشرين سنة .

(مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بأمور بني إسرائيل)
(بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام)

قالت العلماء بأخبار الماضين وأهور الأمم السالفين لما حضرت الوفاة
يوشع بن نون استخاف على بني إسرائيل كالب بن يوقنا .

قال الله تعالى (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) فأحسن الخلافة
حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بني إسرائيل لابنه يوسافوس .
وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء ؛
وكانوا يفتنون به ؛ وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون إليه ويقولون له :
أيها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحي أن يردهم فلما أكثروا خاف
الفتنة فسأل الله أن يغير صورته مع الأمة حواسه وجوارحه فأصابه الجدرى
فصار مجدوراً ملوحاً فلبث فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله إليه والله أعلم .

(ذكر خبر حزقيل عليه السلام)

قالت العلماء بأخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب ولابنه بعث
الله تعالى حزقيل إلى بني إسرائيل نبياً ؛ وهو حزقيل بن بوري ؛ ويلقب بابن
المعجوز ؛ وإنما لقب بابن المعجوز لأن أمه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز ؛
وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها ؛ وهو الذي أحيا الله تعالى به
القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأحياهم الله تعالى بعد
موتهم بدعوته في قوله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف
حذر الموت) الآية .

قال أكبر المفسرين : كانت قرية يقال لها (داوردان) قرية قبل واسط
وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون ؛ وبقيت طائفة فهلك

أكثر من بقى في القرية وسلم الذين خرجوا ؛ فلما رجع الطاعون رجعوا
سالمين ، فقال الذين بقوا : إن أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا
لبقينا ولأن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن إلى الأرض التي لا وباء فيها فوقع
الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا وادياً أبيض فلما نزلوا
المكان الذى يبتغون فيه النجاة والحياة إذا هم بملك من أسفل الوادى وآخر من
أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعاً .

وروى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا سمعتم
بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه .

وقال الضحاك ومقاتل والكلبي : إنما فر هؤلاء من الجهاد ؛ وذلك أن
ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فخرجوا
فمسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا لملكهم : إن في الأرض
التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها ؛ فأرسل الله عليهم الموت ؛
فلما رأوا الموت قد كثرت فيهم خرجوا من ديارهم فراراً من الموت ،
فلما رأى الملك ذلك قال : اللهم رب يعقوب وإله موسى ؛ قد ترى مصيبة
عبادك ؛ فأراهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار من حكمك
ورقضاءك .

فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعاً وماتت دوابهم كموتهم وموت
رجل واحد فما أتى عليهم إلا ثلاثة أيام حتى انفجروا وأروحو وأروحت أجسادهم
نفرج إليهم الناس فحجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع
وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم .

فقال عطاء الخراساني : كانوا ثلاثة آلاف ، وقال ابن عباس وذهب
كانوا أربعة آلاف .

وقال مقاتل والكلبي : ثمانية آلاف .

وقال أبو روق : عشرة آلاف .

وقال أبو مالك . ثلاثين ألفاً .

وقال السدي : بضعا وثلاثين ألفاً .

وقال ابن جريج : أربعين ألفاً .

وقال عطاء بن أبي رباح : سبعين ألفاً .

وقال فأنى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت
أوصالهم فمر عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكراً متعجباً
فأوحى الله تعالى إليه يا حزقيل تريد أن أريك كيف أحي الموتى ؟ قال نعم
يارب فأحياهم الله جميعاً .

وروى منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحبوا سبحانه اللهم
ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت فرجهوا إلى قومهم وتناسوا بعد ما أحياهم الله
وعاشوا دهرآ لا يعرفون أبهم كانوا موتى سخنة الموت على وجوههم لا يلبسون
وبأ إلا عادوا رميا مثل السكفن حتى ماتوا لأجلهم إلى كتب الله لهم .

قال ابن عباس : فإنه لا يوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الريح .

قال قتادة : مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فأماهم الله عقوبة لهم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد وقال (وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم) .

(باب في قصة إيلياس عليه السلام)

قال الله تعالى (وإن إيلياس لمن المرسلين) إلى آخر القصة .

قال ابن إسحق والعلماء من أصحاب الأخبار : لما قبض الله تعالى حزقييل عليه السلام عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله إليهم في التوراة حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله إليهم نبياً وهو إيلياس بن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران

وإنما كانت الأنبياء بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا وضيّعوا من أحكام التوراة وبني إسرائيل يومئذ متفرقون في أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملئها ببنو إسرائيل وقسمها بينهم فأخذ سبط منهم بعلمك ونواحيها هم سبط إيلياس فبعث الله تعالى إليهم نبياً وعليهم يومئذ ملك يقال له لا يجب قد ضل وأضل قومه وجسبرهم على عبادة الأصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعاً وكان له أربعة وجوه

وقال ابن إسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل إلا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى (إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين)

قال فجعل إيلياس يدعوهم إلى الله ولا يطيعونه ولا يحيبونه إلى ذلك إلا ما كان من أمر لا يجب الملك الذي كان بعلمك فإنه آمن به وصدقه : وكان إيلياس يقوم أمره ويسدده ويرشده ، وكان لا يجب امرأة يقال لها أربيل

وكان يستخلقها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء ، وتقضى بين الناس وكانت قتالة للأنبياء وكان لها كاتب رجل حكيم يكتُم إيمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الأرض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من بني إسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتياال وكانت معمرة ويقال إنها ولدت سبعين ولداً

قال وكان اللاجب هذا جاز من بني إسرائيل رجل صالح يقال له مزدكى وكانت له جنية يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنية إلى جانب قصر الملك وامرأته وكان يشرفان على تلك الجنية ويتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها حيناً وكان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكى وامرأته أربيل تحسده على ذلك لأجل تلك الجنية وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنية من حسنها ويقولون ما أخرى أن تكون هذه الجنية لأهل القصر ويتمجبون من أمر الملك وامرأته كيف لم يغضبها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى في أن تقتله وتأخذ جنيته والمملك ينهاها عن ذلك فلا تجد إليه سبيلاً ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعبد فلما طال غيبته اغتمت امرأته أربيل أن تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكى في أن تقتله وتأخذ جنيته وهو غافل عما تريد مقبل على عبادة ربه وإصلاح معيشته فجمعت أربيل جمعاً من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكى بالزور أنه يسب الملك لاجب فأجابوها إلى ما سألنهم من الشهادة بالزور

وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك القتل إن قامت البينة فأحضرت مزدكى وقالت له بلغنا أنك شتمت الملك واغتمته فأمر مزدكى ذلك فأقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فأمرت بقتله فقتل وأخذت جنيته غصباً فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح

فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت ولا وفقت ولا أرى
أنا نفلح بعدها أبداً وإنا كنا على جنينته لأغنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا
وتحرم بنا منذ زمن طويل فأحسننا جواره وكففتنا عنه الأذى لوجوب حقه علينا
فقبضت بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه إلا سفهك وسوء رأيك وقلة
تفكيرك في العواقب

فقالت إنما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها ما كان يسمع حملك وعظيم
خطرك العفو عن رجل واحد فتحفظين جواره فقال قد كان ما كان
فبعث الله تعالى إلياس عليه السلام إلى لاجب وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله
تعالى قد غضب عليه لوليه حين قتلوه بين أظهرهم ظالماً

وقد آل على نفسه أنهما لم يتوبا من صنعهما ويرد الجنينة على ورثة مزدكي
والأهل بيتهما يعني لاجب وأمراته في جوف الجنينة أشد ما يكون يسفك دمهما ثم
يدعهما جيفتين ملقأتين حتى تتعري عظامهما عن لحومهما ولا يتمتعا إلا قليلاً

قال فجاء إلياس وأخبر الملك بما أوحى إليه في أمره وأمر امرأته والجنينة
فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا إلياس والله ما أرى ما تدعونا
إليه إلا باطلاً والله ما أرى فلاناً وفلاناً وسمى ملوكاً منهم عبدوا الأوثان
إلا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون بملكين ما ينتص من
دنياههم ولا من أمرهم الذي تزعم أنه باطل شيء وما ترى لكم علينا من فضل
قال ثم هم يتعذب إلياس وقته فلما سمع إلياس ذلك وأحس بالشر ففضه
ونخرج عنه فلاحق بشواهد الجبال وعاد الملك إلى عبادة بعل فأوثق إلياس إلى
أصعب جبل وأشمخه فدخل مغاراً فيقال إنه بقي فيه سبع سنين شريداً وحيداً
فريداً خائفاً يأوى إلى الشعاب والمكهوف ويأكل من نبات الأرض وثمار الشجر
وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون أخباره ويحتشدون في أخذه والله
تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء

فلما تم له سبع سنين أذن الله تعالى في إظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فأمرض الله تعالى ابن الملك لاجب وكان أحب أولاده إليه وأعزهم عليه وأشبههم به فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه بهلا وكانوا قد فتنوا بهل فعظموه حتى إنهم سموا مدينتهم به فقالوا لها بهليك وجعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أمناء وجعل الشيطان يدخل في جوف الصنم ويكلمهم بأنواع الكلام والأربعمائة يصغون بآذانهم إلى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الأنبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك أن يشفعوا له إلى بهل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه له فلم يجيبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم يحتشدون في التضرع إليه والمريض لا يزداد بذلك إلا ألماً وجهداً

فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب أيها الملك إن في ناحية الشام آلهة أخرى وهى في العظم مثل إلهك فابعث إليها الأنبياء يشفعون لك إليها فلعلها أن تشفع لك إلى بهل فإنه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى مرض ابنك فقال لاجب لاى شيء غضب على وأنا أطيعه وأطلب رضاه ولم أسخطه ساعة قط

قالوا من أجل أنك تقتل إلياس وفرط فيه حتى نجا سالماً وهو كافر بإلهك يعبد غيره فذلك الذى أغضبه عليك

قال لاجب وكيف لى أن أقتله فى يومى هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابنى وليس لإلياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصدوه فلو عوفى ابنى تفرغت لطلبه ولم يكن لى هم ولا شغل غيره حتى آخذه وأقتله وأريح لهى منه وأرضيه قال ثم إنه بعث لأربعائة نبي إلى الآلهة التى بالشام يسألوها أن تشفع لصنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا إلى الأصنام فكلموها فمنع الله عز وجل الشيطان من

الولوج في الأصنام ولم تسلكهم فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك . فقال الملك وكيف لي أن أقتل إلياس في هذا اليوم . قال نخرج أربعمائة حتى إذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه إلياس أوحى الله إليه أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فإني سأصرف عنك شرهم وألقى الرعب في قلوبهم فنزل إلياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم إن الله أرسلني إليكم وإني من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوها أصحابكم ارجعوا إليه وقولوا له إن الله تعالى يقول لك أنت تعلم يا لاجب إني أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يحملوك جهلك وقلة عقلك على أن تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممن لا يملكون لأنفسهم شيئاً إلا ما شئت وإني آليت باسمي لأغيظنك في ابنك ولأميته من فوره هذا حتى تعلم أن أحداً لا يملك لهم شيئاً دوني .

فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعباً فلما صاروا إلى الملك ووصلوا إليه قالوا له ما قال لهم إلياس وأخبروه بأن إلياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف وقهجل وتمط شعره ويابس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال قاستوقفنا . فلما وقفنا صار معنا فقذف له في قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير . وهو واحد فلم نقدر أن نسلمه ونراجعه وملاً أعيننا منه حتى رجعنا إليك .

ثم لأنهم قصوا عليه كلام إلياس فقال لاجب لا أنتفع بالحياة مادام إلياس حياً ما الذي منعكم أن تبطلشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به . وأنتم تعلمون أنه طلبني وعدوى ؟ وقالوا قد أخبرناك بالذي منعنا عنه ومن كلامه هو البطلش به .

فقال لاجب إذا ما نطبق إلياس إلا بالمكر والخديعة فقبض له خمسين رجلاً من قومه من ذوى القوة والبأس وعهد إليهم عهده وأمرهم بالاحتياط عليه وأن يطعموه بأنهم قد آمنوا به ومن وراءهم ليطعنن إليهم ويفتر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذى فيه إلياس عليه السلام ثم أنهم تفرقوا فيه وهم ينادون بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبي الله ابرز لنا وأشرف علينا بنفسك فإننا قد آمننا بك وصدقناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرءون عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمننا بك وأجبناك إلى ما دعوتنا إليه فلم إلينا فأنت نبينا ورسول ربنا فأقم بين أظهرنا وأحكم بيننا فإننا ننقاد إلى ما تأمرنا وننتهى عما نهيتنا وليس يسمعك أن تتخلف عنا بعد إيماننا بك وطاعتنا لك فتداركنا وارجع إلينا وكل هذا مكرأ منهم وخديعة .

فلما سمع إلياس مقالاتهم وقع في قلبه إيمانهم وخاف الله وأشفق من سخطه إن هو لم يظهر إليهم يحجبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم على البروز إليهم رجع إلى نفسه وقال لو لاني دعوت الله تعالى فسأله أن يعلفى ما فى نفوسهم ويظلمنى على حقيقة أمرهم .

وكان ذلك إلهاماً من الله تعالى وتوفيقاً له فقال اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لى فى البروز إليهم وإن كانوا كاذبين فأكفينهم وأرهمم بنار تحرقهم جميعاً فما استقم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فأحرقوا جميعاً .

قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتد عن ضمير السوء واحتال ثانياً فى أمر إلياس فقبض له فئة أخرى مثل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأى فأقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله إننا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسخطه إننا لسنا كالذين أتوك قبلنا أولئك فرقة بافقوا وخالفوا .

فصاروا إليك لم يذكروا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد كفاك الله أمرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم .

فلما سمع إلياس مقاتلتهم دعا الله بدعوته الأولى فأمر الله عليهم نارا فأحرقوا جميعاً عن آخرهم كل ذلك وابن الملك في البلاء الشديد من وجهه كما وعده الله تعالى على لسان نبيه إلياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخف عنه من عذابه .

فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانياً ازداد غيظاً إلى غيظه وأراد أن يخرج في طلب إلياس بنفسه إلا أنه شغله عن ذلك مرض لابنه فوجه نحو إلياس الكاتب المومن الذي هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس إليه فينزل معه وأظهر الكاتب أنه لا يريد بإلياس سوءاً ولا مكرهاً وإنما أظهر له ذلك لما طلع عليه من إيمانه .

وكان الملك مع اطلاعه على إيمانه مغضباً عنه لما هو عليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأي والبصيرة بالأمور .

فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وأن لا جب إن أخبرته رسلك إنك لقيت هذا الرجل ولم يأت بك إليه فإنه يتهمه ويعرف أنه قد داهن في أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فإن الطلاق معه عذرة وبراءته عند لا جب وإن شغله عنك وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فإذا مات هو فارجع أنت ولا تقم عنده قال فانطلق إلياس معهم حتى قدموا على لا جب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه الوجع وأخذ الموت بكظمه فشغل الله بذلك لا جب وأصحابه عن إلياس ورجع إلياس سالماً إلى مكانه .

فلما مات ابن لاجب وفرغوا من أمره قد جزعه انتبه لإلياس وسأل عنه
الكتاب المؤمن الذي جاء فقال له ليس لي به علم وذلك أنه قد شغلني عنه موت
ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه فأطرق عنه لاجب
وترد لما كان به من الحزن على ابنه .

فلما طال الأمر على إلياس من المكث في الجبل والمقام به واشتاق إلى
العمران والناس فنزل من الجبل والطلاق حتى نزل بأمرأة من بنى إسرائيل وهي
أم يونس بن متى ذى النون فاستخفى عندها ستة أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود
رضيع وكانت م يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه
كرامة تقدر عليها .

قال ثم إن إلياس عليه السلام سم ضيق البيوت بعد قعوده في الجبال وأوحشها
فأحب اللعوق في الجبال فعاد إلى مكانه في الجبال فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها
فقدته ثم لم يلبث إلا قليلا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها
فخرجت في طلب إلياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته
فسلمت عليه وقالت له إني فجعت بعدك بموت ابني وعظمت به مصيبتى واشتد
لفقدته بلائى وليس لي ولد غيره فارحني وادع ربك تعالى أن يحيى لي ابني ويحبر
مصيبتى فإني قد تركته مسجى لم أدفنه وقد خفيت مكانه .

فقال لها إلياس عليه السلام ليس هذا بما أمرت به وإنما أنا عبد مأمور أعمل
بما أمرني ربي به ولم يأمرني بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعمطف الله قلب إلياس
عليها فقال لها وهي مات ابنك ؟ فقالت منذ سبعة أيام .

فانطلق إلياس عليه السلام معها وسار سبعة أيام حتى أتى إلى منزلها فوجد
ابنها يونس ميتاً منذ أربعة عشر يوماً فتوضأ إلياس وصلى ودعا فأحيا الله يونس
ابن متى فلما عاش وجلس وثب إلياس وانصرف وتركه وعاد إلى موضعه

قال ، فلما طال عصيان قومه ضاق إلياس بذلك ذرعاً وأجهده البلاء فأوحى الله .
إليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور مجرود يا إلياس ما هذا الحزن والجزع
الذي أنت فيه ألسنت أميني على وحي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي فاسألني
أعظك فإني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم .

قال إلياس عليه السلام : تمتني وتلحقني بآبائي فإني قد مللت بني إسرائيل .
وملوني وأبغضتهم فيك وأبغضوني ، فأوحى الله إليه يا إلياس ما هذا اليوم الذي .
عزى منك الأرض وأهلها وإنما قوامها وصلاحها بك وأشباهك ولكن سألني .
أعظك قال إلياس : فإن لم تمتني يا إلهي فأعطي ثأري من بني إسرائيل .

فأوحى الله تعالى إليه فأى شيء تريد أن أعطيك يا إلياس قال تمتني من .
خزائن السماء سبع سنين فلا تنشق عليهم سحابة إلا بدعوتي ولا تمطر عليهم سبع
سنين قطرة إلا بشفاعتي فإنهم لا يذلمهم إلا ذلك قال الله تعالى يا إلياس أنا أرحم
بعبادي من ذلك وإن كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك .
وإن كانوا ظالمين قال خمس سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين .
قال فأربع سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين ولكن أعطيك .
ثأرك منهم ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ولا أنشر عليهم سحابة إلا بدعوتك .
ولا أنزل عليهم قطرة إلا بشفاعتك قال إلياس فأى شيء أعيش ؟

قال أسخر لك جيشاً من الطير تنقل إليك طعامك وشرابك من الريف والأرض .
التي لم تقبض قال إلياس قد رضيت فأمسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت
المواشى والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً وإلياس على حاله .
مختلف من قومه بموضع يذساق له فيه الرزق ويأنيه حيثما كان وقد عرفه بذلك .
قومه ؟ فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل إلياس هذا المكان
فيطلبونه ويلقى منهم أهل ذلك المكان شراً .

قال ابن عباس ، أصاب بني إسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فرأى إلياس
يسجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فجاءته
بشيء من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله في ذلك حتى ملأت
جرابها دقيقاً وملأت خوابيها زينة فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عندما قالوا لها
من أين لك هذا ؟ قالت مر بي رجل من حالة كذا وكذا ووصفته بصفته فعرّفوه
وقالوا لها ذلك إلياس ثم لأنهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم إلى الجبال والله أعلم .

(قصة اليسع عليه السلام)

ويروى أن إلياس أتى إلى بيت امرأة من بني إسرائيل لها ابن يسمى اليسع
ابن أنخطوب وكان به ضر فمآرتة وأخذت اسره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان
فيه واتبع اليسع إلياس وآمن به وصدقته ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب .

وكان إلياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاماً شاباً ثم إن الله تعالى أوحى إلى
إلياس عليه السلام إنك أهلك كثيرأ من الخلق ممن لم يعصوني سوى بن
إسرائيل من البهائم والدواب والحوام والشجر والنبات بحيثس المطر عن بني
إسرائيل فيزعمون والله أعلم أن إلياس قال يارب دعني أكون الذي أدعوه لهم
وآتيهم بالفرج عما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلمهم يرجعون عما هم عليه من
عبادة غيرك فتيل له نعم فجاء إلياس إلى بني إسرائيل وقال لهم ويلاكم إنكم قد
هلكتم جوعاً وجهداً وهلكت البهائم والدواب والطيور والشجر والنبات بحيثس
المطر عنكم بخطاياكم ولانكم على باطل وغرور فإن كنتم تحبون أن تعلموا أن
أصنامكم التي تدعونها من دون الله لن تنقنكم شيئاً فاخرجوا بأصنامكم هذه فإن
استجابت لكم فذلك كما تقولون وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل وغرور فزعم
عندها ودعوت الله تعالى أن يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا
ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء .

فقالوا يا الياش إنا هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياش وهداه اليسع - عليهم السلام بالفرج مما هم فيه وأن يستقوا نخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون إليها فأقبلت نحوهم وطبقت عليهم الأفق ثم أرسل الله عليهم المطر فأغاثتهم وأحييت بلادهم .

قالوا فشكروا إلى الياش هدم الجدران وعدم البذر ، وقالوا ليست لنا محبوب . فأوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بأن يبذروا الرمل فأنت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم التمر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه .

فلما رأى الياش ذلك دعا ربه أن يريجه منهم فقبل له انتظار يوم كذا وكذا فاخرج لي موضع كذا كذا فإذا جاءك شيء فاركبه ولا تنبهه فخرج الياش وهداه اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالموضع الذي أمر بالخروج إليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياش فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياش ما تأمرني به فقذف إليه كساءه من الجو الأعلى فكان ذلك علامة على استخلاصه لياش على بني إسرائيل وذهب الياش وكان ذلك آخر العهد به .

ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبياً ورسولاً إلى بني إسرائيل وكانوا يعظمونه وينتمون إلى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقه اليسع .

أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبي داود قال : إن الخضر والياش عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببית المقدس ويوافيان الموسم في كل عام .

وأخبرني ابن فتحويه عن رجل من أهل عقلا أن كان يمشى بالأردن عند نصف النهار فرأى رجلاً فقال يا عبد الله من أنت ؟ فقال أنا إياش قال فوقيت

على رعدة شديدة فقلت له ادع الله أن يرفع عني ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل
عنيك قال قد دعا لي بثمان دعوات ومن : يا بر يا رحيم يا منان يا حنان يا حي
يا قيوم ودعوتين بالسرانية لم أفهمهما - وقيل هما باهيا شراهما فرفع الله عني
ما كنت أبعد ووضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فقلت له أيوحى
إليك اليوم ؟ فقال منذ بعث محمد ﷺ رسولاً فإنه لا يوحى لي ، قال فقلت له كم
من الأنبياء اليوم أحياء ؟ قال أربعة إثنان في الأرض وإثنان في السماء أما اللذان
في السماء فعيسى وإدريس عليهما السلام - وأما اللذان في الأرض فإلتاس والخضر
عليهما السلام .

قلت كم الأبدال ؟ قال ستون رجلاً خمسون منهم من لدن عرش مهصر إلى
شاطئ الفرات ورجلان بالصيحة ورجلان بمسقلان وسبعة في سائر البلدان كلما
أذهب الله واحداً منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمتطرون
فقلت فالخضر اين يكون ؟ قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت أين
تقال بالموسم قلت فما يكون حديثكما ؟ قال يأخذ من شمري وآخذ من شهره .

قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت
فما تقول في مروان ابن الحكم ؟ قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول
والشاهد في النار قلت : فإنني قد شهدت ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم ولم أضرب
بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك المقام أنت أدعو إلى مثله أبداً قال أحسنت
فممكن كما تكون .

قال فبينما أنا وإياه قاعدان إذا وضع بين يديه رغيمان أشد بياضاً من الثلج
فأكلت أنا وهو رغيفاً وبعض الآخر ثم رفعت رأسي وقد رفعت باقي الرغيف الآخر
فما رأيت أحداً وضعه ورأيت أحداً رفعه ، قال وله فاقة ترعى في وادي الأردن
تفرح رأسه إليها فلما دعاها جاءت ويركت بين يديه فركبها فقلت له إنني أريد أن

أصبحك قال وإني لا أقدر على صحبتي قال فقلت له إني خلوا لأزوجة لي ولا عيال .
قال تزوج وإياك والنساء الأربع الناشرة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج .
مابدا لك من النساء قال فقلت إني أحب أن ألقاك قال فإذا رأيتني فقد لقيتني إني .
أعتسكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم حالت بيني وبينه شجرة فوالله ما أدري .
كيف ذهب وهذه آخر القصة .

(مجلس في قصة ذي الكفل عليه السلام)

قال الله تعالى (وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين) قال بجاهد
لما كبر اليسع قال : لو إني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى .
أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لي بثلاث استخلفته يصوم النهار
ويقوم الليل ولا يفضب ، فقام إليه رجل شاب تزدرية العميون فقال أنا فرده
ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال : أنا
أعمل ذلك فاستخلفه .

قال فلما رأى إبليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فأعيامهم فقال
دعوني وإياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائه وكان لا ينام
بالليل والنهار إلا تلك النومة فذق إبليس الباب فقال من هذا ؟ فقال شيخ كبير
مظلوم ففتح الباب يقص عليه القصة ويقول أنا بيني وبين قومي خصومة
وإنهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهب .
للقائلة فقال له إذا رحت فأني آخذ لك بحقك فانطلق وراح إلى مجلسه فلما جلس
جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه .

فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع إلى القائلة وأخذ
مضجعه أتاه فذق الباب فقال من هذا ؟ فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح له ؛ وقال .
ألم أقل لك إذا قعدت فأتني فقال إنهم أخبث قوم إذا عرفوا إنك قاعد يقولون .
نحن نعطيك حقه وإذا قمت جحدوني قال فانطلق فإذا رحت فأتني وفاته القائلة .

فراح وأقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه الناس فقال ابعض أهله لا تدعى أحداً يقرب هذا الباب حتى أقوم فإنه قد شق على عدم النوم .

فلما كانت الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أعياه نظر فإذا كوة في البيت فتسور منها فإذا هو في البيت وإذا به يدق الباب من الداخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم أمرك أن لا تأذن لأحد على فقال أما من قبلي فما أتى فالنظر من قبل من أتى ، فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا الشيخ معه في البيت فقال له : أتنام والخصوم بيابك فمر فله فقال له يا عدو الله ما الجأك إلى هذه الأفعال؟ فقال له إنك أعيتني في كل شيء أردت بك ففعلت بك ما ترى لا غضبك فعميتك الله مني فسمى ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به .

أخبرنا ابن فتحويه ، قال حدثنا عمر بن الفضل عن أبي هاشم أخبرنا ابن الفضل قال أخبرنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الداري عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين لم أحدث . سمعته منه أكثر من سبع مرات يقول (كان في بني إسرائيل رجل يقال له ذا الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فأنبع امرأة فأعطاهما ستين ديناراً على أن تعطيه نفسها فلما قدمت منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل فإني ما فعلته قط ، فقال لها أكرهتك ؟ قالت لا ولستكني حملتي عليه الحاجة فقال لها اذهبي فمهي لك) .

ثم إنه قال والله لا أعصى الله بعد هاقط أبناً فأت من ليلاته فقيل مات ذوالكفل فوجدوا بباب داره مكتوباً (إن الله تعالى قد غفر لذي الكفل)

وقال أبو موسى الأشعري : إن ذا الكفل لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً تكفل به رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء ، وقيل هو إيلياس ؛ وقيل هو زكريا والله أعلم بالصواب .

(مجاس في قصة عيلى وشمويل وهو إسماعيل بالبرانية وقصة التابوت)
وخبير طالوت وجمالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة ؛

قال الله تعالى (ألم تر إلى الملاء من بنى إسرائيل) الآية

(فصل في سياق ومقدمة القصة) قال وهب بن منبه ؛ لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بنى إسرائيل وكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى إليه وخلف فيهم الخلوف وعظمت فيهم الخطايا ؛ وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في أرزاقهم فمكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على صخرة ثم يذر فيه الحب فيخرج الله ما يأكل منه هو وعياله ويكون لأحدهم الزيتون فيعصر منها ما يأكل هو وعياله سنة

فلما كثرت أحداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا عبد الله إليهم ساط الله عليهم العمالة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين. وكان جمالوت الملك فيهم فظهروا على بنى إسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيتهم وسبوا كثيراً من ذراريهم وأسروا من أبناء ماوكم أربعمائة وأربعين غلاماً وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توارثهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتجادون أحياناً في غيهم وضلالهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم له منهم ليرجعوا إلى التوبة أحياناً ويكفيهم الله شر من بنى عليهم حتى بهت الله فيهم طالوت لما ورد عليهم توارثهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون التي آل أمر بنى إسرائيل في إلى السألمجامة منهم وفي بعضهم

إلى غيرهم ممن يقرهم ويتملك عليهم إلى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة إليهم
بشمويل النبي عليه السلام أربعمائة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة
رجل يقال له إيلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلي الكاهن
كان حبرهم وصاحب قربانهم وكان ينتهون إلى رأيه فلما مضى مضى من وقت قيام
بأمرهم مدة بعث الله شمویل نبياً .

(القول في بدء أمر شمویل وصفة نبوته صلى الله على نبيتنا وعليه وسلم)

قال وهب بن منبه - كان لآل شمویل امرأتان إحداهما عجوز عاقرة لم تلد له
ولداً وهي أم شمویل ؛ والاخرى قد ولدت له عشرة أولاد

قال وكان لبني إسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين
فحضر أبو شمویل وامرأتان وأولاده العشرة ذلك العيد .

فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيباً وكان لأم الأولاد عشرة أنصباء
وللعجوز نصيب واحد ؛ فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد
والبغي ، فقالت أم الأولاد للعجوز الحمد لله الذي كثرتي بولدي وقلبك فرجت
العجوز وجوماً شديداً ، فلما كان عند السحر عمدت إلى متعبدتها فقالت ؛ اللهم
بملكك وسمك كانت مقالة صاحبتي واستطالتها على بنعمك التي أنعمتها عليهما وأنت
ابتدأتها بالنعمة والإحسان فارحم ضعفي وارزقني ولداً تقياً راضياً واجعله لي
ولك ذخراً في مسجدك يعبدك ولا يكفر بك ويطيعك ولا يجهلك فإذا
رحمت ضعفي ومسكني وأجبت دعوتي فاجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي
فلما أصبحت حاضت وكان قبل ذلك يئست من الحيض فجعله الله علامة لها
صألته فألم بها زوجها فحملت وكنمت أمرها ولقي بنو إسرائيل في ذلك الوقت
من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدير أمرهم فكافروا يسألون الله تعالى أن
يبعث لهم نبياً يشير عليهم ويجهدو عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم

يعقب منه إلا تلك المرأة الحبلى ، فلما علموا بحبلها تمجبوا من أمرها ، وقالوا حملت إلا نبي ؛ لأن اليائسات لا يحملن إلا الأنبياء كسارة امرأة إبراهيم عليه السلام حملت بإسحاق وإشباع امرأة زكريا حملت ييسى عليه السلام فأخذوها وحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى إسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولداً ذكراً فولدت غلاماً وسمته شمويل تقول سمع الله دعائى فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكماله الشيخ عيلي وتبناه .

فلما بلغ الغلام الوقت الذى يبعثه الله فيه نبياً أتاه جبريل عليه السلام وهو قائم إلى جانب الشيخ عيلي المكنى وكان لم يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل فقال الشيخ يا شمويل فقال الغلام مرعوباً إلى الشيخ وقال يا أبتاه ادعوتنى فذكره الشيخ أن يقول لا فيزع الغلام ، فقال يا بنى ارجع فتم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانياً فانتبه الغلام وقال ادعوتنى يا أبتاه فقال الشيخ ما شأنك ؟ قال أما ادعوتنى ؟ قال لا فقال شمويل فإنى سمعت صوتاً فى البيت وليس فيه غيرنا فقال الشيخ ارجع فتوضأ وصل فإنك أن دعيت بإسمك فأجب وقل لبيك أنا طوعك غامرني بما شئت أفعل ما تأمرنى به ففعل ذلك الغلام فنودى ثالثة ، فقال لبيك أنا طوعك غامرني بأمر أفعل ما تأمرنى به فظهر له جبريل عليه السلام ؛ فقال له اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فإن الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم نبياً وإن الله قد ذراك يوم ذراك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم الذى تباهت عليها ضررتها فيه فلا أحد اليوم أشد منها عضداً ولا ملاذاً فانطلق إلى الشيخ عيلي فقل له إنك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقمتم زماناً بأمره كما بكتابه محافظاً على حدوده .

فلما امتدت مدتك وودق عظمك وذهبت قوتك وفنى عمرك وقرب أجلك وصرت أفقر ما يكون إلى الله تعالى ولم تزل فقيراً إليه عطلت الحدود ووجرت بين

لخصوم وعملت بالرشا والمصانعات وأضعفت حكم الحق عن الباطل وأهله
وذلل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفى المعروف وفشا الكذب وقل الصدق
وما كان الله عاهداً في هذا ولا عليه استيخلائك فبئسما ختمت به عملك ؛ والله
لا يحب الخائنين .

قال وهب بن منبه - بعث الله شمويل نبياً فلبثوا أربعين سنة في أحسن حال
كان من أمر جالوت والعمالة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم
ملكاً فذلك قوله تعالى (ألم تر إلى الملائكة من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا
لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) يعنى شمويل وهو بالبرانية اسماعيل
ابن إلهي بن علقمة بن ماجد بن عمرو بن النهر بن صون بن علقمة صاحب عمرو
ابن عرريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفانا ولم ينسبه أكثر من ذلك .

وقال مقاتل - هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم - هل عسى
أن كتب عليكم القتال ألا نقاتلوا فأجابوا بما قص الله في كتابه (قالوا وما لنا
ألا نقاتل في سبيل الله وقد خرجنا من ديارنا) الآية فلما أخذ شمويل عليهم
الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً .

(ذكر قصة الملك طالوت واثبات الثابت وحرب جالوت وما يتعلق به)

قال الله تعالى (وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) الآية .

قال المفسرون - أن شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله
سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً فأتى بعضاً وقرن فيه دهن القوس وقيل له إن
صاحبكم الذي يكون ملكاً طوله طويل هذه العصا وانظر إلى القرن الذي فيه الدهن
فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بنى إسرائيل فادهن
به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلهما وكان طالوت

وطولها واسمها بالسريانية سادل وبالعبرانية شاول بن قيس بن أفيل بن صارون بن نحورت بن أفيج بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليه السلام وكان رجلاً دباغاً يعمل الأدم .

قال وهب بن منبه (كان يدبغ الجلود) وعكرمة والسدي يقولان كان سقاء يستقي على حمار له من النبل فضل حماره فخرج في طلبه .

قال وهب بن منبه : بل ضاعت حمر لابن طالوت فأرسله وغلاماً له يطلبانها ففرا ببیت شمویل عليه السلام فقال الغلام لطلوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه ر ليرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخل عليه .

فبينما هما عنده يذكرا له خبر الحمر إذ نشأ الدهن في القرن فقام شمویل وقاس طالوت بالمصا فكانت على طول له فقال له شمویل قرب رأسك إلى فدهنه بدهن القدس ثم قال له . أنت ملك بني إسرائيل وقد أمرني ربي أن أملكك عليهم فقال طالوت أنا فقال نعم قال أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل قال بل قال أو ما علمت أن بيتي أدنى بيت في بني إسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك الحمر فكان كذلك ثم أن شمویل قال لبني إسرائيل، أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً .

قال مجاهد أميراً على الجيش (فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بني إسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وإنما كان من سبط بنيامين ابن يعقوب وكانوا عملوا ذنباً عظيماً كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهاراً فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم .

قال ابن كيسان وكان طالت أجهل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم (والله
يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم) قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم إن آية
ملكه أن يأتيكم التابوت الآية

(قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه)

قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار - إن الله تعالى أهبط تابوتاً على آدم عليه
السلام من الجنة حين أهبط إلى الأرض فيه صور الأنبياء من أولاده وفيه بيوت
بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد ﷺ من ياقوتة حمراء وإذا هو قائم
يصلى وعن يمينه السكحل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته
أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبينه مكتوب قرن من
حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجرته مكتوب
على جبينه بار من البروة ومن بين يديه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شاهر
سيفه على عاتقه ومكتوب على جبينه هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند
الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والسكينة الخضراء أنصار وأنصار رسول
نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا

وكان التابوت نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذي
يتخذ منه الأمشاط ملوثة بالذهب وكان عند آدم عليه السلام إلى أن مات ثم عند
شيث إلى أن مات ثم توارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إلى إبراهيم عليه السلام فلما
مات كان عند إسماعيل لأنه أكبر ولده فلما مات إسماعيل كان عنده ولده قيثار
فنازعه فيه ولد إسحق وقالوا له إن النبوة صرفت عنكم وليس لكم إلا هذا النور
الواحد يعني نور محمد ﷺ فاعطنا التابوت فكان يتمتع عليهم ويقول أنه وصية أبي
ولا أعطيه لأحد من العالمين

قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فمسر عليه فتخذه فناداه مناد من السماء مهلاً يا قيذار فليس لك إلى فتح هذا التابوت سبيل أنه وصية نبي ولا يفتحه إلا نبي فادفعه إلى ابن عمك يعقوب لإسرائيل الله لحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صرة التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه أقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوهم فقام يعقوب وأولاده جميعاً فلما نظر يعقوب إلى قيذار سعى إليه باكياً وقال يا قيذار مالي أرى لوني متغيراً وقوتك ضعيفة أرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد أبيك إسماعيل ؟ قال ما أرهقني عدو ولا أتيت بمعصية واسكن أثقل ظهري نور محمد ﷺ فلذلك تغير لوني وضعف ركني .

قال يعقوب أفي بنات إسحق ؟ قال لا واسكن في العربية الجرهمية وهي العامرية فقال يعقوب بنح بنح شرفاً لمحمد ﷺ لم يكن الله لينخرجه إلا في العربيات الطاهرات يا قيذار وأنا مبشرك ببشارة قال وما هي ؟ قال أعلم أن العامرية ولدت لك البارحة غلاماً قال قيذار وما عليك يا ابن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم ؟ قال يعقوب قد علمت ذلك لأنني رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر المدور بين السماء والأرض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلت أن ذلك من أجل محمد ﷺ ثم أن قيذار دفع التابوت إلى ابن عمه يعقوب ورجع إلى أهله فوجدها قد ولدت غلاماً فسماه حملاً وفيه نور محمد ﷺ .

قالوا كان التابوت في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه وكان عنده إلى أن مات ، ثم تداولته أنبياء من إسرائيل إلى وقت شمويل عليه السلام فوصل إلى شمويل وقد اكتمل أمر التابوت بما فيه وكان فيه مما ذكر الله في كتابه (فيه سكينة من ربكم)

(م ١٩ - قصص الأنبياء)

واختلفوا في السكينة ما هي فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ؛ السكينة ريح خجوج هفاقة لها رأسان ووجهان كوجه الإنسان .

وقال بجاهد لها رأس كرأس الهرة وذنب وجناحان .

وقال محمد بن إسحق بن وهب بن منبه عن بعض علماء بني إسرائيل في السكينة رأس هرة وكانت إذا صرخت في التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح .

وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال ؛ هي طست من ذهب الجفة يفصل فيه قلوب الانبياء .

وكانت قصة ذلك التابوت أن القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أردن وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الأعظم فأصبحوا من الغد وإذا الصنم تحته فأخذوه وجعلوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فأصبحوا من الغد وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت فأصبحت الأصنام كلها منكسة فأخرجوه من بيت الأصنام ووضعوه في مكان قريب بقرية في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم أن هذا التابوت لا يقوم له شيء فأخرجوه من مدينتكم قال فأخرجوا إلى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا يبيت الرجل صحيحاً فيقرضه الفار فيصبح ميتاً وقد أكلت ما في جوفه فأخرجوه منها إلى الصحراء ودفنوه في مجرى لهم فكان كل من تبرز هناك أخذ الباسور والقولنج فأخرجوه ووضعوه في بيت فسكت فيهم عشرينين وسبعة أشهر لا يدنو أحد منه إلا احترق وأصابهم في المدينة الآفات والعاهات وفي مواشيهم الموت وفي نسايتهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من بني إسرائيل من أولاد الانبياء فقالت إنكم لا تزالون تزون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فاتوا بهجلة بإشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها

على ثورين وضربوا جنوبيهما فأقبل الثوران يسيران و وكل بها أربعة من الملائكة يسرفونها فلم يمر التابوت بأرض إلا كانت مقدسة فأقبلا حتى وقفا على أرض فيها حصاد ابني إسرائيل فكسر برئتتهما وقطع حبالهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران إلى أرضهما فلم تدر بنو إسرائيل إلا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى (تحملة الملائكة) أي نسوقه الملائكة.

وقال ابن عباس : جهات الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعت في دار طالوت فأقروا بملكه قال الله تعالى (إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) قال ابن عباس : أن التابوت وعصا موسى في بحيرة طبرية وأنها يخرجان قبل القيامة والله أعلم .

(باب في قصة شمويل حين أوحى إليه أن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت)
(مع بني إسرائيل وصفة نهر الابتلاء)

قال الله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر) الآية .

قال فلما أوحى الله إلى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير إلى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه إلا كبير طهرمه أو مريض لمرضه أو ضرير لضره أو معذور لعذره ، وذلك لأنهم لما رأوا التابوت قالوا قلنا أئانا التابوت وهو نصر لا شك فيه ، فسارعوا إلى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي فيما أرى لا يخرج معي رجل بني بناء لم يفرغ منه ؛ ولا صاحب تجارة مشغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بأمرأة ولم يدخل بها ولا يقبض إلا البشاب الذشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على شرطه فخرج بهم وكان في حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم ، وقالوا أن المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجري لنا نهر ، فقال لهم طالوت بأمر شمويل عليه السلام « أن الله مبتليكم بنهر ، مختر بكم ما يرى طاعتكم وهو أهل بكم وهو نهر بين الأردن وبين فلسطين عذب يقال له آدمي » فمن شرب منه فليس

منى ، أى من أهل دينى وطاعتى ، ومن لم يطعمه ، لم يشربه ، فإنه منى ، ثم استثنى فقال : إلا من اغترف بيده ، وهو ملء السكف ومن فتح الغين أراد المرة الواحدة فشربوا منه إلا قليلا منهم .

قال السدى : كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضع عشر رجلا

وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال : قال لى رسول الله ﷺ يوم بدر : أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوز معه إلا مؤمن ، قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوى قلبه وصح ورجع لإيمانه وعبر النهر سالماً وكفنه نملك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه ، والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى أسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا على لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح .

فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعنى الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أى يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت (لم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) الآية وسروا قاصدين الجهاد

(باب فى ذكر أمر داود عليه السلام ونجر جالوت وصفة قتله)

قال الله تعالى (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا) إلى قوله تعالى (وقتل داود جالوت) قال المفسرون وانخبرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر إيشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابنأ له وكان داود أصغرهم وأحقهم فأتى ذات يوم أباه فقال يا أبته ما قدفت تقلاعى هذه شيئاً إلا أصابته وصرعته فقال ابشر يا بنى فإن الله قد جعل رزقك فى قذافتك يعنى فى مقلعك ثم قام يوماً آخر فقال : يا أبته لقد دخلت بين الجبال فرأيت سداً رابضاً فركبته

وقبضت بأذنيه فلم يهمني فقبضت على كفيه ففطرتها برأسه وعنقه إلى ليته بيدي من غير مسكين ولا ضرب بحديد وتراه هناك مقتولا فقال له أبوه : أبشر يا بني فإن هذا خيرا أعطاك الله .

ثم أتاه يوماً آخر وقال يا أبتاه : إني لأمشي بين الجبال فأصبح فما يبقى جبل إلا أصبح معي ، قال أبشر يا بني فإن هذا خيرا أعطاك الله وسيكون لك شأن عظيم . قال فلما وصلت غزاة بني إسرائيل مع طالوت إلى عسكر جالوت أرسل جالوت إلى طالوت أن ابرز إلى أو أبرز إلى من يقاتلني ؛ فإن قتلني فلكم ملكي وإن قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنأدى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد .

فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فأتى بقرن فيه دهن المقدس ويشبهه تنور من حديد وقيل له أن الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلى الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون عن رأسه كهيئة الإكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت أشداه بني إسرائيل وأفوياهم فحربهم فلم يوافقهم منهم أحد .

فأوحى الله إلى شمويل عليه السلام أن في ولد لإيشا من يقتل جالوت وإني أريد أن أجعله خليفة في الأرض من بعدك أعلمه فصل الخطاب وهو راعي الغنم فقل لإيشا يعرض عليك بنديه واحداً واحداً فدعا لإيشا وقال له اعرض علي بنيك فاخرج له اثنا عشر ولداً أمثال السوارع وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلا يرى شيئاً فقال لذلك الجسم ارجع فيرده على التنور فأوحى الله تعالى إليه أنا لا تأخذ الرجال على صورهم ولاكننا نأخذهم على صلاحهم وقلوبهم فقال لإيشا : بل بقي لك ولد غيرهم ؟ قال لا ، قال شمويل : رب قد زعم أنه له ولد غيرهم فقال كذب ، فقال شمويل يا لإيشا إن ربي كذبك قال صدق الله يا بني الله إن لي لابناً صغيراً يقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته

وخلفته في الغنم يرعاهما وهو في شعب كذا وكذا ، وكان داود عليه السلام قصيراً سقيماً مصفراً أزرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادي قد حال بالماء بينه وبين الزريبة التي كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر بهما السيل ولا يخوض بهما الماء .

فلما رآه شمويل قال ، هذا هو لاشك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض وأجلسه في التور فلاه .

فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك لبنتي وأجري حكمك في مملكتي قال نعم ، قال فهل لقيت من نفسك شيئاً تتقوى به على قتله قال نعم أنا راعى الغنم فيجىء الأسد والنمر والذئب ليأخذ شيئاً فأقوم إليه وأقبضه وافتح لحية عنها واحرفهما إلى قفاه ؛ فلما سمع طالوت منه ذلك رده إلى مسكره فر داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فأبى حجر هارون الذي قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته . ب

ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احملني فأبى حجر موسى عليه السلام الذي قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته .

ثم مر بحجر آخر فقال احملني فأبى حجر ك الذي تقتل به جالوت وقد خبأني الله لك فوضته في مخلاته ؛ فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فانتدب له داود وكان طالوت أعطاه فرساً ودرعاً وسلاحاً فرس ولبس السلاح وسار قليلاً فوجد في نفسه زهواً فأنصرف وعاد سريعاً إلى الملك فقال من حوله جبر الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك ؟ فقال له داود أن الله تعالى لم ينصرني فما يغني عني هذا السلاح شيئاً فدعني أقاتل كما أريد ؛ فقال طالوت أفعل ما تريد .

فأخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضا وزنها ثلاثمائة رطل حديد وكان له فرس أبلق مثله في الشدة والقوة وعظم الخلق .

فلما برز جالوت إلى داود ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز إلى ، قال نعم وكان جالوت راكباً على فرس أبلق وعليه السلاح النام فقال له يا بني تأتيني بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر؛ قال نعم أنت أشر من الكلب قال لا جرم لأقسم لحك بن سباع الأرض وطير السماء فقال داود باسم الله ويقسم الله لحك بن السباع وطير السماء وأخذ حجراً منها وقال باسم إله إبراهيم ووضعته في مقلاعه ثم أخرج ثانياً وقال باسم الله إله إسحق ووضعته في مقلاعه ثم أخرج ثالثاً وقال باسم الله إله يعقوب ووضعته في مقلاعه .

قال فصارى الأحجار الثلاثة كلها حجراً واحداً وأدار المقلاع ورمى به فمسخر الله الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه أو قتل من وراءه ثلاثين رجلاً .

ويقال إنه من بعد ما خرج من قفاه تكسر وتفتت بإذن الله تعالى حتى هم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد إلا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صاد كرامة للنبي ﷺ يوم بدر حين حشا الحشوة من التراب فانهمز الجيش ونخر جالوت قتيلاً وأسرع داود عليه السلام إليه فخر رأسه وانتزع من يده خاتمه وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحاً شديداً وانصرفوا إلى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين .

(ذكر بقية قصة طالوت وما كان من داود عليه السلام بعد قتل جالوت)
قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم في أنفسهم ؛ فجاء داود إلى طالوت وقال له : انجز إلى ما وعدتني واعطني امرأتى فقال له طالوت : أتريد ابنة الملك بغير صداق عجل صداق ابنتي وشانك بها . فقال داود اطالوت . ما شرطت على صداقاً وليس لي شيء فتحكم في الصداق بما تريد وأقرضني مهرها وعلى الأداء والوفاء لك به ؛ فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو إسرائيل لا نطعمه وأنجز ما وعدته ، فلما رأى طالوت ميل بني إسرائيل إلى داود أحسن ثناءه عليه وقال : لا حاجة لابنتي في المال ولا أكفك مالا تطيق

أنت رجل جريء وفي جبالنا أعداء من المشركين فانطلق تجاههم فاذا قتل منهم ما أتى رجل وجثتي برءوسهم زوجتك ابنتي .

فأتاهم داود عليه السلام وجعل كلما اقترب منه رجلاً احتز رأسه ونظمه في خيط حتى نظم رءوسهم ثم جاء بهم إلى طالوت وألقاهم بين يديه وقال له . ادفع لي امرأتى فزوجه امرأته وأجرى خاتمه في ماله كما قال الناس إلى داود عليه السلام وأحبه بنو إسرائيل وأكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك في نفسه فأراد قتله .

قال وهب بن منبه : كان الأنبياء والملوك يومئذ يتوكفون على العصي ويفرزون في أطراف العصي أزبجة من حديد وكان داود عليه السلام جالساً في ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصى بغتة ليقته فلمما أحس داود بذلك حاد عن رميته وأمال نفسه من غير أن يبرج مكانه فارتكزت مكازة في الجدار فقال له داود : أردت قتلي قال له طالوت لا بل أردت أن أتفعل ثباتك عند الطعاز وربط جأشك للأقران ، فقال له داود عليه السلام أفلقيته على ما قدرته في ؟ قال نعم والله لك لملك فرعت ، قال معاذ الله أن أخاف إلا الله ولا ألجأ إلا إليه لا يدفع الشر إلا هو

ثم أن داود انتزعها من الجدر وهزها هزة النكرة ؛ وقال له اثبت لي كما ثبت لك فأيقن طالوت بالهلاك فقال له ، أنشدك بالله وبحرمة المصاهرة التي بيني وبينك . ولا كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تخويف وتحذير ؛ فقال داود لطلوت : إن الله قد كتب في التوراة جزاء السيئة سيئة مثلها واحدة والبادي أظلم .

قال طالوت : أفلا تقول قولها بيل (لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بإبسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين) فقال داود قد عفوت عنك لو جه الله تعالى .

فلبث طالوت زماناً يريد قتل داود عليه السلام فعزم على أن يأتيه ويقتله في داره فأخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود أخبرها رجل يقال ذو العينين فقالت

داود إنك المقتول الليلة قال ومن يقتلني؟ قالت أبي قال وهل أجمعت جرماً؟ قالت حدثني من لا يكذب ولا عليك بأس أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال إن كان أراد ذلك لا استطيع خروجاً ولكن إنني بزق من خمر فأنته به فوضعتة في مضجعه على السرير وسجاء ودخل تحت السرير؟

قال فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين بهلك؟ فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيوف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان أكث شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً فقال إن رجلاً طابت منه ما طابت لخليق أن لا يدعي حتى يدرك ثأره مني؛ ثم أنه استتر بحجابيه وحراسه وأغلق دونه الأبواب.

قال فأتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب وفتح الله له الأبواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجليه وسهماً عن يمينه وسهماً عن شماله ثم خرج.

فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال؛ رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني لو شاء لوضع هذا السهم في حلقى وما أنا بالذي آمنه

ووضع الله في قلب طالوت النوبة فندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي وينادي أشهد الله عبداً يعلم لي توبة إلا أخبرني بها فلما كثر عليهم بكاء ناداه من القبور يا طالوت أما ترضى إنك قتلنا أحياء حتى تؤذينا أمواتاً فازداد حزناً وبكاء فرحمه الحباب وقال له مالك أيها الملك، فقال له هل تعلم في الأرض عالماً أسأله هل لي من توبة فقال له الحباب أيها الملك هل تدري ما مثلك؟ قال لا، قال ما مثلك إلا كمثلك ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه؛ فقال لا تركوا في هذه القرية ديكاً إلا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لأصحابه إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندخل فقيل له وهل تركت ديكاً يسمع صوته؛ وأنت هل تركت عالماً في الأرض فازداد حزناً وبكاء

فلما رأى الخباز ذلك ، قال أرأيت إن دلتك على عالم لملك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالإيمان فأخبره أن المرأة العالمة عنده ، فقال له انطلق بنا اليها اسألها هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الأعظم وكان إنما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها فنييت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب ، قال له الخباز إنها إن رأيتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال : لست أعظم الناس عليك منه أجبتيك من القتل وأوثقتك عندي ؟ قالت بل ، قال لي اليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة ؟ فلما سمعت بذلك كره غشي عليها من الفرق فلما أفاقت قال لها إنه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل من توبة ؟ قالت لا والله ماله من توبة .

ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام ، قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا إلى قبره ، فلما وصلوا إليه صلت عنده ركعتين ثم إنها نادى يا صاحب القبر . نخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن راسه فلما نظر إلى الثلاثة المرأة والخباز والملك ، فقال لهم ، أقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل من توبة ؟ فقال له شمويل ما فعلت يا طالوت بعدى ؟ قال لم أدم شيئاً من الشر إلا فعلته ، وقد جمعت أطلب التوبة .

قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة إلا أن تتخل عن ملكك وتخرج أمك وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ؛ ثم إنك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام إلى القبر فسقط ميتاً ورجع طالوت أحزن ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهب أشعار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت إلى النار أكنتم تنقذوني قالوا نعم ننقذك بما قدرنا عليه قال فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فأعرض علينا مقالك فذكر لهم القصة فقالوا إنك لمقنول بعدنا ؛ قال نعم قالوا لاخير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجز بأولاده إلى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله إلى داود يبشره بقوله قد قتلت عدوك فقال داود ما كنت بالذي ينبغي بعده فضرب عنقه .

(مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها)

قال الله تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) الآية : قالت العلماء بأخبار الأنبياء لما استشهد طالوت أتى بنو إسرائيل أي داود فأعطوه خزانة طالوت وما سكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون إلا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة) الآية .

(باب في ذكر نسبه)

هو داود بن ايشا بن عوفيد بن بو عز بن سلمون بن يخسون بن عمينو ذب بن رم بن حصروم بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين .

(باب في ذكر صفته وحليته)

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري بإسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (زرقه للعينين يمن) وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جمودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب نقية .

(باب في ذكر ما خص الله تعالى به داود عليه السلام من الفضل)

(والكرامة حين أعطاه الله النبوة والملك)

فمنها أنه أنزل عليه الزبور بالبرانية مائة وخمسون سورة ؛ في خمسين منها ذكر ما يكون من يختصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل إيران ، وفي خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى (وآتيناه داود زبوراً) ومنها الصوت الطيب والنفحة الطيبة للذينة والترجيح والألحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين

لحناً بحيث يعرق المحموم ويفيق المغمى عليه ؛ وكان إذا قرأ الزبور برث إلى البرية
فيقوم وتقوم معه علماء بني إسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن
خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع ويؤخذ بأعناقها
وتظله الطيور مضحية ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وما صنعت المزامير والأراغيل
والصنوج إلا على صوته ، وذلك أن إبليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته
ألا ترون ماذا هم ؟ فقالوا له مرنا بما شئت فقال إنه لا يصرف الناس عن داود
إلا ما يضاد ويحاده في مثل حاله . فحيثوا المزامير والميدان والأوتار والملاهي
على أجناس أصوات داود فسمعها سفهاء الناس فمالوا إليها وأغثروا بها .
ويقال إن داود عليه السلام كان إذا قرأ الزبور بعد ما قارف الذنب لا يقف
له الماء ولا تصغي له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت ونقصت نغمته
فقال إلهي ما هذا ؟

فأوحى الله تعالى إليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود إن
المعصية هي التي غيرت صوتك وحالك ، فقال إلهي أو ليس قد غفرتها لي قال بلى
ولسكن ارتفعت الحالة التي بينك من الود والقرب فلن تدركها أبداً .

أخبرنا أبو سعيد بن أحمد بن حمدون عن وهب بن منبه ، قال هذا ما حدثنا
أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال خفف الله على داود القرآن فكان يأمر
بداوبه أن تسرج فكان يقرأ القرآن قبل أن أن تسرج دابته وكان لا يأكل إلا من
عمل يده . قال الأسناد الإمام أراد بالقرآن الزبور .

وبالأسناد أخبرنا أبو بكر الجوزقي عن أبي موسى الأشعري قال : قال لي رسول
الله ﷺ (لقد أعطيت مزامراً من مزامير آل داود فقلت أما والله يا رسول
الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تكبيراً) .

وأخبرنا أبو بكر قال أخبرنا أبو العباس باسناد عن البراء بن عازب قال :
(سمع النبي ﷺ صوت أبي موسى فقال كان صوت هذا من صوت آل داود)

ومنها تسخير الجبال والطير له يسبحن معه إذا مسح كما قال الله تعالى (ولقد آتينا داود منه فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد) وقوله تعالى (إنا سنخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق)

ويقال إن داود عليه السلام كان إذا تخيل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه ليله من الليالي لأعبدن الله تعالى عبادة لم يعبد أحد بمثلمها ، فصعد الجبل فلما كان جوف الليل داخلته وحشة فاوحى الله تعالى إلى الجبال أن أنسى داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الأصوات ، فميط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بعضده حتى انتهى به إلى البحر فوكز برجله فانفلق له البحر فأنهى به إلى الأرض فوكزها برجله فانفحرت له الأرض فأنهى به إلى الحوت فوكزه برجله فأنهى به إلى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلق فخرج منها دودة نذش فقال له جبريل إن ربك يسمع أشيش هذه الدودة في هذا الموضع قوله تعالى (يسبحن بالعشي والإشراق) قال المفسرون يعنى صلاة الضحى وصلاة الأوابين بين العشاءين .

قال ابن عباس : وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر .

ومنها أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الإصانة في الأمور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى على الحكيم والنظر في القضاء كان لا يتمتع في القضاء بين الناس وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه هو البيعة على من ادعى واليمين على من أنكر

قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتحا كما إلى السلسلة فعلم الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فهدم إلى عكازه فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة لمن لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف

لك وديعة فإن كنت صادقاً فتناول السلسلة فتناولها بيده : ثم قيل للمنكر قم أنت أيضاً فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم أنت عكازي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يديها قد وصلت إليه فقرب مني السلسلة فله يده فتناولها فتعجب القوم وتمسكوا فيها فأصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا اشتبه عليه الأمر بين الخصمين اللذين يتحاكما إليه يقول : ما أحوجكما إلى سلسلة بنى إسرائيل كانت تأخذ بعنق الظالم فتجره إلى الحق جراً .

ومنها القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) يعنى القوة في العبادة إنه أواب يعنى تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً يصوم النهار ويقوم الليل وما أمرت به ساعة من الليل إلا وفيها من آل داود قائم يصلى ولا يوم من الأيام إلا وفيها منهم صائم ومنها قوة المملوك كما قال الله تعالى (وشددنا ملكه) أى قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد ،

وقال ابن عباس ؛ كان أشد ملوك الأرض سلطاناً وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثاً وثلاثون ألف رجل وقال السدى كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل . أخبرنا عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس : أن رجلاً من بنى إسرائيل

تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا على داود عليه السلام فقالا لداود إن هذا قد غصبنى بقرتي فسأل داود الرجل عن ذلك فجهد وسأل الآخر البيئته فلم يكن له بيئته فقال لهما داود قوما حتى أنظر فى أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى لليه فى منامه أن يقتل الرجل الذى تعدى فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتبين فأوحى الله تعالى إليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فأوحى الله تعالى إليه مرة ثالثة أن يقتله فأرسل داود إلى الرجل فقال له إن الله تعالى قد أوحى إلى أن امتلك فقال له الرجل تقتلنى بغير ذنب ولا بيئته فقال داود : نعم والله لا نفذن أمر الله

فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لاتعجل على حقي أخبرك إني والله ما أخذت بهذا الذنب واسكني كنت اغتلت ولقد هذا فقتلته فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبته بنى إسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى (وشددنا ملكه) ويقال كان داود إذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الأنبياء وعلى يساره ألف رجل من الأجناد .

ومنها شدة البطش فيروى أنه مافر ولا انحاز من عدو له قط ومنها إلازة الحديد له وكان سبب ذلك ما روى في الأخبار : أن داود عليه السلام لما ملك بنى إسرائيل كان من عادته أن يخرج إلى الناس متنكراً فإذا رأى رجلاً لا يعرفه تقدم إليه فيسأله عن داود فيقول له مات قول في داود واليكم هذا أي الرجل هو فيثني عليه ويقول خيراً فبينما هو كذلك يوماً من الأيام إذ قبض الله له ملكه في صورة الأدميين فلما رآه تقدم داود على طائفة فسأل فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه قراع داود فقال ما هي يا عبد الله ؛ قال أن داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال فتذبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سبباً يستغنى به عن بيت المال فينفق ويطعم عياله فالان له الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد وعليه الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أبل من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال انه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين فذلك قوله تعالى (وعلّمناه صنعة لبوس لكم) وقوله تعالى (وألنا له الحديد أن يعمل سبائح) أي دروعاً كوامل واسعات (وقد في السرد) أي لا يجعل المسامير دقاقاً فيملاق ولا غلاظاً فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى أعتمد من ذلك مالا .

وروى أن لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعاً فتعجب من ذلك ولم يدر ما هو فأراد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدروع فقام ولبسه وقال نعم القميصر هذا للرجل المحارب فعلم لقمان ما أراد به فقال .
الصمت حكمة وقليل فاعله

(باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك)

قال الله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم) الآيات

اختلف العلماء بأخبار الأنبياء في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله من الخطيئة ، فقال قوم ؛ كان سبب ذلك أنه تمنى يوماً من الأيام على ربه تعالى منزلة آباءه إبراهيم وإسحق ويعقوب وسأله أن يمتحنه بمثل الذي كان يمتحنهم ويعطيه من الفضل مثل الذي أعطاهم فروى السدي والكلبي ومقاتل عن أشياءهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا : كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام : يوماً يقضى فيه بين الناس ويوماً يخلو فيه بنفسائه ، ويوماً لعبادة ربه وقراءة الكتب ، وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آباءى الذين كانوا قبلى فأوحى الله تعالى إليهم أنهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها أحد فصبروا عليها ، ابتلى إبراهيم عليه السلام بنار التروذ وبذبح ولده ؛ وابتلى إسحق بالذبح ؛ وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره على يوسف وإناك لم تبتلى بشيء من ذلك

فقال داود عليه السلام يارب فابتلني كما ابتليتهم واعطني كما أعطيتهم فأوحى الله تعالى إناك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على الصبر ؛ فلما كان اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابيه وجعل يصلي ويقرأ الزور فبينما هو كذلك إذ جاء الشيطان وتمثل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه ليأخذها .

وفي بعض الروايات ليدهمها إلى ابن له صغير فلما أهوى إليها طارت غير بعيد من غير أن تمسكته من نفسها فامتد إليها ليأخذها ففتح فتبها فطارت فوقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فبيعت إليها من يصيدها فنظر إلى امرأة في بستان على شط بركة تغتسل هذا قول الكلبي

وقال السدي : رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أحسن الناس خلقاً فتعجب داود من حسنها وحانت منها النفاته فأبصرت ظل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى بدنّها كله فزاد بذلك إعجاباً بها فسأل عنها فقيل له هي سابع بنت شائع امرأة أوريا بن حنان وزوجها في غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا بن أخت داود فكتب داود إلى ابن أخته أيوب صاحب بعثة يلفاء أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع إلى ورائه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه داود أيضاً أن ابعثه إلى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه بأساً فبعثه فقتل في المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهي أم سليمان عليه السلام وقال آخرون : إنما سبب امتحانه أن نفسه حدثته أن يطيق قطع يوم بغير مفارقة سيّته .

وعن الحسن أخبرنا شعيب بن محمد قال إن داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة أجزاء : يوماً للنسائه ويوماً لعبادة ربه ويوماً لقضاء حوائج المسلمين ويوماً لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويسألهم ويسألونه . فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروا ، فقالوا هل يأتى على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً فأخبر داود في نفسه أنه سيطبق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ إذ هو بحمامة من ذهب فيها كل شيء . حسن قد وقفت بين يديه فأهوى إليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الأرض جالت جسدها بشعرها فزاده ذلك إعجاباً بها وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فكتب إليه أن سر في مكان كذا وكذا مكاناً إذا وصل إليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب فخطبها داود وتزوجها وقال بعضهم في سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد إن داود عليه السلام قال لبني إسرائيل حين ملك والله لأعدن فيكم ولم يستثن قاتلي .

وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق : كان سبب ذلك أن داود عليه السلام كان كثير العبادة فأعجب بعمله فقال هل في الأرض أحد يعمل عملي فأناه جبريل عليه السلام فقال إن الله تعالى يقول : أعجبت بعبادتك والمعجب يأكل العبادة فإن أعجبت ثانياً وكلتك إلى نفسك فقال داود يا رب كنى إلى نفسي سنة فقال إنها لكثيرة قال فشهرأ قال فإنه لكثير قال فأسبوعاً فقال إنه لكثير قال فيوماً قال إنه لكثير قال فساعة قال فشأئك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزهور بين يديه فبينما هو في نسكة وعبادته إذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله تعالى ملاكين في صورة رجلين فطلبوا أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فنهما الحراس أن يدخلوا عليه فقتلوا المحراب وهو يصلي فما شعر إلا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى (هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم) حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه (قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تجر ولا تفرط (واهدنا إلى سواء الصراط) أرشدنا إلى وسط الطريق المستقيم (إن هذا أخى له تسع وتسعون نجمة ولي نجمة واحدة) وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالأمعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيراً توري عن النساء وتكنى عنها بألقاب كالطباء والأمعاج والبقر وهو كثير فاش في أشعارهم فقال اكفانيهما وعزنى في الخطاب .

قال الضحاك اعطنيها وتحول لى عنها واجعلها كفى أى نصيبي وعزنى في الخطاب قل الضحاك يقول إن تسكلم كان أفصح منى وإن حارب كان أبطش منى فقال داود ر لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) .

قال السدي بإسناده : إن أحدهما لما قال هذا أخى له تسع وتسعون نجمة قال داود الآخر ما تقول ؟ قال إن لى تسعاً وتسعين نجمة وله نجمة واحدة فأريد أن أخذها منه وأكمل نعاجى مائة قال وهو كاره قال نعم ، قال إذا لا ندعك وإن رمت ذلك ضربتنا منك هذا وهذا يعنى طرف الأنف وأصل الجبهة فقال

الرجل يا داود أنت أحق بضرب هذا مني حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأورياً إلا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية إلا أن داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر .

قالوا ثم أن داود نظر فلم ير أحداً فعرف ما قد وقع فيه وذلك قوله تعالى (وظن داود إنما فتناه) أي ابتليناه وقال سعيد بن جبير: إنما كانت فتنة داود بالنظر وقال القائلون بتنزيه المرسلين في هذه القصة: أن لا ذنب إنما كان تمنى أن تكون له امرأة أورياً حلالاً وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فأرسل أورياً فقدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع عليه كما كان يجزع على غيره من جنده إذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله .

وقال بعضهم: كان ذنب داود أن أورياً قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أورياً غمّاً شديداً فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة مخاطبها الأول . وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبي ﷺ لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ، وما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين والمقدمين ما أخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه المغافري عن ذكرى عن أنس أن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطع على بني إسرائيل بعثاً وأوصى صاحب البلقاء إذا حضر العدو فقدم فلاناً بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملك ليقتصا عليه قصته ففطن داود وسجد فبكث أربعين ليلة ساجداً يبكي حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الأرض من جبينه وهو يقول في سجوده ذل داود ذلة هي أبعد مما بين المشرق والمغرب رب إن لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه وجعلت ذنبه حديثاً في الخلائق من بعده .

جاء جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود إن الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود قد علمت أن الله قادر على أن يغفر الهم .

وإذا جاء أورياء يوم القيامة فقال يارب دمي الذي عند داود ؟ قال جبريل ما سألت هممت به فكيف بفلان يعني ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن قال نعم ؟ فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألت يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل لداود إن الله يجمعك يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فأقول أن لك في الجنة ما شئت وما اشتيت عوضاً عن دمك .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعاً أن داود عليه السلام لما دخل عليه الملوك وقضى على نفسه تحولاً في صورتها فمرجاوها بقولان قضى للرجل على نفسه وعلم داود أنها فتناه فخر ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا للحاجة لا بد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه تعالى ويسأله التوبة .

وكان يقول في سجوده : سبحان الملك الأعظم الذي يبدل الخلاق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب إلهي خلعت بيني وبين عدوي إلهي فلم ألقه لفتنته إذ زل بي قدمي ، سبحان خالق النور إلهي تبكي الشكلى على ولدها إذا فقدته ويبكي داود على خطيئته ، سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب دونه ووسخه ، والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني ، سبحان خالق النور إلهي لم أنعظ بما وعظت به غيري ، سبحان خالق النور إلهي أمرتني أن أكون لليتم كالأب الرحيم والأرملة كالزوج العطوف فندسيت عهدك ، فسبحان خالق النور إلهي خلقتني وفي سابق علمك كان ما أنا صائر إليه سبحان خالق النور إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطيء ، سبحان خالق النور إلهي بأي قدم أقوم أمامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان

خالق النور إلهي مضت النجوم وكنت أعرفها بأسمائها فتؤنسني فتركتني والنخيل
لازمة لي سبحانه خالق النور إلهي أمطرت السماء ولم تمطر حولي وأعشبت
الأرض ولم تعشب حولي بخطيئتي سبحانه خالق النور إلهي أنا الذي لا أطيق حر
شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحانه خالق النور إلهي أنا الذي لا أطيق
صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحانه خالق النور إلهي كنت تستر
الخطيئين بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحانه خالق النور إلهي رق القلب
وجهدت الميئان من مخافة الحريق على جسدي سبحانه خالق النور إلهي الطير تسبح
لك وأنا العابد الخاطيء الضعيف الذي لم أرفع وصيكتك .

سبحان خالق النور إلهي الويل لدارد من الذنب العظيم الذي أصاب ولا علم
له بذلك سبحانه خالق النور إلهي أنا المستغيث وأنت المغيث فمن يدعو المستغيث
إلا المغيث سبحانه خالق النور إلهي أنا أسألك بإبراهيم وإسماعيل وإسحق
ويعقوب أن تعطيني سؤلي سبحانه خالق النور . اللهم برحمتك اغفر لي ذنوبي
ولا تباعدني من رحمتك لهواني فإنك أرحم الراحمين

سبحان خالق النور إلهي إلى أعوذ بك من دعوة لا تستجاب وءالة لا تقبل
وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتّر سبحانه خالق النور إلهي إلى أعوذ بنور وجهك
الكريم من ذنوبي التي أربقتي سبحانه خالق النور إلهي فرت لك من ذنوبي
واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القاطين ولا تخزني يوم يبعثون .

سبحان خالق النور إلهي فغ الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من
ركبتني وخطيئتي ألزم لي من جلدي سبحانه خالق النور .

قالوا فأناه النداء : أجائع أنت فتطعم أو ظمآن أنت فتسقي أو مظلوم أنت
فتنصر ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء . فصاح صيحة فهاج منها ما حواه ثم نادى
يا رب الذنب الذي أصبته فتودى يا داود ارفع رأسك قد عفرت لك فلم يرفع
رأسه حتى أناه جبريل عليه السلام ورفعته .

قال وهب بن منبه أن داود عليه السلام أتاه نداء إنني قد غفرت لك فقال يارب
 أعف وأنت لا تظلم أحداً فقال اذهب إلى قبر أورياء فناده وأنا أسمع نداءك فتجمل
 منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم
 ناداه يا أورياء فقال لبيك من هذا الذي قطع على لذتي وأيقظني قال أنا داود فقال
 ما جاء بك يا نبي الله قال جئت أنحل بما كان مني إليك ، قال وما كان منك إلي ؟
 قال عرضتك للاقتل قال عرضتني للجنة وأنت في حل فأوحى الله تعالى إلى داود عليه
 السلام ألم تعلم أني حكم عدل لا أفضي إلا بالحق ألا أعلمته أنك تزوجت امرأته ؟
 قال فانطلق داود إليه فناده يا أورياء فأجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتي ؟
 فقال أنا داود فقال يا نبي الله ما حاجتك أليس قد عفوت عنك ؟ قال نعم لكن
 أنا ما فعلت بك ذلك إلا لما كان امرأتك وأنا قد تزوجتها .

قال فسكنت أورياء ولم يحبه فدعاه ولم يحبه فقام عند قبره وحثا التراب على
 رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سببحان خالق النور الويل لداود ثم الويل
 الطويل لداود سببحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له إذا نصبت
 الموازين القسط ليوم القيامة سببحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له
 حين يؤخذ برقبته ثم يدفع إلى المظلوم .

سببحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه
 مع الخاطئين إلى النار سببحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين
 تقربه الزبانية مع الظالمين إلى النار .

سببحان خالق النور قال فأتاه النداء من السماء : يا داود قد غفرت ذنبك
 ورحمتك ورثيث أطول مكائك واستجبت دعائك وأقلت عثرتك قال يارب كيف
 لي أن تعفو عني وصاحبي لم يعفو عني قال يا داود وأن يعفو أو لم يعفو فأنا أعطيه
 يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له قد رضيت عبيدي فيقول يارب
 من أين هذا ولم يبلغه عمل فأقول هذا عوض من أجل عبيدي داود فأستوهبك منه
 فيبك لي فقال داود يارب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لي فذلك قوله عز وجل
 (فاستغفر ربه ونهر راكماً وأنا ب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزافى وحسن مأب)

قال وهب بن منبه : أن داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة ولا ترفأ له دمة ليلاً ولا نهاراً .

وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني أربعة أيام فجعل يوم للقضاء بين الناس ويوماً لنسائه ويوماً يسبح في القياقي والجبال والقفار والسواحل ويوماً يخوف في داره فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع إليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدون على ذلك .

فإذا كان يوم سياحته يخرج إلى القياقي فيرفع صوته كالزامير ويبكى فيبكي معه الشجر والمدر والطير ولوحش حتى تسيل دموعه مثل الأنهار .

ثم يهجر إلى الجبال فيرفع صوته كالزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل الأودية من بكائهم .

ثم يهجر إلى الساحل فيرفع صوته كالزامير فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فإذا أمسى رجع فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها وتجيء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح وفي أيديهم العصي ثم يجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء فيرفع الرهبان معه أصواتهم .

فلا يزال يبكي حتى يفرق الفرش دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ وهو يضطرب فيجىء إليه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكه ثم يمسح وجهه ويقول يا رب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود ودموعه بكاء أهل الأرض ودموعهم لعد لها .

أخبرنا ابن فتحويه عن عثمان بن أبي هاتكة أنه قال : كان من دعاء داود عليه السلام : سبجائك إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي روعي إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووني فلكلهم عليك دلوني .

وقال عليه السلام : د خد الدمع في وجه داود مثل خد الماء في الأرض ، .

وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان الناس يهودون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض وما به إلا الحياء والخوف من الله تعالى ، .

قال وهب بن منبه : لما تاب الله على داود كان يهدأ إذا دعا فليستغفر للخطئين قبل نفسه فيقول : اللهم اغفر للخطئين فمساك أن تغفر لداود معهم .

وعن قتادة عن الحسن قال : كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخطئين ثم يقول تعالوا إلي داود الخطي . ولا يشرب شراباً إلا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يدر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخطئين .

قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله .

أخبرنا عبد الله بن حامد عن ثابت قال : كان داود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله تعالى تخلمت أوصاله ولا يشدها إلا الأنين ، فإذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت .

وعن أبي عبد الله البجلي قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه إلى السماء قط حتى مات وصلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

(باب في ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما)

قال وهب وغيره من أهل الكتاب أن داود عليه السلام لم يزل قائماً بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا. ما كان فلما واقع النخيلية واشتغل بالتوبة منها استخنت به بنو إسرائيل واستضعفوه واجتمع أهل الزرع من بني إسرائيل وذهبوا إلى ابن داود من ابنه طالوت يقال له شالون وقيل إيشا وقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف أمر الملك فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودحا هذا الإبن إلى نفسه ، فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخ له يقال له ثواب وتوغل في الجبال فأشار قومه على ابنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل إليه رفيقه وقال له هل سمعت يا ابن قتل أباه قال له الإبن وهل سمعت أنت بني أذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول إن كمان الله تعالى قد أذن لك في هلاكه فلا تبأشره أنت فإنه لا يعمل في الآخرة حدوده منك فقبل منه ذلك فكشف عن قتل أبيه وبقي لابنه ملكاً سنتين .

فلما تاب الله على داود صارت الناس تأنيه فحارب لابنه فمزقه ووجهه في طلبه قائداً من قواده وأوصاه أن يتوقى حتفه ويتلطف في أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره إلى شجرة فربض بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله مخالفاً لأمر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزناً شديداً وتنكر للقائد وكان له بأس شديد في ملاقاته العدو فكبره داود أن يقتله فتركه لأجل مجاهدة العدو .

فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام يقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي إلى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع إلى قومه سنتين .

(باب في قصة أصحاب السبت)

قال الله تعالى (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت) الآية .

قال ابن عباس ووهب بن منبه : أن قوماً من بني إسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها أيلة حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم وذلك في زمان داود عليه السلام فكان إذا خلا يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك ويخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء من كثرتهم حتى إذا مضى السبت تفرقن ولزبن مقر البحر لا يرى منهن إلا القليل فذلك قوله تعالى (إذ تأنيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبثون لا تأنيهم كذلك نبلوهم) الآية

سمعت أبا القاسم ، قال سمعت أبي يقول : سئل الحسن بن الفضيل هل تجده في كتاب الله الحلال لا يأتيك إلا فوتاً ، والحرام يأتيك جزافاً ؟ قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل أيلة إذ تأنيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبثون لا تأنيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا إليها من الأنهار فإذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فيقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعدها وعمقها وقلة الماء فإذا كان يوم الأحد أخذوها وقيل إنهم كانوا ينصبون الحبال والشيوخ يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد .

قال وكانت الحيتان تأنيهم يوم السبت كثيراً وفي غير يوم السبت لا تأنيهم حوت واحد

فأخذ رجل منهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً ثم ربطه إلى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء إلى يوم الأحد فأخذه فسواه فوجد جاره له ريح الحوت فقال له يا فلان إنني أجد في بيتك ريح الحوت فأنكره فأطاع الجار في تنوره فإذا هو في

بيته فقال له إني أرى الله سيُعذبك ، فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ في السبوت
الآخر هو تين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا
فأثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة فقصت قلوبهم وتجهزوا وتجردوا
على الذنب وقالوا ما نرى السبوت إلا قد أحل لنا ؛ وإنما حرم ذلك على آبائنا
لأنهم قتلوا أنبياءهم

فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحواً من سبعين ألفاً ثلاثة
أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينفه وصنف انتهكوا الحرمه ؛
فكان الذين نهوا اثني عشر ألفاً فلما أبى المجرمون قبول النصيحة ، قال الناهون
للمسكون : والله لنخرجن من هذه القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة
ثم قسموا القرية بينهم بجدار ومكشوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود
عليه السلام وغضب عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من
بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطأوا تسوروا عليهم
الحائط فإذا هم جميعهم قد مسخروا قرده فذلك قوله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا
به أنجبنا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) أي شديد
بما كانوا يفسقون ، فلما غتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قرده فحاسبين أي
صاغرين نظيره قوله تعالى (لمن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود)

وروى أبو نصر عن أبي سعيد الخدري قال ؛ قال رسول الله ﷺ :
د ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة
على وجه الأرض غير أهل القرية التي كانت حاضرة البحر الذين مسخروا قرده
ألم تسمع قول الله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب بعد ما أهلكنا القرون
الاولى) الآية

(باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث)

قال الله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين)

قال ابن عباس وقتادة : كان الحرث زرعاً ، وقال ابن مسعود وشريح : كان الحرث كرماً قد تدلت عناقيده إذ نفشت فيه غنم القوم رعيته ليلاً فأفسدته والتفش بالليل والهمل النهار وهو جميعاً الرعى بلا راعي وكنا لحكمهم شاهدين ولا يخفى علينا منه شيء .

قال ابن عباس وقتادة : إن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الحرث إن هذا انفلتت غنمه ليلاً فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيئاً قال له داود ذهب فإن الغنم لك فأعطاه رقاب الغنم بالحرث ففرا على سليمان فقال لهما كيف قضى بينهما ؟ فأخبراه فقال سليمان لو رايت أمركما لقضيت بغير هذا فأخبرا بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع في القضاء بينهما ؟ قال كنت أدفع الغنم إلى صاحب الحرث سنة فيسكون له نساها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم فإذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع إلى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه

وقال ابن مسعود وشريح : إن راعياً نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الأغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضاء وأفسدت الكرم فصار صاحب الكرم من الغد إلى داود فقضى بالأغنام لصاحب الكرم لأنه لم يكن بين ثمن الأغنام وثمر الكرم تفاوت قال ففرا بسليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة فقال لهما ما قضى بينكما داود فقضا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فعادا إلى داود فأخبراه بذلك فدعا سليمان وقال له بحق النومة والآبوة إلا ما أخبرني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الأغنام إلى صاحب الكرم لينتفع بتسليمها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعي في إصلاح الكرم إلى أن يعود كهيئته ثم يتسلمه صاحبه وترد الأغنام إلى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك قوله تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم يعنف الله داود في حكمه قال الأستاذ وهذا يدل على أن لكل مجتهد نصيب

(باب في قصة استخلاف داود لابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء الخاتم)
 قال أبو هريرة رضي الله عنه : أنزل الله تعالى كتاباً من السماء على داود عليه
 السلام مختوماً بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسألة فأوحى الله تعالى إليه أن سل
 عنها لابنك سليمان فإن هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام
 صبيهم قساً وتبهمين حبراً وأجلس سليمان بين أيديهم وقال : يا بني الله إن الله تعالى
 أنزل على كتاب من السماء فيه مسائل وأمرني أن أسألك عنها فإن أخرجتها فأنت
 الخليفة من بعدى فقال سليمان : ليسألني نبي الله عما بدا له وما توفيقى إلا بالله .
 قال داود يا بني ما أقرب الأشياء وما أبعد ما ؟ وما آتس الأشياء وما أوحشها ؟
 وما أحسن الأشياء وما أقبحها ، وما أقل الأشياء وما أكثرها ، وما القائمان وما
 الساعيان ، وما المشتركان وما المتباغضان ، وما الأمر الذي إذا ركبته الرجل حمد
 آخره ، وما الأمر الذي إذا ركبته الرجل ذم آخره ، فقال سليمان عليه السلام أما
 أقرب الأشياء فالآخرة ، وأما أبعد الأشياء فما فأنك من الدنيا ، وأما آتس الأشياء
 فجسد فيه روح ، وأما أوحش الأشياء فجسد لا روح فيه ، وأما أحسن الأشياء
 فالإيمان بعد الكفر ، وأما أقبح الأشياء فالكفر بعد الإيمان ، وأما أقل الأشياء
 فالإيقين ، وأما أكثر الأشياء فالشك ، وأما القائمان فالسما والارض ، وأما الساعيان
 فالشمس والقمر ، وأما المشتركان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة
 وأما الأمر الذي إذا ركبته الرجل حمد آخره فالعلم عند الغضب وأما الأمر الذي
 إذا ركبته الرجل ذم آخره فالهقد عند الغضب .
 قال ففكروا الخاتم فإذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال
 القسيسون والرهبان لا نرضى حتى نسأله عن مسألة فإن أخرجها فهو الخليفة من
 بعدك فقال سليمان : يا بني الله تعالى وما توفيقى إلا بالله فقالوا له ما الشيء الذي
 إذا صلح صلح كل شيء من الإنسان وإذا فسد فسد كل شيء من الإنسان فقال هو
 القلب فقال داود : سعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ، إن الله تعالى أمرني
 أن استخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو إسرائيل وقالوا غلام حديث يستخلف
 علينا وفيما من هو أفضل منه وأعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء أسباط
 بني إسرائيل وقال لهم ، إنه قد بلغني مقالتم فاروني عصيكم فأى عصا أثرت فإن

صاحبها ولي هذا الأمر بعدى ، قالوا قد رضينا فاجاءوا بهصبيهم فقال داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ، ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتاً وأغلق عليها الباب وسد بالاقفال وحرسه روس أسباط بني إسرائيل فلما أصبح صلى الفداة ثم أقبل ففتح الباب فخرج عصيهم كما هي وأما عصا سليمان فقد أورقت وأثمرت قالوا فسلموا الأمر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به في بني إسرائيل فقال إن هذا خليفتي عليكم من بعدى ، قال وهب بن منبه لما استخلف داود لابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال ، يا بني إياك والهمز ال فإن نفعه قليل ويهيج العداوة بين الإخوان وإياك والغضب فإن الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فإنهما يغلبان كل شيء وإياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا برآء قطع طمعك عن الناس فإن ذلك هو الغنى وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وإياك وما يتعذر منه القول والفعل وعود نفسك وإسائك الصدق والزم الإحسان فإن استطعت أن يكون يومك خيراً من أمسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء ولا ترد على عالم ولا تماره في الدين وإذا غضبت فاصق نفسك بالأرض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فإنها وسعت كل شيء

قالوا ثم أن سليمان بعد أن استخلف اخفى أمره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ثم أن امرأته قالت له ذات يوم يا بني أنت وامى ما أكمل خصالك واطيب رائحتك ولا أعلم خصلة أكرها إلا أنك في مؤنة أى قلوب دخلت السوق فتهرضت لرزق الله لزجوت أن لا يخيبك الله فقال سليمان إني ما فعلت عملاً قط ولا أحسنه ثم أنه دخل السوق صبيحة يوم ذلك فلم يقدر على شيء فرجع فأنخبرها فقالت غدا يكون إن شاء الله فلما كان اليوم الثانى مضى حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا هو بصياد فقال له هل لك أن أعينك وتعطينى شيئاً قال نعم قال فاعانه فلما فرغ أعطاه الصياد سمكتين فآخذهما وحمد الله تعالى ثم أنه شق بطن أحدهما فإذا هو بخاتم في بطنها فآخذه وصره في ثوبه وحمد الله عز وجل وآخذ السمكتين وجاء بهما إلى منزله ففرحت امرأته بذلك فأنخرج الخاتم ولبسه في إصبعه فعكف عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث أبواه أن ماتا حمل المرأة واباها إلى اصطخر والله اعلم

(باب في ذكر وفاة داود عليه السلام)

قال الشيخ أبو زيد ، سمعت الشيخ أبا عمر والفارسي يروى أن داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الأبواب كل ليلة تأنيبه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة ، فاغلقت ذات ليلة الأبواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلاً قائماً وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فإن صاحبها رجل خيور خذ حذرك ، فقال لها أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذنهم

قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفاً يصلي فزع واضطرب وقال لها على به فقال له داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير إذن ، فقال أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذن ، فقال له إذا فانت ملك الموت قال نعم قال أفجئت داعياً أم ناعياً ، فقال ناعياً ، فقال داود عليه السلام ، فهلا أرسلت إلى قبل ذلك وأذنيتني لاستعداد للموت ، فقال كم أرسلت إليك فلم تنتهبه

قال ومن كانت رسلك التي أرسلت إلى ، فقال يا داود أين أبوك إيشاء وأين أمك وأين أخوك ، وأين جارك ، وأين قهار منك ، وأين فلان وفلان ، فقال ما تروا كلهم فقال أما علمت أنهم رسلي إليك وأن التوبة تبلغك

قال الأستاذ رضي الله عنه وفي هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرأ ينهى أخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجا فيحول الموت دونه وقد نظمه بعض الشعراء فقال :

وإذا حلت إلى القبور جنازة فاعلم بانك بعدها محمول
وإذا وليت أمور قوم مدة فاعلم بانك عنهم معزول

قال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه أربعين سنة ، وقد مضى في قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

﴿ مجلس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به ﴾

قال الله تعالى « وورث سليمان داود ، يعني نبوته وحكمه وعلمه وملكوته دون سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابناً .

وقال مقاتل ، كان سليمان عليه السلام أعظم ملكاً من أبيه داود وأقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبداً من ابنه سليمان ، وكان سليمان حين أتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكاً ما بين الشام إلى اصطخر وقيل إنه ملك الأرض كلها

وروى مجاهد عن ابن عباس ، قال ملك الأرض بعد أربعة . مؤمنان وكافران ، فأما المؤمنان ، فسليمان عليه السلام وذو القرنين ، وأما الكافران فالنمرود ابن كنعان ويختصر

(باب في صفة جلسته عليه السلام)

قال وهب بن منبه وكعب الأحبار ، كان سليمان أبيض جسيماً وضيئاً جميلاً كثير الشعر يلبس من الثياب البيض ، وكان خاشعاً متواضعاً يخالط المساكين ويخالسهم ويقول مسكين يجالس مسكيناً ، وكان أبوه في أيام ملكه يشاوره في كثير من أموره مع صخر سنة ووفور عقله وعلمه ؛ صلى الله على نبيينا وعليه وسلم .

(باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه)

(من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك)

قال الله تعالى (وقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) وقال الله تعالى لإخباراً عنه (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي أنك أنت الوهاب) فأجاب الله دعاءه وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحداً من خلقه قبله ولا بعده فمنها تسخير الله له الريح كما قال عز وجل (فسنخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) أي أراد بالغة حمير.

قال محمد بن إسحق وغيره من أصحاب الأخبار ، كان سليمان عليه السلام رجلاً غزاه لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك في ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يذله ويقهره وكان إذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضطرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف على الريح فيدخل تحت تلك الخشب فيحملها حتى إذا أقلتها أمر الرخاء فمرت به شهراً في غدوته وروحته إلى حيث أراد كما قال الله تعالى (وسليمان الريح غدوها شهراً ورواحها شهراً) .

وقال ابن إسحق ذكر لي أن رجلاً نزل منزلاً من ناحية الدجلة فوجد فيه كتاباً مكتوباً كتب به بعض أصحاب سليمان إما من الجن أو من الإنس نحن نزلنا وما بنيناها ومبنيها وجدناه غدونا من أصطخر فقلنا ونحن راثون إن شاء الله تعالى فأثتوا الشام قال وكان فيما بلغني تمر بعسكر الريح الرخاء تهوى به إلى حيث أراد لأنها لتمر بالمزرعة فلا تحركها .

وأخبرنا الحسن بن محمد بن فتحويه بإسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال أن سليمان عليه السلام ركب الريح يوماً فمرت بحراث فنظر إليها الحراث وقال لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً فحملت الريح كلامه وألقته في أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث وقال له لقد سمعت قولك وإنما نزلت إليك لتلاثنني

(م ٢١ - - قصص الأنبياء)

ما لا تقدر عليه أن تسديحه واحدة يقبلها الله منك خير مما أوني آل داود فقال له
الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همي .

وقال مقاتل ؛ نسجت الشياطين لسلیمان عليه السلام بساطاً فرسخاً في فرسخ
ذهباً في إبريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله
ثلاث آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء
على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلمهم الطير
بأجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح
إلى الرواح ومسييرة شهر من الرواح إلى الصباح .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن محمد بن كعب القرظي قال : بلغني أن عسكر
سلیمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها الإيس وخمسة وعشرون
مئماً للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور وكان له
لف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرير وسبعمائة امرأة فيأمر الريح
العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى إليه وهو سائر بين السماء
والأرض إني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت
به الريح إليك فأخبرتك به .

ومنها تعليم الله له كلام الطير حتى النمل كما قال الله تعالى (يا أيها الناس علمنا
منطق الطير) الآية .

قال ابن فتحويه بإسناده عن كعب الأحبار قال : صاح رشان عند سليمان فقال
أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا فقال إنه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاح
فاخته عند سليمان فقال أتدرون ما تقول ؟ قالوا لا قال إنها تقول ليت ذا الخلق لم
يخلقوا وصاح طاووس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول كما تدن تدان
وصاح همد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول من لا يرحم لا يرحم
وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول استغفروا الله يامذنبون
فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتله قال صاح الطيطوي فقال أتدرون ما يقول ؟

قالوا لا قال إنه يقول كل حي ميت وكل جديد بال ، قال وصاح خطاف فقال :
أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول قدموا خيرا تجدوه ، فمن ثم نهى رسول الله
ﷺ عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول سبحان رب
الأعلى ملء سمائه وملء أرضه ، وصاح قمرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه
يلعن العشارين ، والحدأة تقول كل شيء هالك إلا وجهه ، والقطا تقول من سكت
سلم ، والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه ، والبازي يقول سبحان ربى الأعلى وبحمده
والضفدع يقول سبحان رب القدوس والمصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان .
وأخبرنا ابن ميمون بإسناده عن مكحول قال : صاح دارج عند سليمان عليه
السلام فقال أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا قال إنه يقول الرحمن على العرش استوى
وإسناده عن صالح المروى عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ : الديك إذا صاح
يقول اذكروا الله يا غافلون .

وروى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم
السلام أنه قال إذا صاح النسر يقول - يا ابن آدم عش ما شئت فإن آخرك الموت
وإذا صاح العقاب قال فى البعد عن الناس أنس ، وإذا صاح القنبر قال اللهم العن مبعض
آل محمد وإذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدها القارىء .
وقال فرقد السنجي مر سليمان بابل فوق شجرة وهو يهرك رأسه ويميل ذنبه
فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البابل ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال إنه
يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العناء .

قال ومر سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتى
آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها الجنوده ؛ ثم قال ألا أنبئكم بخبر هو
أعجب من هذه النملة ؛ قالوا بلى قال تقول اتقوا الله فى السر والعلانية والقصد فى
الغنى والفقر والعدل فى الغضب والرضا .

وروى أن سليمان عليه السلام خرج يوماً يستسقى ومعه الإنس والجن فر
بنملة عرجاء ناشرة جناحيها رافعة يديها وهى تقول اللهم إنا خلقنا من خلقك لاغنى

لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا ؛ فقال سليمان لمن معه ارجعوا
فقد سقيتم بدعوة غيركم .

وحكى أن نملة دبت على سليمان لحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه
الصولة وما هذا البطش أما علمت إني أمة من أنت عبده فغشى على سليمان فلما آفاق
قال اتوني بها فسألتها فقالت له جلدى رقيق وبدنى ضعيف وأخذتنى ورمىتنى فقال
لها سليمان اجعلينى فى حل فإنى لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر إلى الدنيا
بمعين الشهوة ولا تستغرق فى شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك إلا بذلته
لها قال قد فعلت ذلك قالت فأنت فى حل .

ومنها قصة وادى النمل قال الله تعالى (وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير
فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم (حتى إذا أتوا على وادى النمل) الآية .

قال الشهابى وكعب وغيرهما من أهل الكتب : إن سليمان عليه السلام كان
إذا ركب حمل أهله وحشمه وخدمته وكتابه فى موكبه الذى هم له وقد اتخذ فيه
مطابخ ومخازن يحمل فيها تنانير الحديد وقدورا عظيما يسع كل قدر عشرة من
الجزر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون ويجرى
الدواب بين يديه بين السماء والأرض والريح تهوى بهم فسار من لصطنخر إلى اليمن
وتوغل فى البادية فسلك على مدينة الرسول ﷺ فقال سليمان هذه دار هجرة نبي
يبعث فى آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ، ثم أتى أرض الحرم فرأى حول
البيت أصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوز سليمان بكى البيت فأوحى
الله تعالى إلى البيت ما يبكيك ؟ فقال يارب هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك
مروا على فلم يهبطوا بي ولم يصاوا عندي ولم يذكروك بحضرتي وهذه الأصنام
تعبد حولي من دونك قال فأوحى الله تعالى إليه : لا تبك فإنى سوف أملاؤك
وجوها سجدا لي وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك فى آخر الزمان نبيا هو
حب الأنبياء إلى واجعل فيك عبادا من خلقي يعبدونى وأعرض فى عبادى فرينة
يتفنون بها إلى البيت زفا مثل زفيف الذنور إلى أوكارها ويحنون إليك حنين الناقة

إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهره من الأوثان وعبدته الشيطان ، ثم أمر الله سليمان عليه السلام أن يزل عليه ويصلي فيه ويقرب عنده قرباناً ففعل ذلك قال فذهب عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من أشرف قومه إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي ويعطى النصر على جميع من زاواه ويكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيئته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا تأخذه في الله لومة لائم فطوب لمن أدركه وصدة قالوا فكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله ؟ قال قريب من ألف عام قال ثم إن سليمان مضى حتى أتى على وادي السدير واد من الطائف فأتى على وادي النمل فقامت نملة تمشي وكانت عرجاء فتكارس وكانت مثل الدب العظيم ، وقال الشعبي كانت ذات جناحين ،

واختلفوا في اسمها ، فأخبرني ابن ميمونة بإسناده عن الضحاك قال - كان لاسم نملة سليمان طاخية وقيل خرمة فنادت لما رأت سليمان في موكبه (يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) وكان لا يتكلم مخلوق إلا حملته الريح وألقته في مسامع سليمان ، قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال فتبسم ضاحكا من قولها وقال (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) الآية .

وفي بعض الأخبار ، أن سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال اتوني بها فأتوه بها ، فقال لها لم حذرت النمل هل سمعت لاني ظالم ؟ أما علمت لاني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده ؟ قالت النملة يا نبي الله أما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع لاني ما أردت حطم الذنوس وإنما أردت حطم القلوب خشيت أن يشتمني ما أعطيت فيفتن ويشغلن بالنظر إليك عن التسبيح فقال لها عطيني فقالت له النملة هل علمت لم سمى أبوك داود ؟ قال لا . قالت لأنه داوى جراحه قلبه ثم قالت هو هل تدري لم سميت سليمان ؟ قال لأنك لا تبال لأنك سليم وكنت إلى ما أوتيت بسلامة حينئذ وحسن لك أن تلاحن بأبوك داود ، ثم قالت أنذري لم سخر الله تعالى إلى الربيع ؟

قال لا ، قالت ليخبرك أن الدنيا كلها ریح . فتبسم ضاحكاً من قولها ، متعجباً وقال
(رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) الآية .
أخبرني ابن ميمون بإسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله ﷺ عن قتل
أربعة من الدواب : المدهمة والصرد والنحلة والنملة .

ومنها قصة العنقاء في إثبات القضاء والقدر ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد
بإسناده عن محمد بن جعفر الأصاقي قال . عاتب سليمان الظير في بعض عتابه فقال
لها إنك لتأتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والثرى إنا لنحرص على
الهدى ولنكن قضاء الله يأتي إلى منتهى علمه وقدره ، قال صدقت لأحيلة في القضاء
فقالت العنقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان ألا أخبرك بأعجب العجب قالت بلى
قال إنه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالشرق هذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك
والجارية والولد يجتمعان في أمتع المواضع بقدره الله تعالى وأهو الطاع على سماح في
جزيرة في وسط البحر فقالت العنقاء يابني الله أوقد ولدهذان الولدان المذكوران
قال نعم الليلة قالت فهل أخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم أبيهما قال بلى اسمهما
كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يابني الله أنا أبطل القدر وأفرق
بينهما فقال لها سليمان إنك لا تقدرين علي .

فأشهد سليمان عليها الطير وكفلة . برمة فمرت العنقاء وكانت في كبر الجبل عظماً
ووجهها وجه إنسان ويدها يد إنسان وئديها ئدي امرأة وأصابعها كذلك فحملت
في الهواء حتى أشرفت على الدنيا فأبصرت كل دابة وما فيها وكل إنسان وأبصرت
الجارية وهي في مهدها وقد أجلسوها فاختلفت الجارية من المهد وطارت بها حتى
انتهت إلى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط جزيرة وفي الجزيرة شجرة
حالية لا ينالها ظائر إلا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل
غصن كأعظم ما يكون من شجرة الأرض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرآفي وسط
الشجرة عجيباً واسعاً مضيئاً وطيباً وأرضعتها وحصنت الجارية تحت جناحها
وصارت تأتيها بأنواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل
لا تخبر أحداً بشأنها كي يتم أمرها وهي تغدو إلى سليمان وتروح إلى وكرها ففهم

ساحبان بذلك ولم يبدعه لها فبالغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكاً من ملوك الدنيا
وكانت يلهو بالصيد ويحببه ويطلبه فصار لا يقرأ ليلاً ولا نهاراً وكان أبوه ملكاً عظيماً.
فلما رأى الملك ولده لاهياً بالصيد ولم يزجره عنه حتى قال منه ما لا طويلاً
وأمر عظيمماً فقال يوماً لأصحابه كل صيد البر وفلواته ومفازته قد تلت منه فقد
ركبت البحر فأنازل من صيده فإنه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون
من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر من خلق الله صيداً وعجائب فأمر الغلمان
بتجهيز ما يحتاجون إليه وهياً السفن وجعل يأخذ من كل شيء يملكه ويأخذ من
الوزراء والمشيرين والغلمان والجواري والقطباخين والخبازين والدواب والبزاة
والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون إليه مما يريد ويشتهي من الملاهي
وركب السفن ومن في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيئاً من
غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فأرسل الله تعالى على سفينته ريحاً خفيفة فضربت بها
وساقها حتى قربت من العنقاء والجارية وهي مسيرة خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة
ثم ركبت سفينته بإذن الله تعالى وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فأخرج رأسه
من ناحية ونظر فإذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران
طويلة لا يدرى أين منتهاها ولا عرضها وإذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل
ملتفة كثيرة الأغصان والأوراق ورقها في عرض أذن الفيلة تفوح بريح الافحوان
وليس لها تمر بيضاء الساق فقال لأصحابه إنى أرى عجبا أرى جبلا شاهقا في وسط
جزيرة لم أر مثله ولا مثل طول له ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبني
منظرها ثم أنه حرك سفينته وجاء بها إلى الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عندها .
وقال لأصحابه - أقيموا ههنا حتى أمضى وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذى
فى وسطها هل عمارة أو أثر آدمى فى تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم إنه نزل من
السفينة ورفقته وداروا فى الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمى
فقال ثم إنه صعد إلى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت إلى
السفينة وهى جارية فلم تعرف ما هى لأنها أخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقت
متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك .

فبينما هي متفكرة في أمر السفينة إذا حس حديث الآدميين فأخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت في أصل الشجرة فإذا بالغلام ورفقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا إلى ذلك الموضع وأن الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينا وشمالا متعجبا من عظم ملك الشجرة ورفعها إلى السماء وصار ينظر إلى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها تنظر إلى السفينة فخانت منه التفاته إلى أصل الشجرة فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح أجنبية أنت أم إنسية قالت لا والله أنا من خيار الإنس فن أنت فأفهمها لغته فقالت لا أدري ما تقول وما أنت إلا أنى أرى وجهك كوجهي وكلامك ككلامي وإنى لا أعرف شيئا غير العنقاء وهي أمى التى ربنتى وحضنتى وهي تأتينى كل ليلة وتسمينى بنتها فقال لها الغلام وأن العنقاء فقالت هي فى نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم إلى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده إلى الليل ثم تهيئنى وتحدثنى بكل ما يحكم به سليمان وإنه ملك عظيم على ما تصفه أمى العنقاء عن ملكه وإنها تخبرنى إنه أحسن الناس وجهاً وأتم خلقاً منى قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذى قتل أبى وسمى دولته وإنى لمن طلاقته ومن يؤدى إليه الخراج وقد سخر الله الطير والرياح ثم بكى الغلام ساعة فقالت له الجارية وما يبكيك؟ قال وجدتك فى مثل هذا الموضع الذى لا أسرفيه ولا أحد وإن مثلك فى الدنيا عدد الشجر والدر كلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنىء والرغد واللذة الحسنة مع الأزواج يتعاقبون ويتنعمون ويتوالدون والاولاد مثل خلقك وخلقى أرأيت إن ماجت الريح فأزعجتك من وكرك ومن يمنعك ان تقعى فى البحر وإن وقعت فى البحر فمن ذا الذى يخرجك قال ففزعته الجارية من قوله وقالت وكيف يكون معى إنسى مثلك يتحدثنى بمثل حديثك ويحفظنى بما ذكرت فقال لها الغلام أو لا تعلمين ان الله اتخذ سليمان نبياً وسخر له الريح والطير وهو الذى رحمنى وساقنى إليك لا كون لك إلفاً وصاحباً وإنسى وإنى لمن اولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصير لى وأصير إليك وإن العنقاء

هذه تروح وتجي وتعضدني إلى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكائك على العنقاء ليلتك هذه فإذا جاءت إليك وقالت ماتحين وما تريدن وما شأنك فأخبريها بوجدتك في نهارك ثم انظري ما يكون من ردها عليك فأخبرني بذلك ففعلت وإن العنقاء رجعت إليها فوجدتها باكية حزينة ، فقالت لها يا بنية مالك - فقالت الوحدة والوحشة قتلتني وإني لمنزعجة على نفسي من ذلك ، فقالت لها يا بنية لا تخافي ولا تحزني فإني استأمر سليمان عليه السلام أن آتيه يوماً ويوماً لا آتيه فيكون ذلك أسأ

فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها . فقال لها أوتصبرين على ذلك لا ولكني سأنحر دوابي هذا فرساً وأبقر بطنه وأخرج ما فيه وأطيبه بطيب معي وأدخل أنا في جوفه وألقيه على رأس سفينتي هذه فإذا جاءتك العنقاء تقولين لها أرى عجبا أرى خلقة ملقة على كوئل هذه السفينة فلو اخطفتيها وحملتني إلى مكانت معي في وكرى فانظر إليها وآنس بها كان أحب إلي من كونك عندي نهاراً ولأمساكك عن أخبار سليمان وأخبار المسلمين .

فإذا رجعت العنقاء وجدتني على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل إليه في استئذانها إياه في المقام يوماً والغدو يوماً ، فقالت لها يا بنية أن نبي الله قد اشتغل عني اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل إليه قالت لها إني لا أريد أن تتخلفي عنه نهاراً لمكان أخبار سليمان وأخبار المسلمين ، وإنني أرى عجبا في البحر أرى بشياً مرتفعاً فها هو ؟ قالت له العنقاء هذه سفينة قوم سيارقرا كمين في البحر قالت فما الذي أراه ملقى على رأس هذه السفينة قالت دابة مية القوها قالت فاحتملها إلى لا ستأنس بها وانظر إليها فانقضت العنقاء فاخططفت الفرس وكان الغلام في بطنها فحملتها إلى عشها فقالت الجارية يا أماء ما أحسنه وضحكت ففرحت العنقاء بذلك وقالت يا بنية لو علمت لكنت أتيك بمثل هذا منذ حين .

ثم إنهما طارت إلى نوبتها عند سليمان فخرج الغلام من بطن الفرس فلاعبها ولا مسها وافتضها وأحبلها من ساعتها وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس به

وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر باجتماعهما من قبل الريح وأن العنقاء راحت
 وكان مجلس سليمان يومئذ بمجلس الطير وحكمهم فجلس سليمان عليه السلام للطير في
 مرتبته ودها بعرفاء الطير وأمرها أن لا تدع طيراً إلا حشرتة إليه فحشرت إليه
 جميع الطيور ثم أمر عرفاء الجن أن يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان
 الجزائر والهواء والمغارات والفلات والامصار فحشروا إليه وأمر الشياطين
 فأحضرت كذلك ، وكذلك الإنس كهيئةهم ثم كل دابة تدب على وجه الأرض
 فاشتد الخوف وقالوا في أنفسهم نشهد بالله أن نبي الله قد أحسن أمر عظيم فأولسهم
 قد خرج في تقديم الطير سهم الحداة وكانت الطير لا تقدم إلا بالسهم وكذلك
 الجن والشياطين فتقدمت الحداة تدهى على زوجها وكان قد جحد ولدها فقالت
 يا نبي الله إنه سفدني حتى احتضنت بيضى وأخرجت ولدى جحدني ففقال سليمان
 للذكر ما تقول فقال يا نبي الله إنها لا تمنع من الطير وهى تحوم البرارى فلا أدري
 هل هو منى أو من غرى .

قال - فأمر سليمان بولدها فجىء به فوجد الشبه فألحقه بالذكر ثم قال لها
 لا تمكنيه من السفاد حتى تشهدى عليه بذلك الطير بالصراخ فإنه لا يجحدك بعده
 أبداً إلى يوم القيامة فهى إذ سفدها ذكرها صاحت وقالت يا طيور سفدنى اشهدوا
 معاشر الطيور اشهدوا .

ثم يخرج سهم العنقاء فتقدمت إليه فقال سليمان ما قولك فى القدر فقالت
 يا نبي الله لى من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وأفعل الخير فقال لها سليمان
 فأين الشرط الذى بينى وبينك زعمت أنك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارين
 والغللام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فائتنى بها الساعة والخلق شهود لأعلم
 صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تاتى بها فمرت
 العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية إذا قربت منها العنقاء تسمع خفيف
 أجفحتها فيبادر للغللام ويدخل جوف الفرس .

فلما رأتها البنت قالت لها كالفرعة أن لك شأننا إن رجعت من ساعتك قالت لها
 اى لعمري أن لى شأننا هذا سليمان قد أمر بإحضارك الساعة لأمر كان بينى وبينه

يا بني أمرك وإنني لأرجو نصرتي اليوم فيك قالت كيف تحمليني قالت على ظهري
قالت وهل أستقر على ظهرك وإنني أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزال فأسقط
وأهلك قالت في منقاري قالت فكيف أصير في منقارك قالت لها وكيف أصنع ولا بد
لي من إحضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معي وقد دعا بكفيلتي البومة .

فكانت لها ادخل في جوف هذا الفرخ ثم ترفعيه على ظهرك أو في منقارك فلا أرى
شيئاً ولا أسقط ولا أفزع من شيء قالت أضبت قال فدخلت في جوف الفرس
واجتمعت مع الغلام ، وحملت العنقاء الفرس في منقارها وطارت حتى وضعت
الفرس بين يدي سليمان عليه السلام .

فكانت - يا بني الله الآن في جوف الفرس فأين الغلام ؟ فتبسم سليمان طويلاً
ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وأنه لا حيلة لأحد في دفع قضائه وقدره
وعليه السابق الكائن من خير وشر فقالت أو من بالله وأقول إن المشيئة إلى العباد
والقوة فمن شاء فليفعل خيراً أو شراً قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة
للعباد شيئاً ، ولا يمكن من شاء الله أن يكون سعيداً كان سعيداً ومن شاء الله أن
يكون كافراً كان كافراً ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا يفعل
ولا يعلم أن الغلام الذي قد ولد بالمغرب مع الجارية التي ولدت بالمشرق وقد
اجتمعا الآن في مكان واحد على سفاح ؛ وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت
العنقاء لا تقل يا بني الله هذا فان الجارية معي في جوف هذا الفرس فقال سليمان
الله أكبر أين البومة النكافلة بالعنقاء ؟ قالت ها أنا يا بني الله ، قال سليمان أنت
على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما
على قضائه ومشيتته قال فأمر البومة ففتحت جوف الفرس وأخرجتهما جميعاً من
جوف الفرس ، فأما العنقاء ففرغت وطارت وآمنت بالقضاء والقدر ، وهذا
ما كان من شأن العنقاء والبومة في القضاء والقدر والله أعلم بالغيب .

ويروى أن سليمان سار من أرض العراق غادياً فقام بمدينة مرو وصلى العصر
بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللاً

بلاد الترك ثم جازها إلى أرض الصين ثم عطف يمينه على مطلع الشمس على ساحل
البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها إلى مكران كرمان ثم جاوزهما حتى أتى
أرض فارس فنزلها أياما ثم غدا منها فقام بكسركر ثم رجع إلى الشام وكان مستقرا
مدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام إلى العراق أن يبنوا له
تدمر فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الأبيض والأصفر وفي ذلك يقول الشاعر

واذكر سليمان إذ قال للمليك له قم في البرية فاحدها عن الفند
وجيش الجيش إني قد أبحت لهم بناء تدمر بالأحجار والعمد

قال ووجدت هذه الأبيات منقورة في صخرة بأرض كسركر أنشأها بعض
صحاب سليمان بن داود عليهما السلام :

ونحت ولا حول سوى حول ربنا تروح إلى الأوطان من أرض تدمر
إذا نحن رحنا كان أمر راحنا مسيرة شهر والفدو لآخر
أناس سروا والله طوع نفوسهم لنصرة دين النبي المظفر
لهم في معاني الدين فضل ورأفة وإن نسبوا يوما فن خير معشر
من ركبوا الريح المطيعة أسرعت مبادرة عن شهرها ولم تقصر
تظلمهم طير صفوفا عليهم متى رفرفت من فوقهم لم تفتر

(رجعنا إلى القصة) وقال قوم من العلماء - معنى قوله تعالى - فطفق مسجعا
بالسوق والأعناق - حبسها في سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهري
مسبح سوقها وأعناقها من الغبار .

وقال وهي رواية الواقدي عن ابن عباس قال - وقال علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه ثم إن الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى
المصر في وقتها .

ومنها تسخير الله تعالى له الجن والإنس والطير والوحوش والشياطين يعملون له ما يشاء كما قال الله تعالى (ومن الجن ومن يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه عذاب السعير) وذلك أن الله تعالى وكل لهم ملكاً بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقتة ، فما عملت له الشياطين بأمره وأحدثوا له الحمامات والقطواحين والقوارير والصابون وأشباه كثيرة واحترفوا له نهر الملك والقوا ترابه بين خانقين وقصر شيرين وعملوا له الفيضة كما قال الله تعالى (ومن الشياطين من يغوصون له) الآية وقال تعالى (والشياطين كل بناء وغواص) وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون أنواع اللؤلؤ والدر وسائر الجواهر البحرية . وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وأنواع الجواهر الثينة من الممادن وهم أول من فعل ذلك .

(حديث القبة)

قال وهب بن منبه - بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والرياح من تحته والإنس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله إذ نظر إلى أعظم أمواج البحر فدعته نفسه أن يعلم ما في قعر البحر فأمر الربيع فسكنت من تحته ، ثم قعد على كرسيه ملكه ثم دعا رأس الغواصين فقال له اختر لي من أصحابك مائة رجل فاختر له مائة رجل فقال له اختر لي من المائة ثلاثين فاختر له ثلاثين فقال اختر لي من الثلاثين عشرة فاختر له عشرة فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختر له ثلاثة فقال لو احد منهم غص حتى تنظر إلى قاع البحر ونأتينى بالخبر فقال له سمعاً وطاعة لك يا نبي الله فغاص في البحر وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذي رأيت ؟

قال : يا نبي الله ما رأيت إلا أمواجاً وحيتانا غير أني رأيت ملكاً عظيماً فقال لي أين تريد ؟ فقلت له إن نبي الله سليمان أرسلني أنظر له قعر هذا البحر فقال ارجع إليه فاقرأ عليه مني السلام وقل له إن قوماً ركبوا هذا البحر منذ

أربعين عاماً فغاب عليهم مركبتهم فخرجوا يصلحونه فسقط من أحدهم قدوم فهو يتجلى في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع إليه وأخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك ولها عما كان قصد .

قال - فبينما هو على الشاطئ إذ رأى قبة من زجاج تضرها الأمواج في لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا في أثرها فغاصوا فأخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح له بابان بمصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تنظر ماء فجاء حتى وقف بين يدي سليمان فقال له سليمان يا فتى من الجن أنت أم من الإنس ، قال بل من الإنس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يا نبي الله كانت لي والدة وكنت من أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدي ولا أترك شيئاً من صنائع البر إلا صنعتها بها فلما حضرتها الوفاة سألتها أن تدعو لي فرفعت رأسها إلى السماء وقالت - يارب قد عرفت بر وادي بي فأرزقه العباد في موضع لا يكون لبليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفتها فخرجت يوماً إلى ساحل البحر فإذا أنا بهذه القبة فدعيت نفسي أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها وتزاحرت الأمواج وكان آخر عهدى يا نبي الله

فقال له سليمان فمن أين مطعمك ومشربك ؟ فقال يا نبي الله إذا كان الليل جاءني طائر أبيض في منقاره شيء أبيض فيدفعه إلي فأأكله فهو يقيمتني من الطعام والشراب فقال له سليمان - فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت في ظلمة هذا البحر قال يا نبي الله في القبة خيطان خيط أبيض وخيط أسود فإذا رأيت الخيط الأبيض فإبدأ علمت أنه النهار وإذا رأيت الخيط الأسود فإبدأ علمت أنه الليل .

فقال له سليمان هل لك في صحبتنا رغبة ؟ قال لا يا نبي الله إن تشأناذن لي أن أعود إلى قبتي فأذن له فأنطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاحرت به الأمواج فكان آخر العهد به

(قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء)

وعما عملوا له مدينة من قواريب عشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع
فيها ألف سقف مابين كل سقفين عشرة أذرع في كل سقف جميع ما يحتاج إليه
من المساكن والقباب والمرافق أسفلها أغاظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء
يرى من داخلها ما وراء خارجها من صفاته ونقائه وأشدهس بالنهار والقمر بالليل
وعلى السقف الأعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض يستضيء به في الليل الداجي العسكر
كله يتألا شعاة مد البصر وبها من الأركان ألف ركن على مناكب الشياطين
تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه
علوا وسفلا تحملها الريح إلى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرأ يأكل
ويشرب وينام ويتمتع بها وفي أسفلها مرابط واصطبلات وأواري وأواخي
لحيلة ودوابه وعما عملوا له كرسي ملكه .

(صفة كرسي سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) يروي أن نبي الله سليمان
عليه السلام أمر الشياطين باتخاذ كرسي يقعد عليه للنضاء وأمر أن يعمل يديماً
مهمولا بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت فعملوا له كرسيّاً من أنياب
الفيلة وفصصوه بالياقوت والأواق والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع
نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزمرّد الأخضر على رأس نخلتين
منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الأخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل
بعضر وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما
عمود من الزمرّد الأخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار الكرم من الذهب الأحمر
واتخذوا عناقيد من الياقوت الأحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسي
قالوا وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير
الكرسي ورجله فيها ويدور دوران الرمح المسرعة وتذشر تلك النسور

والمطراويس أجنحتها ويديسطن الاسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذناهما
وكذلك يفعل في كل درجة يصعد بها سليمان فإذا استوى بأعلاه أخذ النسران
الاذنان على النخلتين المسك والعنبر يفتتانهما عليه ثم تناول حمامة من ذهب قائمة
على عمود من جواهر من أعمدة الكرسى التوراة ففتحها لسليمان فيقرؤها على الناس
ويدعوهم إلى فصل القضاء ؛ قال وتجلس عظماء بنى إسرائيل على كرسى الذهب
والفضة المنصصة بالجواهر وهى ألف كرسى على يمينه وتجيء عظماء الجحش
يجلسون على كراسى الفضة عن يساره وهى ألف كرسى حافين به جميعاً ثم تظلمهم
الظلم وتقدم الناس إليه للقضاء فإذا دعا بالبيّنات وتقدمت الشهود لإقامة الشهادات
دار الكرسى بجميع ما فيه وما حوله دون الرضى المشرعة

قال معاوية لوهب بن منبه ما الذى كان يدير ذلك الكرسى ؟ قال بلبلان من
ذهب وذلك الكرسى مما عمله صنحرجى قالوا فإذا دار الكرسى بسط الاسدان
أيديهما ويضربان الأرض بأذناهما وينشر النسران والطاوسان أجنحتهما فتفرع
منه الشهود ويدخلهم من رعب شديد فلا يشهدون إلا بالحق ، فهذا شأن كرسى
سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه

فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فاخذ ذلك الكرسى وحمله إلى
أنطاكية فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عالية ولا بأحواله فلما
وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الأسد يده اليمنى فضرب ساقيه ضربة شديدة
دفعها ورماه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج ويتوجع منها حتى مات وبقي الكرسى
بانطاكية حتى غزاها ملك من الملوك يسمى كداس بن سداس فهزم خليفته بختنصر
ورده الكرسى إلى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه
ولا الاستمتاع فوضع تحت الصخرة قغاب ولم يعرف خبره ولا يدري أين هو
والله أعلم ، ومنها بيت المقدس .

(صفة بنيانه وبده أمره)

قال الله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) الآية وقال تعالى (ونجيناه ووطأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) نقيل بالمياه والأشجار والثمار وقيل إن كل ماء عذب يخرج من تحت أصل للصخرة التي ببית المقدس يهبط من السماء إليهما ثم يتفرق في الأرض وذلك قوله تعالى (باركنا فيها للعالمين) .

وروى خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ :
«صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة وعلى ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضى الله عنهما ينظمان حلى أهل الجنة إلى القيامة» .

وأما بده بناء بيت المقدس ، وصفة بنيانه على ما ذكره أهل البصيرة بالسيرة هو أن الله تعالى بارك في نسل إبراهيم حتى جعلهم في الكثرة غاية لا يحصون . فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فأعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني إسرائيل كم هم فأمر بعدهم وبعث بذلك عرفاء ونقاء وأمرهم أن يرفعوا إليه ما يبلغ من عددهم ففكأنوا يعدون زماناً من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام وأوحى إليه يا داود قد علمت إنى وعدت أباك إبراهيم يوم أمرته بذبح ولده فصبر وأتم أمرى بأن أبارك له في ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء وأجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فأردت أن تعلم عددهم إنه لا يحصى عددهم غيرى وإنى قد أفسمت لا بتلينيهم ببليّة يقل منها عددهم ويذهب عنك إعجابك بهم وبكثرتهم فاخترتوا إما أن ابتليتكم بالجوع والقحط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فجمع داود بني إسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى وخبرهم فيه فقالوا أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا غير أن الجوع لا صبر

(م ٢٢ - قصص الأنبياء)

لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فإن كان ولا بد فاموت لأنه بيده لا بيد غيره
فأمرهم داود أن يتجهزوا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الأكفان وبرزوا إلى
صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذراري والأهلين وأمرهم أن يضجوا إلى
الله تعالى ويتضرعون إليه لعله أن يرحمهم فأرسل إليهم الطاعون فأهلك منهم في
يوم وليلة ألفاً كثيرة لا يدرى عددهم ولم يفرغوا من دفنهم إلا بعد موتهم بشهر
فلما أصبحوا في اليوم الثاني خر داود عليه السلام ساجداً لله تعالى يبتهل إلى
الله تعالى ويقول يا رب أنا آكل الخبز الحامض وبنو إسرائيل يضرسون يعني
اذنبت وبنو إسرائيل يعاقبون فما كان من شيء أوفى أنزله وأعف عن بني إسرائيل
فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه
السلام الملائكة سائرين سيوفهم فغمدوها وارتقوا في سلم من ذهب في صخرة بيت
المقدس إلى السماء فقال داود لبني إسرائيل إن الله تعالى قد من عليكم ورحمكم فسجدوا
له شكراً وقالوا كيف تأمرنا قال أمركم أن تتخذوا في هذا الصعيد الذي رحمكم فيه
مسجداً لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذا كر لله تعالى فأخذ داود في بنائه .

فلما أرادوا أن يبتدئوا بالبناء جاء رجل صالح فتعير يختبرهم ليعلم كيف إخلاصهم
في بنائهم فقال لبني إسرائيل إن لي فيه موضعاً أنا محتاج إليه ولا يحل لكم أن
تجيبوني عن حقي فقالوا يا هذا ما من أحد من بني إسرائيل إلا وله في هذا الصعيد
حق مثل حقك فلا تسكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال أنا أعرف حقي وأنتم
لا تعرفون حقي فقالوا له أما ترضى وتطيب نفسك إلا أخذناه منك كرها فقال
لهم أتجدون هذا في حكم الله وحكم داود ، قال فرجع خبره إلى داود عليه السلام
فقال أرضوه فقالوا بكم نأخذه منه يابى الله قال خذوه بمائة فقال الرجل زدني يابى
الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدني قال بمائة بعير قال زدني يابى الله فأنما
نشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم أعطيك قال
تشتريه بحائط مثله زيتوناً ونخلاً وعنباً قال نعم فقال أنت تشتريه لله تعالى فلا تبخل
قال سل ما شئت قال أكرم على الله مني ولسكن ابن لي حوله جداراً مشرفاً ثم تملؤه
ذهباً وإن شئت ورعاً قال داود هذا هين فالتفت الرجل إلى بني إسرائيل وقال لهم

هذا هو النائب المخلص ثم قال لداود يا نبي الله لأن يغفر الله لي ذنباً واحداً أحب إلي من كل شيء وهبت لي وليكن كنت اختبرتمكم فجدوا في بناء بيت المقدس ، وكان ذلك فيما قيل لإحدى عشر سنة مضت من ملك داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك أخبر بني إسرائيل حتى رفعوه قامة وعجزوا فأوحى الله تعالى إليه أن هذا بيت مقدس وأنت رجل سفك للدماء ولست بهانيه وليكن ابن لك أملكه بهدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء ، وأفنى إتمامه على يديه ويكون صيته وأجره لك باقياً فصلوا فيه زماناً إلى أن توفي داود عليه السلام واستخلفه سليمان فأمره الله تعالى بإتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والإنس والشياطين وقسم عليهم الأعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وأرسل الجن والشياطين في تحصيل عمل الرخام والبللور الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ربضاً لكل ربض منها سبط من الأسباط وكانوا اثني عشر سبطاً

فلما فرغ من بناء المدينة ابتداء في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقاً فريق منها ليستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون في البحر ويستخرجون أنواع اللؤلؤ وفريق يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون المسك والعنبر وأنواع الطيب من أما كنيتها فأتى بشيء من ذلك لا يحصيه إلا الله تعالى ، ثم أنه أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنظيفها وإصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا يعملونها فتصوت صوتاً شديداً اتصالاً بتمها فذكره سليمان تلك الأصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصيد فقالوا يا نبي الله ليس في الجن أكثر تجارب ولا أكثر علماً من صخر المفاريت فأرسل إليه من يأتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعاً وكان يطبع للشياطين بالنحاس وللسائر الجن بالحديد وكان إذا طبع بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان إلا انقاد إليه بإذن الله تعالى فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأنوه به وهو في بعض جزائر البحر فأروه الطابع فلما نظر إليه كاد أن يصعق خوفاً فأقبل مسرعاً مع الرسل حتى

دخل على سليمان فسأل سليمان رساله عما أحدث العفريت في طريقه فقالوا يا نبي الله إنه كان يضحك بعض الأحيين من الناس فقال سليمان ما رضيت بشمردك على وترك المجيء إلى طاعق صرت تسخر من الناس .

فقال يا نبي الله إني لست أسخر منهم غير أن ضحكي كان تعجباً مما كنت أسمع وأرى في طريقى فقال له سليمان وما ذاك ، قال مررت على شط نهر فوجدت رجلاً ومعه بغلة يريد أن يستقيها وحره يريد أن يستقى بها فسقى البغلة وملاً الجرة ثم أراد أن يقضى حاجته فشدد البغلة بأذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحك من حق الرجل حيث توهم أن الجرة تحبس البغلة ، ومررت برجل آخر وهو جالس عند إسكاف يستعمله في إصلاح خف له فسمعتة يشترط عليه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين ونسي نزول ملك الموت من قبله فضحك من قلة عقله وجهله .

ومررت بناس قد جالسوا يبتهلون إلى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فل منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجالسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم وأخطأت الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاءوا فضحك تعجباً للقضاء والقدرة فقال له سليمان هل علمت من كثرة تجاربك وجولاتك في البحار شيئاً ينحت لي هذه الجواهر قتلين ويسهل نحتها وثقبها بلا صوت ؟ قال نعم يا نبي الله أعرف حجراً أبيض كاللبن يقال له الساموار غير إني لا أعرف معدنه الذي هو فيه ، وليس في الطير شيء أحيل ولا أهدى من العقاب فأمر بفراخه أن يجعل في صندوق من تلك الجواهر فإنه يأتي بذلك الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل إلى أولاده قال فأمر سليمان بفراخ العقاب أن تضم في صندوق من حجر منها يوماً وليلة فحجب عن أفراخه فمر مسرعاً وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل إلى أفراخه فوجه سليمان مع العقاب نفرأ من الجن حتى أتوه منه بقدر ما علم أن فيه الكفاية واستعمل ذلك في أدوات الصناعات فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل في نقش الخواتيم وثقب الجواهر إلى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبني

سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر وعمده من المنها الضافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه بالالوان والواقيت وأنواع الجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروز فلم يكن يوجد يومئذ في الأرض أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان يضيء في الليل كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أحرار بني إسرائيل وأعلمهم أنه بناء لله تعالى وكل شيء منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً لم يتخذ في الأرض قط أعظم عيد ذلك اليوم ولا أطعمه أكثر منه فذبح فيه من الجزر ألف جزور من البقر خمسة وعشرين ألفاً معلوفة ومن الغنم أربعمائة ألف شاة قالوا ومن عجائب ما اتخذ سليمان بيت المقدس أنه بنى بيتاً وطن حائطه بالجص وصقله ، فكان إذا دخله الباراستبان خياله في ذلك الحائط الأبيض وإذا دخله الفاجر استبان خياله في ذلك الحائط أسود فازدع من ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا ابنوس فكان من مسها من أولاد الأنبياء لم يضره منها شيء ومن مسها من غيرهم احترقت يده.

فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قرباناً على الصخرة ثم قال اللهم أنت وهبت لي هذا الملك منأ منك على وجهك خليفتك في أرضك وأكرمتني به من قبل أن أكون شيئاً فلك الحمد ، اللهم إني أسألك لم أدخل هذا المسجد خصلاً أن لا يدخله أحد يصلي فيه ركعتين مخلصاً فيهما إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ولا يدخله مذنب إلا نبت عليه ولا خائف إلا أمنت له ولا سقيماً إلا شفيته ولا مجذب إلا أخصبته وأغنيته ، وإذا أجبته دعوتي وأعطيتني طلبتي فاجعل لي غلامته أن تتقبل قرباني ، قال فنزلت نار من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القربان وصعد به إلى السماء .

وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام إلى أن غزا بختنصر بنو إسرائيل فحرب بيت المقدس وألقى فيه الخيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآنية إلى أرض بابل ، وكان بيت المقدس خراباً إلى أن بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمره والله أعلم .

(باب في قصة بلقيس ملكة سبأ والهدهد وما يتصل به)

قال الله تعالى (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين)
الآية ، قالت العلماء بأخبار القدماء : إن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام
بلا فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى الحرم فتجهز للمسير واصطهب
معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بالغ عسكرة مائة فرسخ
وأمر الرياح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم وقرب
القرايين وقضى المناسك وبشر أهله بخروج نبينا محمد ﷺ وأخبرهم أنه سيد
الأنبياء ونخاتم النبيين وإن ذلك مثبت في زبورهم .

ثم أحب أن يسير إلى أرض اليمن فخرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن يوم
نجم سهيل فوافوا صنفاء وقت الزوال ، وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً بيضاء حسنة
تزهو بخضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغذى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد
دليلاً وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الأرض
خفيف موضع الماء وعمقه ، ثم تجيء الشياطين فيسأخونه كما يسأخ الإهاب
فيسنخرجون الماء .

قال سعيد بن جبير : لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الأزرق
كيف يبصر الماء من تحت الأرض ، ولا يبصر الفخ إذا غطى بقدر أصبع من
التراب ؟ قال ويحك إذا جاء القدر عمى البصر .

وروى قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إنها كم عن قتل
الهدهد فإنه كان دليل سليمان على الماء ، فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده
ثم إن الهدهد لما جاء قال « وجهتك من سبأ نبياً يقين لاني وجدت امرأة تملكهم
الآية ، وذلك أنه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه إن سليمان قد اشتغل بالنزول
رتفع إلى نحو السماء ونظر إلى طول الدنيا وعرضها ونظر يميناً وشمالاً فرأى
مستان بلقيس فإلى الخصرة فوق فيها فإذا هو بهدهد اليمن فمبط عليه وكان اسم

هدهد سليمان يعفور واسم هدهد الين عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبليت ؟
 وإلى أين تريد ؟ قال أقبليت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام ،
 فقال له الهدهد : ومن سليمان بن داود ؟ قال ملك الجن والإنس والشياطين
 والوحوش والرياح ، فمن أين أنت ؟ قال أنا من هذه البلاد ، قال ومن ملككما ؟
 قال امرأة ، قال فما اسمها ؟ قال يقال لها بلقيس ، وإن لصاحبكم سليمان ملكاً
 عظيماً ، وإن يكن ليس ملك بلقيس دونه فإنها ملكة الين كله وتحت يدها اثنا عشر
 ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل . والليل هو القائد بلغة أهل الين فهل أنت
 مطلق معي حتى تنظر إلى ملككما ؟ قال فإني أخاف أن يتغمدني سليمان في وقت
 الصلاة إذا احتاج إلى الماء فقال الهدهد اليماني إن صاحبك ليس به أن تأتيه بخبر
 هذه الملكة فانطلق معه حتى أتى بلقيس ونظر مملكها ، وما رجع إلى سليمان
 إلا وقت صلاة العصر ، قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طالبه
 الهدهد ، وذلك أنه نزل على غير ماء فسأل الإنس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا
 فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعدده ،
 وروى عن عكرمة عن ابن عباس قال : كل سلطان في القرآن حجة ، قال :
 دعا العقاب سيد الطيور فقال علي بالهدهد الساعة ؛ فرفع العقاب نفسه دون السماء
 حتى التصق بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم فنظر يمينا وشمالا
 فإذا بالهدهد مقبلا من نحو الين فانقض العقاب نحوه يريد .
 فلما رأى الهدهد أن العقاب يريد به سوء فاشده وقال بحق الذي قواك وأقدرك
 علي لا رحمتي ولا تعرض لي بسوء ، قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك إن نبي
 الله سليمان حلف أن يذهبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا
 إلى المعسكر تلقاهم الذسر والظير كله وقالوا له أين غبت في يومك هذا فقد توعدك
 نبي الله سليمان وأخبروه بما قال ، فقالوا الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى إنه قال
 أو ليأتيني بسلطان مبین ، فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعداً على
 كرسيه ؛ فقال العقاب قد أتيتك به يا نبي الله ، فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه
 وألقى ذنبه وجناحيه حتى يجرهما على الأرض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده

إلى رأسه فجذبها ، وقال أين كنت ؟ لا عذبتك عذاباً شديداً فقال الهدهد : يا نبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله ، فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه .

أخبر الحسين بن محمد الثقفى بإسناده عن عكرمة فقال : إنما صرف سليمان عن شبح الهدهد به بوالديه ثم سأله ما الذى أبطأك عنى قال الهدهد ما أخبر الله به ، أحطت بما لم يحط به ، أى علمت ما لم تعلم به ، وجئتك من سبأ بذبا يقين لى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ، وإسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهذهاذ ، وقيل هى بلعمة بنت شراحيل بن ذى جدن بن البشرخ بن الحارث بن قيس بن صنها بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وكان أبو بلقيس الذى يسمى البشرخ ويلقب بالهذهاذ ملكاً عظيم الشأن وكان ملك أرض اليمن كلها : وكان يقول لملوك الأقطار ليس أحداً منكم كفؤاً لى وأنى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر ، وكانت الإانس إذ ذاك ترى الجن وتخالطهم فولدت له بلعمة وهى بلقيس ولم يكن له ولد غيرها ، وتصديق ذلك ما أخبر به ابن ميمونة بإسناده عن أبى هريرة عن النبي ﷺ أنه قال (كان أحد أبوى بلقيس جنياً) قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف وراءه غيرهما طلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعوها وتمت المبايعة .

وروى ابن ميمونة بإسناده عن الحسن بن على عن أبى بكر ، قال ذكرت بلقيس عند رسول الله ﷺ فقال (لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصراً وعرشاً .

(صفة القصر الذى بنته بلقيس)

قال الشعمى : روى أن بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل إليها خمس مائة الاسطوانة من رخام طول كل اسطوانة خمسون ذراعاً فأمرت بها فنصب على تل قريب من مدينة صنها وجعلت بين كل اسطوانتين عشرة أذرع ، ثم جعلت فيها سقف منظومة بالواج الرخام واللحم بعضها إلى بعض بالرخاص حتى صارت كأنها

لوح واحد ، ثم بنت فوق ذلك قصراً مربعاً من آجر وجص في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء ، وفيما بين ذلك مجالس حيطاتها من ذهب وفضة مرصعة بالوان الجواهر المربعة ، وجعلت فيه أي في باب ذلك القصر مما يلي المدينة برجاً من الرخام الأبيض والأخضر والأحمر ، وفي جوانبه حجر لمجاها ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم .

(صفة عرشها)

كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكل بالوان الجواهر ، وله أربع قوائم ؛ قائمة من ياقوت أخضر ، وقائمة من زمرد أخضر ، وقائمة من درأصفر وصفائح السيرير من الذهب وعليه سبعون بيتاً وعلى كل بيت باب معلق ، وكان طوله ثمانين ذراعاً في الهواء فذلك قوله عز وجل : وأوتيت من كل شيء ، مما يحتاج إليه في الملك من الأدلة والعدة ، ولها عرش عظيم ، أي سرير ضخم حسن ، وجعلتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وذلك أنها قالت لوزرائها ما كان يعبد آباؤي الماضون ؛ قالوا كانوا يعبدون إله السماء ، قالت وأين هو ؟ قالوا في السماء وعلمه في الأرض ، قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه ولست أعرف شيئاً أشد من نور الشمس فهي أولى بما ينبغي لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها إذا طلعت وإذا غربت .

قال : فلما قال ذلك الهدهد سليمان قال له سليمان ؛ سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ؛ ثم أن الهدهد دهم على الماء فاحتفروا في الزكاياء وهي الآبار القلج تطو ببطن كل واد فروى الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتاباً ؛ من عبد الله سليمان بن دارد إلى بلقيس ملكة سبأ .

(بسم الله الرحمن الرحيم ؛ السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : أن لا تعبدوا على واثتوني مسلمين) .

قال ابن جريج وغيره ولم يزد سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيئاً
وكان أبلغ الناس في كتابه وأقله إملأه ، وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
كانوا يكتبون جملاً ولا يطيلون كتاباً ولا يكتبون ، قالوا فلما كتب الكتاب
طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ، وقال للهدد : اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم
تول عنهم وكن قريباً منهم ؛ فانظر ماذا يرجعون ، أى يردون من الجواب فاخذ
الهدد الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكانت بارئاً يقال لها مأرب من صنعاء على
ثلاثة أيام فوافاها في قصرها ؛ وقد غلقت الأبواب ، وكانت إذا رقدت غلقت
الأبواب وأخذت الممانيح فوضعتها تحت رأسها ومضت إلى فراشها فأناها الهدد
بجاءه فأتته مستلقية على ظهرها فالتقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة .

وقال وعب بن منبه ؛ كانت الزاكوة . معنى طاقة مستقبله للشمس تقع الشمس
فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدد إلى تلك الزاكوة فسدّها
بجناحيه فارتعدت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظرها فرمى الصحيفة
بني وجهها قالوا فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من أصل تبع
ابن شراحيل الحميري ، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان
في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكاً منها ، وقالت أن
ملكاً تكون رساله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد ،
ثم أتتها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملائكة من قومها وهم اثنا عشر
فقال تحت يد كل قيل منهم مائة مقاتل وكانت تسلمهم من وراء الحجاب فإذا حزن
بها أمر أسفرت عن وجهها ، فلما جاءوا وأخذوا بحالهم قالت لهم بلقيس ؛
إني ألقى إلى كتاب كريم ، أى شريف لشرف صاحبه .

وقال الضمك ؛ سمته كريماً لأنه كان مخنوماً يدل عليه ما أخبرني به أبو حامد
الوراق بإسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال (كرم الكتاب ختمه) وقيل ؛
سمته كريماً لأنه مصدر بسم الله الرحمن الرحيم ، فذلك قوله تعالى (إنه من سليمان
وإنه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعملوا على وائتوني مسلمين) ثم قالت : يا أيها

الملا أفتوني في أمرى ، وأشيروا على فيما عرض لى ، ما كنت قاطعة ، في بحر كذا تشهدون أى تحضرون ، فقالوا بحيين لها ، نحن أولوا قوة وأولوا بأس ساعده عند الحرب والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين ؛ تجدينا لأمرك طائمين ، فقالت لهم بلقيس حين عرضوا أنفسهم للحرب (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أى أهانوا أشرافها وكبراءها لكي يستقيم لهم الأمر . فصدق الله قولها فقال (وكذلك يفعلون) أنشدنى أبو القاسم الجنيد في هذا المعنى قال أنشدنى أبى فى معناه ؛

إن الملوك بلاء حيشما حلوا	فلا يكن لك فى أكنافهم ظل
ماذا تأمل من قوم إذا غضبوا	جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
وإن مدحتهم خالك تخدعهم	واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستن بالله عن أبوابهم كرماً	أن الوقوف على أبوابهم ذل

قال الله تعالى مخبراً عنها (ولأنى مرسله إليهم بهدية) وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبديبة عاقلة قد سامت الملا عن قومها وجربت الأمر وسامته ، ولأنى مرسله إليهم إلى سليمان وقومه بهدية أصانعه عن ملكى وأختبره بها أملك أم نى فإن يك ملكاً قبل الهدية والصرف ، وإن يك نبياً لم يقبل الهدية ولم يرض منا إلا أن نتبعه على دينه ، ثم أمدت إليه وصفاء ووصائف ، قال ابن عباس ؛ ألبيتهم لباساً واحداً حق لا يكون يعرف الذكر من الأنثى ؛ وقال ؛ ألبيت الغلمان لباس الجوارى ، وألبست الجوارى لباس الغلمان ؛ واختلفوا فى عددهم ؛ فقال الكلبي عشرة جوار وعشر غلمان ، وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة ، وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية . وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وأرسلت إليه أيضاً بصفائح الذهب واختلفوا فى ؛ بها وعددها .

أخبرنى ابن ميمونة أيضاً بإسناده عن ثابت بن أنى فى قوله تعالى (ولأنى مرسله إليهم بهدية) قالت أهدت له صفائح من الذهب فى أوعية الديباج ، فلمّا بلغ ذلك سليمان أمر الجن فوهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فالقى فى كل مكان .

هؤلاء جاءوا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان ، قالوا قد جئنا نحمل شيئا نراه
منهمنا ملقى لا يلتفت إليه فصرخ في أعينهم ما جاءوا به ، وقيل كانت أربع لبنات
من ذهب .

وقال وهب بن منبه وغيره من أهل الكتاب عمدت بلقيس إلى خمسمائة
جارية وخمسمائة غلام فالبتت الجوارى لباس الغلمان والأقبيه والمناطق ،
وألبتت الغلمان لباس الجوارى ؛ وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي
أعناقهم أطواقا من ذهب وفي آذانهم أقراطا وشنوقا مرصعات بأنواع الجواهر
وجعلت الجوارى على خمسمائة فرس والغلمان في خمسمائة برذون على كل فرس
سرج من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من الديباج الملون وبعثت إليه أيضا
خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
المرتفع وأرسلت إليه أيضا بالمسك والعنبر والعود والألوانجوج وعمدت إلى حقة
فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع خرزة مثقوبة موهجة الثقب ودعت
رجلا من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت إليه رجالا من قومها
أصحاب الرأس والعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت في الكتاب ؛ إن
كنت نبيا فبين الوصائب والوصفاء واخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها وثقب
الدرة ثقباً مستويا وادخل نخيطة في الخرزة ثم امرت بلقيس الغلمان فقالوا لهم ؛
إذا كنتم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث وتخفيف يشبه كلام النساء وامرت
الجوارى أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم لأنها قالت للرسول ؛
انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظرك إليك نظرة غضب فاعلم أنه ملك فلا
يخولك منظره فأنا اعز منه ؛ وإن رأيته رجلا بشاشا لطيفاً فاعلم أنه نبى مرسل
فتفهم كلامه ورد البواب فانطلق للرسول بالهدايا .

فأما رأى الهدى ذلك أقبل مسرعا إلى سليمان واخبره بالخبر كله فأمر سليمان
الجن أن يهضموها له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ، ثم أمرهم أن يبسطوا له
من موضعه الذي هو فيه إلى تسع فراسخ ميديانا واحداً بابنات الذهب والفضة
وأن يجمعوا حول الميدان حيطاناً مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم

فإن الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر فقالوا ؛ يا بني الله إنا رأينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص فقال سايمان ؛ على بها الساعة فأتوه بها ؛ فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره عن لبنات الذهب والفضة والقوا لها علوفة فيها ، ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خاق كثير فأقامهم فيها عن يمين الميدان وعن يساره . ثم قعد سايمان في مجامسه على سريريه ووضع أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثابها عن يساره ، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والبهائم والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره ، فلما أقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا إلى ملك سايمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مثابها تروث على ابن الذهب والفضة تقاصرت إليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا .

ثم رد سايمان الهدية كلها وقال (اتمدون بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون) لأنكم أهل المفاخر والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وأيدست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكنتني منها وأعطاني ما لم يعط أحداً من العالمين فيها ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ثم إنه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم (ارجع إليهم بالهدية فليأتينهم بجنود لا قبل لهم ولا يخرج جنهم منها أذلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين) قالوا فلما رجعت رسل بلقيس إليهما من عند سايمان وأخبروها قالت ؛ والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة ، فبعثت إلى سليمان عليه السلام لأنى قادمة بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعون إليه من دينك ثم إن بلقيس أمرت بمرشها فجعل في سبعة أرباب بعضهم داخل بعض في آخر قصر من قصورها ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حراساً يحفظونه ثم أنها قالت لمن خافتم على سلطانها احتفظ بما قبلكم سرير ما لكى فلا تخص إليهم أحداً ولا يراه حتى آتيك ؛ ثم أنها أمرت منادياً ينادى في أرض مملكتهما ليؤذنهم بالرحيل ، ثم شخصت إلى سايمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن ؛ تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل ؛ قال ابن عباس وكان سايمان هاهنا السلام رجلاً مهيباً لا يبتدىء بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه ؛

على سرير ملكه فرأى رجلا قريبا منه فقال ما هذا
الله قال : أو قد نزلت منا بهذا المكان ؟ قالوا نعم .

عباس : وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فأقبل سليمان على
مال (أيكم) يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني (مسامحين) أي طائعين خاضعين .
اختلف العلماء في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار العرش ، فقال
رهم لأن سليمان علم أنها إذا اسلمت حرم عايه مالهأ فأراد أن يأخذ سريرها
أن يحرم عايه أخذه بإسلامها .

وقال قتادة : لأنه أعجبه صمته لما وصفه الهدد فأراد أن يراه قبل أن يراها و قيل
ليرىها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه في معجزة يأتى بها في عرشها (قال عفريت من الجن)
وهو المارد القوي (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) من أي مجلسك الذي
تقضى فيه ، قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضى فيه إلى نصف النهار
واختلفوا في اسمه فقال وهب : إنه كودي ، وقال شعيب : إنه كردان
(ولأني عليه لقوى) أي قوى على حمله (أمين) على ما فيه من الجواهر ، فقال
سليمان أريد أسرع من هذا (فقال الذي عنده علم الكتاب) واختلفوا فيه فقال
بعضهم هو جبريل عايه السلام وقال آخرون ، مالك من الملائكة أيد الله به زنا
عايه السلام . وقال آخرون . بل كان رجلا من بني آدم . ثم اختلفوا فيه
أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيأ بن ماسكيا وكان صديقا يعلم لاسم
الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى .

واختلف العلماء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الإتيان بالعرش
فروى عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن الاسم الأعظم الذي دعا به آصف
ابن برخيا . يا حي يا قيوم . وروى عن الزهري قال . دعا الذي عنده علم من
... ب يا إلهنا وإله كل شيء إلهأ واحدا لا إله إلا أنت اتقنى بعرشها .
وقال مجاهد إذا الجلال والإكرام .

فأما رأى سليمان العرش مستقرا عنده محمولا إليه من مارب إلى الشام في قدر
ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة (قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر

ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) أى لم ينفع بذلك إلا نفسه حيث استوجب شكره
لتمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن
كفر فإن ربي غنى) عن شكره (كريم) الأفضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان
عليه السلام (نسكروا لها عرشها) أى زيدوا وأنقصوا منه وجعلوا أعلاه أسفله ،
وأسفله أعلاه (تنظر أتم تدي إلى عرشها فتعرفه ، أم تسكون من الجاهلين) الذين
لا يهتمون إليه أراد أن يختبر عقلمها ، وأن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان
ويستولدها فتشقى إليه أسرار الجن فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من
بعده فأرادوا أن يزهده فيه فأساءوا الثناء عليها وقالوا إن فى عقلمها شيئاً وإن
رجالها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يختبر عقلمها بتذكير عرشها وينظر إلى قدميها
ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس (قيل لها أهكذا عرشك قالت كانه هو) فشبهته بها
وكانت قد تركته خلفها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلمها .

قال الحسين بن الفضل فشبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم
ولو قالوا لها هذا عرشك فقالت لهم نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بالتلائم وبجيشها
طائفة من قبلها ، أى من قبل بجيشها وكنا مسلمين طائعين خاص من الله تعالى هذا
قول مجاهد وغيره ، وقال بعضهم هو قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت
قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من
قبلها أى من قبل هذه الآية ، وكنا مسلمين أى متقادين لك مطيعين لأمرك من قبل
أن جئناك ، وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس تريده أمر الشياطين فبنوا لها صرحاً
أى قصرأ من زجاج كأنه الماء بياضاً وجروا من تحته الماء وألقى فيه السمك ثم
وضع سريره فى صدره وجلس عليه وعكفت الطير والجن والإنس .

ولما أمر ببناء الصرح لأن الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان
ما سخر وبلقيس ما سخر ينكحها فتلد غلاماً فلا تنفك من العبودية والسخره
أبدأ فأرادوا أن يزهده فيها فقالوا إن رجالها رجل حمار وأنها شعراء الساقين
لأن أمها كانت جنية فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك وينظر قدميها وساقيها فأمر
ببناء الصرح .

وقال وهب بن منبه : إنما بنى الصرح ليختبر عقلمها وفهمها يواجها بذلك كما فعلت هي بتوجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليز بين الذكر والأنثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبنه لجة وهي معظم الماء فكشفت عن ساقها لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً إلا أنها كانت شمراً الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداهما إنه صرح بمدد من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له يا سليمان إنى أريد أن أسألك عن شيء قال سلى ، قالت أسألك عن ماء ليس من الأرض ولا من السماء وكان سليمان إذا جاء شيء لا يعلمه سأل عنه الإنس فإن كان عندهم علم ذلك وإلا سأل الجن فإن علموا وإلا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما أهون ذلك أؤمر بالخيول أن تجرى ثم املا الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل ثم قالت اخبرنى عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجداً وصعق فقامت عنه وتفرقت جنوده فجاءه جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك ؟ قال يا جبريل ربى أعلم بما قالت ، قال فإن الله يأمرك أن ترجع إلى سريرك فترسل إليها وإلى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألهما وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال عن ماذا سألتينى ؟ قالت سألتك عن ماء ليس من أرض ولا من سماء فأجبت قال أى شيء سألتينى أيضاً قالت ما سألتك عن شيء إلا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وأنسأهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ، ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال الهدد والهدية والرسول والعرش والصرح فأجابت وقالت رب إنى ظلمت نفسى بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .

واختلف العلماء فى أمرها بعد الإسلام فقال أكثرهم لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها فسأل الإنس والجن والشياطين ؟ فقالوا لا ندرى فلما ألح عليهم قالوا نحن نحتاج لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام .

قال ابن عباس : إنه أول يوم رؤيت فيها النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام
أخبرني ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي ﷺ قال : أول من اتخذ
الحمامات سليمان عليه السلام ، فلما اتفق ظهره بالجدار ، قال أوامه من عذاب الله
تهالى ، قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن
فبنوا لها بأرض اليمن ثلاث حصون لم ير الناس مثلاً ارتفاعاً وحسناً وهي : سلحين
وعمدان وبنيون ثم إن سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى
ملكها ويقوم عندها ثلاثة أيام ثم يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام .

وروى محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ، قال سليمان إبليس .
لما أسلمت وفرغ من أمرها اختارني رجلاً من قومك حتى أزوجهك إياه قالت ومثلي
ينكح الرجال يا بني الله وقد كان لي في ملكي وقومي من السلطان ما كان قال نعم
إنه لا يكون في الإسلام إلا ذاك ، ولا ينبغي لك أن تكرمي ما أحل الله لك قالت
زوجني إن كان ولا بد من تبع إلا كبر ملك همدان فزوجه إياها ثم ردها إلى اليمن
وجعل زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوجة أمير جن اليمن وقال له أعمل
لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكاً يعمل
فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام وقال فلما حال الحول وبلغ الجن موت
سليمان عليه السلام أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ
بأعلى صوته يا معشر الجن أن سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت
الشياطين إلى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتاباً بالمسند يعني خط الحيرية نحن
بنينا سلحين وبنين وبنينا صروحاً ومرواح وفنقون وهندة وهنيدة ودلوم وهذه
الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ بتهامة لما رفعوا أيديهم
فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك إبليس مع ملك سليمان عليه
السلام والله أعلم .

(باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام وأبازوجته الجرادة)
(ونخب الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب إزال ملكه)

قال الله تعالى (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) وروى محمد بن إسحق عن بعض العلماء أن سليمان أخبر أن في جزيرة من جزائر البحر رجلاً يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد أتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يتمتع عليه شيء في بر ولا بحر فخرج إلى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسي ما فيها فاصاب فيما اصاب بذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلاً حسناً وجمالاً فاصطفاهما لنفسه ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على يده في الظاهر على خيفة منه وقلة ثقة فأحبها حباً شديداً لم يحبه أحداً من نساؤه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرفأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرفأ ، فقالت إني أذكر أني وأذكر ملكي وسلطاناه وما كان فيه فيحزني ذلك ، فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكاً هو أعظم من سلطاناه وهداك الله إلى الإسلام وهو خير لك من ذلك كله فقالت :

إن ذلك حقاً وليكني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن ، فلوأنيك أمرت الشياطين يصورون لي صورته في داري التي أنا فيها أراه بكرة وعشيرة لرجوت أن يذهب ذلك حزني ويسلمني عن بعض ما أجد في نفسي ، فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت إليه حين صنعوه فأزرتة وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها ثم أنها كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدوا إليه في ولائها فأسجد له ويسجدن له معه كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح إليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بذلك أربعين صباحاً فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقاً وكان لا يرد عن باب سليمان في أي ساعة أراد

دخول بيته دخل حاضراً أم غائباً فأتاه ، فقال يا نبي الله كبر سنن ودق عظمي ونفذ عمري وقد حان الذهاب مني وقد أحبيت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلي فيه وأعلم الناس بعض ما يحملون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع سليمان الناس فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضلمهم الله به حتى انتهى إلى سليمان فقال له ما كان أحكمك في صغرك وأروعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظاً فلما دخل سليمان داره أرسل إليه فلما أتاه قال له : يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنت عليهم خيراً في كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فما ذكرتني أثنت على بخير في صغري وسكنت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت في آخر عمري؟ فقال له أن غير الله يعبد في دارك أربعين صباحاً في هوى امرأة ، فقال سليمان في داري قال نعم في دارك فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لقد علمت أنك ما فعلت إلا عن شيء بلغك .

ثم إن سليمان رجع إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها .

ثم إنه أمر بثياب الطهر فأثى بها وهي ثياب لا يغزها إلا الأبقار ولا تمسها امرأة ذات دم ، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى حتى رمس على ذلك الرماد وتمسك فيه بثيابه تذلل الله تعالى وتضرعاً إليه يبكي ويدعو ويستغفر بما كان في داره ويقول فيما يقول :

رب ما كان ينبغي لآل داود أن يعبدوا غيرك وأن يقرؤا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع إلى داره .

وكانت له وليدة يقال لها أمينة كان إذا دخل مذهبها أو أراد قضاء حاجة أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه

إلا وهو متطهر لأن خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً من الأيام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه فأناها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرًا فظنته سليمان لأنها لم تنكر منه شيئاً فقال يا أمينة خاتمي فناولته إياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والإنس والشياطين .

فخرج سليمان فأتى إلى أمينة وقد تغير من حاله ونفسه ما كان معهوداً منه عند كل من رآه .

فقال يا أمينة خاتمي فقالت ومن أنت ؟ قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار فيقول أنا سليمان بن داود فيحشون عليه التراب ويسبونونه ويقولون انظروا إلى هذا المجنون وأي شيء يزعم يقول إنه سليمان .

فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجهاً إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر من البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى السمكتين بأربعة وشوى الأخرى فباعها فمكث كذلك أربعين صباحاً عدة ما كان ذلك الوثن يعبد في داره .

فأنكر آصف بن برخيا وعلباء بنى إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين يوماً ، فقال آصف يا معشر بنى إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيتم ؟ قالوا نعم فقال أمهلوني حتى أدخل على نسائه فاسألهن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلا نيته فدخل على نسائه فقال لهن ويحك هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرناه فقلن

أشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آهف إنا لله وإنا إليه راجعون إن هذا هو البلاء المبين .

ثم إنه خرج إلى بني إسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة ، فلم حضرت أربعون صباحا زال الشيطان عن مجلسه ، ثم مر في البحر فقذف الخاتم فتما ثابته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التي ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد إلى السمكة الأخرى فشقها ليثويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فمكث عليه الطير والجن والإنس والشياطين وأقبل على الناس .

وعلم أن الذي دخل عليه لما أحدث في داره من عبادة الوثن فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه . ثم أمر الشياطين وقال ائتوني بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى أتت به وفتحت له صخرة فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر ، فهذا حديث وهب بن منبه .

قال وأقبل سليمان على حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم ، وقال إني سليمان بن داود فقام إليه بعضهم فضربه بمصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته ، فقال إنه زعم أنه سليمان بن داود فاعطوه سمكتين من ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن أحدهما فأخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاده وجاءت الطير حتى حامت عليه فحرفه القوم فجاءوا يمتذرون إليه مما صنعوا ، فقال ما أؤخذكم على عدوانكم ولا أؤمكم على ما كان منكم هذا ما كان لا بد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن

أتوا بالشيطان الذى أخذ خاتمه فأتى به فجعله فى صندوق من حديد ثم أطبقه
أقفل عليه بقفل وختمه بخاتمه ثم أمر به فألقى فى البحر وهو فيه كذلك .
لى الساعة .

وفى بعض الروايات : أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده
وكان فيه ملكه فأخذه سليمان وأعاد عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت
فى يده أيقن بالفتنة ؛ فقال آصف لسليمان إنك مفتون بذنبك والخاتم لا يماسك
أربعة عشر يوماً ففر إلى الله تائباً من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير فى عمالك
وأهل بيوتك بسيرك إلى أن يتوب الله عليك ويردك إلى ملكك ففر سليمان هارباً
إلى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت وأن الجسد الذى قال الله تعالى
(وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) هو آصف كاتب سليمان : وكان عنده علم
من الكتاب فأقام آصف فى ملك سليمان وعالمه يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة
عشر يوماً إلى أن رجع سليمان إلى منزله تائباً إلى الله تعالى ورد الله عليه ملكه
فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم فى يده فثبت .

وقال الشعبي فى سبب زوال ذلك ولد سليمان ابن فاجتمع الشياطين فقال
بعضهم لبعض أن عاش له ولد لم تنتهى بما نحن فيه من البلاء والسنخرة فسيبنا أنه
نقتل ولده أو أن نخبلة فعلم سليمان ذلك فأمر السحاب أن تأخذ إبنه وأمر الريح
فحملته وغدا إبنه فى السحاب فأمن مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين .
ومات الولد فألقى على كرسيه وهو الجسد الذى قصه الله علينا بقوله (وألقينا على
كرسيه جسداً له ثم أناب) والله تعالى أعلم .

(باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى (فلما قضينا عليه الموت) الآية ، قال أهل التاريخ : لبث سليمان في ملكه بعد أن رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجراب وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها إلى حيث أحب .

قال فتزيا لهم إبليس وهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم ؟ قالوا ما لنا طاقة لما نحن فيه فقال إبليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغاً لا تحملون شيئاً قالوا نعم ، قال فأنتم في راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يحملوا ذاهبين وراجهين فجاءهم إبليس فقال كيف أنتم ؟ فشكروا إليه وأخبروه أنهم يحملون ذاهبين وراجهين فقال لهم إبليس أتنامون بالليل ؟ قالوا نعم قال فأنتم في راحة .

قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم إبليس فشكروا إليه أنهم يعملون بالليل والنهار ولأنهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم : قالوا لا طاقة لنا فما نحن فيه فقال لهم إبليس وما يشاء فعله قالوا نعم فتوقعوا الفرج وقد بلغ الأمر منتهاه فلم يلبثوا إلا قليلاً وقد مات سليمان عليه السلام .

قال ابن عباس وغيره : كان سليمان عليه السلام يحتجب في بيت المقدس السنة والسلتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرا به فدخله في المرة التي مات فيها وكان يده أمره في ذلك أنه لم يكن يوماً يصبح فيه إلا تنبت له في بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لا شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فإن كانت تنبت الغرس كتب عليها غرسها في مكان كذا وكذا وإن كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا .

فبينما هو يصلي يوماً إذا رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخرفوبة قال ولأي شيء تبتك ؟ قالت لخراب هذا المسجد .

فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فتزعها وغرسها في حائط له .

ثم قال اللهم عم عن الجن موتى حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ؛ وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وأنهم يعلمون ما يكون في غد .

ثم إن سليمان دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات ثم بقي على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيماتهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد : قال سليمان لملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني ؛ قال فأتاه فقال يا سليمان قد أمرت بك وقد بقي لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه .

وفي رواية أخرى أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه - إن الله تعالى آتاني من الملك ماترون وما مر علي يوم في ملكي صاف من السكر ؛ وقد أحببت أن يكون لي يوم واحد يصفو لي إلى الليل ؛ ولا أغتم فيه ولا أسكن ذلك اليوم غداً فلما كان من الغد دخل قصر له وأمر بإغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الأخبار إليه لئلا يسمع شيئاً يسوؤه ثم أخذ العصا بيده ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر إلى عماليكه إذ نظر شاباً حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام فسكف دخلت على هذا القصر بغير إذني ، وقد منعت من دخوله أمامك البواب والحجاب ؛ أما هبتني حين دخلت قصرى بغير إذني ، فقال أنا الذي لا يحببني حاجب ولا يدفعني البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لأدخل هذا

اللقصر بغير إذن ، فقال سليمان فمن إذن لك في دخوله فقال له ربي ، قال فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت ، فقال له أنا ملك الموت ؛ قال نعم قال فيم جئت قال لأقبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصنولي ولا أسمع فيه ما يغمني .

قال يا سليمان إنك أردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا ينفعك فيه شيء وذلك يوم لم يخلق في الدنيا فارض بقضاء ربك فإنه لا مرد له ، قال فأقبض كما أمرت فتقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه اقلوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه أينما كان ، وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه .

فقال بعض الشياطين لصاحبه إن كنت جليداً فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ، ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق فنظر إلى سليمان وقد سقط ميتاً فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فأخرجوه ووجدوا منسأة وهي العصا بلغة الحبشة قدأ كتها الأرضة فلم يعملوا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوماً وليلة ثم حسبوا على ذلك النحور فوجدوه قد مات منذ سنة ، وكانوا يعملون بين يديه وينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس الطول صلاته قبل ذلك .

وفي رواية ابن مسعود ، فسكثوا يداون له بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس أن الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلو أنهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا في العناء والعذاب سنة يعملون له .

ثم إن الشياطين قالوا الأرضة لو كنت تأكلين الطعام لا ندينك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيمتك أعذب الشراب ولسكننا نمل إليك الماء والطين

فشكراً لك فالذى يكون في جوف الحشب فهو ما تأنيها به الشياطين تسكن إليها
فذلك قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض ،
تأكل منسأته) الآية .

قال أهل التاريخ : كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثاً وخمسين سنة ومدة ملكه
منها أربعون سنة وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت
المقدس لأربع سنين ماضين من ملكه ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعام
وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبياً ولم يكن رسولاً ، ثم قبض وكان ملكه
ثلاثاً وستين سنة ، ثم ملك بعد ابنه أساين آفيا وكان رجلاً صالحاً ، وكان أعرج
يعتريه عرق النساء فطمع فيه الملوك لضعفه وافتقرت ملوك بني إسرائيل فغزاهم ملك
من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة
فهمزتهم فقصدوا البحر حتى إذا ركبوا جميعاً بعث الله عليهم الرياح والأمواج
فضربت سفنهم بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه
واضطربت الأمواج حتى ألقت أثقالهم وأموالهم وسلبهم إلى حلة بني إسرائيل
ونودوا أن نخذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم
الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهلكهم الله تعالى إلى أن ظهر فيهم
الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوك بني إسرائيل الأصنام من
دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر .

(مجلس في قصة بختنصر وما يتصل به)

ونخبر شعبياء وأرميئاء وعزير

عليهم وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام

قال الله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) إلى قوله عز وجل
(وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) .

(قصة شعيب عليه السلام)

قال محمد بن إسحق وغيره من أهل السير والأخبار: كان فيما أنزل الله تعالى على موسى خبر بني إسرائيل من أحداثهم وما هم فاعلمون بعده كما قال الله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً) إلى قوله (حصيراً) فكانت بنو إسرائيل يركبون الأحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعظفاً وإحساناً إليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام بأن ملكاً منهم كان يدعى حديق وكان الله تعالى إذا ملك ملكاً من ملوك بعث الله له نبياً يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتاباً وإنما يأمرهم أن يأمروا بأحكام التوراة والنهي عن المعاصي والمنكرات والدعاء إلى ما تركوا من الطاعات.

فلما مات ذلك الملك بعث الله تعالى شعيباً بن أمضياء وذلك قبل مبعث زكريا يحيى وعيسى وشعيباً هو الذي بشر بيت المقدس حين شكاً إليه الخراب فقال لأبشر فإنه يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً.

فلما انقضى ملكه فيهم عظمت الأحداث الرديئة وشعيباً فيهم فبعث الله عليهم مستجارياً ملكاً بابل فنزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة شديدة فجاء إياه شعيباً فقال يا ملك بني إسرائيل إن مستجارياً ملكاً بابل قد أنزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية وأقبل حائراً حتى نزل بيت المقدس وقد هابهم الناس وتفرقوا عنهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبمدونا مستجارياً وجنوده فقال للنبي لم يأت وحى فبينما هم كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى شعيباً عليه السلام أن أنت ملك بني إسرائيل فأمره ن

يوصي بوصيته ويستخلف على ملكته من يشاء من أهل بيته وعترته فأتى شعيا
صديق فقال إن ربك قد أوحى إلى أن أمرك أن توصي بوصيتك وتستخلف من
شئت على ملكك من أهل بيتك فإنك ميت ، فلما قال ذلك شعيا لصديق أقبل
على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال في دعائه وهو يبكي ويتضرع إلى الله تعالى
بقالب مخلص وظن صادق .

اللهم رب الأرباب وإله الآلهة القدوس المقدس يا رحمن يا رحيم يا ربه وفد
يا من لا تأخذه سنة ولا نوم أذكرني بنيتي وفعلي وحسن قضائي في بني إسرائيل
وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني وسري وعلايتي لك .

ثم إن الله تعالى استجاب دعاءه ورحمه وكان عبداً صالحاً ، فأمر الله تعالى
إلى شعيا وأمره أن يخبر صديق الملك أن ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه
وقد أخرج له خمس عشرة سنة ، وانجاه الله تعالى من عدوه سنجاريب ملك بابل
وجنوده فأتى شعيا وأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجد وانقطع
عنه الهزال وخر ساجداً لله تعالى .

يا إلهي وإله آبائي لك سجدت وكبرت وسبحت وعظمت أنت الذي تعطي
الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب
والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة
المضطرين أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي .

فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى إلى شعيا ، أن قل للملك صديق أن يأمر
عبداً من عبيده فيأنيه بماه النين فيجعله على قرحته فيشفي ففعل ذلك فبرأ فقال الملك
لشعيا ، سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعيا
قل له إني كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه وأنهم سيصبحون موتى كلهم
إلا سنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ

على باب المدينة يا ملك بنى إسرائيل قد كشفاك الله عدوك فاخرج فإن سنجاريب
ومن معه هلكوا فلما خرج التس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في
طلبه فأدركه الطالب هو ومن معه في خمسة نفر من كبرائه في مغارة أحدهم يختصر
فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بنى إسرائيل فلما رأهم خر ساجداً لله تعالى
من حين طلعت الشمس إلى العصر ثم قال يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم
يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنجاريب قد أناني خبر ربكم
ونصرته إياكم من قبل أن أخرج من بلادى فلا أطلع مرشداً ولم يلقي في الشقوة
إلا قلة عظمى فلو سمعت وعقلت ما غزوتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معى
قال : فقال صديق الحمد لله رب العالمين الذى كفاناكم بما يشاء إن ربنا لم يهلك ومن
معك لكرامتك عليه ولكن لزدادوا شقاوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة .

ثم أن بنى إسرائيل تنافسوا في الملك حتى قتل بعضهم بعضاً وظفر فيهم البغى
والعساد ونبيهم شيعاء فيهم لا يرجعون إليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال
الله تعالى لشعيا عليه السلام : قم في قومك يوحى عليك ، فلما قام النبي أطلق
الله أسانه بالوحى فقال .

يا سماء اسمعى ويا أرض انصتى فإن الله أراد أن يقضى شأن بنى إسرائيل
الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم
بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فآوى شاردتها وجمع ضالها وجبر
كسيرها ودأوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سميتها فلما فعل ذلك بطرت
فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضاً حتى لم يبق منهم عظيم صحيح يجبر إليه كسير
فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أجاهام الخير أم الشر وإن البعير يذكر
وطنه فينتابه وأن الحمار يذكر الآرى الذى يشبع عليه فيراجعه وأن الثور يذكر
المسرح الذى يسرح فيه فينتابه وأن هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير
وهم أولوا الأبواب والعقول ليسوا ببقرة ولا حمير أنى ضارب لهم مثلاً فليسمعوه

قل لهم كيف ترون في أرض كانت خراباً مواتاً فبقيت خراباً زماناً طويلاً بلا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فأحاط عليها جداراً وشيد فيها قصراً وأجرى نهرأ وأنبت عليها غرساً من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه إذا رأى حفيظاً قوياً أميناً فانتظرها فلما أطلعت جاء طلوعها خرنوباً فقال بئس الأرض هذه ترى أن يهدم جدرانها وقصرها ويغيض ماء نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خراباً أول مرة مواتاً لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم أن الجدار ذمتى وأن القصر شريعتي وأن النهر كتابي وأن القيم نبي والغراس هم وإن الخرنوب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وأناى قضيت عليهم لمضاهم على أنفسهم وأنه مثل ضربه الله لهم فمرهم يتقربوا بذبح البقر والغنم ليس ينالنى اللحم ولا آكله لكن يتقربون إلى بالتقوى والكف عن ذبح النفس التى حرمتها فأيديهم مخصوبة منها وبناتها مزمنة بدمها ، ويشهدون إلى البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فأى حاجة لى إلى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة لى إلى تزويق المساجد ولست أدخلها وإنما أمرت برفعها لا ذكر فيها وأسمع ولتكن معلماً لمن أراد أن يصلى فيها ويقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ، ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا لفقهها فاعمدوا إلى عودين يابسين ثم ابنهما وهم فى أجمع ما يكون فقل للعودين إن الله يأمركما أن تكونا عوداً واحداً فلما قال لهما ذلك اختلطاً بعضهم فى بعض فصارا عوداً واحداً فقال الله تعالى إني على كل شىء قدير وأنا الذى صورتهم يقولون ضمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصد فلم ترك صدقاتنا وإن دعونا بمثل حنين الجمال وبكىنا بمثل عواء الذئاب متذللين كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلمهم ما الذى يمنعنى أن استجيب لهم أسمع السامعين وأنظر الناظرين وأقر ب المجربين وأرحم الراحمين وأن رحمتى وسعت كل شىء إنما يترحم المتراحمون بفضلى ، أو لست أكرم إلا كريمين .

وأنا مفتاح بالخيرات ألت أجد من اعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالحكمة التى تورث فى قلوبهم فتدبروها ولم يشترها بها الدنيا لأبصروا وتيقنوا أن أنفسهم هى أعدى العداة لهم؛ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويقوون عليه بطعمه الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركز إلى من يحاربنى وينتهك محارمى أم كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم وإنما أجزى عليها أهلها المنصوبين

أم كيف استجيب لهم دعاءهم وإنما هو قول بالسنتهم والعقل من ذلك بعيد إنما استجيب قول المستغف المسكين وإن من علامة رضائ رضا المسكين ولورحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المعضوب وعالوا الغائب وأدوا إلى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه .

ولو كان ينبغي أن أكلم البشر إذا تكلمتهم وكففت أذانهم وكنت نوراً أبصارهم وسمع أذانهم ومعه قول قلوبهم وأعمرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت السنتهم إلا أنهم يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالتى أنها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتأليف فيها يؤلف السحرة والكهنة وزعموا أن لو يشاءوا أن يأتوا بحديث مثله لفعلوا وإن يطلعوا على الغيب بما توحى إليهم الشياطين إذا طلّعوا وهم يعلمون أنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما يبدون وما يكتُمون وإنى قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء بينته على نفسى وجعلت له أجلاً موقلاً لا بد أنه واقع فإن صدقوا فيما يذبحون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه وفى أى زمان يكون وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها أقضى فإنى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل هذه الحكمة التى أدبر بها أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين فإنى قضيت يوم خلقت السموات والأرض بأن أجعل

النبوة في الاحرار واجعل الملك في الرعاء واجعل العز في الاذلاء والقوة في الضعفاء
والغنى في الفقراء والثروة في الاقلاء والمدائن في الفلوات والآجام في المفاوز والثرى
في الغيطان والعلم في الجهلة والحكمة في الاميين فسلمهم من هذا ومن المقيم بهذا وعلى
يد من أنشئه ومن أعوان هذا الامر وأنصاره فاني باعث لذلك نبياً أمياً لا أعمى
من العميان ولا ضالاً من الضالين ليس يفظ ولا غليظ ولا بصخاب في الاسواق
ومترى بالفحش ولا قولاً بالحنأ أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم اجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوقار
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والمعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه
والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به
الحنالة واشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد الفقر واجمع به بعد
الفرقة وأوف به قلوباً مختلفة وأهواء مشاتة وأما متفرقة واجعل أمته خير أمة
أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتي وتوحيدي يصلون
قياماً وقعوداً وركوعاً وسجوداً ويقفون في سبيل الله صفوفاً وزخوفاً ويخرجون
من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله ألهمهم التكبير والحمد والتسبيح والتمجيد
والتوحيد في مسيرهم وبحالهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومشواهم يكبرون ويهللون
ويقدسون على رؤوس الاشراف ويظهرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون
الشباب في الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث
بالنهار وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فلما فرغ شعيبا من مقالته غدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فليقيته شجرة
فانفلقت له فدخلها ، فأدركه الشيطان ، فأخذ بهذبة من ثوبه فأراهم إياها
فوضعوا المنشار في وسطها فذسروها ، حتى قطعوها وقطعوه وهو في وسطها

(قصة أرميا عليه السلام)

فاستخلف الله على بني إسرائيل بعد قتلهم شمعيا رجلا يقال له فاشمئة بن أموس .
ويبحث الله إليهم الخضر نبياً ليسدده ويأتيه بالخير من الله تعالى وإسم الخضر
أرميا بن خليفاء .

وكان من سبط هرون بن عمران وإنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء .
فقام عنها وهي تزهر وخضراء قال الله تعالى لأرميا حين بعثه إلى بني إسرائيل
يا أرميا من قبل أن أخلقك اخترتك من قبل أن أصورك في بطن أمك قدستك
ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ السمي نبأتك
ولأمر عظيم اجتبيتك فذكر قومك نعمي وعرفهم أحداً منهم وادعهم إلى . فقال
أرميا إني ضعيف إن لم تقوني عاجزاً إن لم تنصروني ، فقال الله تعالى أنا أهلك
فقام أرميا فيهم خطيباً ولم يدر ما يقول ؛ فألممه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة
طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعذاب المعصية ؛ وقال لهم في آخرها إن الله قال :
فإني أحلف بعزتي وجلالي إن لم ينتهوا لافيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولا سلطان
عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم .

ثم أوحى الله تعالى إلى أرميا عليه السلام إني مهلك بني إسرائيل بياض
ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح ؛ فلما سمع أرميا بكى وصاح وشق
ثيابه وحشا الرماد على رأسه ؛ فلما سمع الله تضرع أرميا وبكاه ناداه يا أرميا
أشق عليك ما أوحيت إليك قال نعم يارب أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل
مألاً أسره . فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أهلك أحداً من بني إسرائيل حتى
يكون الأمر في ذلك من قبلك ؛ ففرح أرميا بذلك وظابت نفسه وقال والذي
بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بني إسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكاً
صالحاً ففرح واستبشر وقال ، إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وإن يرحمنا فبرحمته

ثم إنهم لبشوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها إلا معصية وتمادياً في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وفي الوحي ودعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا فسلط عليهم بختنصر نخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس .

فلم يصل بختنصر سائراً إلى الملك وقد أتى الملك الخبر فقال الملك لأرمياء أنت زعمت أن الله أوحى إليك ، فقال أرمياء إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما قرب الأجل وأراد هلاكهم بعث إلى أرمياء ملكاً قد تمثل له في صورة رجل من بني إسرائيل ، فقال له يابني الله إني استفتيك في أهل رحى وصلت أرحامهم ولم أزل إليهم محسناً ولا يزيد إكرامى إياهم إلا استخفافاً بي فافتنى فيهم فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فما مكث إلا أياماً ثم أقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياء أو ما ظهرت أخلاقهم بعد ، قال يابني الله والذي بعثك بالحق نبياً ما أعلم كرامته يأتيها أحد من الناس إلا أهل رحمة إلا قدمتها إليهم وأفضل .

قال أرمياء عليه السلام ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم وقل الله الذي يصلح عباده الصالحين أو يصلحهم فقام الملك فمكث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففرع منهم بنو إسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لأرمياء يابني الله أين ما وعدك الله به ؟ قال إن برى لوائى ثم أقبل الملك على أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعد فقعد بين يديه وقال له أنا الذى أتيتك فى شأن أهلى مرتين فقال له أرمياء عليه السلام ألم يأن لهم أن ينتهوا من الذى هم فيه فقال له يابني الله كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتمهم فى عمل لا يرضى الله تعالى فقال أرمياء عليه السلام على أى عمل رأيتمهم : قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فنضبت لذلك وأتيتك لأخبرك ، وإني أسألك بالله الذى بعثك بالحق نبياً إلا مادعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم ، فقال أرمياء ياملك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فابقهم وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم .

قال فما خرجت الحكمة من فم أرمياة تماماً حتى أرسل الله صاعقة من السماء
 في بيت المقدس فالتهب مكان العريان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى
 ذلك أرمياة صاح وبكى وشق ثيابه وحشا الرمال على رأسه وقال : يا ملك السموات
 والارض أين معادك الذي وعدتني ؟ فنودي أنه لم يصيبهم الذي أصابهم
 إلا بفتياك ودعائك فاستيقن أرمياة عليه السلام أنها فتياه وأن ذلك السائل كان
 رسول ربه فسار أرمياة حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت
 المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقدفه في بيت
 المقدس فقفوا فيه التراب حتى ملئوه ثم انصرفوا إلى بابل واحتمل معه سبايا
 بني إسرائيل وأمرهم أن يجمعوا ما كان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير
 من بني إسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي فلما أراد أن يقسم الغنائم في جنده
 وقالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها وأقسم بيننا هؤلاء
 الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل ففعل ذلك فأصاب كل واحد منهم أربعة
 غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزازيا وميشايل وسبعة آلاف
 من أهل بيت داود وأحد عشر ألفاً من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين
 وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن
 يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى لابن يعقوب ومن بقي من
 بني إسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثاً أقرمه بالشام وثلثاً سبي وثلثاً قتل
 وذهب بأواني بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلمان السبعين ألفاً وسائر
 السبايا حتى قدمهم بابل وكانت تلك الواقعة الأولى التي أنزلها الله على بني إسرائيل
 بأحداشهم وظلمهم وذلك قوله تعالى (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا
 أولي بأس شديد) يعني بختنصر وجنوده ،

وكان بدء أمر بختنصر على ما روى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم
 عن سعيد بن جبير كان رجل من بني إسرائيل يقرأ التوراة حتى إذا بلغ (بعثنا
 عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد) بكى وفاضت عيناه وأطلق المصحف ثم انطلق

إلى المسجد وقال يارب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه فأرى في المنام أنه مسكين ببابل يقال له بختنصر فأنطلق بمال وعبد له وكان رجلاً موسراً ، فقبل له أين تريد ؟ قال أريد التجارة .

ثم ذهب حتى نزل داراً ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره ، فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأية أحد مسكين إلا أعطاه ، فقال هل من مساكين غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فرعون مريض يقال له بختنصر ، فقال اغلبانه انطلقوا وأنطلق معهم حتى أتاه .

فقال له ما اسمك ؟ قال بختنصر فقال اغلبانه احموه فنقلوه إليه ومريضه حتى برى فـكساه وأعطاه نفقة .

ثم أذن الإسرائيلي في الرحيل فبكى بختنصر ، فقال الإسرائيلي ما يبكيك ؟ فقال أبكي لأنك فعلت معي ما فعلت ولا أجد شيئاً أجازيك به ، فقال جزائي شيء يسير قال وما هو ؟ قال له إن صرت ملكاً وملكك بيت المقدس أعطيني ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أتستهزئ بي ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله .

قال : فبكى الإسرائيلي وقال قد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك إلا الله تعالى يريد أن ينفذ قضاءه فـكـتـب له كتاباً وضرب الدهر ضرباً فقال يوماً سيحون وهو ملك بابل لو أنا أرسلنا طليعة إلى الشام قالوا ما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلاناً فبعث رجلاً وأعطاه مائة ألف نخرج بختنصر في مطبخه لم يخرج إلا لياً كل في مطبخه .

فلما قدم إلى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أهل الأرض فرساناً ورجلاً جلدأ فـكـبـر ذلك في عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شيء .

وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجلس مجلس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم ما منعكم أن تغزوا ببابل فلو غزوتموها لنلتم منها شيئاً كثيراً فقالوا إنا لا نحسن

القتال ولا نقاتل حتى تنفقد مجالس أهل الشام وتعرف سرايرهم ثم إن الطليعة رجعوا فأخبرهم ملكهم بما رأوا وكان يختصر رجع معهم فجعل يقول لفراس الملك لو دعاني الملك لأخبرته غير الذي أخبره فلان وفلان فرفع ذلك إلى الملك فدعاه فأخبره الخبر ، وقال إن فلاناً لما رأى كثرة أهل الأرض كراماً ورجالاً جلداء كبر ذلك في عينه ولم يسألهم عن شيء لأنى لم أدع مجلساً بالشام إلا جلست فيه . أسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا .

قال سعيد بن جبير : قال صاحب الطليعة لاختصر لك مبلغ مائة ألف دينار . وترجع عما قلت . فقال لو أعطيتني بيت مال بابل مارجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضرباته ؟ فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام فإن وجدوا مسافراً ساغوا ولا أمسكوا ما قدروا عليه ؟ فقالوا ماضرك لو فعلت ذلك قال فن ترون قالوا فلا قال بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني فدعى يختصر فبعشه ثم انتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فالطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله تعالى ولم يخرؤا ولم يقتلوا ومات سيحون الملك فقالوا استخلفوا ملكاً قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم فأملوا حتى جاء يختصر بـ ... فقسمه بين الناس ، فقالوا ما رأينا أحق بالملك منه فهذه القصة ... على أنفسهم .

وقال السدي بإسناده أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يد غلام يتيم بن أربعة من أهل بابل يدعى ، يختصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت أمه وكان قد ذهب يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاهم ثم قعد في جانب البيت فحلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاماً وشرباً فاشترى بدرهم لحماً وبدرهم خبزا وبدرهم خمراً وجاء به فأكلوا وشربوا حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك وفي اليوم الثالث فعل كذاك ثم قال له الإسرائيلي لأنى أحب أن تكتب لي أمناً إذا أنت ملك يوماً من الدهر .

فقال بختنصر آتسخر منى قال لا أسخر منك واسكن ما عليك أن يجعل عندى لك بيتاً فحكمته أمه فقالت : ما عليك إن كان وإلا لم ينقصك شيئاً فكتب له أماناً .

فقال أرأيت إن جئتك والناس حولك قد حالوا بينى وبينك فاجعل لى علامة تعرفنى بها قال ترفع صحيفةك على قصبية فأعرفك بها فكتب له أماناً وأعطاه إياه ثم إن ملك بنى إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليه السلام ويدنى مجلسه ويستشير به فى أمره ولا يقطع امرأ دونه وإن الملك هو أن يتزوج بنت امرأة له هذا يقول السدى .

وقيل كانت بنت أخته لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : بعث عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام فى لائى عشر من الخواريين يعلمون الناس وكان فيما نهام عنه نكاح بنت الأخت .

قال وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه ويريد أن يتزوجها وكان لها فى كل يوم حاجة يقضيها وذكر الحديث فى مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام .

رجعنا إلى حديث السدى فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فخطبت على يحيى حين نهأه أن يتزوج ابنتها فعملت حين جلس الملك على شرابه فألبست لابنتها ثياباً حمراً رقاقاً فاخرة وطيبتها وألبستها من الحلى شيئاً لا قيمة له من غايته وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر وإن تعرض له فإن راودها عن نفسها أبت عليه حتى يهبطها ما سألته ويكون الذى تسأله أن يأتى برأس يحيى بن زكريا فى طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتعرض له فلما أخذ من يدها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطينى ما أسألك قال وما تسألين ؟ قالت أسألك أن تبعث إلى يحيى بن زكريا فتأذنى برأسه فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث إلى يحيى فأبى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت

بين يديه وهي تقول إنها لا تحمل لك ، فلما أصبح الملك وإذا دم يحيى يغلي فأمر بالتراب فألقى عليه فرقى الدم فوق التراب يغلي فألقى عليه أيضاً وارفع الدم فوقه فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي فبلغ سنجاريب ملك بابل ذلك فنأدى في الناس وأراد أن يبعث لهم جيشاً ويؤمر عليهم رجالاً فأنهأه بختنصر وكلمه وقال إن الذي أرسلت تلك المرة ضعيف وإنى قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها فابعثني فبعث حتى إذا بلغوا ذلك المكان ورآهم أهله تحصنوا في مدائنهم فلم يطقهم .

فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه وأرادوا الرجوع فخرجت إليهم عجوز من عجائز بنى إسرائيل وقالت أين أمير الجند فأتى به إليهما فقالت : لقد بلغني إنك تريد الرجوع بجنودك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامي وجاع أصحابي فلمست استطيع المقام فوق الذي كان منى أرايتك إن دلتك على فتح المدينة تعطيني ما أسألك وتقتل من أمرك بقتله وتسكف عن أمرك بالكف عنه . قال لها نعم قالت إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أقسام ثم اقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء ونادوا ياربنا دلنا على من قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام فإنهم إذا فعلوا تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به إلى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فإن الله تعالى إذا قتل نبي لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله .

وأنه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيته المقدس وأمر أن تطرح فيه الجيف . وقال من طرح عليه جيفة فله جزية في تلك السنة وأعطاه على خرابة الروم من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خربه بختنصر ذهب بوجوه بنى إسرائيل وسراياهم .

(قصة دانيال عليه الصلاة والسلام)

وذهب دانيال وقوم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جمالوت .
فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سنجاريب قد مات فملك مكانه واستقام له
الأمور وثبت على ذلك مدة .

ثم إن بختنصر رأى رؤيا عجيبة فأفرغته فسأل عنها السحرة والسكينة فمجزوا
عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن مع أصحابه وقد أحبه صاحب السجن
وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته ، فقال دانيال لصاحب السجن إنك قد
أحسنيت إلى وإن صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لا عبرها له فجاء السجنان وأخبر
بختنصر بقصة دانيال فقال على به ، وكان لا يقف بين يديه أحد إلا سجد له فأتوا
به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذي منعك من السجود لي فقال له إن لي
رباً آتاني العلم والحكمة وأمرني أن لا أسجد إلا له فخشيت أن سجدت لغيره أن
ينزع مني العلم الذي آتاني ويهلكني فأعجب به وقال نعم ما فعلت وقد أحسنيت
حيث وفيت بعهده وأجملت علمه .

ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤية وهل لك في تعبيرها قال نعم قال
فأخبره بروياه التي رآها قبل أن يخبره بها سم عبرها وكانت الرؤيا ما أخبرنا
عبد الله بن حامد بإسناده عن وهب بن منبه يقول : إن بختنصر رأى في منامه صنما
برأسه من ذهب وصدرة من فضة وبطنه من نحاس وفخذيه من حديد وساقه من
الفتحاح ثم رأى حجراً من السماء قد وقع عليه قدميه .

ثم ربا الحجر حتى ملا ما بين المشرق والمغرب ، ورأى شجرة أصلها في الأرض
وفرعها في السماء ثم رأى رجلاً بيده فأس وسمع منادياً ينادى اضرب جذعها
ليفرق الطير من فروعها وتفرق الدواب والسباع من تحتها وأترك أصلها قائماً
فخبرها له دانيال عليه السلام .

أما الصنم الذى رأيت رأسه من الذهب فأنت الرأس الذهب وأنت فضل الملوكة
وأما الصدر الذى رأيت من فضة فهو إبنك يملك من بعدك .

وأما البطن الذى رأيت من نحاس فملك يكون بعد إبنك .

وأما ما رأيت من الفخز الذى من حديد فتتفرق فرقان فى فارس تكون أشد الملوكة .
وأما الفخار فآخر ملوكهم يكون الحديد .

وأما الحجر الذى رأيت قد وقع من السماء وربما حتى ملا ما بين المشرق
والمغرب فبني يبعثه الله فى آخر الزمان فيفرق ملكهم كله ويربو حتى يملأ ما بين
المشرق والمغرب .

وأما الشجرة التى رأيت والطير الذى عليها والسباع والدواب التى تحتها
وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله طائراً نسرأ عظيماً فتملك الطيور ثم
يردك الله ثوراً فتملك الدواب ثم يردك الله أسداً فتملك السباع والوحوش
وتكون منذ مسخك الله على ما ذكرنا سبع سنين فى ذلك كله وقلبك قلب إنسان
حتى تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وهو يقدر على الأرض ومن عليها .

وأما ما رأيت من أن أصلها قائم فإن ملكك قائم ، فستلوهب بن منبهأ كان
مؤمناً أم لا ؛ فقال وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا فى ذلك فمنهم من قال مات
مؤمناً ، ومنهم من قال مات كافراً لأنه حرق بيت المقدس والكتب التى فيه .
وقتل الأنبياء وغضب الله عليه غضباً شديداً فلم يقبل منه يومئذ توبة .

قالوا فلما عبر دانيال لبختنصر رؤياه وأخبره بها أكرمه وأكرم أصحابه
وجعل يقبل عليه ويستشير في أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم إليه .
فسد المجوس على ذلك فوشوا به وقصدوا إلى لبختنصر فقالوا له إن دانيال
وأصحابه ما يعبدون إلهك ولا يأكلون ذبيحتك فدعاهم وسألهم فقالوا أجل إن
لنا رباً نعبد واسئنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بأخدود فجعل لهم وألقوا فيه وهم ستة .
وألقى معهم سبع ضاريا كلهم ثم انطلقوا لنا كل واحد شرب فذهبوا وأكلوا وشربوا .

ثم لانهم رجعوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخذش منهم أحدا ولم ينالهم بشئ. ووجدوا معهم رجلاً رائداً فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا : ما بال هذا السابع وإنما كانوا ستة فخرج إليهم السابع وكان ملكاً من الملائكة فغطم بختنصر لطمه فصار في الوحوش والسباع ومسحه الله سبع سنين . ثم رد إلى صورته ورد عليه ملكه .

قال السدي : فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدوهم الجوس أيضاً وشوا بهم ثاوية وقالوا لبختنصر إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم حاراً فجعل لهم بختنصر طعاماً وشراياً فاكلوا وشربوا منه ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضربه بالطبرزان فإن قال أنا بختنصر فقل له كذبت إن بختنصر أمرني فحبس الله عن دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلاً وكان ذلك ليلاً فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال أنال بختنصر فقال كذبت إن بختنصر أمرني أن أقتل كل من يخرج أولاً ثم ضربه فقتله .

وأما محمد بن إسحق فإنه قال في هلاك بختنصر غير ما قال السدي وذلك أنه قال بإسناده : لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان في يده من بنى إسرائيل أرايتم هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت ؟ فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الأنبياء فظلموا وتعبدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم .

قال فاختبروني ما الذي يطالع بي إلى السماء وأطلع عليها وأقتل من فيها وأتخذ ملكاً فإنني قد فرغت من الأرض وما فيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لنفعل ما نريد أو لاقتلنكم عن آخركم فشكوا إلى الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه بقدرته ليرثه ضعفه وهو أنه بموضحة دخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى عضت بهام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه .

فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله . إذا أنا مت فشقوا رأسي وانظروا
ما الذى قتلنى ، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بأمر دماغه يرى الله
العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقى فى يده من بنى إسرائيل ورحمهم
وردهم إلى إيلياء والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن
ما كانوا عليه فيزعمون ان الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم إنهم لما
رجعوا إلى الشام وجدوا يختصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله
فجدد الله توراتهم وردّها إليهم على لسان عزيز وسند كر القصة فيه إن شاء
الله تعالى .

وكان عمر يختصر أيام مسنخه نيفاً وخمسمائة عام وخمسين يوماً - فلما مات يختصر
استخلف ابنه فلسطين وكانت آنية المقدس التى حملها يختصر إلى بابل عنده
وكان نجسها بلوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه
فاعتدل دانيال .

فبينما فلسطين قاعد ذات يوم إذ بدت له كف معاقبة بغير ساعد فكاتب
ثلاثة أحرف بمشمدته ثم غاب فعجب من ذلك وتخير ولم يدرك ما هى فدعا دانيال
عليه السلام واعتذر إليه وسأله أن يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتأويله
فقال دانيال .

بسم الله الرحمن الرحيم - وزن خف ووعد فأنجز وجمع ففرق فقال أما قوله
وزن خف - أى وزن عملك فى الميزان فخف - ووعد فأنجز - أى وعد ملكك
بالخراب فأنجز اليوم وجمع ففرق ، أى جمع لك ولوالدك من قبلك ملكاً عظيماً
ثم فرق اليوم فلا يجمع إلى يوم القيامة فلم يلبث إلا قليلاً حتى أهلك الله تعالى
وضعف ملكهم وبقي دانيال عليه السلام بأرض بابل إلى ان مات بالسوس
والله أعلم .

(خبر وفاة دانيال عليه السلام)

قال أهل الأخبار ؛ لما فتح الله السوس على يد أنى موسى الأشعري في خلافة
عمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل أبو موسى ملكها سابور واحتوى على المدينة
فغنم ما فيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور في الخزانة فيأخذ ما فيها
حتى انتهى إلى خزانة مغلفة وقد ختم قفلها بالرصاص فقال أبو موسى الأشعري
لأهل السوس ما في هذه الخزانة فإني أراها محتومة بالرصاص - فقالوا له أيها
الأمير ليس فيها شيء من حاجتك - فقال لا بد لي أن أعلم ما فيها فافتحوا بابها
حتى أنظر ما فيها فمكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر
فإذا هو بحجر طويل مخنور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكفان
منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة. قال فتعجب أبو موسى من طولاه وكل من كان معه
ثم لأنهم شربوا أنفه فإذا هو يزيد على شبر فقال أبو موسى لأهل السوس ويحكم
عن هذا الرجل ؟ قالوا إن هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق إذا حبس
عنهم المطر استسقوا به فيستمنون فأصابنا من قحط المطر ما كان يصيب أهل العراق
فأرسلنا إليهم وسألناهم أن يدفعوه إلينا حتى تستسقى به فأبوا علينا فأرسلنا إليهم
خمسين رجلاً وحملناه إلى بلدنا هذا ثم استسقيناه به فاستقينا فرأينا من الرأى أن
لا نرده إليهم فلم يزل مقيماً عندنا إلى أن أدركه الموت فمات بهذه قصته وحاله .

قال فأقام أبو موسى الأشعري بالسوس وكتب إلى عمر بن الخطاب رضى
الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب في كتابه أمر
ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعاء كابر
أصحاب رسول الله ﷺ فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم عليه فقال على
ابن أبي طالب رضى الله عنه . إن هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل
كان في قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك .

وجعل علي بن أبي طالب رضى الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن قصة دانيال من أولها إلى آخرها إلى وقت وفاته ثم قال اكتب إلى صاحبك وأمره أن يصلي عليه ويدفنه في موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب عمر إلى أبي موسى بذلك .

فلما قرأ أبو موسى كتابة عمر أمر أهل السوس أن يكفوا نهرهم إلى موضع آخر ثم أمر دانيال فكفن بأكتاف غير التي كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم أمر بقبر فخفر له وسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فيقال إن دانيال عليه السلام في نهر السوس والماء يجري عليه إلى يومنا هذا والله أعلم .

قال الأستاذ رضى الله عنه - فهذا الذى ذكرت جميع أمر بختنصر الذى جاء فى التفسير إلى أن رواية من يروى أن بختنصر هو الذى غزا بنى إسرائيل عند قتلهم يحيى غير صحيح عند أهل السير والأخبار والعلماء بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين وذلك أنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بنى إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا وفى عهد أرميا عليه السلام وهى الواقعة الأولى التى قال الله تعالى فيها (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأساً شديداً فجاسوا خلال الديار) الآية يهنى بختنصر وجنوده قالوا من عهد أرميا وتخریب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربع مائة وإحدى وستون سنة - وذلك أنهم يعدون من لدن تخریب بختنصر بيت المقدس إلى آخر عمر إبراهيم فى عهد كرم بن بن حرسوب بن شير بن أصهیل بابل من قبل بن اسفنديار بن يستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمرائه إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس وإحضار ملكها وضمها إلى ملكه ثمان وثمانون سنة ثم من بعد ملكه إلى بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا ثمانمائة وثلاثون سنة - وإنما الصحيح فى ذلك ما ذكره محمد بن إسحق بن يسار

قال عمرت بنو إسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام وعاد إليها ملكها بعد خراب بختنصر إياها وسببهم منها فجعلوا يحدثون الأحداث بعد ملك عزيز

عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء فقريفاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر من بعث إليهم من انبيائهم زكريا ويحي وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل داود عليه السلام .

فمات زكريا وقتل يحي بسبب نهيه الملك عن نسكاح المرأة فلما رفع الله عيسى من بين ظهرهم وقتلوا يحي بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له (كردوس) فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم أمر رئيساً من رموس جنوده يقال له (بنورازادان) صاحب القتل فقال له إني قد حلفت بإلهم لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري إلا أن لا أجد أحداً أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم . ثم إن بنورازادان دخل بيت المقدس فأقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيهم دماً يغلي فسأهم عنه فقالوا - هذا دم قربان قربناه فلم يقبل منا فدمك هو يغلي كما تراه

ثم قال - يا يحي بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك وماقتل منهم من أجلك فاهداً بإذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحداً من قومك فهذا دم يحي بن زكريا بإذن الله تعالى ورفع بنو رازادان عنهم القتل

وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين) الآيات فكانت الواقعة الأولى لبختنصر وجنوده ثم رد الله لهم الكرة وكانت لهم الديانة والرياسة وكانت الواقعة الأخيرة لكردوس وجنوده فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة ولا راية وانتقل عن الشام ونواحيها إلى الروم واليونانية إلى أن تناسل بنو إسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك وأحدثوا الأحداث واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط عليهم بطوس بن اسنا بوس فخرّب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا في أمة من الأمم إلا ولا عليهم الصغار والذلة والجزية والملك في غيرهم وبقى بيد المقدس خراباً إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره والله أعلم .

(باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها)

قال الله تعالى (أو كما الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها) الآية واختلفوا في ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدي - هو عزيز بن شرحبيل وقال وهب بن منبه وعبد الله بن حميد وعبيد بن عمير هو أرميا بن خليفاء وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر واختلفوا في القرية التي مر عليها . فقال عكرمة وهب وقتادة والربيع هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الأرض المقدسة وقال السدي هي سلما باد وقال الكلبي هي دير ساير أباد وقيل دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن إسحق بن يسار عن وهب بن محمد أن يختصر لما وطئ النساء وخرب بيت المقدس وقتل بنو إسرائيل وسبواهم طار أرميا حتى خالط الوحوش فلما ولي يختصر عنهم راجعاً إلى بابل ومعه سببايا بنو إسرائيل قبل أرميا على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسيلة تين حتى غشي إيليا فلما وقف عليها وعان خرابها قال (أن يحيى هذه الله بموتها) ثم ربط أرميا حماره بهبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحك ومنع الله السباع والطير عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكاً إلى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له د يوشك فقال له إن الله يأمرك أن تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وإيليا وأرضها حتى يعودوا أعمر ما كانوا فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف (١) حامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى بهختصر ببعضه دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقى من بنو إسرائيل ولم يمت منهم جميعاً أحد ببابل وردهم الله تعالى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه .

(١) قوم مع كل قهرمان ثلاثمائة ألف الخ كذا بالأصل وهو ما لا يمكن عادة

كما لا يخفى اه مصدحه .

فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينييه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتاً من السماء أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية إن الله يأمرك أن تسكني لحماً وجلداً فكان كذلك ، ثم نادى إن الله يأمرك أن تحيا فقام حماره ينهض بإذن الله تعالى وعمر الله أرمياء فهو الذي يوجد في الفلوات .

أخبرني ابن فتحويه الحافظ بإسناده عن وهب قال : ليس في الجنة كلب ولا حمار إلا كلب أهل الكهف وحمار أرمياء الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه وقال الذين قالوا إن المار كان عزيراً إن يختصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراءة التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجسده وكان عزير يومئذ غلاماً قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فأقدمه مع سبع سبائاً بنى إسرائيل إلى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما جاء عزير من بابل أرسل عن حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحداً وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال (أنى يحيى هذه القرية بعد موتها) لم يشك في البعث ولمكن قالها تهجياً ثم ربط حماره بحبل جديد ونام (فأما ته الله مائة عام ثم بعثه) فأتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت (قال لبثت يوماً أو بعض يوم) وذلك أن الله تعالى أماته ضحى وأحياه آخر النهار قبل غيوبة الشمس فقال لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام - بل لبثت مائة عام (فانظر إلى طعامك) يعنى الثين وشرابك يعنى عصير العنب لم يتسنه يعنى لم يغير وانظر إلى حمارك - قال قوم وذلك أن الله تعالى لم يميت حماره فأحيا له الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر إلى حمارك فرأى حماره قائماً كهيئة يوم ربطه حيالاً لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر إلى الرسن في عنقه جديداً لم يتغير وهذا قول الضحاك وتادة وتقدير الآية على هذا أقول وانظر إلى حمارك

وانظر إلى عظامك كيف ننشرها وقال آخرون أراد به عظام حمارة كما قدمنا ذكره
فذلك قوله تعالى (وانجعل آية للناس) أى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت ،
وقال الضحاك : هو أنه عاد إلى قرينته وأولاد أولاده فوجدهم شيوخاً وعجائز ،
وهو أسود الرأس واللاحية .

(باب فى ذكر تمام قصة عزيز عليه السلام وحاله بعد ما رجع إلى قومه)

قال الله تعالى (وقالت اليهود عزيز ابن الله) وروى غطية العوفي عن ابن
عباس قال : كان عزيز من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء
الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم .

فلما رأى الله تعالى أنهم قد أضاعوها وعملوا بالآهواء رفع الله عنهم التابوت
وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فأرسل الله عليهم مرضاً فاستطلقت بطونهم
حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزيز فمكثوا ما شاء الله أن
يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم ، وكان عزيز قد أمر علماءهم أن
يدعوا الله تعالى فدعا الله هو وإياهم وابتهل أن يرد إليه ما نسخ من صدره .

فبينما هو يصلى مبتلإ إلى الله إذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد إليه
الذى كان ذهب من صدره من التوراة فأذن فى قومه وقال : يا قوم قد آتاني الله
التوراة وردّها إلى فطلق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم التوراة
ثم إن التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم ، فلما رأوا التابوت عرضوا
ما كان فيه على الذى كان يعلمهم عزيز فوجدوه مثله ، فقالوا والله ما أوتى عزيز
هذا إلا لأنه ابن الله .

قال السدى وابن عباس فى رواية عمار : إنما قالت اليهود هذا لأن العاقبة
ظهروا عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهرب علماءهم الذين بقوا ودفنوا التوراة
فى الجبال وغيرها ولحق عزيز بالجبال والوحوش وجعل يتعبد فى رؤس الجبال
(م ٢٥ — قصص الأنبياء)

ولا يخالط الناس ولا ينزل إلا يوم عيده ، وجعل يبكي ويقول يا رب تركت
بنى إسرائيل بغير عالم وجعل يبكي حتى سقطت أشجار عيذه فنزل مرة إلى السيد
فلما رجع فإذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قر من تلك القبور وهي تبكي وتقول
يا مطعماه يا مكسياه فقال لها عزيز يا هذه اتقى الله واصبرى واحتسى أما علمت
أن الموت سبيل الناس .

ثم قال ويحك من كان بطعمك ويسقيك ويكسوك قبل هذا الرجل يعني زوجها
الذى كانت تنده ؟ فقالت الله تعالى ، قال فإن الله عز وجل حي لا يموت أبداً .

قلت يا عزيز فمن كان يعلم العلماء قبل بنى إسرائيل ؟ قال الله تعالى ، قالت فلم
تبكي عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حي لا يموت فلما علم عزيز أنه قد
ختم ولى مدبراً ، فقالت له يا عزيز لاني لست امرأة وليكني الدنيا ، أما إنه
سينبع لك في مصلاك عين وتنبت شجرة فكل من تلك الشجرة واشرب من ماء
ذلك واغتسل وصلى ركعتين فإنه سيأتيك شيخ ويعطيك شيئاً فما أعطاك نخذه منه .

فلما أصبح نبتت العين في مصلاه ونبتت شجرة ففعل ما أمر به فجاء شيخ وقال
له افتح فاك ففتح فاه فألقى فيه شيئاً كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل
هذه العين فامش فيها حتى تبلغ أمك ، قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه إلا زيد في
علمه فرجع وهو من أعلم الناس بالتوراة .

ثم إن رجلاً قال : إن أبي حدثني عن جدى أن النوراة جعلت في خابية دفنت
في كرم فلان في موضع كذا فانطلقوا معي حتى احتفروا وأخرجوا الخابية
والتوراة فيها فأخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزيز فلم يجدوه غادر منها آية
ولا حرفاً فاجبوا وقالوا إن الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل واحد منها
بعد ما ذهبت من قلوبنا إنه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزيز ابن الله .

(مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور)
 قال الله تعالى (وكم فضمننا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين)
 إلى قوله (حصيلاً حامدين) قال هشام محمد بن السكبي وغيره كان بدء نزول العرب
 أرض العراق واتخاذهم الحيرة والانباء منزلاً إن الله تعالى أوحى إلى يوحنا بن
 برخيا بن رزيابيل بن سندسبل وسندسبل هذا هو أول من اتخذ الطفيلش كان من
 ولد يهوذا بن يهقوب أن ات بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق
 لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم ليكفرهم بي
 واتخاذ الآلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي وذلك بعد قتل أهل حضور وهي
 بلدة بالين بعث الله فيهم نبياً فاقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر ببابل فأخبره بما
 أوحى الله تعالى إليه وقص عليه ما أمره به وذلك في زمن معد بن عدنان فأوحى
 الله تعالى إلى يوحنا إنني قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربية لا تقم منها فإليك بمعد
 ابن عدنان الذي من ولده النبي محمد ﷺ الذي أخرجه في آخر الزمان وأختم به
 النبوة وارفع به من أطاعه فخرج تطوى له الأرض حتى سبق بختنصر فلقى عدنان
 وقد تلقاه فنظر إلى معد ولهم يومئذ اثنتا عشرة سنة لحمله يوحنا على البراق
 وأردفه خلفه فانتبها إلى أرض نجران من ساعتها قالوا ووئب بختنصر على من
 كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيان لجمع من
 ظفر به منهم فبنى لهم ديراً على نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا و وكل بهم حرساً
 وحفظاً ثم نادى في الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من
 العرب فخرجت إليه الطوائف منهم مسلمين مستأنسين فاستشار بختنصر فيهم
 يوحنا فقال إن خروجي إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عما
 كانوا عليه فأقبل منهم وأحسن إليهم .

قال فأنزل بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب
 فهزمهم وأثنى فيهم بالقتل والأسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان في قومه
 من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادى مناد من جوف السماء بالثارات

الأنبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم وفادوا بالويل فذلك قوله تعالى (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منا يركضون) أى يسرعون هاربين فأخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم) الآية ، فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب (قالوا ياربنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم) فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى (فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) ثم رجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا العرب فألقاهم في الأنبار فقل أنبار العرب وانضم إليهم المستأمنون من العرب وخلي بختنصر أهل الدير بعد فراغه من غزو العرب وابتدوا لأنفسهم بلدين فسموا إحداهما الأنبار والأخرى الحيرة وخالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً في حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع معد بن عدنان ومعه أنبياء بنى إسرائيل حتى أتى مكة فأقام أعلامها وحج الأنبياء معه .

(مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام)

(وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه)

قال الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعنى العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور واختلفوا في نسبه فقال محمد بن يسار هو لقمان بن باعوراء بن فاحور بن تارخ وهو آزر أبو إبراهيم عليه السلام ، وقال وهب كان ابن أخت أيوب عليه السلام ، وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب ، وقال الواقدي كان قاضى بنى إسرائيل ، وقال آخرون كان عبداً ، وقال مجاهد كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين .

وروى الأوزاعى عن عبد الرحمن بن حرمة قال جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولقمان الحكيم كان أسود نوبياً من سودان مصر ذا مشافر .

حدثنا الإمام أبو منصور الخشاري لفظاً بإسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبداً حبشياً نجاراً .

وأخبرني ابن فتحويه بإسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان خياطاً ، واتفق العلماء أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة فإنه يقول : إن لقمان كان نبياً تفرد بهذا القول .

وروي نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (حقا لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً عصمه الله تعالى كثير التفكير حسن اليقين أحب الله فأحبه الله فمن عليه بالحكمة) .

وذلك أنه كان قائماً نصف النهار فجاءه النداء : يا لقمان هل لك أن يجعل لك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق ، فأجاب الصوت فقال : إن خيرني ربي قبلت العاقبة ولم أقبل البلوى وإن عزم على فسمعاً وطاعة فإنني أعلم إنه إن فعل بي أعانني وعصمتي فقالت الملائكة لم يا لقمان ؟ قال لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان إن أصاب فأرجو أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلاً خيراً من أن يكون شريفاً ، ومن تخير الدنيا على الآخرة نفته الدنيا ولا تبقى له الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقته فنام نومة فأعطى الحكمة فأنذبه بها .

ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مسرة كل ذلك ويعفو الله عنه ، وكان لقمان يوازه بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء ، وأعطى داود الخلافة وابتنى بالعبودية والفتنة .

(باب في ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن)

قال الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وقال أيضاً (وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الآيات .
أخبرنا أبو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مملوك على سيده ، قال فبعثه مولاه مع رفقة له إلى بستان له ليأثوه بشيء من ثمره فيجاءوا وليس معهم شيء وقد أكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان ، فقال لمولاه إنه إذا الوجهين لا يكون عند الله أميناً فاسقياً وإياهم جميعاً ماء ثم أرسلنا لننقذه ففعل فجعلوا يتقايشون الفاكهة وجعل لقمان يتقايأ ماء نقياً فصرف صدقة من كذبهم .

قال فأول ما روى من حكمته أنه بينما هو مع مولاه إذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان إن طول الجلوس على الخلاء يتجمع منه السكبد ويورث الباسور وتصلد الحرارة إلى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحصن .

قال وسكر مولاه يوماً فخطر أقواماً على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت نخبأ لك قال أخرج كرسيتك وأباريقك ثم اجتمعوا فلما اجتمعوا قال لهم على أي شيء خاطرتموني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان إن لها مواد فاحبسوا عنها مواد حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد .
أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن خالد الريمي قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال ائتني بأطيب مضعتين منها فأثاه باللسان والقلب ، فقال له أما كان فيها شيء أطيب من هذا قال لا فسكت عنه شمساً قال له اذبح لنا شاة فقال ائتني بأخيث مضعتين منها فجاء باللسان والقلب .
فقال له أمرتك أن تأتيني بأطيب مضعتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تأتيني بأخيث مضعتين فأتيتني باللسان والقلب فقال له إنه ليس بأطيب منهما إذ ذاك طابا ولا أخيث منهما إذا خبثا .

وأخبرني عبد الله بن حامد بإسناده عن محمد بن عجلان قال : قال لقمان الحكيم
ليس مال كصحة ولا نعيم كطييب نفس .

وأخبرنا عبد الله بإسناده عن أبي هريرة قال : مر رجل بلقمان والناس
يحتشمون عليه فقال ألسنت العبد الأسود الذي كنت راعياً بموضع كذا وكذا ؟
قال بلى ، قال فما بلغ بك ما أرى ؟ فقال من صدق الحديث وأداء الأمانة وترك
ما لا يحسنني .

أخبرني الحسين بن محمد عن أبيه قال ؛ قال لقمان ضرب الوالد لولده كالما للزرع
وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفره فتلقيه غلامه في الطريق فقال
له ما فعل أبي ؟ قال مات ، قال الحمد لله ملكك أمرى ، قال فما فعلت امرأتى ؟
قال ماتت ، قال جددت فراشي ، قال ما فعلت أختي ؟ قال ماتت ، قال سترت
عورتى ، قال ما فعل أخى ؟ قال مات ، قال انقطع ظهري .

أخبرنا الحسين بن الحسن بن محمد بإسناده عن شقيق قال قيل للقمان أى الناس
أشهر ؟ قال الذى لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً

وقيل للقمان ما أقبح وجهك ؟ قال تعيب بهذا على النقش أو على النقش
وروى المحاربى عن سفيان الثورى قال ، قال لقمان لابنه إن الدنيا بحر عميق
قد غرق فيها ناس كثيرون فلتسكن سفينتك فيها تقوى الله ، وليكن حشوها
إيمانك بالله ، وشراعها التوكل على الله فلعلمك تنجو وما أظنك ناجياً

يا بنى كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم فى كل يوم ينتصون ، يا بنى خذ
من الدنيا باخه ولا تدخل فيها دخولا فتضر فيها بأخرتك ، ولا ترفضها فتكون
عيالاً على الناس وصم صياماً يقطع شهوتك ولا تصم صياماً يمنحك عن الصلاة فإن
الصلاة عند الله أعظم من الصوم ، يا بنى لا تتعلم العلم لتباهى به العلماء وتمارى به
السفهاء أو ترائى به فى المجالس ولا تترك العلم فى زهادة فيه ورغبة فى الجهالة

يا بنى اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس إليهم
فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك ويزيدك علماً وإن تكن مستأهلاً يعلموك ولعل

الله أن يطالعههم برحمتك فتعملك معهم ؛ وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجالس
إليهم فإنك إن تمكن عالماً لا ينفعهم علمك وإن تمكن جاهلاً يزيدوك جهلاً فاعلم
الله يطالعههم بالهتوبة فنعمتك يا بني لا تضع برك إلا عند راعيه كما ليس بين السكيش
والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المرأة يشتم ومن يدخل
مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم
يا بني كن عبداً للأخيار ولا تكن خليلاً للأشرار يا بني كن أميناً تكن غنياً ؛
ولا ترى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك
ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم ؛ والطف بهم في السؤال إذا تركوك ولا تعجزهم
فيملوك يا بني لا تطلب من الأمر مديراً ولا ترفض منه مقبلاً فإن ذلك يقل الرأي
ويزري العقل ؛ يا بني إن تأدبت صغيراً انتفعت كبيراً ؛ يا بني إذا سافرت فلا تأمن
على دابتك فإن ذلك سريع في إدبارها وليس ذلك من فعل الحكماء إلا أن تكون
في محل يمكنك فيه التمدد وإذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وسر ثم ابدأ
بملفها قبل نفسك وإياك والسفر في أول الليل وعليك باليقظة والإدلاج من نصف
الليل إلى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وإبرتك
وخيوطك ونحرزك وتزود من الأدوية ما تنفع به أنت ومن معك وكن لأصحابك
موافقاً موافياً إلا في معصية الله يا بني إياك والتقنع فإنه بالنهار شهوة وبالليل رغبة
يا بني لا تأمر الناس بالسير وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس
ويحرق نفسه ؛ يا بني لا تحقرن من الأمور صغراً إن الصغار غداً تصير كباراً
يا بني إياك والكذب فإنه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك
يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وتهاون ولا يسمع منك إذا حدثت ولا تصدق
إذا قلت ولا خير في العيش إذا كان هكذا ؛ يا بني إياك وسوء الخلق والضجر
وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليهم
مجانب والزم نفسك التردد في أمورك والصبر على مرارات الأحوال وحسن من
جميع الناس خالقك فإن من حسن خلقه أظهره بشره وبسطة حظي عند الأبرار
واخيه الأخيار وجانبه الفخار ؛ يا بني لا تعلق نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك

بالأحزان وإيالك والطمع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك يصف
عيشك وتسرع نفسك وتستلذ حياتك وإن أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع
طمعك عما في أيدي الناس فإن ما بلغ الأنبياء الصديقون ما بلغوا إلا بقطع
طمعهم عما في أيدي الناس ، يا بني إن متاع الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل
وقد بقي قليل من قليل القليل ، يا بني اجعل معروفك في أهله ولا تضعه في غير
أهله فتخسر في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدًا ولا تكن مبدراً ،
ولا تمسك المال تقتيراً ولا تعطه تبذيراً ، يا بني الزم الحكمة تكرم بها ، وأعزها
تمز بها ، وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل ، يا بني للحاسد ثلاث علامات
يفتأب صاحبه إن غاب ويتملق إذا شهد ويشمت فيه بالمصيبة ، ثم خبر لقمان
الحكيم وما وصى لابنه أنعم والله أعلم

(مجلس في قصة بلوقيا)

أخبرنا أبو محمد بن عبد الله الخزرقى بإسناده عن عبد الله بن سلام الإسرائيلي
قال كان في بني إسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علماءهم وكان كثير المال
وكان إماماً لبني إسرائيل وكان قد عرف نعت النبي عليه السلام وأمه في التوراة
خفياء وكنتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني إسرائيل وكان ذلك
بعد سليمان فلما مات والده أوشيا وبقي بلوقيا والإمامة والقضاء في يده فتمش
بخرائن والده فوجد فيها تابوتاً من حديد مقفلاً بقفل من حديد فسأل الخزان عن
ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فكه فإذا فيه صندوق من خشب
الساج ففكه فإذا فيه أوراق نعت النبي ﷺ وأمه مختومة بالمسك ففكها وقرأ
ها فيها على بني إسرائيل ثم أنه قال الويل لك يا أبت من الله فما كتبت وكنتمت
عن الحق عن بني إسرائيل فردّه إلى أهله فقال بنو إسرائيل يا بلوقيا لولا إلك
إمامنا وكبيرنا لنبشنا قبره وأخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لا ضير
إنما اتبع حظ نفسه ونحسر دينه ودنياه فالحقوا نعت النبي ﷺ وأمه بالتوراة
قال وكانت أم بلوقيا من الأحياء فاستاذنها في الخروج إلى بلاد الشام وكانوا

يومئذ ببلاد مصر فقامت له وما تصنع بالشام ؟ فقال اسال عن محمد وأمه فلعلني
الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه فاذا كنت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام
فبينما هو يسير إذ انتهى إلى جزيرة من جزائر البحر فإذا هو بحيات كامثال
الإبل عظماً وفي الطول ما شاء الله وهن يقلن لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما
رأينه قلن له أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك ؟ فقال إسمي بلوقيا وأنا من
بنى إسرائيل ؛ قال فقال لهم بلوقيا أيتها الحيات من أنتن ؟ فقلن نحن من حيات جهنم
ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة فقال بلوقيا وما تصنعن ههنا ؟ وكيف تعرفن
محمد ؟ فقلن إن جهنم تمور وتزمر في كل سنة مرتين فتلقيننا إلى ههنا ثم تودلن إلينا
فشدة الحر من حرها في الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم
درك من دركها ولا باب من أبوابها ولا سرادق من سرادقها إلا وقد كتب
عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ من أجل ذلك عرفنا محمد ﷺ
ثم مضى بلوقيا إلى بلاد الشام فأقى ببيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم
يسمى عفان الخير فأنابه فسلم عليه فذكر له بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان
أمته بينك وبينه قرون وسنون ثم ساروا في السمول والجبال حتى وصلوا إلى
جبل ليس بهال ولا متدان ترابه كالسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفي الكهف
سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى
على صدره والشمال على بطنه كالتائم وليس بتائم وهو ميت وعلى رأسه تين وخاتمه
بالشمال ؛ وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام ؛ وكان ملكه في خاتمه . وكان
خاتمه من ذهب وفضة من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر في كل
سطر اسم الله الأعظم

وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان ؟ فقال
هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه ونملك ملكه ونرجو الحياة إلى أن يبعث
الله محمد ﷺ فقال بلوقيا أليس قد سأل ربه فقال رب هب لي ملكاً لا يتبغى لأحد
من بعدى فأعطاه إياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان إلى يوم القيامة لدعائه

فقال عفان يا بلوقيا اسكت إن الله معنا ومعنا اسم الله الأعظم ولكن أنت يا بلوقيا
تأقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال التنين
ما أجراك على ربك إن غلبتنا باسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدره الله تعالى

قال فيكلاما ففتح التنين ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل نفخات التنين فيها
شيئاً ودنا عفان من السرير لينزع من أصبعه الخاتم فاشتغل بلوقيا بالنظر إلى نزول
جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الأرض والجبال
وتزلزلت منها فاختلفت مياه البحار وهاجت والتظمت حتى صار كل عذب مالحاً
من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التنين فخرج
من بطنه شعلة كأنها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته في البحر فامرت
النفخة بشيء إلا أحرقته ولا بناء إلا سخطته وأغلته وأن بلوقيا لما رأى العذاب
اذكر اسم الله الأعظم فلم ينله مكروه

ثم تراءى جبريل عليه السلام في صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجراك
على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله ؟ فقال أنا جبريل أمين رب العالمين فقال
بلوقيا يا جبريل إنما خرجت حباً لمحمد ﷺ ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أنعمده
فقال فبذلك نجوت

ثم صعد جبريل عليه السلام إلى السماء ومضى بلوقيا فضل الطريق الذي جاء منه
وأخذ في طريق أخرى فسار فإذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورد والعفرا
وأشجارها الزيتون والنخل والرمان ، فقال بلوقيا ما أشبه ذلك المكان بالجنة على
ما وصفته قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة
يا خاطيء يا ابن الخاطيء لا تأخذ مني شيئاً فبقي متعجباً وإذا بحذاء الشجرة
قوم يتراكمضون وبايديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضاً بالضرب
والطعن فلما رأوا بلوقيا أحاطوا به وأحذقوا من ورائه وهموا به سوءاً فذكر
بلوقيا اسم الله فتمعجبوا منه وهابوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا باجمعهم لا إله إلا الله
محمد رسول الله ، ثم قالوا له من أنت يا عبد الله ؟ فقال أنا من بني آدم ؛ فقالوا
ما اسمك ؟ قال لسمى بلوقيا وأنا من بني إسرائيل قالوا نعرف آدم ولا نعرف

إسرائيل فما الذى أوقعك إلينا ؟ فقال لى خرجت فى طاب نبي يسمى محمدا ﷺ
ولانى قد ضللت الطريق الذى أردته ورأيت من الأهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا
نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله فى السماء ، ثم نزلنا إلى الأرض وقاتلنا
كفرة الجن ونحن هنا مقيمون نغزوهم ونجاهد إلى يوم القيامة واسننا نموت إلى
يوم القيامة وأنت تصير معنا ؛ فقال بلوقيا لملك الجن وكان اسمه صخر ؛ يا صخر
أخبرنى عن خلق الجن كيف كان ؟ قال ؛ لما خاق الله تعالى جهنم خاق لها سبعة
أبواب وسبعة السنة ، وخاق منها خاقين خاقاً فى سمائه سماء جبليت وخلقاً فى
أرضه سماء تمايت ؛ فاما جبليت فإنه خاق فى صورة أسد وتمايت فى صورة ذئب
وجعل الأسد ذكراً والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة
عام وجعل ذئب الذئب بمنزلة ذئب العقرب وذئب الأسد بمنزلة ذئب الحية ؛
وأمرهما أن يتفصضا فى النار انتفاضة فسقط من ذئب الذئب عقرب ومن ذئب
الأسد حية فحيات جهنم وعقاربها من ذلك سم أمرهما أن يتناكحا فحماة الذئب
من الأسد فولدت سبع بنين وسبع بنات قاوجى إليهم أن يزوجوا البنين من
البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه
وهو إبليس وكان اسمه الحارث وكسبته أبو مرة فهذا أول خلق الجن يا بلوقيا
وإن دوابنا لا تنبت مع الإلس وليكننى أجمل فرسى وأبرقه حتى لا يعرف
من راكبه وأركب عليه على اسم الله تعالى فإذا انتهيت إلى أقصى أعمالى على
ساحل بحر كذا وكذا فإذا أفت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فإنك ستلقاهما هناك
فادفع الفرس إليهما وامش فى حفظ الله رشداً

فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى إليهم فسام على الشيخ والشاب
ونزل عن الفرس ودفعهما إليهما ، وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغذاء
وباخ إليهما نصف النهار ؛ فقال له بلوقيا منذ كم فارقت الملك ؟ قال فارقت من
غدوة قال ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت إليه يداً
ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضاً ، قال بلى ولكن فرسنا أحسن بك
وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء والأرض ليرى نفسه منك فيكم تراه جاب بك ؟

قال خمس فراسخ أو أكثر قال بل جاب بك في هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة ؛ وكان يطير بك ما بين السماء والأرض حول الدنيا دون توقف وأنت لا تعلم قال فخلوا عنه السرج والليجام والبراقع فإذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وإله جناحان انفضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والإعياء والكلال قال بلوقيا ؛ هذا والله لمجيب ، فقالوا عجائب الله لا تنقضي ، ثم سلم عليهما ومضى فركب اليم ، فبينما هو يسير إذ رأى ملكا إحدى يديه بالمشرق والأخرى بالمغرب وهو يقول ؛ لا إله إلا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا ، فقال له الملك ، من أنت أيها الخلق المخلوق ؟ قال أنا بلوقيا وأنا من بنى إسرائيل من ولد آدم ، ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك ؟ قال إسمي يوحنايل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار ، قال فما يدريك مبسوطتين ؟ قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي اليد اليسرى ظلمة الليل ، ولو سبق النهار الليل أضأت السموات والأرض ، ولم يكن الليل أبداً ، ولو سبقت الظلمة النور لظلمت السموات والأرض ، ولم يكن ضوءاً أبداً وبين يدي لوح معاق فيه سطران أبيض وستر أسود ، فإذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة ؛ وإذا رأيت السواد يزداد زادت الظلمة ؛ وإذا رأيت السطر الأبيض يزداد زدت النهار ، وإذا انتقص نقصت ؛ فلذلك الليل في الشتاء أطول من النهار ، والنهار أقصر ؛ وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر

ثم سلم بلوقيا ومضى ، فإذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى في السماء ؛ واليسرى في الأرض ؛ وقدماه تحت الثرى وهو يقول ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فسلم عليه بلوقيا ، فقال له الملك من أنت ، وما اسمك ؟ قال إسمي بلوقيا ، وأنا من بنى إسرائيل ، وإسرائيل من ولد آدم

ثم أن بلوقيا قال أيها الملك ما اسمك ؟ قال مخايل قال فما بالي أرى يمينك في السماء وشمالك في الماء ، قال أحبس الريح يميني والماء بشمالي ولو رفعت شمالي عن الماء لزخرت البحار كلها في ساعة واحدة وتلاطمت بإذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليهما ديدى في الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لأن في السماء

ريحا تسمى الهاثمة ولو أرسلتها لفسدت من في السماء ومن في الأرض ، قال فسلم بلوقيا ومضى فإذا هو بأربعة من الملائكة أحدهم رأسه كرأس الثور ؛ والآخر رأسه كرأس النسر ؛ والثالث رأسه كرأس الأسد ؛ والرابع رأسه كرأس الانسان

فاما الملك الذي رأسه كرأس الثور ؛ فإنه يقول ، اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها ، وادفع عنها برد الشتاء ، وحر الصيف ؛ واجعل في قلوب بني آدم لها الرأفة والرحمة كيلا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن ، واجعلني من أهل شفاعة سيدنا محمد ﷺ يوم القيامة

وأما الذي رأسه كرأس النسر فيقول . اللهم ارحم الطيور وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف ، واجعلني من أهل شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة

وأما الذي رأسه كرأس الانسان فإنه يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم ، وادفع عنهم النار ؛ واجعلني من أهل شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة

فسلم عليهم بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى جزيرة فاذا هو بفلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال له يا شاب من أنت ؟ وما اسمك ؟

قال لاسمي صالح ؛ قال فما هذان القبران ؟ قال ؛ أحدهما قبر أبي والآخر قبر أمي ، وكانا صالحين فماتا ههنا وأنا عند قبرهما حتى أموت ، فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى جزيرة أخرى فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعينه من ياقوت ، ومنقاره من أوّل ، ويداه من زعفران ، وقوائم من زمرد ؛ وإذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوي ؛ فسلم عليه بلوقيا ؛ فرد الطائر عليه السلام ؛ فقال له بلوقيا ؛ من أنت أيها الطائر ؟

قال أنا من طيور الجنة ، وأن الله تعالى قد بعثني إلى آدم بهذه المائدة لما أهبط من الجنة ، وإن كنت معه حين لقي حواء ، وأباح الله له الأكل ، وأنا هنا من لدن ذلك الوقت ، فسكن غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يا كل منها ، وأنا أمين الله عليها إلى يوم القيامة .

فقال بلوقيا ، ولا تتغير ولا تنقص ، فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص .

قال بلوقيا ، أفأكل منها ؟ قال كل فأكل حاجته ، ثم قال له أيها الطائر ، وهل معك أحد ؟ فقال معي أبو العباس يأتيني أحياناً ، قال ومن أبو العباس ؟ قال ، الخضر عليه السلام .

فلما ذكر الخضر إذا به أقبل ، وعليه ثياب بيض ، فما خطى خطوة إلا نبت الحشيش تحت قدميه .

قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله ، فقال بلوقيا : طالت غيبتى ، وأريد الرجوع إلى أمي ، فقال الخضر بينك وبين أمك مسيرة خمسمائة عام ، وأنا أردك إليها في مسيرة خمسمائة شهر ، فقال الطائر ، إذا كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة ، فأنا أردك إليها في مسيرة خمسمائة يوم .

فقال الخضر عليه السلام ، فأنا أردك إليها في ساعة واحدة ، ثم قال غمض عينيك ، فغمضها ، ثم قال له افتح عينيك ففتحها ، فإذا هو جالس عند أمه ، فسألها من جاءني إليك ؟ قالت طير أبيض يطير بك بين السماء والأرض ، فوضعت أمامي .

ثم أن بلوقيا حدث بني إسرائيل بما رأى من العجائب والأخبار ، فأثبتوها وكتبوها إلى يومنا هذا ، فهذا ما كان من حديث بلوقيا ، وما رأى من العجائب في البحر والبر سهلاً وجبلاً والله أعلم .

(مجلس في ذكر قصة ذي القرنين عليه السلام)
قال الله تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً) .

(باب في نسبه ولقبه)

قال أكثر أهل السير ؛ هو الإسكندر بن فيليش بن بطريوش بن هرمس
ابن هردوس بن منطون بن رومي بن لظين بن يونان بن يافث ، ويقال نسبه
ينتهي إلى العيص بن إسحق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، وزعم بعض
القدماء أن الإسكندر هو أخو دار بن دارا ، وذلك أن دارا الأكبر بن بهن
ابن اسفنديار بن يستاسف كان زوج أم اسكندر ؛ وكانت بنت ملك الروم
وكان اسمها ملانة ، وإنما حملت إلى زوجها دارا الأكبر فوجد منها رائحة كريهة
فأمر أن يحتمل في زوال ذلك منها ؛ فاجتمع رأى أهل المعرفة في مداواتها على
شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فأذهب ذلك كثيراً من
نقتها ومن عرقها ، ولم يذهب ذلك كله فأنتمت نفسه عنها ليقية نقتها ، وعاقها
فردّها على أهلها ، وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاماً ، فسماه باسمه ،
واسم الشجرة التي غسلت بمائها اسكندروس ؛ فهذا أصل اسمه ؛ ثم خففت ،
فقل اسكندر ، وكسنى بذي القرنين .

واختلفوا في سبب تسميته بذلك ، فقال بعضهم سمي بذلك لأنه ملك الروم
وفارس وقيل لأنه في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم ؛ وقيل لأنه رأى في المنام
كأنه أخذ بقرني الشمس ؛ وكان تأويل رؤياه أنه يطوف المشرق والمغرب ؛
وقيل لأنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنيه الأيمن ، ثم دعاهم إلى التوحيد
فضربوه على قرنيه الأيسر ، وقيل لأنه كان له ذوابان حسدان ؛ والذوابة تسمى
قرناً ؛ وقيل لأنه كان كـيم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه ؛
وقيل لأنه كان انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي ؛ وقيل لأنه كان إذا
حارب قاتل بيديه وركابه جميعاً ، وقيل لأنه أعطى علم الظاهر والباطن ، وقيل
لأنه دخل النور والظلمة ، والله أعلم .

(باب في قصة ذكر أمره وسبب استكمال مملكته)

قال الله تعالى (إنا مكننا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبباً)
وقال قوم كان فيليبس اليوناني أبو الإسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده
الإسكندر ، وقال آخرون ان الإسكندر أخو دارا الأصغر وكان أبوه لانه جد
الإسكندر لأمه ملكاً من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الإسكندر
وكان ملوك الروم يؤدون الإتاوة جميعاً إلى ملوك الفرس ، وكانت الإتاوة التي
كان أبو الإسكندر يؤديها إلى ملوك الفرس بيضة من ذهب

فلما ملك الإسكندر وكان رجلاً ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم
فقهرهم واستجمع له ملك الروم ، ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فأنس
بذلك من نفسه القوة فاستعصى على دارا الأصغر ملك فارس فامتنع عن حمل ما كان
أبوه يحمله إليه من الخراج والإتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب إليه دارا
ابن داهرا بقصة الخراج والإتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فأجابته الإسكندر إنني
قد ذهبت تملك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها

فلما وصل إليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب إليه يؤنبه بسوء صليبه في
امتناعه عن حمل الخراج إليه وبعث إليه بصولجان وكرة وقفيزي سمسم ، وأعلمه
فيما كتب به إليه أنك صبي ويزغى لك ان تلعب بالصولجان والكرة التي بعثت
بهما إليك ولا تنقلد الملك ولا تتلبس به ، ولا تستعصى ولا لا بعثت إليك من يأتي
بك في وثاق ولو كانت جنودك بعدد السمسم الذي بعثت به إليك

فبعث إليه الإسكندر في جواب ذلك ، إنني قد فهمت ما كتبت وقد نظرت
ما ذكرت في كتابك من إرسال الصولجان والكرة وضمت الكرة إلى الصولجان
وشبهت الكرة بأرضي وإني محتو على ملكك وأضيفه إلى ملكي وأضيف بلادك
(م ٢٦ — قصص الأنبياء)

إلى بلادى ولمنى نظرت إلى السهم الذى بعثته إلى كينظرى إلى الصولجان
والكرة وبعت إن دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب وإنما بعثت
إليك بذلك لأن جنودى مثل ذلك

فلما وصل إلى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة
الاسكندر ، وان الاسكندر أيضاً تأهب للقاءه ، ونادى فى عسكره بالرحيل ،
وسار نحو بلاد دارا ، فالتقيا بناحية خراسان مما إلى الخزر ، واقتتلا أشد القتال
وصارت الدائرة على جند دارا ، فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقته ،
وقيل ان أحدهما كان صديقه ، فطعناه فأردناه من مركبه ، وأراد يطعنهما إياهم
الحظوة عند الاسكندر والوسيلة إليه ، وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دار
أسيراً ولا يقتل

فأخبر بشأن دار فأسرع حتى وقف عليه ، فرآه يجود بنفسه ، فنزل إليه
وجلس عند رأسه ، وأخبره انه لم يهم قط بقتله ، وان الذى أصابه لم يكن قط
برأيه وإنما غدر به ثقاته

ثم قال له سلمنى عما بدا لك فاعفك به فقال له دارا أن لى اليك حاجتين
أحدهما ان تلتم لي من الرجلين اللذين فتكبنى ، وسماهما وبلادهما ، والثانية
أن تتزوج ابنتى روشنك فأجابه إلى الحاجتين ، وأمر بصلب الرجلين ، وان ينلدى
عليهما ، هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغش أهل بلده ، وتزوج ابنته ، وكان
ملك دارا أربع عشرة سنة

فلما قتل اجتماع ملك الروم ، وكان قبل الاسكندر متفرقاً ، وتفرق ملك
فارس ، وكان قبل الاسكندر مجتمعاً

(باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا)
(ووصف مسيره إلى البلاد والآفاق)

قالت العلماء بأخبار القدماء ، لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له
البلاد فهدم ما كان في بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بأرض الهند من
بيوت الأوثان وقتل الموازنة وحرق كتبهم ودعا الناس إلى الإسلام والتوحيد .

قال المرتضى في سبب إحراق كتبهم ، إن المجوس جعلوا حروف كتبهم من
الذهب المضرب بمسامير الذهب على جلود النيران فبالغ عددها اثني عشر ألفاً
فأحرقوها لحصول ذلك الذهب وبني اثني عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان
همراء ومرور وسمرقند ومدينة بارض أصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بارض
اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بارض بابل لزوجته روشنك بنت دارا ومدينة
الاسكندرية ثم انه رأى في منامه انه أخذ بقرني الشمس ورأى في منامه انه يسير
إلى آفاق الأرض شرقاً وغرباً .

واختلف العلماء في نبوته فروى عن النبي ﷺ انه قال : لا أدري أكان
ذو القرنين نبياً أم لا ، فلو صح الحدث لكان الخوض في هذه المسئلة تكافاً ثم
تأخلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً ومليكاً عادلاً فاضلاً
وقال آخرون بل كان نبياً غير مرسل . والصحيح ان شاء الله انه كان نبياً غير
مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلاً من
الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان
باسمه عباساً وكان عبداً صالحاً .

فلما استحكم ملكه واجتمع امره أوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين أني قد بعثتك
إلى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم وهذا تاويل رؤياك وأنى
باعتك إلى أمم الأرض كلهم وهم سبع أمم مختلفة السنتهم ، منهم أمتان بينهما عرض

الأرض وأمان بينهما طول الأرض وثلاث أمم في وسط الأرض وهم الإنس والجن وياجوج وماجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الأرض فامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى بحياها يقال لها منسك عند مطلع الشمس واما الامتان التي بينهما عرض الأرض فامة في قطر الأرض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحياها في قطر الأرض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين إلهي إنك قد ندبتني إلى أمر عظيم لا يقدر عليه إلا أنت فاخبرني عن هذه الامم التي قد بعثتني اليها بأى قوة أكابرهم وبأى جمع وحيلة أكابرهم وبأى صبر أقاسيهم وبأى لسان أناطقهم وكيف لي بأن أفقه لغاتهم وبأى سمع اسمع أقوالهم وبأى بصر انقدهم وبأى حجة اخاصهم وبأى عقل أعقل عنهم وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم وبأى قسط اعدل بينهم وبأى حلم أصابرهم وبأى معرفة أفصل بينهم وبأى علم أنقن أمورهم وبأى يد أسطو عليهم وبأى رجل أطوهم وبأى طاقة احصيتهم وبأى جند اقاتلهم وبأى رفق أولفهم وليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ويقويني عليهم وانت الرءوف الرحيم لا تكف نفسك إلا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشفيها بل انت ترحمها .

قال الله تعالى . ساطوئك ما حملتك واشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتبصر كل شيء واشرح لك فهمك فتفقه كل شيء وابسط لك لسانك فتنطق بكل شيء وافتح لك بصرك فتتقد كل شيء واحصى لك قوتك فلا يفواك شيء واشد لك عضدك فلا يهوانك شيء واشد لك ركنك فلا يغلبك شيء واشد لك قلبك فلا يفزعك شيء واشد لك يدك فتسطو على كل شيء واشد لك وطاك فتتهلك كل شيء واللبسك الهيبة فلا يروعك شيء واستخر لك النور والظلمة واجعلهم جنداً من جنودك يهديك النور من امامك وتحوط بك الظلمة من ورائك .

فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير والى عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقلة لا بد من طاعة الله تعالى ثم امرهم ان يبنيوا له مسجداً وان يجعلوا طول المسجد

اربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض اناس حائطه اربعة وعشرون ذراعاً وطوله في السماء مائة ذراع وأمرهم ان ينصبوا فيه السوارى .

قالوا كيف نصنع ؟ قال إذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكبس مع حائط المسجد فإذا فرغتم فرضتم من الذهب على المرسر قدرة وعلى المقتر قدرة وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشباً من نحاس ووتداً من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم تملكون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراع ومائتي ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعاً ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيئاً فهو له ففعلوا ذلك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف بما عليه واستغنى المساكين

فكان جندهم اربعين الفا فجعلهم اربعة أجناد في كل جنده عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جنده داراً ستمائة ألف ومن المساكين اربعون ألفاً ، ثم انطلق يوم الامة التى عنده غرب الشمس فذلك قوله تعالى (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) أى ذات حمأ : ومن قرأ حامية بألف من غير همزة فعناه حاره .

أنخبرنا عبد الله بن حامد الاصفهاني بإسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبى ابن كعب كما أقرأه رسول الله ﷺ في عين حمئة

وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية إذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب في عين حامية فقلت وما تقرؤها إلا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرأها كما قرأتها يا امير المؤمنين قال ابن عباس فاطلت الجداول معها فارسل معاوية إلى كعب فجاءه فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب ؟

قال : أما العربية فانتم اعلم بها مني ، وأما الشمس فإني أجدها في التوراة تغرب في
أوطان ، وأنشدك ما تزداد به تبصراً وهو قول تبع :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتسجد
بالبخ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمر من حكيم مرشد
فراى مغيب الشمس عند غروبها في ذى خلب وثأط حرمه
قال معاوية وما الخلب يا كعب ؟ فقلت الطين بكلامهم قال فما الثأط ؟ قلت
الحماة قال وما الحرم ؟ قلت الأسود فدعا رجلاً فقال اكتب ما يقول .

فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعاً وعدداً لا يحصيه إلا الله تعالى وقوة
رباساً لا يطيقه إلا الله تعالى ورأى السنة مختلفة وأهواء مشتبهة فذلك قوله تعالى
(وجد عندها قوماً) يعني ناساً فلما رأى ذلك كآثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث
عساكر منها فاحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور
ودعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد إلى
الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وانوفهم وآذانهم وأجوافهم
ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما
خوفوا صاحوا وتحيروا فلما أشفقوا ان يهلكوا ضجوا بصوت واحد فكشفها
عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوة فجاء من أهل العرب أمم عظيمة فجعلهم
جنداً واحداً ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرمهم والنور
أمامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى وهو يريد الأمة التي في قطر
الأرض اليمنى يقال لها هاويل ؛ وسخر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا
يخطئ إذا عمل عملاً فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه حتى إذا انتهى إلى بحر
أو مخاضة هياً سفناً من ألواح صغار مثل النعال فيحملها في ساعة ثم يحمل فيها جميع
مأمومه من تلك الجنود وإذا بلغ البحار والأنهار فتقها ثم يدفع إلى
كل رجل منهم لوحاً فلا يكثرث بحمله فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل

فجعل فيها كفعله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند طلوع الشمس وجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنوداً كفعله في اليمين اللتين قبلها ثم كسر مقبلاً حتى أتى ناحية الأرض اليسرى وهو يريد نأويل رعى الأمة التي بحيال هاويل وهما مقابلتان بينهما عرض الأرض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنوداً كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع قرم لم نجعل لهم من دونها ستراً وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يسكنون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى معايشهم وحروثهم والله أعلم .

(باب في صفة سدنى القرنين وما يتعلق به)

قال الله تعالى (حتى إذا بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولا) .

قالت العلماء بأخبار القدماء : لما فرغ ذو القرنين من أمر الأمم الذين هم في أطراف الأرض ، وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الأمم التي في وسط الأرض من الجن والإنس وبأجوج وماجوج فلما كان في بعض الطريق بمابلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس : يا ذا القرنين أن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الإنس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفرسها السباع ويأكلون حشرات الأرض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم ، فإن أنت اطلعت على ما يشعرون نماءهم وزيادتهم فلا تشك أنهم سيملاون الأرض ويخرجون أهلها منها ويظفرون عليها ويفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فملئ لك خرجه أي جعله وأجرأ على أن تجعل

بينهم سداً حاجزاً فلا يصلون إلينا ، فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيه ربي أى
تتوانى عليه خير من خراجكم فاعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً حاجزاً كالخائط .

قالوا وما تلك القوة ؟ قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة ، قالوا
وما تلك الآلة ؟ قال آتوني زبر الحديد أى قطعة واحدة زبرة وآتوني النحاس
فقالوا من أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل ، قال سأدلكم على معادتهما
قالوا فبأى قوة تقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدناً يقال له لساھون وهو
أشد ما خلق الله فى الأرض بياضاً وهو الذى قطع به سليمان أساطين بيت المقدس
وصنوره وجواهره .

ثم أنه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس والنار وصنع
منها زبراً مثل الصخور العمام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك
الصخور التى هى من الحديد ثم بنى وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير أنه لما
قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ .

فلما أوشأ فى عمله حفر له الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخ
ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد ، فلم
ينزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما
الجبلان ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ، قال انفتحوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو
النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم
الحديد النحاس فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرة وسواد الحديد
وغبرته ، فصار سداً طويلاً عظيماً حصيناً قال الله تعالى (فما استطاعوا ان يظهروه)
أى يعلوه ، وما استطاعوا له نقباً .

قال قتادة : ذكر لنا أن رجلاً قال يا بنى الله قد رأيت سد ياجوج وماجوج
على انعتة لى ، قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيت

ويقال أن موضع السد وراء الخزند بقرب مشرق الأرض بينه وبين الخزند مسيرة اثنتين وسبعين يوماً .

وذكر أن الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام أن السد مفتوح فوجه سلاماً إلى جمان في خمسين رجلاً وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم ورزق سنة ، أعطاه مائتي بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله إسحق بن إسماعيل صاحب أرمينية وكان يتمليس وكتب له إسحق إلى صاحب السر وكتب له صاحب السر إلى ملك اللان وكتب له ملك اللان إلى الأزالى طاجند في بلاد شاه ملك الخزند .

فأقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلاً أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوماً حتى انتهوا إلى أرض سوداء منتنة الريح ، وكانوا قد حملوا معهم شيئاً يشموناه من الرائحة الزكية ؛ فساروا تسعة وعشرين يوماً ثم سألوا عن سبب نتن الريح ما هو فقالوا مات ههنا قوم .

ثم ساروا في مدن خراب عشرين يوماً فساروا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخرّبوها .

ثم ساروا إلى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرءون القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لنا من هؤلاء القوم ، قلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا وما هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منه وقالوا : شيخ أو شاب وزعموا أنهم لم يبالغهم خبره

ثم فارقوهم وساروا إلى جبل أماس ليس عليه خضرة وإذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعاً وعضاداته مبنيتان مقابلتا الجبل وعرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعاً مبنية بلبن من حديد مركبة في نحاس في سمك

خمسعين ذراعاً وإذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعاً قد ركب على العضادتين علو كل واحد مقدار عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيّب في الانحاس إلى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر ؛ وفوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبنى ببعضها إلى بعض منظومة كل واحدة في صاحبيتها فإذا باب له مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعاً في ارتفاع خمسعين ذراعاً قائمتاهما في دورهما على قدر الدربند

وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلط ذراع وارتفاع القفل من الأرض خمسة وخمسون ذراعاً وفوق القفل مقدار خمسة أذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي في السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع في طوله مائة ذراع سوى ما في العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع ، وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحد خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا أن هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا في الباب حدثاً فإذا ضربوا أصغوا إليه آذانهم فيسمعون من داخل دويًا

وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ في مسيرة مائة فرسخ لأنها عشرة في عشرة ومع الباب حصنان طول كل واحد منها مائتا ذراع في مائتي ذراع وعلى باب هذين الحصنين مخرتان وبين الحصنين ماء عين عذب في أحد الحصنين آلة البناء التي بها السد من قدور الحديد ومخارف من حديد وهناك بعض اللبن من الحديد قد التزق ببعضه ببعض من الصدا واللينة ذراع ونصف في عرض شبر

وسألنا هل وراء ذلك أحدهم أهل يا جوج وما جوج ، فذكروا أنهم رأوا
منهم عدة فوق الشرف فهبت ربح سوداء فالتفتهم إلى جانبهم وكان مقدار الرجل
في رأى العين شبراً ونصفاً

قال فلما انصرفنا أخذ بنا الأدلاء على نواحي خراسان فعدلنا إليها فوقعنا إلى
القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن ثم زودناهم الطعام

ثم سرنا إلى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل
كان معي بخمسمائة درهم ، وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل
ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا إلى الري ورجعنا إلى سر من رأى بعد ثمانية
وعشرين شهراً والله أعلم .

(باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالى لطلب عين الحياة)

روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال ، كان ذو القرنين قد ملك
ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويؤمره
فبينما هما ذات يوم يتحدثان إذ قال له ذو القرنين يا رفائيل حدثني عن عبادتك
في السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتك عند عبادتنا إن في السماء من الملائكة
من هو قائم لا يجلس أبداً ، ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبداً ، ومن هو راكع
لا يستوى قائماً أبداً يقول سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك
حق عبادتك ، فبكى ذو القرنين بكاء شديداً ، ثم قال لني أحب أن أعيش فاباغ
من عبادة ربي حق عبادته . فقال رفائيل أو تحب ذلك يا ذا القرنين : قال نعم

قال رفائيل فإن لله عيناً في الأرض تسمى عين الحياة فما من الله عز وجل أن
من يشرب منها شربة لا يموت أبداً حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت ، فقال
له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين ، فقال لا غير أنا نتحدث في

السماء أن الله في الأرض ظلمة لا يطؤها إنس ولا جان فنحن نظن أن تلك العين
 في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الأرض وأهل دراسة الكتب وآثار
 النبوة فقال لهم أخبروني هل وجدتم فيما قرأنتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من
 الأحاديث وسألتهم من كان قبلكم من العلماء أن الله وضع في الأرض عيناً سماها
 عين الحياة ، فقالت العلماء لا ، فقال عالم من العلماء إني قرأت وصية آدم عليه
 السلام فوجدت فيها أن الله خلق في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جان ووضع
 فيها عين الخلد .

فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها في الأرض التي على قرن الشمس
 فبعث الله إليهما ذو القرنين وحشد إليهما الفقهاء والأشراف من الناس والملوك ،
 صار يطلب مغرب الشمس فسار لثنتي عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة فإذا
 هي مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هناك ثم جمع علماء عسكره ، فقال
 إني أريد أن أسألكم عن هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك إن من كان قبلك
 من الملوك والأنبياء لم يطأوا هذه الأرض فلا تطأها فإننا نخاف أن ينفخ عليك
 أمر تسكره ويكون فيه فساد الأرض ومن عليهما ، فقال لأبد من أن أسألكما
 فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فإننا لو تعلم أنك طلبتها ظفرت
 بما تريد ولم يسهط الله علينا لا تبعناك ولسكننا نخاف من الله تعالى فسادا في
 الأرض ومن عليهما .

فقال ذو القرنين لأبد من أن أسألكما فقالت العلماء شأنك بهما فقال ذو القرنين
 أي الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل أبصر : قال الإناث
 قال وأي الإناث أبصر قالوا البكارى

قال فارسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى أبكارا ثم انتخب من
 عسكره أهل القوى والجلد ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرساً وعقد

رأية الخضر عليه السلام وجعل مقدمته ألفين وبقى ذو القرنين في أربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا إلى اثنتي عشرة سنة فإن نحن رجعنا إليكم وإلا فارجعوا إلى دياركم فقال الخضر أيها الملك إذا نسلك الظلمة ولا ندرى كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالاضلال إذا أصابنا : فدفع ذو القرنين إلى الخضر خريزة حمراء وقال له حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الأرض فإذا صاححت فليرجع إليهما بأهل الضلال أين صاححت .

قال فسار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر ويحيط ذو القرنين .

فبينما الخضر عليه السلام يسير إذا عرض له واد فظن الخضر أن العين في الوادي وألقى في قلبه ذلك ؛ فقام على شفير الوادي ومكث طويلا ثم أجابته الخريزة فطلب صوتها فاتمى إليها فإذا هي على جانب العين فتزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فإذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم أنه رمى الخريزة نحو أصحابه فوقعت وصاححت فرجع الخضر إلى صوتها وإلى أصحابه فركب وقال لأصحابه سيروا على اسم الله .

وإن ذا القرنين مر فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة في أربعين يوما ثم لأنهم خرجوا إلى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والأرض حمراء ملة خشخاشية فإذا هم بقصر مبني في تلك الأرض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم إنه خرج وحده حتى دخل القصر فإذا حديدة قد وضعا طرفاهما على جانب القصر من ههنا وإذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بأنفه إلى الحديد معلقا بين السماء والأرض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال من هذا ، قال أنا ذو القرنين ، فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفك ماورائي حتى وصلت إلى .

ثم قال يا ذا القرنين حدثني فقال سل ، فقل هل كثر بناء الجسر والآجر في الأرض ؟ قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديد ثم قال يا ذا القرنين هل كثر شهادة الزور في الأرض ؟ قال نعم فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملاً الحديد وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقاً شديداً ، فقال الطائر لا تخف حدثني ، قال سل قال أهل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله بعد ؟ قال فانضم الطائر إلى ثلثه ، ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد ؟ قال لا . فعاد الطائر كما كان ثم يا ذا القرنين أسالك هذه الدرج درجة إلى أعلى القصر فسلكما ذو القرنين وهو خائف . جعل لا يدرى على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فإذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعاً وجهه إلى السماء واضعاً يده على فيه ، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال من هذا ؟ قال أنا ذو القرنين ، قال يا ذا القرنين إن الساعة قد قربت وأنى منتظر أمر رب يأمرني أن أنتفخ في الصور .

ثم أن صاحب الصور أخذ شيئاً من بين يديه كأنه حجر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فإن شبع هذا شبعته وإن جاع هذا جعت فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى إلى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر وما قاله وما أورد عليه وما قال له صاحب الصور ثم عمل على جمع عسكره ، وقال أخبروني ما هذا الحجر وما أمره ؟ فقالوا أيها الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور . فقال ذو القرنين أنه قال : إن شبع هذا شبعته ، وإن جاع جعت ، فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا حجراً مثله ووضعوه في الكفة الأخرى ثم رفعوا الميزان فإذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فإذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجراً بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فقال بالآلاف جميعاً فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لا نعرف أسحر هذا أم علم لا نعلمه ، فقال الخضر عليه السلام وكان واقفاً ، أنا أعلم علمه فأخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في إحدى الكفتين وأخذ حجراً من

تلك الحجرة فوضعه في السكفة الأخرى ثم أخذ كفاً من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلماء سجداً لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله قد وضعنا معه ألف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام أيها الملك إن سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وأن الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالجاهل والجاهل بالجاهل والجاهل بالجاهل والعالم بالجاهل وأنه ابتلائي بك وابتلاك بي، فقال ذو القرنين صدقت فأخبرني ما هذا الحجر؟ فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور إن الله تعالى مكن لك في الأرض فأعطاك منها ما لم يعط أحداً من خلقه وأعطاك منها ما لم يوطئ لأحد من خلقه فلم تشبع وآتيت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطاه إنس ولا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور ابن آدم لا يشبع أبداً حتى يحشى عليه التراب ولا يملأ جوفه إلا التراب . فبكى ذو القرنين ، ثم قال صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل لا جرم لا طلبت أثراً في البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت .

ثم إنه انصرف راجعاً حتى إذا كان في وسط الظلمة وطيء الوادى الذى فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر واديعم ما هذا الذى تحتنا أيها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فإن من أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيئاً ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروا إذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال : قال رسول الله ﷺ «رحم الله أخى ذا القرنين لو ظفر بوادى الزبرجد فى مبدأ أمره ما ترك منه شيئاً حتى كان يخرج به إلى الناس لأنه كان راغباً فى الدنيا ولسكنه ظفر وهو زاهد فى الدنيا لا حاجة له فيها . ثم أنه رجع إلى العراق ومالك ملوك الطوائف كلهم ومات فى طريقه قبل وصوله إلى شهر وقال على بن أبى طالت كرم الله وجهه إنه رجع إلى دومة الجندل وكانت منزله فاقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل داراً فى أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل إلى أمه بالاسكندرية

ودفن هناك ؛ قالوا فلما مات الإسكندر عرض الملك على ابنه إسكندروس من بعده فأنى واختار الذسك والعبادة فلسكت اليونانية عليهم فيما قبل بطليموس بن لوسوع وكان ملكة ثمانية وثلاثين سنة ؛ وكانت المملكة في حياة الإسكندرو بعد وفاته إلى أن تحول الملك والمضاض واليونانية ولبنى إسرائيل بيت المقدس ونواحيه الديانة والرياسة على غير وجه الملك إلى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطاردهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام .

(مجلس في قصة زكريا ولبنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام)
وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن إسحق وغيره من أهل الأخبار عبرت بنى إسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم يزلوا يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل ؛ ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون كما قال الله تعالى (حتى كان ممن بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام) .
(نسب زكريا عليه السلام)

هو زكريا بن يحيى بن يوحنا بن آدن بن مسلم بن صدوق بن بحسان بن داود ابن سليمان بن مسلم بن ضديقة بن ناخور بن سلوم بن شفا ساط بن أبيا بن رحيم ابن سليمان بن داود عليه السلام .

(باب في ذكر مولد مريم عليهما السلام وخبر تحريرها)
قال الله تعالى (إذ قالت امرأة عمران ربى لى نذرت لك مافى بطنى محرراً) الآيات ، وقال المفسرون هى حنة بنت فاقوذ جدّة عيسى عليه السلام وعمران .
قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبى موسى إذ بينهما ألف وثمانمائة سنة ، وكانت بنو ماثان روس بنى إسرائيل وأخبارهم وملوكهم .
وقال ابن إسحق هو عمران بن ساهم بن أمور بن ميثان بن حزقيل بن أحر يف ابن يؤم بن عزازيل بن امصيا بن تاوس بن نوثا بن بارخ بن يهو شافاظ بن أبيا ابن رحيم بن سليمان بن داود عليه السلام ؛ وكانت القصة فى ذلك أن زكريا

ابن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين إحداهما عند زكريا يوحنا وهي
إيشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الأخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم
وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى آيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمون
فبينما هي في ظل شجرة إذا نظرت طائراً يطعم فرخاً فتهجرت عند ذلك شهوتها للكالد
ودعت الله تعالى أن يهب لها ولداً وقالت اللهم لك على إن رزقتني أن أتصدق به
على بيت المقدس فيكون من سديته وخدمته نذراً وشكراً فعملت بمريم عليها السلام
فحرت مافي بطنها ولم تعلم ما هو فقالت (رب إنى نذرت مافي بطنى محرراً) أى
عتيقاً من الدنيا وأشغالها خالصاً لله تعالى وخادماً لبيتك المقدس حبساً عليه مفرجاً
لعبادة الله وخدمته فتقبل مني السكائن إنك أنت السميع العليم .

قالوا وكان المحرر إذا حرر وتذر جعل المحرر والمنذور في الكنيسة يقوم عليها
ويكفها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فإذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن
يذهب حيث شاء ، وإن أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون
مخروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بنى إسرائيل وعلمائهم إلا من في نسله تحرر
لبيت المقدس ولم يكن محرراً إلا الأغلمان . وكانت الجارية لا تكف ذلك ولا تصالح
لما يصيبها من الحيض والأذى فحرت أم مريم مافي بطنها فلما فعلت ذلك قال لها
زوجها عمران : ويحك ما صنعت ؟ أرأيت إن كان مافي بطنك أنثى والأنثى عورة
لا تصالح لذلك فوقع جميعاً في هم من ذلك فملك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها
لأذى جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاماً اعتذاراً إلى الله تعالى ورب
لأنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى ، أى في خدمة الكنيسة
والعبادة فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والأذى ولأنى سميتها مريم
وهي بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها .
أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ وحسبك
من نساء العالمين أربع : مريم ابنة عمران وآسيا امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد ﷺ ولأنى أعينها ، أى أجبرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان

(م ٢٧ - قصص الأنبياء)

الرجيم ، أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده وأخبرنا أبو سهيل وأحمد بن محمد بن هرون بإسناده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : ما من مولود إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم ولابنها ، ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم ، ولاني أعينها وذريتها من الشيطان الرجيم .

وأخبرنا شعيب بن محمد بإسناده عن قتادة قال : كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابتهما الطائفة الحجاب ولم ينفذ إليهما منه شيء قال : وذكر أنهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى د فتقبلها ربها بقبول حسن ، الهاء راجعة إلى النذيرة أي فتقبل الله النذيرة أي مريم من حنة د وأنبتها نباتاً حسناً ، يعني سرى خالقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في المدة اليسيرة كما ينبت المولود في المدة الطويلة وقال ابن جريج . وأنبتها ربها في غداها ورقها نباتاً حسناً حتى نمت امرأة بالغة .

قالوا فلما ولدت مريم أخذتها أمها حنة فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم يومئذ ثلاثون في بيت المقدس كما يلي الحجة أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بذت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها منكم لأن عندي خالتيها فقالت له الأحبار لا نفعل ذلك فإنها لو تركت لأحق الناس وأقربهم إليها لتركت لأما التي ولدتها . والكنة نقترع عليها فتكون عند من يخرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكأوا تسعة عشر رجلاً إلا نهر جار . قال السدي هو نهر الأردن فالتقوا أي سهامهم وقيل أقلامهم ورسبت في الماء قال ابن إسحق وجماعة وقال السدي . بل ثبت قلم زكريا فوق الماء وكأنه في طين وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا عليه السلام . وكان رأس الأحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى (وكفلها زكريا) ضمها إلى نفسه وقام بأمرها وقال ابن إسحق . فلما كفلها زكريا ضمها إلى خالتيها أم يحيى واسترضع لها حتى نشأت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محراباً أي غرفة في المسجد وجعل بابها إلى وسطها لا يرقى إليها إلا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها في كل يوم . وكان زكريا عليه السلام إذ

خرج أغلق عليها بابها فإذا دخل عليها غرقتها وجد عندها رزقاً أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها : أنى لك هذا ، فتقول هو من عند الله من قطف الجنة . قال الحسن يجد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا ؟ فتقول من عند الله . قال الحسن . وكانت وهي صغيرة يأتيها رزقها .

وقال محمد بن إسحق ثم أصابت بنى إسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج إلى بنى إسرائيل وقال يا بنى إسرائيل تعلمون والله إنى لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأياكم يكفلها بعدى ؟ فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجلد ما ترى فتدافعوا بينهم ثم لا يجدون من يحملها فتقارعوا عليها بالأقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بنى إسرائيل يقال له يوسف ابن يعقوب بن مائان وكان ابن عم مريم لحملها . قال فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فإن الله سيرزقنا ؛ فحمل يوسف إليها مما رزقه الله فيأتيها الله كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها وهي في الكنيسة أنماه الله تعالى وكثره فدخل إليها زكريا فبرى عندها فضلاً من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها (يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت أحد منهن شيئاً فأتى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنية هل عندك شيء آكل فإني جائع ، فقالت لا والله بأبي أنت وأمي . فلما خرج رسول الله ﷺ من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم فأخذته منها ووضعته في جفنة وغطت عليه وقالت لا وثرن بها رسول الله ﷺ على نفسه ومن عندي وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبة من طعام فبعثت حسناً وحسيناً إلى جدتهما رسول الله ﷺ فرجع إليهما فقالت بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد أتانا الله بشيء نخباته لك فهلأى به فأتى به فكشف عن

الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلما نظرت بهتت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه ، فقال عليه الصلاة والسلام من أين لك هذا يا بنية (قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) لحمد الله رسول الله ﷺ وقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بنى إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله رزقاً حسناً فسميت عنه (قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فبعث رسول الله ﷺ إلى علي رضي الله عنه فأنى فأكل الرسول وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي ﷺ ورضي الله عنهم جميعاً حتى شبعوا وبقيت الجفنة كما هي قالت فاطمة رضي الله عنها وأوسعت منها على جميع جيرانى وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً ، وكان أصل الجفنة رغيفين وبضعة والياق بركة من الله تعالى

(باب في مولد يحيى بن زكريا عليه السلام)

قال الله تعالى (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة لئنك سميع الدعاء) قالت العلماء بأخبار الأنبياء لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم الفاكهة في غير حينها قال إن الله الذى قدر على أن يؤتى مريم بالفاكهة من غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتى ويهب لى ولداً على السكبر فطمع فى الولد وكان أهل بيته قد انقروا وزكريا قد شاخ وآيس من الولد فهناك أى فعند ذلك دعا زكريا ربه (قال رب هب لى) أى اعطنى (من لدنك ذرية طيبة) نسلاً نقيماً صالحاً رضيعاً (لئنك سميع الدعاء فنادته الملائكة) يعنى جبريل وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول ، فبينما هو فى محرابه عند المذبح قائم يصلى والناس ينتظرون أن يأذن لهم بالدخول إذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ، ففرغ منه فناداه وهو جبريل عليه السلام (يا زكريا إن الله يبدشرك ببهى) واختلفوا لم سمى يحيى .

قال ابن عباس لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه ، وقال قتادة وغيره لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان والعبادة ، وقال الحسن بن الفضل لأن الله تعالى أحياه بالطاعة

حق لم يتخير ولم يهمل بمصيبة ، دليله ما أخبرني به الحسن بن فتحويه بإسناده عن
عكرمة عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ : ما من أحد يلقى الله عز وجل
إلا وقد هم بخطيئة أو عملها إلا يحيي بن زكريا فإنه لم يهمل ولم يعمل .

قال الأستاذ كان شيخنا أبو الفاسم الجنيد يقول سمي بذلك لأنه استشهد والشهداء
أحياء عند ربهم يرزقون ، قال النبي ﷺ (من هو أن الدنيا على الله أن يحيي بن زكريا
قتلته امرأة) قال وسمعت أبا منصور الخشاعي يقول ، قال عمر بن عبد الله القدسي
أوحى الله إلى إبراهيم الخليل عليه السلام أن قل ليسارة وكان اسمها كذلك أني
مخرج منك عبداً لا يهمل بمصيبة اسمي حتى فهمي له من اسمك حرفاً فوهبت أول حرف
من حروف اسمها الياء فصار يحيى وسمي اسمها سارة مصداقاً بكلمة من الله يعني عيسى
عليه السلام فسمي كلمة لأن الله تعالى قال له من غير أب كن فكان فوقه عليه اسم
الكلمة لأنه بها وجد ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه ، وذلك أن أمة كانت حاملة
به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى ، قالت لها أم يحيى يا مريم أحامل أنت ، فقالت
لماذا تقولين هذا ، قالت إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك ذلك تصديقه له
ولا يمانه به ، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى
إلى السماء ومنذ كره ، قال سعيد بن المسيب « وسيداً ، السيد الفقيه العالم . وقال
سعيد بن جبير السيد الذي يطاع ربه عز وجل ، وقال الضحاك السيد الحسن الخلق
وقال عكرمة الذي لا يهمل ، وقال سفيان الذي لا يهمل (وحصوراً) قال ابن
عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل
يعني أنه حصر نفسه عن الشهوات ، وقال ابن المسيب والضحاك هو العنبر الذي
الابامة له ودليل هذا التأويل ما أخبرني به ابن فتحويه بإسناده عن صالح عن
أن هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد
أذنبه يهمله عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيداً حصوراً
وقبياً من الصالحين ثم أوما النبي ﷺ إلى قذاة من الأرض فأخذها قال وكان ذكره
مثل هذه القذاة ، وقال المدني . الحصور الذي لا يدخل في اللحم ولا الباطيل

قالوا . فلما نادى زكريا بالبشارة قال رب أى ياسيدى ، قاله لجبريل هذا قوله أكثر المفسرين وقاله الحسن بن الفضل إنما قال زكريا يا رب لا لجبريل أنى يكونه لى غلام من أين يكون لى ولد وقد بلغتى الكبر وامرأتى عاقرا لقد عقيم قال الحكيم كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة .

وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فأجيب (كذلك يفعل الله ما يشاء) فإن قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أن كان ذلك شكاً فى وحيه أم إنكاراً لقدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الإيمان فكيف الأنبياء فالجواب عند ما قاله عكرمة والسدى أن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان . فقال يا زكريا إن الصوت الذى سمعت ليس من الله وإنما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لأوحاه إليك خفية كما ناديت خفية وكما وصى إليك فى سائر الأمور فقال ذلك دفعاً للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك فى الولد وإنما شك فى كيفيةه والوجه الذى يكون منه الولد فقال أنى يكون لى ولد ، أى كيف يكون لى ولداً تجعلنى وامرأتى شابين أم نزرقة كذا لى كبرنا أم ترزقنى من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك مستخبراً لا منكراً وهذا قول الحسن (قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام) وتقبل بكائيك على عبادتى وطاعتى لو أنه حبس لسانه عن الكلام ولسكنه نهي عنه بدل عليه قوله تعالى (واذكروا ربك كثيراً وسبح بالعمى والإبكار) هذا قول قوم من أهل العلم ، وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مناقشته الملائكة إياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام إلا رمزاً أى إشارة وعلى هذا أكثر المفسرين . قال عطاء ، أراد به صوم ثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزا ، فولد يحيى بن زكريا عليه السلام .

وفى بعض الأخبار أنه لما ولد يحيى رفع إلى السماء فتغذى بأنهار الجنة حتى فطم ثم أنزل إلى أبيه وكان يرضى البيت لنوره وحسن وجهه وجماله .

(باب في صفته وحليته عليه السلام)

قال كعب الأحبار ؛ كان يحيى بن زكريا نبياً حسن الوجه والصورة ابن الجناح قليل الشعر قصير الأصابع طويل الأنف مقرون الحاجبين رفيع الصوت كثير همة قوياً في طاعة الله تعالى ، وقد ساد الناس في عبادة الله وطاعته .

(فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده)

قال الله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكيم صبياً) قيل إن يحيى قال له أتراه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا للعب ، فقال لهم مالم لعب خلقت وقال آخرون إنه نبي صغيراً فكان يعظ الناس ويقف لهم في أعيادهم وجمعهم ويدعوهم إلى الله تعالى ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلاً أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله ثم أسكنهم داراً له ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منهم ما يكفيه ثم يؤدون إليه فضل الربح فدفعوه إلى عدو سيدهم وأمرهم بالصلاة فقال إن مثل المصلى كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فاقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يميناً وشمالاً ولم يتم حاجته فأعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو واشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي إليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق ، وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فإذا أقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل إليه ويستتره .

وأما سيرته فروى عن رسول الله ﷺ أنه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فنظر إلى المجتهدين من الأحبار والرهبان وعليهم مدرع الشعر والصوف وبرانس الصوف وإذا هم قد جرقوا تراقيهم وسلوكوا فيها السلاسل وشدوا بها

إلى سرارى المسجد فلما نظر إلى ذلك أنى أمه فقال يا أماه انسجى لى مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتى آتى إلى بيت المقدس وأعبد الله تعالى مع الأحبار والرهبان ؛ فقالت له أمه حتى يأتى نبي الله زكريا عليه السلام فأوامره فى ذلك فلما دخل زكريا أخبرته بما قال ، فقال له زكريا يا بنى ما يدعوك إلى هذا وإماما أنت صبي صغير فقال له : رأيت من هو صفر منى ذاق الموت قال بنى فقال لأمه انسجى له مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله مع الأحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحسه فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أتبعك على ما قد نحل من جسمك وعزتى وجلالى لو اطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن المسوح .

فبكى يحيى حتى أكل الدمع لحم خديه وبدت للناظرين أضراسه فباغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الأحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى ما يدعوك لها يا بنى إنما سألت ربى أن يهبك لتقربك عيسى ؛ فقالت أنت أمرت بذلك يا أبت ؛ قال ومتى ، قال ألسع القائل إن بين الجنة والنار عقبة كثرود لا يقطعها إلا البهاكون من خشية الله تعالى قال بنى قال فجذ واجتهد وقام فففض مدرعته فأخذته أمه فقالت أأذن لى يا بنى أن أتخذ لك قطعتين من لبد يواريان أضراسك وينشفان دموعك فقال لها شأنك فاتخذت له قطعتى لبد يواريان أضراسه وينشفان دموعه فبكى حتى ابتلنا من دموع عينيه ثم أخذهما فمصرهما فتحدرت الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا إلى ابنه وإلى دموعه فرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إن هذا لى بنى وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين وكان زكريا إذا أراد أن يعظ بنى إسرائيل التفت يمينا وشمالا فإذا رأى يحيى لم يذكرك الجنة ولا نار الجحيم يوما يعظ بنى إسرائيل وأقبل يحيى وقد لف رأسه بهيأة وجلس فى غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فأنشأ يقول حدثنى حبيبي جبريل عن الله عز وجل أن فى جهنم جبلا يقال له السكران فى أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان خلق الغضب الرحمن تبارك وتعالى فى ذلك الوادى جبب قامته مائة عام فى ذلك الجب

تواييت وصناديق من نار وثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال
واغفلناه عن السكران وعن غضب الرحمن .

ثم خرج هائماً على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها
قومي فاطمى يحيى فإنى قد تخوفت أن لا أراه إلا وقد ذلق الموت فقامت وخرجت
بني طلبه فمرت بفتيان من بنى إسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدن . قالت
أطلب وادى يحيى ذكرت النار بين يديه فهم على وجهه فحضت أم يحيى والفتيان
معها حتى مرت براعى غنم فقالت ياراعى هل رأيت شاباً من صفته كذا وكذا
قال لملك تطالبن يحيى بن زكريا قالت نعم دلت وادى ذكرت النار بين يديه فهم
على وجهه فقال تركته الساعة على عقبه ناعماً قدميه فى الماء رافعاً بصره إلى السماء
يقول وعزتك يا مولاي لا أذوق بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلتى منك فاقبلت
أمه فلما رآته دنت منه فاختت برأسه فوضعت بين يديها ونشده بالله أن ينطلق
معها إلى المنزل فانطلق معها إلى المنزل فقالت له هل لك أن تخلع مدرعتك الشعر
وتلبس مدرعتك الصوف فإنه ألين ففعل ثم لأنها طمخت له عدسا فاكل واستوفى
فذهبت به النوم فلم يقم لصلاته فهودى فى منامه يا يحيى أردت دار أخيراً من دارى
وجوراً أخيراً من جوارى فاستيقظ وقام وقال رب أقل عثرى وعزتك لا أستظل
بظل سوى بيت المقدس . ثم قال لأمه ناولينى مدرعة الشعر فقد علمت أنك
ستوردانى للمماليك . فتقدمت إليه أمه ودفعت إليه المدرعة وتعلقت به فقال لها
زكريا يا أم يحيى دعيه فإن وادى قد كشف له عن قناع غفلته . ان ينتفع بالعيش
فقام يحيى فلبس مدرعة ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد
الله منع الاحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم .

(باب فى مقتله عليه السلام)

اختلف العلماء فى سبب قتله فقال كان يحيى عليه السلام فى زمن ملك من ملوك
بنى إسرائيل وكان له امرأة وهى ابنة ملك صيدا وكانت قتالة الانبياء والصالحين
وكانت طاهرة تبرز للناس وكان يحيى يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزى كاشفة

وجعلك ، وكان كثيراً ما يقول لها مكتوب في التوراة إن الزناة يوقفون يوم القيامة
وريحهم أتت من الجحيم فأمرت يحيى فسجن وكان قد حبس رجل من أبناء الملوك
وكان كثيراً ما يختلف اليها بالليل فعلم بها وبه يحيى فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك
فحملت بنتاً لها واستقبلت بها زوجها فقال لها لم فعلت ذلك؟ فقالت وجب لها عليك
حق ، فقال سلى ماشئت . فقالت البنت استوهبت منك أهل الحبس اصنع بهم ماشئت
فطن أبوها أنها ترحمهم وتستروهم فقال أبوها قد فعلت فأمرت أمها بأهل السجن
فمرضوا عليها . فلما مر بها يحيى أمرت به فذبح وأخذت رأسه في طشت ثم حملت
الطشت إلى أبيها بأمر أمها وقالت أيها الملك إنى قد ذبحت لك ذبيحة من أعظم
ما وجدته ولو كان مثله ألف لذبحتهم لك قال وما هو؟ قالت يحيى بن زكريا فقال
هاكت وأهلك أبويك ، فغير الله ما بهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح
البنت وأبويها وسلط عليهم الكلاب حتى أكلتهم .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ، كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
في اثني عشر من الحوار بين يعلمون الناس ؛ قال وكان ممانهم عنه نكاح بنت الأخ
وكان للمسلم بن بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكان له في كل يوم حاجة عنده يقضيها
لها فلما بلغ أمها أنه ينهى عن نكاح بنت الأخ قالت لابنتها إذا دخلت على الملك وسألك
عن حالتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه سألتها عن حاجتها
فقالت حاجتي أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلى غير هذا فقالت ما أسألك إلا
هذا فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا فدعا بطشت فبجعه فيه فنبذت من دمه قطرة
فلم تزل تغلى حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم . فجاءت عجوز من بني إسرائيل
فدلته على ذلك الدم فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً منهم فقط
فيهم بختنصر ليسكن فقتلهم فسكن .

وقال السندى بإسناده : كان ملك بني إسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويدنيه
بجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمراً دونه وإنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له
فسأله عن ذلك يحيى فنأه وقال لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك أمها فخذت على

يحى حين نجاه أن يتزوج ابنتها فعمدت إلى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها
ثياباً رقاقاً حرأً وطيبتها وأرسلتها إلى الملك . وأمرتها أن تسقيه وأن تعرض له
فإذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله . فإذا أعطاهما ذلك سأله
أن يأتيها برأس يحيى بن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجمعت تسقيه وتعرض
له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما سألك
قال وما تسأليني ؟ قالت أن تبعث إلى براس يحيى بن زكريا في هذا الطشت قال
ويحك سليمانى غير هذا . فلما أبت عليه بعث إليه فأتى برأسه والرأس يتكلم حتى
وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك ، فلما أصبح إذا دمه يغلى فأمر بتراب
فألقي عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلى ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة
وهو مع ذلك يغلى وذكر الحديث الطويل الذى فى قصة سنجاريب وبختنصر كما
قدمنا ذكره فى أخبار بختنصر .

قال كعب الاحبار : كان يحيى من أجل الناس وجهاً وأحسنهم فى زمانه حباً
شديداً فأرسلت اليه تراوده عن نفسه فأرسل اليها إنه لا علم له بالنساء والملك
أحق أن يطأ فراشه ، فلما انتهى إليها الرسول غضبت غضباً شديداً وقالت كيف
لى أن أقتله ولا يخبر الناس إني قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا
فأرسلت اليه وهو قائم يصلى فى بيت المقدس فى محراب داود من يضرب عنقه
ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها وبأهلها الأرض عقوبة لها
بقتلها يحيى عليه السلام .

(ذكر مقتل زكريا عليه السلام)

قال كعب الاحبار : فلما سمع زكريا أن ابنته يحيى قتل وخسف بالقوم
انطلق هارباً فى الأرض حتى دخل بستاناً عند بيت المقدس فيه الأشجار فنادته
شجرة يا بني الله إلى ههنا فلما اتاها انفتحت له الشجرة ودخل زكريا فى وسطها
فانطلق إبليس لعنه الله حتى أخذ بطرف رداءه فأخرجه من الشجرة ليصدقه
إذا أخبرهم بوجوده ، فلذلك تصنع اليهود الخيوط فى أطراف أرديتهم .

وقد أخذ الملك وأهله ياتمسون زكريا فاستقبلهم إبليس لعنة الله تعالى فقال لهم ما تاتمسون ؟ قالوا نلتمس زكريا فقال إبليس إنه دخل في هذه الشجرة ، قالوا لا تصدقك قال فإني إن أريتكم علامة تصدقوني بها ؟ قالوا فأرنا إياها فأراهم طرفه ردائه فأخذوا المناشير وضربوا الشجرة فأنشروها فصنن عليهم أخبث أهل الأرض علجاً بجوسياً فانتقم الله من بنى إسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل عظامه بنى إسرائيل وسبى متهم مائة وسبعين ألفاً .

وقيل أن السبب في قتل زكريا أن إبليس جاء إلى مجالس بنى إسرائيل فغذف بمريم زكريا وقال ما أحببها أحد غير زكريا وهو الذي كان يدخل عليها فطلبوها زكريا فهرب واتهمه سفهاؤهم وأشراهم فسلك وادياً كثير الأشجار فتشبه له الشيطان في صورة راع فقال يا زكريا قد أدركوك فادع الله أن يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له ودخل فيها وأخرج إبليس هذب ردائه منها فمرت بنو إسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعي هل رأيت رجلاً ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هذب ردائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فلقين بالمشارطولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه ، وفي الخبر أن الشمس بكت على يحيى أربعين صباحاً وكان بكائها إن طلعت وغربت حمراء ويروى أن يحيى سيد شهداء يوم القيامة وقائدهم إلى الجنة والله أعلم .

(مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به)
قال الله تعالى (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً)
قالت العلماء بأخبار الأنبياء ، لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام .
ومريم يومئذ بذت خمسة عشر سنة وقيل بذت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلاً حليماً نجاراً يتصدق بعمل يديه وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة وكانت مريم إذا نفذ ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق إلى المغارة التي فيها الماء

فبستقيان منه ثم يرجعان إلى الكنيسة ، فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان أطول يوم في السنة وأشد حراً نفذواؤها ، فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فبستقي فقال إن عندي لفضلاً من ماء اكتفى به يومى هذا إلى غد قالت واسكنى والله ما عندي ماء ، فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام وقد مثله بشر أسوياء فقال لها يا مريم إن الله قد بعثنى إليك لأهب لك غلاماً زكياً قالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) أى مؤمناً مطيعاً وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه علمت أن التقى ذو رحمة وخشية وهى تحسبه رجلاً من بنى آدم . قال عكرمة وكان جبريل عرض لها فى صورة رجل شاب أمرده مضى الوجه جمع الشعر سوى الخلق قالت الحكماء إنما أرسله الله تعالى فى صورة البشر لثبوت مريم عليه وتقدير على استماع كلامه ، فلما استعادت منه مريم (قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أن يكون لى غلام ولم يستنى بشر ولم أك بغياً قال كذلك قال ربك هو على هين) الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ فى جيب درعها وكانت قد وضعت عندها ، فلما انصرفت عنها ابست مريم درعها فحملت بعميسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت إلى المسجد .

وقال السدى وعكرمة . أن مريم عليها السلام كانت تكون فى المسجد ما دامت طاهرة فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكاناً شرقياً أى مشرقاً لأنه كان فى الشتاء فى أقصر يوم فى السنة .

قال الحسن إنما اتخذت النصارى المشرق قبلة لأن مريم انقبذت مكاناً شرقياً فاتخذت فضربت من دونهم حجاً بائياً سترأ ، وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هى كذلك فى تلك الحالة إذ عرض لها جبريل وبشرها بعميسى ونفخ فى جيب درعها ؛ قال وهب فلما اشتعلت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكان منطلقين إلى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد

وكان لخدمته فضل عظيم وكان يليان معالجته بأنفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعام
في زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها
يوسف النجار ، فلما رأى الذي بها استعظمه واستفظمه ولم يدرك ماذا يصنع من أمرها
وكلمها أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وإنما لم تغب عنه ساعة واحدة
وإذا أراد أن يبرئها رأى ما ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه
لها ياها إن قال إنه وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبني
ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشنى لصدرى فقالت له قل قولا جميلا قال لها اخبريني
يا مريم هل نبت زرع بغير بذر؟ قالت نعم؛ قال فهل نبتت شجرة بغير غيث؟ قالت نعم
قال فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم
خلقه من غير بذر والبذر إنما يكون من الزرع الذي أنبته من غير بذر ألم تعلم أن
الله تعالى أنبت الشجرة من غير غيث وبالقدره جعل الغيث حياة الشجرة بعد ما خلق
الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر ان ينبت الشجر حتى استعان
بالماء ولولا ذلك لم يقدر على إنبائه قال يوسف لها هذا وليكني أقول ان الله تعالى
يقدر على ما يشاء يقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم
وامراته من غير ذكر ولا انثى قال بلى ، فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي
بها شيء من امر الله وإياه لا يسمعه ان يسألها عنه وذلك لما رأى كثرتها لذلك ثم
تولى يوسف خدمه المسجد وكفاهها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من ورقة جسمها
وأصفرار لونها وكلف وجهها وتو بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على
باب بيت المقدس

وسمعت من الثقات : ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين
السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم
ويوسف هذا وقد أفصح فيها عيسى ودعا الخلق إلى الله تعالى ثم نقل من هذه إلى
القيامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس ويدعون ان عيسى عليه السلام لما قتل
دفن فيها وبعد ثلاثة أيام عرج به إلى السماء فلا ينقطع أبد الدهر منها وإياه ينزل
فيها والله أعلم .

(باب في ذكر ميلاده عليه السلام)

قالوا فلما انزلت مريم ودنا ففاندها أوحى الله تعالى اليها أن مسجداً بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر وورفع ليند كرفيه لاسمه فابرزى إلى موضع تأوين فيه فتحوالت مريم إلى بيت خالتها أخت أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها فالتزمتها ، فقالت امرأة زكريا يا مريم اشعرت لاني حبلتي ؟ قالت مريم وأنت أيضاً اشعرت لاني حبلتي ؟ قالت امرأة زكريا فاني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى (مصدقا بكلمة من الله) فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها إن ولدت بين اعر قومك عيرونك وقذفوك وقتلوك وولدك فاطلمى من عندهم أي فاخرجى - وقال السكبي قيل لابن عمها يوسف إن مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له فاطلق بها يوسف حتى إذا كان قريبا من أرض مصر في منطقة بلاد قومها أدرك مريم النفاس فالجأها إلى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشنا.

قال السكبي لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلاها فأتاه جبريل عليه السلام فقال إنه من روح القدس فلا تقتلها - واختاف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعيش مولود ثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة - قال ابن عباس : ما هو إلا أن حملت ووضعته ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباز إلا ساعة واحدة لأن الله تعالى لم يذكر بينهما فضلا قال الله عز وجل (لحملته فانتبذت م مكانا قصيا) أي بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته أه في ساعة وصور في ساعة واحدة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بذت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما اشتد بها الخاض التجأت إلى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فيحتوشتها الملائكة وكانوا صفوا فاحدقين بها أي محيطين بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الأمر (ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا)

أى جيفة ملقاة فنوديت أن لا تحزننى قد جعل ربك تحتك سرياً وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً - فذلك قوله تعالى (فناداها من تحتها أن لا تحزننى) من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها وكلها بإذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهراً من ماء عذب بارد إذا شربت منه وفاترا إذا استعملته فذلك قوله تعالى (قد جعل ربك تحتك سرياً) وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الأرض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يدها فتدلت غصونها وأورقت وأثمرت وأطابت وقيل لها هزى إليك بجذع النخلة أى حركيه تساقط عليك رطباً جنياً غضا طرياً (قال الربيع بن خيثم ماله نفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدري للمرأة إذا عسرت عليها ولادتها خيراً من الرطب وقرأ هذه الآية - قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ يعضخ التمر ويحكك به أولاد الصحابة حين يولدون - وقال بعض البلغاء فى وصف التمر علة الصغير ونملة الكبير قالوا ثم إن يوسف النجار عمده إلى حطب فجعله كالخظيرة حوالىها بالقرب منها إذ قد أضر بها الرد ثم أشعل لها نارا لتصلطى بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت فى خرجه فأطعمهم إياها فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز. قال وهب : فلما ولد عليه السلام أصبحت الأصنام كلها بكل أرض منكوسة على رءوسها ففرغت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاءوا إلى إبليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له فى لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فأتوه وقد نخلت سمّت ساعات من النهار فلما رأى إبليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعاً منذ فرقهم قبل تلك الساعة وإنما كان يراهم أشتاتاً فسالهم فأنخروه أنه حدث فى الأرض حدث فأصبحت كالأصنام كلها منكوسة على رؤوسها ولم يكن شئ أهون على هالك بنى آدم منها إلا أنهم كانوا يدخلون فى أجوافهم فتكلمهم وتدير امرهم فيظنون أنها هى التى تكلمهم - فلما أصابها هذا الحدث صفرها فى أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا : واعلم أنا لم نأتك حتى أحصينا

والارض وقلبنا البحار وكل شيء فلم تزد بما أردنا إلا جهلا فقال لهم إبليس فما يكون إلا أمر عظيم فيكونوا مكانكم فطار إبليس عند ذلك وابث عنهم ثلاث ساعات ثم فيمن بالمكان الذي ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم أن ذلك الحدث فيه فأراد إبليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه ، قال فإذا رءوس الملائكة ومنا كبهم إلى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض فإذا أقوام الملائكة راسيه فأراد أن يدخل من بينهم فنعوه من ذلك يدل عليه حديث النبي ﷺ و كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد إلا عيسى بن مريم عليه السلام حجبته الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن في الحجاب ، .

قال وذهب فذهب إبليس لعنه الله إلى أصحابه فقال لهم : ما جئتم حتى أحصيت الأرض كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها والخافقين والجو الأعلى وكل هذا بلغت في ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتهت قبله رحم أنشئ على والد إلا بعلي ولا وضعت إلا وأنا حاضرها ، ولاني لأرجو أن يضل به أكثر ممن يهتدى به ، وما كان نبي الله أشد على وعليكم من هذا المولود ؛ ثم أنه خرج قوم في تلك الليلة يؤمنونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون أنه مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فروا بملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون ؟ فأخبروه بذلك ، قال فما بالمر والذهب واللبان أهديتموه بهذه الأشياء ؟ قالوا تلك أمثاله لأن الذهب سيد المناع كله ؛ وكذلك هذا النبي ﷺ سيد أهل زمانه ولأن المر يجبر به المكسر والجرح وكذلك هذا النبي ﷺ يشفي به كل سقيم ومريض ولأن اللبان دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره ؛ وكذلك هذا النبي ﷺ يرفعه الله إلى السماء ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك أخذ الملك يحدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فإذا علمتم بمكانه أعلموني بذلك فإنني راغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره فاطلقوا حتى قدموا على مريم ودفنوا ما كان معهم من الهدية إليها عليها السلام وأرادوا أن يرجعوا إلى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فالتقيهم ملك وقال لهم

لا ترجعوا إليه ولا تعلموه بمكانه فإنه إنساً أراد قتله فانصرفوا في طريق آخر .
وقال بجاهد قالت مريم عليها السلام كنت إذا خلوت مع عيسى عليه السلام
حدثني وحده أنه فإذا شغلني عنه إنسان سبح في بطني وأنا أسمع والله أعلم .
(باب في رجوع مريم بإبنها عيسى بعد ولادتها إياه)

(إلى جماعة قومها من بيت لحم)

قال ثم أن جماعة من قومها لما هيا الله تعالى لامة مريم عليها السلام أمرها
ويسر الله لها أسباب ولادتها ، قال كلّي يا مريم من الرطب واشربي من الماء العذب
وقري عينا وطبي نفساً فيما ترين من البشر أحداً فسألك عن ولدك أو لأمك
عليه فقولي (إن نذرت للرحن صوماً) أي صمتاً ؛ وكذلك هو في قراءة ابن
مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا إذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب
والكلام فلن أكرم اليوم إنسياً فأنت به قومها تحمله ، قال الكلبي احتمل يوسف
النجار مريم وعيسى إلى غار فأدخلهما فيه أربعين يوماً حتى تعالت من نفاسها
ثم جاء بها فأنت مريم تحمله بعد أربعين يوماً فكلمها عيسى في الطريق فقال
يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا
وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا (يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) فظيماً
عظيماً (يا أخت هرون) قال قتادة كان هرون رجلاً صالحاً من أغنياء بني إسرائيل
وليس بهرون أخى موسى وذكر أنه أتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً من
بني إسرائيل كلهم يسمون هرون وقال وهب : كان هرون من أفسق بني إسرائيل
وأظهرهم فساداً فشيبهوها به (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء وما كانت أمك
بغياً) أي زانية فمن أين لك هذا الولد ؟ فأشارت لهم مرتين إلى عيسى أن كلموه
فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيّاً ؟ قال وهب : فأتاها زكريا عليه
السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت أمرت بها ؛ فقال
عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوماً (إني عبد الله آتاني الكتاب) الآية
فأقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيباً للنصارى وإلزاماً للحجة عليهم قال عمرو
ابن ميمونة إن مريم لما أنت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرجوها فلم
تكلم عيسى تركوها قالوا لم تتكلم بشيء بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

(باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام إلى مصر)

قال الله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) قالوا كان مولد عيسى بعد مضي اثنتين وأربعين سنة من مولد أغسطس ولاحدى وخمسون سنة مضت من الأشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس ، فلما عرف هردوس ملك بني إسرائيل سخر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا إلى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث الله ملكاً إلى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره أن يهرب بالغلام وأمه إلى مصر ، وأوحى الله إلى مريم أن الحق بمصر فإن هردوس إذا ظفر بابنك قتله فإذا مات هردوس فارجمي إلى بلادك فاحتمل يوسف مريم ولابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهي الربوة التي قال الله تعالى (وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) .

وذكر أبو إسحق الشعلبي في التفسير (ذات قرار ومعين) قال عبد الله بن سلام هي دمشق ، وقال أبو هريرة هي الرملة ، وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس ، وقال كعب هي أقرب الأرض إلى السماء ، وقال أبو زيد هي مصر ، وقال الضحاك هي عرصة دمشق ، وقال أبو العالية هي إيلياء ، وقال القزاز الأرض المستوية ، والمعين الماء الطاهر فأقامت مريم بمصر اثنتي عشرة سنة تغزل الكتان وتلثقط السنبل في أثر الحصادين ، وكانت تلثقط السنبل والمهد في منكبيها والوعاء الذي فيه السنبل في أثر منكبيها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة .

وروى عن محمد بن الباقر رضى الله عنه أنه قال : لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاء إلى الكتاب وأفعدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب : قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال عيسى فقال المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدري ما أبجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال له يا مؤدب لم تضربني إن كنت لا تدري فاسألني حتى أفسر

لك فقال له المؤدب فسر لي ، فقال الآلف لا إله إلا الله والباء بهجته الله والجيم جلال الله والذال دين الله ، هوز : الهاء هي جهنم وهي الهاوية والواو ويل لأهل النار ، والزاي زفير أهل جهنم ، حطى : حطت الخطايا عن المستغفرين ، ككن : كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته ، سغفص : صاع بصاع والجزاء بالجزاء . قرشت : أقرشهم حين تحشرهم أي تجمعهم : فقال المؤدب لأمه : أيتها المرأة خذي ابنك فقد علم ولا حاجة به إلى المؤدب .

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين المفسر بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن عيسى أرسلته أمه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى وما باسم الله ، قال المعلم ما أدري ؟ قال عيسى الباء بهاء والسين سناء الله والميم مملكة جل وعلا ، والله أعلم .

(باب في صفة عيسى وحليته عليه السلام)

قال كعب الأحبار : كان عيسى بن مريم رجلاً أحمر مائلاً إلى البياض ما هو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط ، وكان عيسى يمشي حافياً ولم يتخذ بيتاً ولا حليقة ولا متاعاً ولا ثياباً ولا رزقاً إلا قوت يومه ، وكان حينما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرئ الأكمة والابرص ويحيي الموتى بإذن الله ويخبر قومه بما يأكلون في بيوتهم ، وما يدخرون لغد ، وكان يمشي على وجه الماء في البحر ، وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهداً في الدنيا راغباً فيها حريصاً على عبادة الله ، وكان سياحاً في الأرض حتى طلبته اليهود ، وأرادوا قتله فرفعه الله إلى السماء والله أعلم

(باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام)

(في صباه إلى أن نبى)

قال وهب : كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر أنزلها يوسف النجار حين ذهب بها إلى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تسمى إليم المساكين فسرق الدهقان مال من خزائمه فلم يهتم المساكين لخزائمه مريم لمصيبة ذلك الدهقان ، فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتخفين أن أدله على ماله ؟ قالت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع لي المساكين في داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد إلى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الأعمى وقال له قم به فقال الأعمى أنا أضعف عن ذلك ، فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الأعمى حتى قام فلما استقل قائماً هوى المقعد إلى ركوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتال على مالك البارحة لأن الأعمى استعان بقوته والمقعد بعينه فقال الأعمى صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان ووضع في خزائمه وقال يا مريم خذي نصفه فقالت إنى لم أخلق لذلك ، قال الدهقان فأعطيه لإبنك ، قالت هو أعظم منى شأناً ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فوضع عيسى يده على أفواهها وهو يمشى فكما وضع يده على جرة امتلأت شراباً حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة .

آية أخرى : قال السدي كان عيسى عليه السلام إذا كان في الكتاب يحدث الصبيان بما صنع آباؤهم ويقول للطلاب انما فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي إلى أهله يبكي لهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا ؟ فيقول عيسى فخبسوا عن صبيانهم وقالوا لا تلعنوا مع هذا الساحر ، فجمعهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا له ليسوا هنا فقال لهم فإني

هذا البيت ؟ قالوا خنازين قال كذلك يكون ففتح عنهم فإذا هم خنازين ففشا ذلك في الناس فمات بنو إسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة إلى مصر آية أخرى . قال السدي : لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسبحان في الأرض إذ تركا بنو إسرائيل ونزلا في قرية على رجل فأضافهما وأحسن إليهما وكان ملك بذلك الوقت جباراً عنيداً فجاء ذلك الرجل يوماً مهتماً حزيناً فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه حزيناً ؟ فقالت لها لا تسأليني ، فقالت أخبريني لعل الله يفرج كربته على يدي ؟ فقالت : أن لنا ملكاً يجعل على كل هذا قوبة يطعمه ويسقيه الخمر هو وجنوده فإن لم يفعل طاقبه واليوم يومنا وليس عندنا سعة قالت فقولي له لا يتم بشيء فإنه قد أحسن إلينا وإني آمرة بني أن يدعوه فيمكنني ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال إن فعلت ذلك يقع شر قالت فلا تبالي لأنه أحسن إلينا وأكرمنا ، قال عيسى فقولي له إذا اقترب ذلك فاملا قدورك وخوابيك ماء سم أعطني ففعل ذلك ، فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحماً ومرقاً ، وماء الخوابي خمرأ لم ير الناس مثله قط ، فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر ؟ فقال له من أرض كذا وكذا قال الملك فإن خمرى قد أتى بها من تلك الأرض وليست مثل هذه فقال له من أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبهه عليه قال أخبروني عن الخمر ، قال فأنا أخبرك ؟ عندي غلام ما سأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه وإنه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرأ ، وكان للملك ابن يريد أن يستخافه فمات قبل ذلك بأيام ، وكان أحب الخلق إليه ، فقال الملك رجلاً دعا الله حتى جعل الماء خمرأ ليستجاب له حتى يحكى لابني فدعا عيسى وكلبه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل لأنه إن دعا وقع شر فقال الملك لا أبالي بهد أن أراه فقال له عيسى إن أحبيته تتركوني أنا وأمي فذهب حيث يشاء ؟ قال نعم فدعا الله تعالى فعاث الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى إذا دنا موته يريد أن يستخاف ابنه علينا فأكلا كما أكلنا أبوه فاقتلوا وذهب أبوه فاقتلوا ، وذهب عيسى وأمه .

آية أخرى ، قال وهب : بينما عيسى يلعب مع الصبيان إذ وثب غلام وصبي فوقه برجله فقتله فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطخ بالدم فأطاع الناس عليه فاتهموه

به وأخذوه وأنطلقوا به إلى قاضي مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال عيسى لا أدري من قتله وما أنا بصاحبه فأرادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم ائتوني بالغلाम فقالوا له ماذا تريد منه ؟ قال أريد أن أسأله من قتله قالوا وكيف يكسك وهو ميت ؟ فأخذوه وأثوا به إلى مقتل الغلام فأقبل عيسى على الدعاة فأحياء الله تعالى فقال عيسى من قتلك ؟ قال قتلني فلان على الذي قتله فقال بنو إسرائيل من هذا ؟ قال عيسى بن مريم . قالوا فمن هذا الذي معه . قالوا قاضي بني إسرائيل ثم مات للغلام من سماعته فرجع عيسى إلى أمه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له أمه يا بني ألم أنك عن هذا فقال لها إن الله حافظها وهو أرحم الراحمين .

آية أخرى ، قال عطاء : سالت مريم عيسى بعد ما أخرجته من الكتاب إلى أعمال شقي فكان آخر ما دفعته إلى الصباغين فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات تعرض للرجل سفر فقال لعيسى إنك قد فعلت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع إلى عشرة أيام . وهذه ثياب مختلفات الألوان وقد علمت كل واحدة منها على اللون الذي يصبغ به فأحب أن تكون فارغاً منها وقتي قدومي ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جباً واحداً على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها كوني بإذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ وجدها كلها في جب واحد فقال يا عيسى ما فعلت ؟ قال فرغت منها قال أين هي ؟ قال في الجب فقال نعم قال كيف تكون كلها في جب واحد ؟ لقد أفسدت تلك الثياب ، قال قم فانظر فقام فأخرج عيسى ثوباً أصفر وثوباً أخضر وثوباً أحمر إلى أن أخرجهما على الألوان التي أرادهما فجعل الصباغ يتعجب وعلم أن ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ انظروا إلى ما فعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون والله عز وجل أعلم .

(باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام)

(إلى بلادهما بعد موت هردوس)

تقال وهب : لما مات هردوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى إلى مريم يخبرها بموت هردوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار إلى الشام فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكن في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى ، وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تم له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى إليه أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله ويضرب لهم الأمثال ويداوى المرضى والزمنى والعلميان والنجارين ويقمع الشياطين ويذجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما أمره به فأحبه الناس ومالوا إليه واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفاً فمن أطاق منهم أن يمشى إليه مشى إليه ومن لم يطق وصل إليه عيسى عليه السلام وإنما كان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان ، ودعاؤه الذي كان يشفى به المرضى ويحيي به الموتى (اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكيم من في السموات وحكيم من في الأرض لا حكيم فيهما غيرك قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء أسألك بأسمائك السكراة لك على كل شيء قدير)

(باب في قصة الحواريون عليهم السلام)

قال الله تعالى (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد أنا مسلمون) وقال الله عز وجل (وإذا أوحيت إلى الحواريين أي ألهمتهم ووفقتهم (أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون) أعلم بأن الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياؤه وأرضياؤه وأنصاره ووزرائه وكانوا اثني عشر رجلاً وأسماءهم : شمعون الصمار المسمى بطرس وأندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه

وفيلبس وبز تولوماس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا وليسا الذي يلقب
تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاسخريوطي عليهم السلام .

واختلف العلماء فيهم لما سموا بذلك ، قال ابن عباس ، كانوا صيادين يصطادون
السمك فربهم عيسى فقال لهم ما تصنعون ؟ فقالوا نصطاد السمك قال لهم ألا تمشون
معي حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك ، قالوا تدعو إلى الله قالوا ومن أنت ؟
قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الأنبياء قوقك ؟
قال نعم النبي العربي ، فأتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه .

وقال السدي : كانوا ملاحين ، وقال ابن أرتاة كانوا قصارين وسموا بذلك
لأنهم كانوا يحورون الثياب أي يبيضونها .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا
عيسى فكانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الأرض سهلا كان
أو جبلا فيخرج لكل إنسان رغيفا فياكلهما ، وإذا عطشوا قالوا يا روح الله
عطشنا فيضرب الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون ، فقالوا يا روح
الله من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا وإذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك ؟
قال أفضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه .

قالوا فصاروا يعملون الثياب بالكرام ، قال ابن عون صنع ملك من الملوك
طعاما فدعا الناس إليه ، وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له
الملك من أنت ؟ فقال أنا عيسى بن مريم ، قال الملك إنني أترك ملكي واتبعتك
فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون ، وقيل هو الصباغ وأصحابه انتهت القصعة
قال الضحاك : سموا حواريين لصفاء قلوبهم ، وقال عبد الله المبارك : سموا
حواريين لأنهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها ،
وأصل الحور عند العرب شدة البياض ، ومنه الأحور والحور ، وقال الحسن :
الحواريون الأنصار ، وقال قتادة : هم الذين تصالح لهم الخلافة ، وقال النضر بن
شميل : الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما يتوهم .

ومنه قول النبي ﷺ: لكل نبي حوارى وحوارى الزبير، فهؤلاء حوارى عيسى بن مريم عليه السلام، فأما حوارى هذه الأمة، فأخبرنا الحسين بن محمد الدينورى بإسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال: أن الحواريون كلهم من قریش، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وحزرة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مطعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطليحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين.

(ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التى ظهرت على يديه)
(وبعد مبعثه إلى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه)

منها: تأييد الله إياه بروح القدس، قال عز من قائل (وأيدناه بروح القدس) ونظيرها سورة المائدة (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس) .

واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذى نسخ فيه الروح أضافه سبحانه إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى: روح منه، فنفسنا فيه من روحنا، قال آخرون، أراد بالقدس الطهارة أى الروح الطاهرة، وسمى عيسى عليه السلام روحاً لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم لا تشمل عليه أرحام الطوامث إنما كان أمراً من الله تعالى .

قال السدى وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار إلى أن صعد به إلى السماء وقال سعيد بن جبير وعقيد بن عمر هو اسم الله الأعظم وبه كان يحيى الموتى ويرى الناس تلك المعجائب، ومنها تعليم الله إياه الإنجيل والتوراة، وكان يقرأهما من حفظه كما قال الله تعالى (وإذا علمت الكتاب) أى الخط، قيل الخط عشرة أجزاء فقسمة منها لعيسى والحكمة والتوراة والإنجيل .

ومنها خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبراً عنه (إنا جئكم بآية من ربكم أنخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله) وقال تعالى (وإذا تخلق من الطين كهيئة الطير بإذننى) فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ

فيه فيكون طيراً بإذن الله ولم يخلق غير الخفاش وإنما خص بالخفاش لأنه أكل الطير خلقاً فيكون أبلغ في القدرة لأن له تدبياً وأسناناً ويبيض ويطيير .

قال وهب ؛ كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عنهم سقط ميتاً ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن السكّال لله عز وجل .

ومنها إبراء الأكمة والابرص قال الله (وتبرئ الأكمة والابرص بإذني) والابرص الذي به وضوح والأكمة الذي ولد أعمى ولم ير ضوءاً قط ولم يكن في الإسلام أكمة غير قتادة وإنما خص هذين لأنهما أعياياً الأطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك .

ويروى أن عيسى عليه السلام مر بدبر فيه عميان فقال ما هؤلاء ؟ فتبيل هؤلاء قوم طلبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم فقال مادعاكم إلى هذا ؟ قالوا خفنا فاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى فقال أنتم العلماء والحكماء والأحبار والأفاضل امسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا باسم الله ففعلوا ذلك فإذا هم جميعاً قيام ينظرون .

ومنها إحياء الموتى بإذن الله تعالى . وإذا تخرج الموتى بإذني . وأحياء منهم أمواتاً منهم العاذر وكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك العاذر يموت فإنه وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لأخته اطلقي بنا إلى قبره فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى ؛ اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرتهم أني أحيي الموتى بإذنك فأحيي العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقي وولد له .

ومنها ابن العجوز ، وكانت القصة فيه أن عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال أن في هذه المدينة لمنزلة يذهب يستخرجها لنا فقالوا يا روح الله لا تدخل هذه القرية أحد غريب إلا قتله فقال لهم عيسى مكانكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز ؛ أما ترضى أن أدعك لأذهب بك إلى الوالي حتى تقول أطعموني فبهينا عيسى بالباب إذ أقبل الفقي ابن العجوز فقال له عيسى أضفني ليلتك هذه فقال له الفقي مثل مقالة

العجوز فقال له عيسى أما إنك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى ؛
 إما أن تكون مجنوناً وإما أن تكون عيسى بن مريم ؟ فقال أنا عيسى فأضافه وبات
 عنده فلما أصبح قال له أعد وادخل على الملك وقل له جئت وأخطب إنك فإنه
 سيأمر بضربك وإخراجك فمضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت إليك لأخطب
 إنك فأمر بضربه وأخرج فرجع الفتى إلى عيسى فأخبره بالخبر فقال إن كان غداً
 يذهب إليّ وأخطب إنك فإنه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضربه
 دون ذلك الضرب الأول فرجع إلى عيسى فأخبره فقال ارجع إليّ فإنه سوف يقول
 لك أنا أزوجك إياها على حكى وحكى قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب
 وفضة وزبرجد فقال له افعل ذلك فإذا بعث معك أحد فأخرج به فإنك سوف تجده
 فلا تحدث فيه شيئاً ثم إنه دخل على الملك فخطب فقال تصدقوا بحكى فقال وما حكى ؟
 فحكم بالذى سماه عيسى فقال نعم رضيت أبعث من يقبض ذلك فبعث معه رجلاً فسلم
 إليهم ما سأله الملك فتعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت
 على مثل هذه الحالة فقال له عيسى إنى آثرت ما يبقى على ما يقضى فقال الفتى أنا أيضاً
 أدعه وأصحبك فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به إلى أصحابه
 وقال لهم هذا المكّن الذى قلت لكم فمكّن معه ابن العجوز إلى أن مات ومعه وهو
 مضى على سريرته فدعا الله عيسى فجلس على سريرته ونزل من أعلى أعناق الرجال
 ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبقي وولد له .

ومنها ابنة العشار رجل كان يأخذ المشر ؛ قال له أتحييها وقد ماتت بالأمس
 فدعا الله عز وجل فماتت وبقيت وولد لها .

ومنها سام بن نوح قال له الخواريون وهو يصف لهم سفينة نوح ؛ لو بعثت
 لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبة من تراب
 وقال هذا قبر سام بن نوح إن شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الأعظم
 وضرب التل بعصاه وقال احي يا ذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب
 نصف رأسه فقال أو قد قامت القيامة ؛ قال لا ولكنى دعوتك باسم الله الأعظم
 فقال ولم يكونوا يشعرون فى ذلك الزمان . وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب

ثم أخبرهم بخبر السفينة وقال له عيسى مت قال بشرط أن يعيذني الله من سكرات
الموت فدعا الله عيسى ففعل ذلك ، وقد ذكر هذا الخبر في قصة نوح عليه السلام
ومنها عزيز عليه السلام ، قالوا لعيسى عليه السلام أحياه وإلا أحرقتك بالنار .
وجمعوا حطباً كثيراً من حطب الكرم وكانوا في ذلك الوقت يدفنون موتاهم في
صناديق من حجاره مطبقة فوجدوا قبر عزيز مكتوباً على ظهره اسمه فمالجوه ليفتحوه
فلم يقدرُوا أن يخرجوه من قبره فرجعوا إلى عيسى فأخبره فناولهم إناج فيه ماء وقال
لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به إلى عيسى وهو في أكفائه
والأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ثم أنه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده
الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احى يا عزيز بإذن الله تعالى فإذا هو جالس وكل ذلك
تراه أعينهم فقالوا يا عزيز ما تشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد أنه عبد الله
ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك يبقيه لنا ليكون بين أظهرنا حياً فقال عيسى
رددوه إلى قبره فردوه إلى قبره فعاد ميتاً فأمن بعيسى بن مريم من آمن وعانده من عانده
قال الكلبي كان عيسى يحيى الموتى يياحى يا قيوم؛ ومنها إخباره عليه السلام عن الغيوب
فقال الله عز وجل إخباراً عنه (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) .
قال الكلبي لما أبرأ عيسى الأكمة والابرص وأحيا الموتى قالوا هذا ساحر وليكن
أخبرنا بما نأكل وبما ندخر فمكن يخبر الرجل بما يأكل في غذائه وبما يأكل في عشائه
ومنها مشيه عليه السلام على الماء ، ويروى أنه خرج في بعض سياحته ومعه
رجل من أصحابه قصير وكثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى إلى البحر قال بسم
الله بصحة ويقين فشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فشى
على وجه الماء فدخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشى على الماء وأنا أمشى
على الماء قال فانغمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال
له ما قلت يا قصير فأخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في
غير الموضع الذى وضعتك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله بما قلت فتاب
الرجل وعاد إلى مرتبة التى وضعه الله فيها فأتوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً .

وجدتني الإمام أبو منصور الخشاعي بإسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال (لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل وما يبلغ ذلك أحد قط قال ولأنتم يا رسول الله قال ولأننا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى بن مريم مشى على الماء ؟ قال نعم ولو ازداد خوفاً و يقيناً لما شى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر ، فقال إن الله تعالى أبلغ شأننا من أن يبلغ أحد شأنه (ذكر حديث جامع هذا الباب)

قال وهب ؛ خرج عيسى عليه السلام يسبح في الأرض فصاحبه يهودى وكان مع ذلك اليهودى رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركنى في طعامك قال اليهودى نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم فقام عيسى إلى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيف فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر ؟ فقال ما كان إلا رغيف واحد فأكل عيسى رغيفاً وصاحبه رغيفاً ثم انطلقا فجاءا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له أرأيت إن أنا عاجلتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره ؛ قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله تعالى فإذا هو صحيح فقال عيسى لليهودى بالذى أراك الأعمى بصيراً كم كان معك من رغيف ؟ فقال والله ما كان إلا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فإذا هو بمقعد فقال له عيسى ؛ أرأيت إن عاجلتك فعافاك الله فهل تشكره ؟ قال نعم فدعا الله تعالى عيسى فإذا هو صحيح قائم على رجلتيه فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذى أراك الأعمى بصيراً والمقعد صحيحاً أين الرغيف الثاني ؟ فخاف له أنه ما كان معه إلا رغيفاً واحداً فسكت عيسى عنه ، فانطلقا حتى انتهيا إلى بحر عجاج فقال له عيسى لا أرى جسراً ولا سفينة نخوذ بحجاني من ورائى وضع قدمك موضع قدمى ففعل فشيا على الماء فقال له عيسى بالذى أراك الأعمى والمقعد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال والله ما كان إلا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فإذا هما بظباء ترعى فدعى عيسى بطيى فذبجه وشوى منه بعضاً وأكله ثم ضرب عيسى بقية الطيى بعصاه وقال قم بإذن الله عز وجل فإذا الطيى يعدو

فقال سبحانه الله فقال عيسى بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر ؟ فقال ما كان إلا رغيف واحد فربصاحب بقر فتنادى عيسى يا صاحب البقر اجزر لنا من بقرك هذا عجlan فقال ابعت صاحبك اليهودى يأخذه فانطلق اليهودى فجاء به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر إليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظماً فلما فرغ قذف بعظامه فى جواده ثم ضربه بعصاه وقال له قم بإذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت ؟ قال أنا عيسى بن مريم فقال عيسى السحار ثم فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذى أحيا العجل كم كان معك من رغيف ؟ فقال ما كان معى إلا رغيف واحد فسكت ومشيا حتى دخلا قرية فنزل عيسى فى أسفلها واليهودى فى أعلاها فأخذ اليهودى عصا عيسى وقال له أيا الآن لأبرىء المرضى وأحيى الموتى قال وكان ملك ملك القرية مريضاً مدناً فانطلق اليهودى ونادى من يبتغى طبيبياً حتى أتى باب الملك فأخبر بوجهه فقال ادخلونى عليه فأنا أبرئه وإن رأيتموه قد مات فأنا أحييه فقيل له إن وجع الملك قد أعيا الأطباء قبلك وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه إلا صلبه فقال ادخلونى عليه فأدخل عليه فضرب الملك بعصاه فمات فجعل يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول له قم بإذن الله فلم يقم فأخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسى فأقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أأرأيت لو أحييت لكم الملك هل تتركون لى صاحبى ؟ قالوا نعم فدعا الله عز وجل فأحياه وقام فأزل اليهودى من على الخشبة فقال يا عيسى أنت أعظم الناس على منة والله لا أفارقك أبداً فقال له عيسى أشدك الله الذى أحيا الطيبى والعجل بعدما أكلناهما وأحيا هذا بعد ما مات وأنزلك من على الجذع بعدما صلبك كم كان معك من رغيف ؟ قال خلف بهذا كله وقال والله ما كان معى إلا رغيف واحد فقال عيسى لا بأس فانطلقا حتى أنيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لى واحدة لك وواحدة للذى أكل الرغيف الثالث ، فقال اليهودى لعيسى أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى فقال عيسى هى لك كلها ، فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلها عليه فقال له عيسى دعه فإن له أهلاً

يهاسكون عليه فجعلت نفس اليهودى تتطلع إلى المال ويكره أن يعصى عيسى ويعجزه .
 حمل المال فانطلق مع عيسى ، فبينما هو كذلك إذ مر بالمال ثلاثة نفر فأتوا عليه
 فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق إلى بعض القرى فائتنا بطعام وشراب
 ودواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر هل لك أن
 تقتله إذا رجع وتقسم المال بيننا ؟ قال نعم وقال الذى ذهب فى نفسه أنا أجعل فى
 الطعام سماً فإذا أكلاه ماتا ويصير المال كله لى ففعل ذلك فلما رجع إليهما ووصل
 قتلاه ثم أكلا الطعام الذى جاء به إليهما فماتا وأن عيسى عليه السلام مر بهم وهم
 حوله مقتولين فقال ؛ لا إله إلا الله هكذا تصنع الدنيا بأهلها ثم إن عيسى أحياهم
 بإذن الله تعالى فاعتبروا وروا ولم يأخذوا من المال شيئاً فتطلعت نفس اليهودى
 صاحب عيسى إلى المال فقال اعطانى المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك فى الدنيا
 والآخرة فلما ذهب ليأخذه خسف به الأرض فانطلق عيسى عليه السلام ومنها نزول
 المائدة قال الله تعالى (إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن
 ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) الآية .

واختلف العلماء فى صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروى قتادة عن جابر
 عن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ أنه قال (نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذللك
 أنهم سألوا عيسى طعاماً يأكلون منه ولا ينفذ قال فقال لهم إني فاعل ذلك وإنما
 مقبلة لكم ما لم تخبئوا أو تخونوا فإن فعلتم ذلك عذبتم ، قال فما مضى يومهم حتى
 خافوا وخبئوا ، وفى بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لها لا تنزل أبداً
 ف وقعت ومسخوا قردة وخنزير ؛ قال ابن عباس قال عيسى لبنى إسرائيل صوموا
 ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوماً فرغوا قالوا
 يا عيسى إنا إن عملنا لأحد أقضيئنا عمله أطعمنا طعاماً وإنا إن صمنا وجعنا فادع
 الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافتش الزماد ثم دعا الله
 تعالى فقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) الآية فأقبلت الملائكة بمائدة
 يحملونها عليها أرغفة وأحوات ووضعنها بين أيديهم فأكل منها آخرهم كما أكل أولهم
 وروى عطاء بن السائب وغيره أنه كانت بالمائدة إذا وضعت لبنى إسرائيل اختلاف
 عليها الأيدي فيما كل الطعام إلا اللحم ؛ وقال عطية العوفى نزلت سمكة من السماء فيها

ظعم كل شيء ؛ وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني إسرائيل .
 وقال وهب أنزل الله أفرصة من شعير وحيثانا ففليل لوهب ما كان ذلك يغنى عنهم من شيء قال بلي ولما كن الله ضاعف لهم البركة فكانوا قوم يأكلون ثم يخرجون ويحییء آخرون فيأكلون حتى أكلوا بأجمعهم وقال كعب الأحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل طعام إلا اللحم وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال إنني منزلها عليكم كما سألتني فمن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلاً ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شمعون الصفار وكان أفضل الحوار بين فقال هل معك طعام ؟ فقال معي سمكتان صغيرتان وستة أرغفة فقال علي بها فقطعها عيسى قطعاً وقال اقعدوا في روضة وترافقوا رفاقاً كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل فيها البركة فصار خبزاً صحاحاً وسمكا صحاحاً ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا باسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ماشاء الله وفضل الناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعاً شهدنا أنك عدل الله ورسوله ثم سأله مرة أخرى فأنزل الله خمسة أرغفة وسمكتين فصنع ما صنع في المرة الأولى فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقال ويحكم إنما سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبتته على بصيرة ومن أراد فتنة رجعه إلى كفره فمسحوا قردة وخنازير وليس منهم صبي ولا امرأة فمسكثوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ويشربوا وكذلك كل ممسوخ ويروى عن عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوي ولا انتهر يثماً ولا قهقهة ضحكا ولا ذبا بآعن وجهه ولا أخذ على ألقه مرتين شيئاً قط ولا عبث قط ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم الموائد صئوفاً قال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) الآية وارزقنا عليها طعاماً نأكل (وأنت خير الرازقين) فنزلت سفرة حراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهي تهوي منهضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم

(م ٢٩ — قصص الأنبياء)

اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون إليها فنظروا إلى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى لهم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى ونوضاً وصلى صلاة طويلة وبكى كثيراً ثم كشف المنديل عنها وقال باسم الله خير الرازقين فإذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلاً من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها نخل وحواليها من أنواع البقول ما خلا السكرات وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا من طعام الآخرة ؟ فقال عيسى عليه السلام ليس ماترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن افعله الله بالقدرة الغالية كلوا مما سألتكم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا يا روح الله لورأيتنا من هذه الآية آية أخرى ؟ فقال عيسى باسمكة احيى بإذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما ليكم تسألون أشياء إذا أعطيتموها كرهتموها ، ثم قال فما أخوفنى عليكم أن تعذبوا باسمكة عودى كما كنت بإذن الله فمادت السمكة مشوية كما قالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولا يمكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله ولكم الهدى والغنى والبلاء فأكلوا منها وصدر عنها ألف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومن مريض ومبتلى كلهم شبهان يتجشأ ثم نظر عيسى إلى السمكة فإذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ، ثم طارت المائدة صعداً وهم ينظرون إليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض ولا برى ولا من إلا صح ولا مبتلى إلا عوفى ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت إذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء النىء طارت صعداً وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل غيباً تنزل يوماً ولا تنزل يوماً كفاقة ثمود فأوحى الله إلى عيسى أن اجعل

ما نذتى ورزقى للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا
الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى هاسكتم فشمروا
لعذاب الله فأوحى الله تعالى إلى عيسى لاني شرطت على المسكذبين شرطين أن من
كفر بعد نزولها عذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام
(إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فسخ منهم ثلاثمائة
وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازين
يسعون في الطرقات والكفاسات وياكلون القاذورات والحشوش فلما رأى الناس
ذلك فزعوا إلى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على المسوخين أهلهم فلما أبصرت
الخنازير عيسى بكى وجعلت تطوف فجعل عيسى يدعهم باسمائهم واحداً واحداً
فيمكون ويشيرون بربهم لا يقدر على الكلام فعاشوا ثلاث أيام وهاسكوا
ومنها ما روى أن عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر
المرور فيجده جالسا فقال يا عبد الله أراك تكثر الجلوس عندهذا القبر فقال يا روج
الله هذه امرأة كان لي من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها وديعة قال أفتمجب
أن أدعوا الله فيحييها لك ؟ قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل
فإذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق فقال له من انت ؟ فقال يا رسول الله
أنا رجل في عذاب منذ أربعين سنة فلما كنت في هذه الساعة قيل لي اجب فاجبت ثم
قال يا رسول الله مر على من أليم العذاب ما إن ردني الله إلى الدنيا أعطيته عهداً أن
لا أعصيه أبداً فادع الله لي فرق له قلب عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم
قال له امضى فمضى فقال له صاحب القبر يا رسول الله لقد غلطت بالقبر إنما قبرها
هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى
أتعرفها ؟ قال نعم هذه امرأتى فدعا الله عيسى حتى رذها عليه فآخذ الرجل بيدها
سعى انتهى إلى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها فمر بها ابن الملك فنظرها
ونظرت إليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فآشار إليها فوضعت رأس زوجها
عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها ففتقدتها فلم يجد لها فطلبها فدل عليها فتعلق
بها وقال امرأتى فقال الفتى هي جاريتى فبينما هم كذلك إذ طلع عيسى عليه السلام

فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصه فقال لها عيسى ما تقولين ؟ قالت أنا جارية هذا ولا أعرف هذا فقال لها عيسى ردى علينا ما أعطيناك قالت فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل أماته الله كافراً ثم بعثه فآمن وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت ، ومنها رفعه إلى السماء إذ قال الله (يا عيسى إنا متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا) الآية ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله (وما قتلوه وما صلبوه وإنما شبهه لهم) إلى قوله تعالى (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً) .

وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا ؛ قد جاء الساحر ابن الساحر الفاعل بن الفاعلة فقتلوه وأمه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربى وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من لقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب أمى فاستجاب الله دعاءه ومسح الذين سبوه وأمه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معشر اليهود إن الله يبعثكم فغضبوا من مقالته غضباً شديداً وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام فادخله خوخة وواراه في سقفها ورفع الله تعالى من روثته فامر رأس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له فلطيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فالقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب إن عيسى لما أعلمه الله تعالى أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً وقال اسحضرونى الليلة فلي لايكم حاجة فلما اجتمعوا إليه من الليل غشاهم وقام بخدمتهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوصيهم ويمسح أيديهم بثيابه فتعاضموا ذلك وتكاثروا فقال لاهن رد عليه شيئاً مما أصنع فليس منى ولا أنا منه فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال لهم ؛ أنا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام غسلت أيديكم لئلا يكون لكم بى أسوة لأنكم ترون لى خيركم فلا يتعاضم بعضهم على بعض وليبين أن بعضهم نفسه

لبعض كما بذلت نفسى لكم ؛ أما الحاجة التى استعنتكم عليها فتدعون الله لى وتجتهدون
 فى الدعاء أن تؤخروا أجلى فلما نصبروا أنفسهم للدعاء وأرادوا يجتهدوا أرسل الله
 عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون فى
 ليلة واحدة وتأمينونى فيها ؟ فقالوا والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسير فنكبر السهر
 وما نطيق الليلة سهرأ وما نربد دعاء للاحيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعى وتبقى
 الغنم وجعل يأتى بكلام مثل هذا يعنى نفسه ثم ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك
 ثلاث مرات ليديعنى أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى نخرجوا وتفرقوا وكانت
 اليهود تطالبه فاخذ شمعون أحد الحواريين فقالوا أهذا من أصحابه فجحد وقال ما أنا من
 أصحابه فتركوه ثم أخذ آخر فجحد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه ذلك
 فلما أصبح دعا أحد الحواريين أولئك اليهود فقال ما تعملون لى إن دلتكم عليه ؟ فجعلوا
 له ٣ درهما فاخذها ودلهم عليه وكان شبه لهم قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه
 وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون أنت كنت تحبى الموتى وتبى الأكمة
 والابرس أفلا تفك نفسك من هذا الحبل ويصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم
 لأنهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الخشبة ليصلبوه أظلمت الأرض
 وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذين دلهم عليه
 واسمهم يهودا فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى وتوفي الله عيسى ثلاث ساعات ثم
 رفعه إلى السماء فذلك قوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك ومطهر لك من الذين كفروا)
 فلما صلب الذى هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها
 وأبرأنا من الجنون يبيكيان عند المصلوب فاتاهما عيسى وقال على من تبكيان ؟
 فقالتا عليك فقال إن الله تعالى رفعنى فلم يصيبنى إلا خيراً وإن هذا شخص شبه لهم
 وقال مقاتل ؛ إن اليهود وكلوا بعيسى رجلاً يكون عليه رقيباً يدور معه حيثما دار
 فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه إلى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن
 اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم إنى لست عيسى إنى فلان بن فلان فلم يصدقه
 وقتلوه وصلبوه فقال قتادة ذكر لنا أن نبى الله عيسى قال لأصحابه أيكم يقذف عليكم شبهى
 فإنه مقتول فقال رجل من القوم أنا نبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه إليه وقيل
 إن الذى شبه بعيسى وصلبه مكانه رجل إسرائيلى يسمى أشيوع بن قيدر والله أعلم .

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام)

قال وهب وغيره من أهل الكتاب ؛ لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث السماء سبعة أيام ثم قال الله له إن أعداءك اليهود أعجلوك من العهد إلى أصحابك فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فإنه لم يبك عليك أحد بكاء هلة ولم يحزن عليك أحد حزناً فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تلمح بك وأمرها أن تجمع الخواريين فثبتهم في الأرض دعاة إلى الله تعالى .

وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بنى إسرائيل في قرية من قرى أنطاكية يقال لها مجدلان ؛ وكانت امرأة صالحة وكانت تستمعوا خطبهم أشرف بنى إسرائيل فامتعت فظنوا أنها رفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعه وإنما أرادت إخفاء علمها عنهم ؛ فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام ربما كان يشفي الله على يديه من المرضى الزمنى أقبات إليه رجاء الشفاء ؛ فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحييت وانصرفت إلى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسني ذو عاهة بذية حسنة ولقد أعطاه الله ما رجاء وطهره بطهارتي فاذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نور فجمعت له الخواريين فثبتهم في الأرض دعاة إلى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه الثور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش في مكان إنسيا ماسكيا أرضها سماويا وتفرق الخواريون حيث أمرهم تلك الليلة التي اهبط فيها هي الليلة التي تزخر فيها النصارى قالوا فوجه بطرس روميه وأندراوس ومتى إلى الأرض التي يا كل أهلها الناس وتوما وليسا إلى أرض المشرق وفيلبس ويهوذا إلى القيروان وإفريقيه ويحيى إلى أفسوس قرية أصحاب الكهف واليعقوبيين إلى اورشليم وهي ليليا أرض بيت المقدس وبرتولاوماوس إلى الإغرابيه ر هنالجاز وشهدون إلى أرض بربرفاصبح كل واحد من الخواريين الذين بعثهم يحدث بلفظة من أرسله عيسى إليهم قال ابن إسحق ؛ ثم عهد اليهود إلى بقية الخواريين أصحاب عيسى يشهدونهم ويهدبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقبله إن

رجالاً كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني إسرائيل عدواً عليه فقتلوه ؛
وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الأسقام وخلق لهم من
الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائراً بإذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب
فقال ملك الروم فما منكم أن تذكروا لي من أمره فوالله لو علمت لحليت بيده
وبينهم ثم إنه بعث إلى الجواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سالهم عن دين
عيسى فاخبروه خبره فبايعهم على دينه واستنزل شبهه عيسى والخشبة التي صلب
عليها فاكرمها وصانها لها مسجداً منه وغزا بني إسرائيل فقتل منهم خلقاً كثيراً
فمن هناك كانت أصل النصرانية في الروم .

وقال أهل التوراة ؛ حملت مريم بعيسى وأما ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى
ببيت لحم من أرض اورشليم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على بابل
ولإحدى وخمسين سنة مضت من ملك الإسكانيين أوحى الله إليه على رأس ثلاثين
سنة ورفع من بيت المقدس إليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين
سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

(ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام)

قال ومنب ؛ لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام أخى بين الجواريين
فأمر رجلين منهم يقال لأحدهما شمعون والآخر يحيى أن يلتزما أمه
ولا يفارقاها فانطلقا ومعهما مريم إلى ماروت ملك الروم يدعونه إلى الله تعالى
وقد بعث الله تعالى إليه قبل ذلك بولس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون
وأندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى إذا كانا في بعض
الطريق لحقهما الطالب خفافاً فانشقت لهما الأرض فغابا فيها وأقبل ماروت ملك
الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيئاً فردوا التراب على حال
وعلموا أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فاخبروه فأسلم كما
ذكرنا والله أعلم .

(ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان)

قال الله تعالى (وإذنه لعلم للساعة فلا تمترون بها) الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجدد نزول عيسى عليه السلام في القرآن ؟ قال نعم قوله « وكهلاً » وهو لم يكن يكمل في الدنيا وإنما معناه وكهلاً بعد نزوله من السماء .

أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي بإسناده عن أبي هريرة قال ؛ قال رسول الله ﷺ (الأدياء إخوة لعلات أمهاتهم شقي ودينهم واحد ، وإني أولي الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً حكماً وإذنه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن رأسه تقطر ولم يصبه بلل ينزل بين محمرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويتبعض المال ويهلل من الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ملبياً بهما جميعاً ويقا تل الناس على الإسلام حتى يهلك في زمانه المال كلها غير الإسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الأمانة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلمص الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضاً ثم يلبث في الأرض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفونونه في المدينة بحنب عمر و أقره وإنا شئتم) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات .

وأخبرنا محمد بن القاسم العمارسي بإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الأمة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن إلى جانب قبر عمر فطوبى لأبي بكر وعمر يحشران بين نبيين .

وأخبرني أبي قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد علي بإسناده عن ابن عباس قال ؛ قال رسول الله ﷺ (كيف يهلك الله أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها » والمهدي من أهل بيتي في وسطها) .

(باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليه السلام إلى أنطاكية)
(وذلك في أيام ملوك الطوائف)

قال الله تعالى (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذا جاءها المرسلون) يعني
رسل عيسى عليه السلام (إذ أرسلنا إليهم اثنين) واختلفوا في إسميهما (فقال ابن
يسحق قاروض وروماض ، وقال وهب ويحي ويونس وقال مقاتل يومان و
وقال كعب صادق وصددوق) فكذبوهما فعززا بثالث (أي فقويناه
ثالث وهو شمعون القصار رأس الحواريين في قول أكثر المفسرين وقال كعب
إسمه شلوم وقال مقاتل سمعان .

قالت العلماء بأخبار الأنبياء : بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين
إلى مدينة أنطاكية ، فلما قربا من المدينة أتيا شيخاً يرعى غنمات له وهو حبيب
النجار صاحب يسفلسا عليه فقال من أنتم ؟ قالوا رسولا عيسى عليه السلام ندعوكم
من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن قال أمعكما آية ؟ قالوا نعم نحن نبرئ المريض
ونشفى الأكمة والابصر بإذن الله ، فقال الشيخ أن لي ابناً مريضاً صاحب
غراش منذ سنين ، فلما نظرا إلى ولد الشيخ قربا إليه ودعوا له ومسحا بيديهما
فقام في الوقت بإذن الله ، وشفى الله على يديهما كثيراً من المرضى ، وكان في
مدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الأصنام يقال له سلاحين .

وقال وهب : إسمه بطيحيثس وكان من ملوك الروم قالوا فانتهى الخبر إلى الملك
فدعاهما إليه وقال لهما من أنتم ؟ قالوا رسولا عيسى قال وما آيتكما ؟ قالوا نبرئ
الأكمة والابصر ونشفى المرضى بإذن الله تعالى ، قال وفيم جئتما ؟ قال جهنناك
ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك :
أو لنا إله سوى آلهتنا ؟ قال نعم ، قال من ؟ قالوا من أوجدك بعد هدمك :
قال قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق .

وقال وهب : بعث عيسى بهذين الرسولين إلى أنطاكية فأتياها فلم يصلأ إلى ملكهما وطالت مدة مقامهما ، فخرج الملك ذات يوم فكبيرا وذكر الله تعالى فغضب الملك فأمرأ بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما قدخل شمعون البلد متشكراً لجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه ورضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك إنه قد بلغني أنك حبست رجلاين في السجن وضربتكما حين دعوك إلى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما ؟ فقال حال الغضب بيدي وبين ذلك ، قال فإن رأى الملك دعاهما ، فدعاهما الملك فلما حضرا قال شمعون لهما من أرسلكما إلى هنا ؟ قالا الذى خلق كل شيء فإنه يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد ، قال شمعون وما آيتكما ؟ قال ما نتمناه نبريء إلا كمة والابرص ونشفى المرضى والزمنى بإذن الله ، قال فأمر الملك لجنىء بسلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زال يدعو أن الله حتى انشق موضع البصر فأخذنا ببنديقتين من الطين فوضعهما في حديقته فصارتا مقلتين يبصر بهما فأنشراح الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت إلهك حتى يصنع لك صنيعاً مثل هذا فيكون لك الشرف وإلهك فقال الملك ليس لى عنك سرا علم أن إلهنا الذى نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فقال الملك للرسولين إن الحكم الذى تعبدانه يقدر على إحياء الميت ؟ قالوا إلهنا يقدر على كل شيء فقال الملك إن ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائباً فجاءوا بالميت وقد تغير وأروح فجعل يدعو أن ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم إني قدمت منذ سبعة أيام مشركاً فأدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذر كم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال إن أبواب السماء فتحت لى فرأيت شاباً حسن الوجه يتشفع لثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة ؟ فقال شمعون هذان وأشار إلى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون أن قوله قد أثر فى الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك بمن آمن وكفر آخرون .

وقال كعب ووهب ، بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس ، وقال ابن عباس ومقاتل وإسمه حبيب بن إسماعيل النجار قال وهب ، وكان سقياً قد أقر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة أنطاكية وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمضى فيقسمه نصفين يطعم عياله نصفاً ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتب ليمانه ويعبد ربه في غار ، فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم إلى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى في كتابه ، وذلك قوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) إلى قوله مهتدون فقال له قومه أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بإلههم ؟ فقال : (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) إلى قوله (إني آمنت بربكم فاسمعون) فلما قال لهم ذلك وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه .

وقال الحسن : خرقوا خرقاً في حلقه وعلقوه في سور المدينة ودفنوه في سوق أنطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى (قيل ادخل الجنة) فلما أفضى إلى الجنة الله وكرامته (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النعمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فأتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين) على غيرهم من كفار الأمم (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون) أي ميتون .

أخبرنا أبو بكر الخشراوي بإسناده عن أبي ليلى عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ (سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس ، وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم)

(قصة يونس بن متى عليه السلام)

شئ أمه ولم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه إلا عيسى بن مريم ويونس
 متى عليهما السلام وهو الذي قال رسول الله ﷺ فيه (لا ينبغي لأحد أن
 يقول أنا خير من يونس بن متى) قال الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضباً) الآيات .
 قالت العلماء بأخبار القدماء : كان يونس رجلاً صالحاً يتعبد في جبل وكان في
 قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم
 يونس بن متى عليه السلام بالنبى عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه
 السلام رجلاً صالحاً لا يصبر على الناس فلمحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن
 القراءة يستمع إلى قراءته الوحش كما كان لداود في زمانه وكان يعتريه حدة ولذلك
 نهى رسول الله ﷺ أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى (فاصبر كما
 صبر أولوا العزم من الرسل) وقال تعالى (ولا تكن كصاحب الحوت) لأنه كان
 قليل الصبر على قومه والمدارة لهم ، قال رسول الله ﷺ (كان يونس بن متى فيه
 عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ نحتما تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ؛ ولذلك
 السبب ذهب مغاضباً) .

واختلف العلماء في صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته ، فقال قوم ذهب مغاضباً
 لقومه وهى رواية الضحاك والعمري عن ابن عباس قال : كان يونس بن متى وقومه
 يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسمى منهم تسعة أسباط ونصفاً وبقي سبطان ونصف
 وكانوا اثني عشر سبطاً فيهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى إلى شعيب النبي أن سر
 إلى حزقيا الملك وقل له يوجه نبياً قوياً أميناً فأبى ألقى الخوف في قلوب أولئك
 الأسباط حتى أرسلوا معه بنى إسرائيل فقال الملك فما ترى ؟ وكان في مملكته خمسة من
 الأنبياء فقال إن يونس فإنه قوى أمين فدعاه الملك وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك
 الله بإخراجي ؟ قال لا قال هل سمانى لك ؟ قال لا فقال همنا غيرى أنبياء أقوياء أمناء
 فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي وللملك ولقومه فأتى بحر الروم وكان من أمره ما كان
 وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال له انطلق
 إلى أهل نينوى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم إن لم يتوبوا ، قال له التمس دابة

قال الأمر أعجل من ذلك فغضب وانطلق إلى البحر فركب سفينة فكان من أمره ما كان فعلى هذه الأقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت .

قال ابن عباس إنما كانت رسالة يونس بعد أن نبذته الحوت ودليل هذا القول أن الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) وقال آخرون : بل كانت قصة الحوت بعد دعاء قومه وتبليغه الرسالة وإنما ذهب عن قومه مغاضباً لربه إذ كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما أوعدهم بل ولم يعلم السبب الذي رفع عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضباً قال والله لا أرجع إليهم كذاباً أبداً أو عدتهم العذاب في يوم ولم يأتهم .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : بعث الله يونس بن متى إلى قومه وهو ابن ٣٠ سنة فأقام فيهم يدعوهم إلى الله تعالى ٣٣ سنة فلم يؤمن به إلا رجلان أحدهما روبيل وكان عالماً حكماً والآخر تدوخا وكان عابداً زاهداً .

قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما : لما أيس من إيمان قومه دعا عليهم فقبل له ما أسرع ما دعوت على قومك أرجع إليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى فإن أجابوك وإلا فإني مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم ٣٧ ليلة فلم يجيبوه فقام خطيباً فيهم وقال إني محذركم العذاب إلى ٣ أيام إن لم تؤمنوا ثم قال لهم إن آية ذلك تغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس وإنا لم نجرب عليه كذباً فانظروا فإن بات الليلة فآمنوا من العذاب وإن لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصيبكم فلما كان ليلة الأربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب .

قال سعيد بن جبير كما يغشى التراب القبر إذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤوسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثي ميل وقال وهب غيبت السماء غماً أسود هائلاً تدخن دخاناً شديداً فمبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه

فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ التَّوْبَةَ وَأَلْهَمَهُمُ الرُّجُوعَ إِلَيْهِ فَخَرَجُوا إِلَى الصَّعِيدِ بَأَنْفُسِهِمْ
وَنِسَائِهِمْ صَبِيانَهُمْ وَظُرَابَهُمْ وَلَبَسُوا الْمَسُوحَ وَأَظْهَرُوا الْإِيمَانَ وَالتَّوْبَةَ لِلَّهِ وَأَخْلَصُوا
النِّيَّةَ وَهَرَقُوا بَيْنَ كُلِّ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا مِنَ النَّاسِ وَالْأَدْوَابِ وَالْأَنْعَامِ فَحَنَ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ وَعَلَّتْ أَصْوَاتُهُمْ وَاخْتَلَطَ حَنِينُهُمْ وَتَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ وَقَالُوا آمَنَّا بِمَا جَاءَ بِهِ
يُونُسَ فَرَحِمَهُمْ وَاسْتَجَابَ دَعْوَتَهُمْ وَقَبِلَ تَوْبَتَهُمْ وَكَشَفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ بَعْدَ مَا أَظْلَمَهُمْ
وَذَلِكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَقِيلَ كَانَ يَوْمَ الْآرِبَاءِ لِلنَّصَفِ مِنْ شَوَّالٍ .

وَرَوَى صَالِحُ الْمُرُوي عَنْ عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ عَنْ أَبِي خَالِدٍ قَالَ لَمَّا غَشَى قَوْمَ يُونُسَ
الْعَذَابُ مَشَرُوا إِلَى شَيْخٍ مِنْ بَقِيَّةِ عَلَمَائِهِمْ فَقَالُوا لَهُ نَدُنْزِلُ بِنَا الْعَذَابَ فَمَا تَرَى ؟ قَالُوا
يَا حَيُّ حِينَ لَا حَ يَاحَيُّ حَن تَحْيِي الْمَرْتَى لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ فَعَالُوا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ
الْعَذَابَ وَمَتَّعُوا إِلَى حِينٍ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فَبَلَّوْا كَاتِ قَرْيَةً آمَنَتْ أَى فَلَمْ تَكُنْ قَرْيَةً
آمَنَتْ وَضَعُ التَّحْضِيضِ مَوْضِعُ الْبَقَى لِأَن فِيهِ ضَرْباً مِنَ الْجَحْدِ (فَنَفَعُوا لِيَمَانِهَا) فِي
وَقْتُ الْيَأْسِ عَنْ مَعَايِنَةِ الْعَذَابِ (إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) فَنَفَعَهُمْ لِيَمَانِهِمْ فِي ذَلِكَ
الْوَقْتِ لَمَّا عَلِمَ اللَّهُ مِنْ صِدْقِهِمْ (كَشَعْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ
إِلَى حِينٍ) .

فَالِ يُونُسَ كَيْفَ أَرْجَعُ إِلَى قَوْمِي وَقَدْ كَذَبْتَهُمْ فَأَنْطَلِقُ مَعَاتِباً رَبِّهِ مَغَاضِباً فَوَمَّه
فَأَتَى الْبَحْرَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَذَا النُّونُ إِذْ ذُخِبَ مَغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ)
أَى أَنْ لَنْ نَقْضِي عَلَيْهِ الْعَقُوبَةَ تَقُولُ الْعَرَبُ قَدَرَ اللَّهُ الشَّيْءَ يَقْدَهُ تَقْدِيرٌ وَقَدَرَهُ
يَقْدَرُ قَدْرٌ وَقَدْ قَرَى بِهِمَا جَمِيعاً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ) وَقَوْلُهُ
تَعَالَى (وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى) هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ ، وَقَالَ عَطَاءٌ مَعْنَاهُ فَظَنَّ أَنْ
لَنْ نَضِيقَ عَلَيْهِ الْخَيْسَ فَمِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) أَى
وَيَضِيقُ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) .

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ : هُوَ اسْتِفْهَامُ مَعْنَاهُ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ الْحَسَنُ مَعْنَاهُ
فَظَنَّ أَنْ يَعْجِزَ رَبُّهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، قَالَ وَبَلَغَنِي أَنَّ يُونُسَ لَمَّا أَصَابَ الذَّنْبَ انْطَلَقَ
مَغَاضِباً رَبَّهُ فَاسْتَنْزَلَهُ الشَّيْطَانُ حَتَّى ظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ وَكَانَ لَهُ سَلَامٌ وَعِبَادَةٌ
فَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَدْعَهُ الشَّيْطَانُ فَلَمَّا أَتَى يُونُسَ الْبَحْرَ إِذَا قَوْمٌ يَرْكَبُونَ سَفِينَةً فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ

أجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون فيها عبداً آبقاً من سيده وهذا رسم السفينة إن كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق فقالوا تلقى في الماء فاقترعوا ثانياً وثالثاً فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى (فساهم فمكان من المدحضين) فلما وقع في الماء وكل الله به حوتاً فابتلعه وأوحى الله تعالى إلى الحوت إن لم أجعله لك رزقاً بل جعلناك له حرزاً ومسكناً فخذ به ولا تكسر له عظماً ولا تتخذش له لحماً فاهوى به إلى مسكنه في البحر وقد نطلق من ذلك المكان حتى مر به على الأبله ثم مر به على هجلة ثم انطلق به إلى نينوى ، ويقال إن الله تعالى رقق له جلد الحوت حتى كاد يرى جميع ما في البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس صوتاً فقال في نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله تعالى إليه وهو في بطن الحوت أن هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً معروفاً بأرض بجهولة ؟ قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بدن الحوت في البحر قال فشبهوا له عند ذلك وهو قوله (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت) قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (سبحانك إني كنت من الظالمين) .

وروى سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لاسم الله الذي إذا دعا به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى فقلت يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين ؟ فقال هي ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى (فنادى في الظلمات) إلى قوله (وكذلك تنجي المؤمنين) فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة أمر الله الحوت فقفه إلى ساحل نينوى كما قال الله تعالى (فنبذناه بالراء) أي بوجه الأرض (سقيم) أي عليل ضعيف كالقرخ الممعد .

واختلفوا في مدة مكث يونس في بطن الحوت فقال مقاتل ٣ أيام وقال عطاء ٧ أيام ، وقال الضحاك ٣ يوماً وقال السدي والكلبي ٤ يوماً فلما أخرجه الله من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها فذلك

قوله تعالى (وأنبتنا عليه) أى عنده (شجرة من يقطين) قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله إليه : أنبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة ألف أو يزيدون أردت أن أهلكم .

ثم ذهب يونس فإذا هو بغلام يرعى غنما فقال من أين أنت يا غلام ؟ قال أنا من قوم يونس ، فقال له إذا رجعت فقل لهم إنك لقيت يونس فقال الغلام ؛ إن كنت يونس فأنت تعلم أنه إن لم يكن لي بيذة قتلت فمن يشهد لي ؟ فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة ، وأشار إلى شاة من غنمه فقال له الغلام فرهم ؟ قال لهم يونس إذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له ؟ قالوا نعم .

فرجع الغلام إلى قومه ثم قال للملك إني قد لقيت يونس وإني يقرأ عليكم السلام فأمر الملك بقتله وقال كذبت فقال إن لي بيذة فأرسلوا معي أحدا يشهد فأرسلوا معه رجلا فأتى البقعة والشجرة والشاة وقال أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس ؟ قالوا نعم فرجع القوم مذعورين فأخذ الملك بيد الغلام واجلسه في مجلسه وقال ؛ أنت أحق بهذا المكان مني ، قال فأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة ثم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فأقام لهم أمرهم .

يروى أن يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فأضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثير آ من الفخار . فأوحى الله إليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شيء عملته بيدي أعيش منه وأتمتع بشمته أنا و عيالي تأمرني بكسره فبكى يونس فأوحى الله إليه ؛ هذا عمل فخار آ من طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسك ووطنتها على هلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادي فمضى يونس وهبط واديا .

قال فلما شهدت الشجرة والأرض والشاة والغلام وكانت الشاة التي كانت مع الغلام قالت لهم إن أردتم يونس فاهبطوا الوادي فهبطوا فإذا هم بيونس فسألوه أن يدخل معهم المدينة ، فقال لا حاجة لي في مدينتكم وألحوا عليه فأجابهم فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصبر الغلام الراعى ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزل سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماقا عليهما السلام ، وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله أعلم .

(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا)
 اختلف العلماء في الرقيم . قال النعمان بن بشير الأنصاري : سمعت رسول الله ﷺ
 يذكر الرقيم قال : إن ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لأهلهم فبينما هم يمشون إذا
 أصابتهم السماء فمأروا إلى الكهف فأنحطت صخرة من الجبل عليهم فأنطبقت على
 باب الكهف فأرصدته عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فعمل
 الله يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة : كان لي أجراء يعملون عملا لي
 فاستأجرت كل رجل منهم بأجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار
 فاستأجرته بشطر أصحابه فعمل في بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت
 على من الإكرام أن لا أنقصه شيئا مما استأجرت به أصحابه لما اجتمع في عمله فقال
 رجل منهم ، أعطى هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل إلا نصف النهار ؟ فقلت له يا عبد الله
 ألم أبخسك شيئا من شرطك إنما هو مالي أحكم فيه بما شئت : قال فغضب وذهب
 وترك أجرته فوضعت حقه في جانب من البيت ماشاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر
 فاستريت به فزعمته فبلغت ماشاء الله ، فر بي بعد ذلك شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لي
 ن لي عندك حقا فقلت له اذكره لي حتى أعرفه قال فذكره فقلت له إياك أبغى
 وهذا حقا وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بي إن لم تتصدق علي فأعطاني
 حتى فقلت له ما أسخر إن هذا لحقك ومالي فيه شيء فدفعتها إليه ، اللهم إن كنت
 فعلت هذا لوجهك الكريم فأفرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء .
 وقال الآخر : قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءني
 امرأة تطلب مني معروفا ، فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت علي وذهبت ثم لأنها
 رجعت فذكرتني بالله فأبى عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فأبت علي وذهبت
 ثم إنهارت إلي تمشدني بالله فأبى عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فلما رأت
 ذلك أسلمت إلى نفسها فلما كشفتها ارتعدت فقلت لها ما شأنك ؟ فقالت ، إني أخاف
 الله رب العالمين ، فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخنه في الرخا . فزكته وأعطيتها ما تحب
 اللهم إن كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فأفرج عنا تصدع الجبل حتى تعارفنا .
 (م ٣٠ — قصص الأنبياء)

وقال الآخر ، لقد عملت حسنة مرة كان لي أبوان كبيران ؛ وكان لي غنم فـكنت أطعم أبوي وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي ، قال فأصابني يوماً غيث فحسنى حتى أمسيت فأتيت إلى أهلي وأخذت محلي فخلبت غنمي وتركتهما قائمة ومضيت إلى أبوي فوجدتهما قد فاما فشق علي أن أوقظهما وشق علي أن أترك غنمي فما برحت جالساً ومحلي في يدي حتى أيقظتهما الصبح فسقيتهما اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه ، وقال العمان السكاني أسمع من رسول الله ﷺ قال (كأن الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا) .

وقال ابن عباس ، الرقيم واد بين غطفان وأيلة دون فلسطين وهو الوادي الذي فيه أصحاب الكهف قال كعب هي قريتهم .

وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الأخيار . والرقيم لوح من حجارة ، وقيل من رصاص وكتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله خبر أصحاب الكهف فقال (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ (كان أمر أصحاب الكهف في أيام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما السلام .

وأما قصتهم . فيقال لما ولي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة أنه قوم من أحرار اليهود فقالوا يا عمر أنت ولي الأمر بعد محمد ﷺ وصاحبه وإنا نريد أن نسألك عن خصال إن أخبرتنا بها علمنا أن الإسلام حق وإن لم نخبرنا علمنا أن الإسلام باطل وأن محمداً لم يكن نبياً فقال عمر ، سلوا عما بدا لكم ؟ قالوا أخبرنا عن أفقال السموات ما هي ؟ وعن مفاتيح السموات ما هي ؟ وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو ؟ وأخبرنا عن خمسة أنبياء مشوا على وجه الأرض ولم يخلقوا في الأرحام ؟ وأخبرنا عما يقول الدارج في صياحه ؟ وما يقول الديك في صراخه ؟ وما يقول الفرس في صهيله ؟ وما يقول الضفدع في نقيقه ؟ وما يقول الحمار في نهيقه ؟ وما يقول القنبر في صفيره ؟

قال فنكس عمر رأسه في الأرض ثم قال لا عيب بمر إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وإن يسأل عما يعلم فوثب اليهود وقالوا . نشهد أن محمداً لم يكن

نبييا وأن الإسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحر
على بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أغث الإسلام
فقال وما ذلك ؟ فاخبره الخبر فاقبل يرفل في بردة رسول الله ﷺ فلما نظر إليه
عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل مصلية وشدة تدعى فدعا على
كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فإن النبي ﷺ علي ألف باب من
العلم فتشعب لي من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال على كرم الله وجهه . إن
لي عليكم شريطة إذ أخبرتكم كما في توراتكم دخانم في ديننا وآمنتم قالوا نعم ؛ فقال
سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ماهي ؟ قال أقفال السموات
الشرك لأن العبد والآلة إذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل .

قالوا أخبرنا عن مقاتيح السموات ماهي ؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن
محمد آ عبده ورسوله . قال فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويقولون صدق الفتى :
قال أخبرنا عن قبر سار بصاحبه ؟ قال الحوت الذي التقم يونس بن متى ففساربه
في البحار السبعة ، فقالوا ، أخبرنا عن أنذر قومه لاهو من الجن والانس ؟
قال هي نمة سليمان بن داود قالت يا أيها المل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون ، قالوا أخبرنا عن خمسة مشوا في الأرض ولم يخلقوا في
الأرحام ؟ قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش إبراهيم وعصا موسى ، قالوا
أخبرنا ما يقول الدارج في صياحه ؟ قال يقول الرحمن على العرش استوى ، قالوا
أخبرنا ما يقول الديك في صراخه ؟ قال يقول اذكروا الله يا غافلون . قالوا أخبرنا
ما يقول الفرس في صهيله ؟ قال يقول إذا مشى المؤمنون إلى الكافرين للجهاد اللهم
افصر عبادك المؤمنين على الكافرين ، قالوا فأخبرنا ما يقول الحمار في نهيقه ؟ قال
يقول لعن الله العشار وينفق في أعين الشياطين ، قالوا فأخبرنا ما يقول الضفدع في
نقيقه ، قال يقول سبحان ربى المعبود المسبح في لجج البحار ، قالوا فأخبرنا ما يقول
القنبر في صفيره ؟ قال يقول اللهم لعن مبغضى محمد وآل محمد ، وكان اليهود ثلاثة نفر
قال اثنان منهم نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد آ رسول الله ووثب الخبر الثالث
فقال يا على لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الإيمان والتصديق وقد بقي خصلة

واحدة اسألك عنها فقال سل ما بدا لك ؛ فقال أخبرني عن قوم في أول الزمان ماتوا
 ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم ؟ قال على رضى الله عنه يا يهودى
 هؤلاء أصحاب الكهف وقد أنزل الله على نبينا قرآناً فيه قصتهم وإن شئت قرأت
 عليك قصتهم فقال ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم إن كنت عالماً فأخبرني بأسمائهم
 وأسماء آياتهم وأسماء مدينتهم وإسم ملوكهم وإسم جبلهم وإسم كهفهم
 وقصتهم من أولها إلى آخرها فاجتبي على كرم الله وجهه بريدة رسول الله ﷺ ثم
 قال : يا أخا العرب حدثني حبيبي ﷺ أنه كان بأرض رومية مدينة يقال لها
 أفسوس ويقال هي طرسوس وكان لإسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الإسلام
 سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع ملك
 من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبّاراً كافراً فأقبل في عساكره حتى دخل
 أفسوس فأتخذها دار ملكه وبنى فيها قصراً فوثب اليهودى وقال : إن كنت عالماً
 فصف لي ذلك القصر ومجاليسه فقال يا أخا اليهود ابقنى فيها قصر من الرخام طوله
 فرسخ في عرض فرسخ واتخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل
 من الذهب لها سلاسل من اللجين تخرج في كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرقي
 المجلس مائة وثمانين كوة وغربيه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع إلى حين
 تغيب تدور في المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريراً من الذهب طوله ثمانون ذراعاً
 في عرض أربعين ذراعاً مرصهاً بالجواهر ، ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيّاً
 من الذهب فأجلس عليها بطارقه واتخذ أيضاً ثمانين كرسيّاً من الذهب عن يساره
 فأجلس عليه هراقلة ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودى
 وقال : يا على إن كنت عالماً فأخبرني بما كان نأجه ؟ فقال يا أخا اليهود كان نأجه من
 الذهب السبيلك له تسعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضئ كما يضئ المصباح في الليلة
 الظلماء واتخذ خمسين غلاماً من أبناء البطارقة فنطقهم بمناطق من الديباج الأحمر
 وسروهم بسر اويل من القز الأخضر وزينهم وتوجهم ودملجهم وأعطاهم عمد
 الذهب وأقامهم على رأسه واصطنع ستة غلبة من أولاد العلماء وجعلهم وراءه فله
 يقطع أمرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودى وقال

يا على إن كنت صادقاً فأخبرني ما كانت أسماء الستة ؟ فقال على كرم الله وجهه . .
حدثني حبيبي محمد بن محمد عليه السلام إن الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تملينا ومساكيننا ومسلمينا
وأما الذين كانوا عن يساره فطرليوس وكشطوس وسادفيوس وكان يستشيرهم
في جميع أموره وكان إذا جلس كل يوم في صحن داره واجتمع الناس عنده دخل
من باب الدار ثلاثة غلقة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفي يد الثاني
جام من فسة مملوء من ماء الورد وعلى الثالث طائر فيصيح فيطير الطائر حتى يقع
في جام ماء الورد فيتمرخ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث
فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك
وماء الورد فحكك الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع
ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطفا وتجر
واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا إليه وجوه قومه فكل من أجابه
أعطاه وحياه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله فأجابوه بأجمعهم فأقاموا
في ملكه زماناً يعبدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عيده على
سريره والتاج على رأسه إذا أتى بعض بطارفته فأخبره أن أسماك الفرس قد غشيت
يريدون قتاله فاغتم لذلك غمّاً شديداً حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره
فخطر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه إلى ذلك وكان عاقلاً يقال له تملينا ففكر
وتذكر في نفسه وقال لو كان دقبانوس هذا إلهاً كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان
يبدل ويتفوط وليست هذه الأفعال من صفات إله وكانت الفتية الستة يكونون
كل يوم عند واحد منهم ، وكان ذلك اليوم نوبة تملينا فاجتمعوا عنده فأكوا
وشربوا ولم يأكل تملينا ولم يشرب ، فقالوا يا تملينا مالك لا تأكل ولا تشرب ؟ فقال
يا إخواني وقع في قلبي شيء منهي عن الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تملينا
فقال أعطت فسكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفاً محفوظاً بلا علاقة من فوقها
ولادعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم أعطت
فسكري في هذه الأرض ومن سطعها على ظهر اليم الزاهر ومن حبسها وربطها بالجبال
لرواسي لئلا تميد ثم أعطت فسكري في نفسي فقلت من أخرجني جنيناً من بطن أمي

من خذاني ورباني إن لهذا صانعاً ومديراً سوى دقيانوس الملك فأنكبت الفية على
رجليه يقبلونها وقالوا يا تلميذا لقد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فأشر علينا فقال إني
يا إخواني ما أجد لي ولكم حيلة إلا الهرب من هذا الجبار إلى ملك السموات والأرض
فقالوا الرأي ما رأيته فوثب تلميذا فابتاع تمرا بثلاثة دراهم وصرها في ردائه وركبوا
خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تلميذا يا إخوتاه قد
ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل
يجعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة
فراسخ حتى صارت أرجلهم تقطر دماً لأنهم لم يعتادوا المشي على أقدامهم فاستقبلهم
رجل راع فقالوا أيها الراعي أعندك شربة ماء أولن؟ فقال عندي ما تحبون ولاكنني
أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم إلا هرايا؟ فاخبروني بقصتكم فقالوا يا هذا إنا
دخلنا في دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصديق؟ قال نعم فاخبره بقصتهم فأنكبت
الراعي على أرجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلب ما وقع في قلوبكم فقفوا لي معنا حتى
أرد الأغنام إلى أربابها وأعود إليكم فوقفوا له فرددوا وأقبل يسمى فتبعه كلب له فوثب
اليهودي قائماً وقال يا علي إن كنت عالماً فاخبرني ما كان لون الكلب وإسمه فقال
يا أخا اليهود حدثني حبيبي محمد ﷺ أن الكلب كان أبلق بسواد وكان إسمه قطمير .
قال الأستاذ : اختلف العلماء في لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان أسمر
وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حرته وصفرته يضرب إلى الحمرة
وقال الكلبي لأنه كالثلج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء . واختلفوا في إسمه أيضاً
فروى عن علي كرم الله وجهه أن إسمه ريان وقال ابن عباس كان إسمه قطمير وهي
أحدى الروايات عن علي وقال شعيب الجبائي كان إسمه حمرا وقال الأوزاعي نتوى
وقال مجاهد قنطوريا وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب أصهب وإسمه تفي
وأخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أن إسمه كاجهم
كان قطمور وقيل قطفير .

أخبرني أبو علي الزهري بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (ما يعلمهم إلا قليل)
قال أنا من أولئك القليل وهم مكسلينا وتلميذا ومرطايوس وبيدوس وساوانوس

ودانوس وكشطرس وهو الراعي والكلب اسمه قطير كلب أنمر فوق القلطي ودون السكركي . وقال محمد بن إسحق القلطي الصغير وكتبه أبو عمرو الجبيري .

رجعنا إلى الحديث قال : فلما نظرت الفتية إلى الكلب قال بعضهم لبعض إننا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنبيحه فألحوا عليه طرداً بالحجارة فلما نظر إليهم الكلب وتمطى وقال بإسنان طلق ذلق باقوم لم تطردوني وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك إلى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعي جبلاً وانحط بهم على كهف فوثب اليهودي وقال : يا علي ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين : يا أبا اليهود اسم الجبل تاجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم .

قال ابن عباس : كانوا يقلبون في السنة مرة لئلا تأكل الأرض لحومهم ويقال إن يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة ، كان لهم في كل سنة تقلبتان .

رجعنا إلى الحديث قال : وأوحى الله تعالى إلى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين إذا طلعت وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له إنهم اتخذوا لها غيرك وخرجوا هاربين منك فركب في ثمانين ألف فارس وجعل يقفوا آثارهم حتى صعدوا الجبل وشارف الكهف فنظر إليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لأصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشيء ما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم فأتوني بالبنائين فأتى بهم فرموا عليهم باب الكهف بالحبس والحجارة ثم قال لأصحابه قولوا لهم يقولون لإلههم الذي في السماء إن كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فيكشوا ثلثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهموا من رقتهم لما بزغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى فقوموا بنا إلى العين فإذا بالعين قد غارت والأشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض إن أمرنا هذا لني عجب مثل هذه العين قد غارت في ليلة واحدة ، ومثل هذه الأشجار قد جفت في ليلة واحدة .

فألقى عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه إلى المدينة فليأتنا بطعام
 منها ولينظر أنت لا يكون من الطعام الذي يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله
 تعالى (فابعثوا أحداكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أذكى طعاماً) أي أحل
 وأجود وأطيب فقال لهم تلميذا يا إخوتي لا يأتكم أحد بالطعام غيري وإن كان أيها
 الراعي ادفع إلى ثيابك وخذ ثيابي فلبس ثياب الراعي ومر وكأبى عن مواضع
 لا يعرفها وطرق ينكرها حتى أتى على باب المدينة فإذا عليه علم أخضر مكتوب
 عليه لا إله إلا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتي ينظر
 إليه ويمسح عينيه ويقول أرني نائماً .

فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فر باقوام يقرءون الإنجيل واستقبله أقوام
 لا يعرفهم حتى انتهى إلى السوق فإذا هو بخباز فقال له يا خباز ما اسم مدينتكم هذه
 قال أفسوس قال وما اسم مدينتكم ؟ قال عبد الرحمن قال تلميذا إن كنت صادقاً
 فإن امرى عجيب ادفع إلى بهذه الدراهم طعاماً وكانت دراهم ذلك الزمان الأول
 ثقالاً كبيراً فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودى وقال : يا على إن كنت
 عالماً فاخبرنى كم كان وزن الدرهم منها ؟ فقال يا أخا اليهود أخبرنى حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم
 أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلاثاً درهم ؛ فقال له الخباز يا هذا إنك قد
 أصبت كنزاً فأعطينى بعضه وإلا ذهبت بك إلى الملك فقال تلميذا ما أصبت كنزاً
 وإنما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقال ألا ترضى إن أصبت
 كنزاً أن أعطينى بعضه حتى تذكر رجلاً جباراً كان يدعى الربوبية قد مات منذ
 ثلثمائة سنة وتسخر بى ثم أمسكه واجتمع الناس ثم إنهم أتوا به إلى الملك وكان
 عاقلاً عادلاً فقال لهم ما قصة هذا الفتي ؟ قالوا أصاب كنزاً فقال له الملك
 لا تخف فإن نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكسوف إلا خمسها فادفع
 إلى خمس هذا الكسوف وامض سالماً فقال أيها الملك تثبت فى امرى ما أصبت كنزاً
 وإنما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها ؟ قال نعم قال اتعرف أحداً ،
 قال نعم قال فسمى لنا فسمى له نحواً من مائة رجل فلم يعرفوا منهم رجلاً واحداً

قالوا يا هذا ما نعرف من هذه الاسماء وليست هي من اسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة داراً ؟ فقال نعم هذه داري .

ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه . فقال أيها الناس ما بالكم ؟ فقال لرسول الملك إن هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت إلى تلميذها وتبينه وقال ما اسمك ؟ قال تلميذا بن فلسطين فقال الشيخ أعد على فأعاد عليه فأنسكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلهما وقال هذا جدى ورب الكعبة وهو أحد الفتيمة الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار إلى جبار السموات والأرض ولقد كان عيسى عليه السلام أخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون . فأنى ذلك إلى الملك وأنى إليهم وحضرهم .

فلما رأى الملك تلميذها نزل عن فرسه وحمل تلميذها على عاتقه فجعل الناس يقبلون يديه ورجليه ويقولون يا تلميذا ما فعل بأصحابك فأخبرهم أنهم في الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان رجل مسلم وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذوا تلميذها فلما صاروا قريباً من الكهف قال تلميذها يا قوم إني أخاف أن إخواني يحسبون بوقع حوافر الخيل والدواب وصاصلة اللجم قفوا قليلاً حتى أدخل إليهم . فأخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تلميذها فوثب إليه الفتيمة واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذى نجاك من دقيانوس . فقال دعوني منكم ومن دقيانوس (كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) قال بل لبثتم ثلاثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس . وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد جاءكم فقالوا له يا تلميذا تريد أن تصيرنا فتنه للعالمين قال فماذا تريدون . قالوا ارفع يدك وازرع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجائب فى أنفسنا إلا قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا حرام لا نأوت فقبحض أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل يطوفان حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان له باباً ولا منفذاً ولا مسلكاً فأيقنا حينئذ باطيف صنع الله الكريم وإن أحوالهم كانت عبرة أراهم الله إياها فقال

المسلم على ديني ما نوا أنا أبى على باب الكهف مسجدا وقال النصراني قل ما نوا على ديني فأنا أبى على باب الكهف ديرا فاقتتل المملكان فنلب المسلم النصراني فبنى على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليكم مسجدا) وذلك يا يهودى ما كان من قصتهم .

ثم قال على كرم الله وجهه لليهودى سألتك بالله يا يهودى أوافق هذا ما فى قلوبكم فقال اليهودى ما زدت حرفاً ولا نقصت حرفاً يا أبا الحسن لا تسمنى يهودياً فأبى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإنك أعلم هذه الأمة .

وقال عبيد بن عمير : كان أصحاب الكهف فتية إذا مطوقين مسورين ذوى ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى موكب وأخرجوا معهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله ففقد الله فى قلوبهم الإيمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن صاحبه فقالوا فى أنفسهم من غير أن يظن بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرهم

فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه إيمانه مخافة على نفسه ثم قالوا لبعضهم لبعض ليخرج كل فتية منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم أمره إلى صاحبه ، فخرج فتية منهم فتوافقوا ثم تكلموا فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه فاقبلا وهما مستبشران إلى أصحابهما فقالا : قد اتفقنا على أمر واحد وإذا هم جميعاً على الإيمان وإذا كهف فى الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض (فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً) فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدرُوا عليهم كتبوا اسمائهم وأنسابهم وكتبوا فى لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم فى يوم كذا فى شهر كذا من سنة كذا فى ملك فلان بن فلان ووضعوا اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكون لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن .

وقال وهب بن منبه ، جاء حواري من اصحاب عيسى عليه السلام إلى مدينة
اصحاب الكهف فأراد ان يدخلها فقبل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد إلا سجد
له فسكره ان يدخلها فأتى إلى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامي
وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم
عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة ، فجعل يخبرهم خبر السماء والأرض وخبر
الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ، وكان يقول ان الليل لي لا يحول بيني وبينه أحد
فيصلي فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فغيره
بها الجواري وقالوا له انت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحيما ابن الملك بعد أن
سبه وانتهره ولم يلتفت إليهم ثم إنهما دخلا معاً فأتا جميعاً في الحمام فأتى الملك
وقيل له قتل صاحب الحمام لابنك قالتس فلم يقدر عليه فقال من كان بصحبته فسموا
الفتية قالتسوا فخرجوا من المدينة فروا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل إيمانهم
فذكروا أنهم التمسوا فالطلق معهم ومعه كلبه حتى آواهم الليل إلى الكهف فدخلوا
وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على
أذانهم فخرج الملك في أصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كل
أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أربع فلم يظن أن أحد يدخله فقال قائل أليس
لو كنت قدرت عليهم فتلتهم ، قل بلى قال فأين عليهم باب الكهف وتركهم فيه
يموتوا عطشاً وجوعاً ففعل ذلك ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعياً أدركه المطر
عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت فيه غنمي من المطر فلم
يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله إليهم أرواحهم من القدر حين أصبحوا .

وقال محمد بن إسحق . مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطفت فيهم
الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون
بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان من فعل ذلك من ملوكهم ملك الروم يقال له
دقيانوس كان عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك بمن أقام على
دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحدًا يدين المسيح إلا

فقتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس فلما نزلها كبر ذنوبه على أهل الإيمان فاستخلفوا وهربوا في كل ناحية ودقيانوس قد أمر حين دخلها أن يتبع أهل الإيمان فيجمعوا إليه واتخذوا شرطاً من كمار أهلها وجعلوا يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس فيقدمهم إلى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت فيخبرهم بن القتل وعبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون.

فلما رأى ذلك الفتية حزتوا حزناً شديداً فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس والدعاء وكانوا من أشرف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون (ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً) ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك .

فبينما هم على ذلك إذ أدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم فوجدوهم سجدوا على وجوههم يبكون ويتضرعون إلى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وقتلته فلما رأهم أولئك الكفرة قالوا لهم : ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا إليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم إلى دقيانوس فقالوا نجمع الجميع وعلماء الفتية أهل بيتك يسخرون منك ويعصونك فلما سمع ذلك خبرهم لما ان يذبحوا آلهم كما ذبح غيرهم من الناس ولما ان يقتلهم الملك مكسليهمينا وكان أكبرهم إن لنا إلهاً ملا السموات والأرض عظمة لن ندعو من دونه إلهاً أبداً ولن نقر بهذا الذي تدعو إليه أبداً ولكننا نعبد ربنا الذي له التمجيد والتكبير والتسبيح والتقديس من أنفسنا خالصاً أبداً وإياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبداً فاصنع بنا ما بدا لك . ثم قال أصحاب مكسليهمينا دقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك أمر بهم فنزع ملبوساً كان عليهم

من ملبوس عظمائهم ثم قال لهم إنكم إذا فعلتم ما فعلتم سأؤخركم وأفرغ لكم ما وعدتكم من العقوبة ما ينبغي أن أعجل لكم ذلك لأنى أراكم شباباً حديثي السن أنتم فلا أحب أن أهلكم حتى أعجل لكم ذلك أجلاً فتراجعوا فيه عقولكم ثم امر بحليلة كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوهم من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينته سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم لبعض الأمور فلما رأى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فأتروا أن يأخذ رجل منهم نفقة من بيت أبيه فتصدقوا منها ويتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة يقال له بالجلوس فيسكنون فيه ويعبدون الله تعالى حتى إذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء .

فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم إلى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لأحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه .

رجعنا إلى حديث ابن إسحق . فلبثوا في ذلك الكهف ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له تملينخا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرّاً وكان من أجدهم وأجملهم فكان تملينخا يصنع ذلك فإذا دخل المدينة يصنع ثياباً كانت عليه حسناً ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطعمون فيه ثم يأخذ درهما فينطلق إلى المدينة فيشتري طعاماً وشراباً ويتسمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكر ونهم بشيء ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا كذلك ملبثوا . ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت ففرع من ذلك أهل الإيمان . وكان تملينخا بالمدينة يشتري طعاماً فرجع إلى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام فأخبرهم أن دقيانوس دخل المدينة وإنهم قد ذكروا والتسوا مع عظماء المدينة لئذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فرعوا ووقعوا سجداً يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ويتعوذون به من الفتنة .

ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضاً فبينما هم كذلك إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف فأصابه ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدتهم دقيانوس والتسهم فلم يجدهم فقال لبعض قومه لقد ساءنى شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون لى غضبان عليهم بحملهم ما جعلوا من أمرى فإنى لا أغضب عليهم إذا تابوا وعبدوا آلتى فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعتصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاءوا لرجعوا إلى ذلك الأجل والكنهم لم يتوبوا .

فلما قالوا له ذلك غضب غضباً شديداً ثم أرسل إلى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبرونى عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أما نحن فلم نعتك ولم تقتلنا بقوم مردة لأنهم خالفونا وانطلقوا إلى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتية فألقى الله فى نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم فى الكهف يموتون جوعاً وعطشاً ولا يكن كفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله ارواحهم وفاء النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم يلقبون ذات اليمين وذات الشمال ، قال ثم إن رجلين مؤمنين كانا فى بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما اسم أحدهما تندروس والآخر روباس اتفمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم واسمائهم وخبرهم فى لوح من رصاص ويجعلاه فى تابوت من نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان وقال لعل الله أن يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليه خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ففعل ذلك وبنيأ عليه فبقى دقيانوس ما بقى ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك .

ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقى في ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس في ملكه أحزاباً منهم من أومن بالله العظيم ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا إلى الله وتضرع إليه وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق وإنهم يقولون لا حياة إلا الحياة الدنيا وإنما نبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد وأما الجسد فيأكله التراب ونسوا ما في الكتاب .

فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسجاً وجعل تحته رماداً فدأب ليله ونهاره يتضرع إلى الله ويبكى بما يرى فيه الناس ويقول أى ربي قد ترى اختلاف هؤلاء ؟ فابعث لهم آية ثم ان الرحمن الرحيم جل وعز الذى يكره اختلاف العباد أراد ان يظهر الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستحب لعبده الصالح تندوسيس ان يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذى أعطاه وان لا يعبد إلا الله ولا يشرك به شيئاً وان يجمع من كان تبعد من المؤمنين فالقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم ذلك الرجل أولياس ان يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف فيبين به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلوا ينزعان تلك الحجارة ويبذران بها تلك الحظيرة حتى نزعوا ما على فم الكهف وفتحوا عليهم باب الكهف وحجبتهم الله عن الناس فيزعمون ان اشجع من يريد ان ينظر إليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلهم نائماً .

فلما نزعوا الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهرانى الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم ان كانوا يستيقظون منها إذا أصبحوا من ليلتهم التى يبيتون بها .

ثم إنهم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرون في وجوههم ولا أبصارهم ولا ألوانهم شيئاً ينكرونه إنما هم كهيتهم حين رقدوا برون أن ملكهم

دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتلميذا صاحب نفقاتهم ، بين لنا ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم قالوا بعضهم لبعض « وكم لبثتم . قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تلميذا التستم في المدينة لتذبحوا للطواغيت أو تقتلوا قالوا فما شاء الله بعد ذلك قتل . فقال مكسليمينا . يا إخوتاه اعلموا أنكم ملاقوا الله تكفروا به بعد إيمانكم إذا دعاكم غداً .

ثم قالوا يا تلميذا انطلق إلى المدينة فنسمع ما يقال عما بها اليوم وتلطف ولا تشعرك بك أحداً وابتع لنا طعاماً واثبتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به أمس فإنه كان قليلاً وقد أصبحنا جوعاً ففعل تلميذا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها ثم أخذ ورقاً من نفقاتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تلميذا خارجاً فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفياً بعيداً عن الطريق تخوفاً أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك ثلثمائة سنة ، فلما رأى تلميذا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق الباب علامة لأهل الإيمان لما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفياً فنظر يميناً وشمالاً لأنه ترك ذلك الباب وتحول إلى باب آخر من أبوابها فنظر فرأى مثل فجعل يتخيل له أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى ناساً كثيرين محدثين لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشي بين بين أطمأ أهل سوقها وهو يسمع ناساً يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسنداً ظهره إلى جدران المدينة وهو يقول في نفسه ههنا هذه ليست بالمدينة التي أعرفها فإني اسمع كلام أهلها ولا أعرف واحداً منهم والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالخيران ولا يتوجهها وجهها ، ثم إنه لقي فت

أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى ؟ فقال أفسوس في نفسه لعل بى مسأ
او أمرا اذهب عقلى والله يحق على أن أبادر الخروج منها قبل أن يصيبنى شرفأهلك
هذا ما يحدث به تملينا : أصحابه حتى يبين لهم ما فيه ، ثم افاق وقال والله لو عجبت
الخروج من المدينة قبل أن يفتن بى فكان ا كيس لى فدنا من الذين يبيعون الطعام .

ثم أخرج الورقة التى كانت معه فأعطاهم رجلا منهم وقال يا عبد الله بعنى بهذه
طعاما فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها إلى
رجل من أصحابه فنظر إليها ، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل فيتعجبون
منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد أصاب كنزا
فى الأرض من زمان طويل فلما رأهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا فجعل
يزعم ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه ولأنهم يريدون ان يذهبوا به إلى ملكهم
دقيانوس قال وجعل أناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق
اتفصلوا قد أخذتم ورقى فأمسكتموها فلا حاجة لى فى طعامكم فقالوا يا فتى فمن انت
وما شأنك ؟ فلما سمع قولهم عجب فى نفسه ثم قال قد وقعت فى كل شيء أحذر
منه ثم قالوا والله يا فتى إنك لا تستطيع ان تسكن ما وجدت ولا تظن فى نفسك ان
تستخفى عليك فتحير فى نفسه وليس يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم و فرق
حق ما يخبرهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه فى عنقه ثم جعلوا
يقودونه فى سكك المدينة مكبلا حتى سلح به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنزا
فاجتمع عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون إليه ويقولون والله
ما هذا الفتى من أهل المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تملينا وما يدري
ما يقول لهم مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال
لأنه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا أن أباه وإخوته فى المدينة وان حسبه
فى أهل المدينة من عظماء أهلها وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا فبينما هم قائم
كالخيران ينظر متى يأتيه بعض أهله فيخاطبه من أيديهم ، فبينما هو كذلك إذ

(م ٣١ - قصص الانبياء)

قد اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومديريها وهما رجلان صالحان لاسم
أحدهما أرموس والآخر اسطيوس .

فلما انطلقوا به ظن تلميذا أنهم انطلقوا به إلى دقيانوس الملك فجعل يلتفت
يميناً وشمالاً وجعل الناس يستخرون منه كما يستخرون من المجنون والهيران فجعل
تلميذا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إله السموات والأرض أفرغ
علي اليوم صبراً وأوج معي روحاً منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي
ويقول في نفسه فرق بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت فيأتون فنقوم
جميعاً بين يدي هذا الجبار فإننا كنا قد توافقنا لنكونن معاً لأنكفر بالله ولا نتهرق
في موت ولا في حياة أبداً حتى انتهى إلى الرجلين الصالحين أرموس واسطيوس .

فلما علم تلميذا أنه لم يذهب إلى دقيانوس أفاق وسكن ما به فأخذ أرموس
واسطيوس الورق ونظرا إليهما وعجبا منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي
وجدت يافتي ؟ فقال ما وجدت كنز وإنما هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه
المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم فقال
أحدهما من أنت ؟ فقال له تلميذا قال فمن أبوك ومن يعرفك بها ؟ فأجابهم باسم
أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تذهبنا بالحق فلم
يدر تلميذا ما يقول غيره ثم انه نكس بصره إلى الأرض ، فقال بعض من حضر :
هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكن به يحقق نفسه عمداً لكي ينفلت
منكم فقام أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً وقال له اتظن أنا رسلك ونصدقك بأن
هذا مال أبيك واضرب هذه الورق ونقشها أكثر من ثلاثمائة سنة أنت غلام شاب
تظن ان تأفكنا وتسخر بنا ونحن سمعنا كما ترى وحولك سراة هذه المدينة
وولاية أمرها وخزائن هذه البلاد بايدنا وليس عندنا من هذا الضراب درهم ولا دينار
لأعذبك عذاباً شديداً ثم أوثقك حتى تعرفني هذا الكنز الذي وجدت ، فلما قال
له ذلك قال تلميذا انبؤوني عن أسألكم عنه فإن فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا

سل لا نسكتك شيئاً قال ما فعل بالملك دقيانوس ؟ فقال له تمليخا فوالله ما أجد من الناس أحدا يصدقني على ما أقول لقد كنا فتية وإن الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة الأصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبقينا فلما انتهينا خرجت لأشترى لأصحابي طعاماً وأنجس الألبان فإذا كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف الذي في جبل ناجلوس أريكم أصحابي .

فلما سمع أرموس ما يقول تمليخا قال : يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد الفتى فانطلقوا معه يرينا أصحابه فانطلق معه أرموس وأسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا أن تمليخا قد احتبس عنهم لأنه لم يأتهم بطعامهم وشرابهم في القدر الذي كان يأتي فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخرفون إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار وأنه بعث إليهم ليؤتيهم فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الفلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فإنه الآن بين يدي دقيانوس ينتظر متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظمرائي الكهف ولم يشعروا إلا وأرموس وأصحابه وقوف على باب الكهف وقد سبقهم تمليخا قد دخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم لأنهم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمان كله وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أرموس فرأى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ، ثم دعار جالا من عظماء أهل المدينة ففتحووا التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما إن مكسليينا وتمليخا ومرطونس وكشيطونس وداسيوس وتكريوس وبطيونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة ولما كنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم إن أمر عليهم

فلما قرأوه عجاوا وحمدوا الله تعالى الذي أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسديده ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوساً مشرقة وجوههم لم تبلى ثيابهم فخر أرموس وأصحابه سجوداً وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضاً وأنباهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم أن أرموس وأصحابه بعثوا إلى ملكهم الصالح تندوسيس فاعجل لملكك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله في ملكك فاعجل إلى فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من السدة التي كان عليها وقال: أحمدهم اللهم رب السموات والأرض تطولت على ورحمتي برحمتك فلم تطفىء النور الذي جعلته لأبائي وللعبد الصالح فسطيطوس الملك فلما نبأ به أهل المدينة ركعوا إليه وساروا معه حتى أنوا الكهف .

فلما رأى الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وسجدوا سجداً لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم أعانقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه ثم إن الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والإنس فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفي الله أرواحهم قام الملك إليهم فجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه في المنام فقالوا إنا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولا كنا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتوابيت من ساج فجعلوا فيها وجعهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلي فيه وجعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة ، وقيل لأنهم لما أتوا باب الكهف قال تلميذنا دعوني أدخل على أصحابي فأبشروهم فدخل وقبض الله روحه وأرواحهم وعنى عليهم مكانهم فلم يفتدوا إليه كما ذكر على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فهذا خبر أصحاب الكهف .

(مجلس في ذكر جرجيس عليه السلام)

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي بإسناده عن وهب بن منبه البجلي قال كان في الموصل ملك يقال له زنانة، وكان ملك الشام كلها ودان له أهلها، وكان جبارا غايا وكان يعبد صنما يقال له أفلون ؛ وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة ؛ وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوماً يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه إليه لئلا يجعل لأحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاء وقد برز في مجلس له وأمر بصنمه أفلون فنصب والناس يهرضون عليه وهو يعذب من خالفه بأنواع العذاب وقد أوقد نارا عظيمة .

فلما رأى جرجيس عليه السلام فزع منه وهاله فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه على أهل ملته حتى لم يبق منه شيء وكره أن يجاهده بالمال فأقبل عليه ، وقال له اعلم أنك عبد ملوك لا تملك لنفسك شيئا ولا لغيرك وأن لك رباً هو الذي يملكك وغيرك وهو الذي خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفعك ؛ وإذا قال شيء كن فيكون وإنك إنما عمدت إلى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا من الله فزيته بالذهب والفضة وجعلته قننة أناس ثم عبده من دون الله ، فقال الملك له ان سأل عن حاله وأمره ومن هو ومن لئن هو ، فقال جرجيس أنا عبد الله وابن عبده وابن أذل عباده من التراب خلقت وإليه أصير ، فقال له الملك لو كان ربك الذي تزعم كما تقول لرؤى أثره عليك كما رؤى أثرى على من حولي ومن هو في طاعتي فأجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم أمره ؛ ثم قال أتعدل أفلون الأصم الأبكم الذي لا يغنى عنك شيئا رب العالمين الذين قامت السموات والأرض بأمره أم تعدل طوفليا ومانال بولايتك فإنه عظيم قومك بما قال إلياس من ولاية الله تعالى فإن إلياس كان في بدء أمره آدميا يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق فأكرمه الله تعالى حتى أنبت له الريش وكساه النور فصار

لأنسيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخاطيس وما قال بولايتك فإنه عظيم
 قومك بالمسيح بن مريم وما قال بولاية الله تعالى فإن الله تعالى فضله على رجال العالمين
 وجعله وأمه آية للمعتبرين ، أم تعدل هذه الروح الطيبة التي اختارها بكلمته وفضله
 على إمامته وما نالت بولاية الله بأربيل وما نالت بولايتك حتى اقتحمت الكلاب
 بيتها فانتهمشت لحمها ووافت في دمها وقطعت الضباع أوصالها فقال له الملك
 إنك لتحدثنا بشيء ليس لنا به علم فأتانا بالرجلين اللذين ذكرتهما قال إن تراهما
 وإن يرياك إلا أن تعمل بعملهما فتتزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد أعذرنا
 إليك وتبين لنا كذبك لأنك نخرت بأمور عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ، ثم
 إن الملك خير جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلون فقال له جرجيس إن
 كان أفلون هو الذي رفع السما ووضع الأرض فقد أمسييت ونصحت لي وإلا
 فأخسأ أبها النجس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب إلهه وأمر بنخشة
 فنصبت له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده
 وعروقه ونضح عليه خلال ذلك بالخل والخردل لحفظه الله من ذلك الألم والهلاك .

فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فأحيت حتى جعلته
 نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه لحفظ من الألم والهلاك فلما رأى ذلك أنه لم
 يقتله أمر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتى إذا جعلته نارا أمرته فادخل في جوفه
 واطبق عليه فلم يدل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له جرجيس
 ألم تجد ألم هذا العذاب الذي تعذب به ، فقال إن ربي الذي أخبرتك به حمل العذاب
 عني وصبرني لأحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخاف على نفسه ومملكه
 وأجمع رأيته على أن يخلده في السجن فقال له الملائكة من قومه إنك إن تركته طليقا في
 السجن يكلم الناس أو شك أن يميل بهم عليك وليكن مر له بعذاب في السجن
 فيشغله عن كلام الناس فأمر به فبطح على وجهه ثم أوتده في يديه ورجليه أربعة
 أوتاد من حديد وأمر بأسطوانه من رخام فوضعت على ظهره ثم إنه حمل تلك
 الأسطوانة ثمانية عشر رجلا فظل يومه موتدا تحت الحجر فلما أدرك الليل أرسله

الله تعالى إليه ملكا وذلك أول ما أيده الله تعالى بالملائكة وأول ما جاء الوحي فقلع عنه الحجر ونزع عنه الأوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره بالنصر .

فلما أصبح أخرجته من السجن ثم قال له الحق بعدوك فجاهده في الله حق جهاده ؛ فإن الله يقول لك اصبر وابشر فإنى قد ابتليتك بعدوى هذا سبع سنين يهذبك ويقتلك فيهن أربع مرات وفى كل ذلك أرد إليك روحك فإذا كان فى القتلة الرابعة نقلت روحك وأوفيتك اجرّك فلم يشعروا إلا وقد وقف جرجيس على رؤوسهم يدعوهم إلى الله تعالى فقال له الملك يا جرجيس من أخرجك من السجن فقال أخرجنى الذى سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك مله غيظا ودعا بأصناف العذاب وقال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه ثم انهم وضعوا سيففا على مفرق رأسه فشرّوه حتى سقط من بين رجليه وصار جزمين ثم عمدوا إلى أجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة أسود ضارية كانت له فى جيب وكانت حشفا من أصناف عذابه فرموا بجسده إليها فلما هوى نحوها أمر الله عز وجل نفضت برءوسها وأعناقها وقامت على براثنها تقيسه الألم فظل يومه ذلك ميتا وكانت أول موته ماتها ، فلما أدركه الليل جمع الله جسده الذى قطعوه وضم بعضه إلى بعض حتى سواه ثم رد الله إليه روحه وأرسل إليه ملكا فاخبرجه من الجلب فأطعمه وسقاه وبشره بالنصر ، فلما أصبحوا قال له الملك يا جرجيس قال أبيعك قال له : اعلم ان القدرة التى خلق الله بها آدم هى التى أخرجتك من الجلب أخرج فالحق بعدوك وجاهده فى الله حق جهاده وموت الصابرين ، فلم يشعر الملك وأصحابه الآخرون إلا وقد أقبل جرجيس وهم عجوف على عيد لهم قد صنعوه فرحاً بموت جرجيس ، فلما نظروا إلى جرجيس مقبلا قال الملك ما أشبه هذا الرجل بجرجيس فقالوا كأنه هو ، فقال الملك ليس هو حقا ألا ترون إلى سكون ريحه وقلة هيئته فقال جرجيس بلى هو فبتس القوم انتم قتلتهم ومثلتم فاحيانى الله تعالى بقدرته فهايموا إلى الرب العظيم الذى أراكم ما أراكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم إلى بعض وقالوا ساحر سحر أعينكم فجمعوا له من كان ببلاد الملك من

السحرة فلما جاء السحرة قال الملك لكبيرهم اعرض على من كبير سحر ك مايسر عيني فقال ادع لي بشور من البقر فلما اتى به نفث في إحدى اذنيه فانشتقت اثنتان ثم نفخ في الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ، ثم دعا ببنذر فخرث وبنذر ونبت الزرع وحصد ثم درس وذرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك في ساعة واحدة وهم يرون : فقال له الملك هل تقدر ان تمسخ لي جرجيس دابة ، فقال الساحر ادع لي بقدرح من ماء ، فلما أتى بالقدرح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه ان يشربه فشربه جرجيس حتى اتى على آخره ، فلما فرغ منه قال له الساحر ماذا تجد ، قال ما اجد الا خيرا كنت قد عطشت فعطف الله لي بهذا الشراب وقواني به عليكم فلما قال ذلك اقبل الساحر على الملك وقال له : اعلم ايها الملك انك كنت تقايس رجلا مثلك . إذا ليكنت غلبته ، وامكنك تقايس جبار السموات والارض وهو الملك الذي لا يرام .

١ وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام قد سمعت بجر جيس وما يصنع من الاعاجيب فأتته فقالت له يا جرجيس أنا امرأة مسكينة ولم يكن لي مال الا ثوران كنت أحرث عليهما فأتا فجهشك لترحمي وتدعو الله أن يحي لي ثوري فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحي لها ثوريها ثم إنه أعطاهما عصا وقال لهما اذهبي إلى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصا وقولي لهما احيا يا ذن الله تعالى فقالت يا جرجيس إن ثوري قد ماتا منذ سبعة أيام ومزقتهما السباع وبينى وبينهما أيام فقال لهما لو لم تجدي منهما الا شيئا يسيرا وقرعتيه بالعصا فايهما يقومان بإذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى اتت مصرعهما وكان أول شيء بدا لهما من ثوريها ذقنه احدهما وشعر أمني الآخر فجمعت احدهما إلى الآخر وقرعتهما بالعصا وقالت كما امرها فقام الثوران بإذن الله تعالى ، قال رجل من اصحاب الملك وكان أعظمهم عند الملك إنكم قد وضعتن أمر هذا الرجل على السحر وإنكم قد عذبتموه فلم يصل إليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساجرا يذرا عن نفسه الموت أو أحيا ميتا قط فقالوا إن كلامك بكلام رجل صبا إليه فلمعله استهواك إلى

فقال آمنت بالله واشهد أنى برىء مما تعبدون فقام إليه الملك واصحابه
فالتخناجر فقتلوه .

فلما رأى القوم ذلك اتبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا فعمد إليهم الملك فلم
يزل يعذبهم بألوان العذاب حتى افناهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هل ادعوت ربك
فاحيا لك اصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجزيرتك فقال جرجيس ما خلى بينى وبينهم
حتى حانت آجالهم فقال لهم رجل من عظمائهم يقال له مخلص انك زعمت يا جرجيس
ان إلهك هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ؛ ولانى سألتك أمرا ان فعلته آمنت بك
وصدقتك وكفيتك ؛ نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيًا وهذه مائدة بيننا عليها
أفداح وصحاف من اشجار شتى فادع ربك ينشئ هذه الكرسي والافداح كما
بدأها اول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها انبوبة ورقه وزهره فقال له
جرجيس : لانه على الله لهين فدعا الله عز وجل فها برحوا من مكانهم حتى اخضرت
ملك الكرسي والافداح كلها وأورقت وازهرت رائحت فلما نظروا إلى ذلك
انتدب لهم مخلص الذى تمنى عليه ما تمنى فقال انا اعذب لكم هذا الساحر عذابا
يبطل به كيده ثم لانه عمدا إلى نحاس فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم
حشاها فقطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم ادخل جرجيس مع الحشو في جوفه
ثم اوقد على الصورة حتى التهب وذاب كل شيء فيها وجرجيس فى جوفها ،

فلما مات جرجيس ارسل الله ريحا عاصفا فمات السماء سخابا أسود فيه رعد
وبرق وصواعق وأرسل الله أعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما ، وأرسل الله
ميكائيل فاحتمل الصورة التى فيها جرجيس حتى إذا أقلها ضرب بها الأرض
ففزع من روعها اهل الشام فخرجوا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة
خرج منها جرجيس حيا . فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة واسفر ما بين
السماء والأرض ورجعت إليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طوفليا لا ندري
يا جرجيس ان كنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك . فإن كان ربك هو الذى
يصنع فادعه يحيى لنا موتانا التى فى القبور فإن فيها امواتا منهم من نعرفه

ومنهم من لا يعرفه فقال له جرجيس لقد علمت أن ما يصفح الله عنكم هذا الصفيح ويريك هذه الاعاجيب ثم إنه أمر بالقبور فنبشت وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً تسعة رجال وخمس نسوة وثلاثة صبية وإذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك ، فقال يا جرجيس اسمي توبيل قال متى مت ، قال في زمان كذا وكذا فحبسوه فاذا هو مات منذ أربع مائة عام ، فلما نظر الملك وأصحابه إلى ما فعل قالوا ما بقي من أصناف العذاب شيء إلا وقد عذبتموه إلا الجوع والعطش فعذبوه بهما فعمد إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحضره في بيتها وكانوا لا يوصلون له من عند أحد طعاماً ولا شرباً فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام أو شراب فقالت لا ما عندنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج أتس لك شيئاً فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى ، قالت نعم . قال إياه تعبدين ، قالت لا ، فدعاها إلى الله فصدقته ، ثم إنها انطلقت تطالب لها شيئاً وكان في بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب البيت فأقبل على الدعاء فأحضرت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل أو تعرف حتى كان مما أنبت اللوبيا واللياز وهو مثل البردي ، فأقبلت العجوز وهو فيها شاء يأكل رغدا فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي ابني فقال لها أذنيه مني فأدنته فبصق في عينيه فأبصر ونفت في أذنيه فسمع فقالت له أطلق لسانه ورجليه رحمك الله قال لها أخريه فإن له يوماً عظيماً .

وكان الملك قد خرج يوماً في مدينته إذ وقع بصره على شجرة فقالوا له إن تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع فهو فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وردّها كما كانت أول مرة فتركوها وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتدله أربعة أوتاد وأمر بجعل فأوقد اسطوانة وجعل في أسفل العجل خناجر وشفار ثم أمر بأربعين ثوراً فنهضت بالعجل

ثمضه واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فأمر بقطعة أن تحرق فألقيت في النار حتى عادت رماداً فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجلاً فدروه في البحر فما برحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتاً من السماء : يا بحر إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من الجسد الطيب فإني أريد أن أعيده كما كان ، ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد صرة واحدة كهيئته قبل أن يذرى فخرج معه جرجيس مغبراً ينفض رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيما هو خير لي ولك وما نحن فيه ولولا أن يقول الناس إنك غلبتني وقهرتني لاتبعتك وآمنت بك ولكن اسجد لأفلون سجدة واحدة وأذبح له شاة واحدة ثم إنى أفعل لك ما يسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فأدخلني في صنمك ففرج الملك بقوله أن تظل هذا اليوم ولا تبیت هذه الليلة إلا في بيتي وعلى فراشي وكرامتي حتى تستريح فأخلى له بيته فظل فيه جرجيس حتى إذا أدركه الليل قام يصلي ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتاً فلما سمعته امرأة الملك استجابت له فلم يشعر إلا وهي خلفه تبكي فدعاها جرجيس إلى الإيمان فآمنت به وأمرها فمكثت إيمانها فلما أن أصبح الصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها فلما سمعت المعجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها وتوبخ جرجيس والناس مشتغلون عنها .

فلما دخل جرجيس بيت الأصنام ودخل الناس معه نظروا وإذا بالمعجوز ولابنها على عاتقها أقرب الناس إليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن المعجوز بإسمه فنطق وأجابه ولم يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق أمه ومشى على رجليه ولم يكن يطا الأرض قبل ذلك بقدميه قط ، فلما وقف بين يدي جرجيس قال له اذهب فادع لي هذه الأصنام وهي يومئذ سبعون صنماً على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعوا الأصنام فقال له قل لها إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقتك إلا ما أجبته فلما قال لها الغلام ذلك أقيمت تتدحرج إلى جرجيس فما انتهت إليه ركض الأرض

برجله فنخسف بها ، وبمنابرها وخرج إبليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا
من الخسف فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته فنخضع له وكله جرجيس فقال أخبرني
أيها الروح النجسة والخلق الملعون ما الذى يحملك على أن تهلك الناس معك
وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم ، فقال له إبليس لعنه الله لو خيرت
بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم
وضلالاته لا خيرت هلكته على ذلك كله ولأنه ليقع فى من الشهوة واللذة فى ذلك
جميع ما يلدذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس أن الله تعالى أسجد لأبيك آدم
جميع الملائكة فسجدوا كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه ؛ قال فلم
قال هذا خلى سبيله جرجيس .

قال الملك يا جرجيس غررتنى وخذعتنى وأهلكك آلهتى فقال جرجيس لعله
فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم أنها لو كانت آلهة لدافعت عن نفسها وإنما أنا مخلوق
ضعيف لا أملك إلا ما ملكتنى ربى .

فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن إيمانها
وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل لإدعوة فينخسف بكم الأرض كما نخسف
بأصنامكم اتقوا الله أيها القوم فى أنفسكم ، فقال الملك ويحك يا اسكندرية ما أمرع
ما أضلك هذا الساحر فى ليلة واحدة نقالت أمارأت الله كيف يظفره بك ويسلطه
عليك فيكون له الفلاح والحجة فى كل موطن .

فلما سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التى كان
علق عليها وجعلت عليه الأمشاط التى جعلت على جرجيس ؛ فلما آلمها قالت :
ادع ربك يا جرجيس فينخسف عني فاني قد آلمنى العذاب فقال لها انظري فوقك
فلما نظرت ضحككت فقال لها الملك ما يضحكك ، قالت أرى ملكين فوقى ومعهما
تاج من حلى الجنة ينتظرون خروج روحى ؛ فلما خرجت روحها زينهاها بذلك
التاج ثم صعدا بها إلى الجنة ؛ فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على لدعاء وقال
اللهم انت أكرمتهنى بهذا البلاء . لتعطينى منازل الشهداء فهذا آخر أيامى الذى كنت

وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا . اللهم اني اسالك أن لا تقبض روحي ولا أزول
من مكاني هذا حتى تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونعمتك ، الا قبل لهم به
حق تشفي به صدري وتقربه عني فانهم ظلموني وعذبوني فيك . اللهم اني اسالك
أن لا يدعوا بعدي داع في بلاء وكرب فيذكروني ويشذك بإسمى إلا فرجت عنه
ورحمته وأجبتة وشفعتني فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما
رأوا ذلك عمدوا إليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق ليعطيهم الله بالقتله
الرابعة ما وعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا فحملها الله من
وجه الأرض وجعل عاليها سافلها ، وكان جميع من آمن بجرجيس قد قتل وقتل
معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك ، وقال الأستاذ وكانت قصة جرجيس في
أيام ملوك الطوائف والله أعلم .

(باب في قصة شمسون النبي عليه السلام)

أخبرنا عبد الله الأضيبي بإسناده عن وهب بن منبه ، أن رجلا من أهل قرية من
قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الإنجيل وكانت
أمه قد جعلته نذيرا وكان قومه أهل أوثنان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها
على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب
الأموال فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروى
وكان قد أعطى قوة في البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره لجاهدهم في الله
ألف شهر يصيب منهم حاجته فاحتالوا عليه وقالوا لآناتيه إلا من قبل امرأته
فجعلوا لها جملا على ذلك فأجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فأعطوها حبلا وثيقا .
وقالوا لها إذا نام فأوثقي يديه إلى عنقه حتى تأتيه فتأخذه فلما نام أوثقت يديه
إلى عنقه بذلك الحبل ، فلما انتبه من نومه جذب به بيديه فوقع من عنقه فقال لها لم
فعلت ذلك فقالت له أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارأيت لإيهم وقالت
لهم اني قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيئا فarsلوا إليها بجامعة من حديد وقالوا
لها إذا نام فاجعليها في عنقه فلما نام جعلتها في عنقه ثم أحكمتها . فلما هب جذبها

فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فهل في الأرض شيء يغلبك قال لا إلا شيء واحد قالت وما هو . قال ما أنا بمنزرك به فلم تزل تسأله حتى قال لها ويحك إن أمي كانت أخبرتني أن لا يغلبني شيء أبدا ولا يغيظني إلا شعري فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه فاوقفه ذلك فبعثت إليهم فجاءوا وأخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفققوا عينيه وأوقفوه بين ظهرا في المدينة وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا إلى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم فأمر أن يأخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فيجذبهما جميعاً فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدماً وهلكت أيضاً امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاماً وعاد كما كان وكانت قصة شمسون في أيام ملوك الطوائف والله أعلم .

﴿ باب في قصة أصحاب الآخدود ﴾

قال الله تعالى (قتل أصحاب الآخدود النار ذات الوقود) الآيات وروى عن عطاء عن ابن عباس أنه كان بنجران ملك من ملوك حبر يقال له يوسف ذونواس ابن مريحيل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك إنى قد كبرت . فأبعث لى غلاماً اعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يقال له عبد الله بن السامر يعلمه السحر فسكره الغلام ذلك فجعل يتخلف عن الساحر وكان في طريقه راهب حسن القراءة وحسن الصوت فسمع الغلام عنده وسمع كلامه فاعجبه وكان يبطله عند الراهب ويأنى المعلم فيضربه ويقول له ما أبطاك . فشكا الغلام ذلك إلى الراهب فقال له الراهب إذا أنيت المعلم فقل حبسنى أى وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فرجها الغلام ورمها بحجر وقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فأتى الراهب وأخبره فقال الراهب أنت قتلتها ؟ قال نعم قال إن لك لشأناً

وقد بلغ من أمرك ما أرى وإني لك سقتلي فإذا ابتليت فلا تدل على فيمكن الغلام يبريء
الأكمة والأبرص ويشفي المرضى .

وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقوله الحية ، فجاءه مع
قائد وقال له . أنت قتلت الحية ؟ قال لا . قال فمن قتلها ؟ قال الله تعالى ، قال
فن الله قال رب السموات والأرض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل
والنهار والدينا والآخرة ، قال إن كنت صادقاً فادع الله أن يرد علي بصري فقال
له الغلام رأيت إن رد الله عليك بصرك تؤمن بالله . قال اللهم إن كان صادقاً
فأردد عليه بصره فرجع إلى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه
وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله ؟ قال رب السموات والأرض
فقال له الملك أخبرني من علمك هذا ؟ فأبى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام
فجىء بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرِكَ هذا ، فقال له الغلام إني
لا أشفي أهدأ وإنما يشفي الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجىء بالراهب
فقال له ارجع عن دينك فأبى ثم جىء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك
فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسهم فشقهم ثم التفت إلى الغلام وقال له ارجع
عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا
فذهبوا به إلى جبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا
ثم جاء الغلام يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك بك فقال كفانيهم الله
فغاض الملك ذلك فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقور وهي
السفينة واطرحوه في البحر ولججوا به فيه فإن رجع عن دينه وإلا فاقتلوه في
البحر وأغرقوه فذهبوا به إلى البحر ، فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت
فانكسرت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك ،
قال كفانيهم الله ، فقال له الملك اقتله بالسيف فنبأ السيف عنه ، وفشا خبره في
الأرض وعرفه الناس وعظموه وعللوا أنه وأصحابه على الحق ثم إن الغلام قال
للملك إني لا أقدر على قتلي إلا أن تفعل ما أمرك به فقال وما هو ، قال تجمع

أهل ملكك وأنت على سريرك فتصلبني على مجذع وترميني بسهم وتقول باسم الله رب الغلام ، ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال باسم الله فأصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات ، فقال الناس لا إله إلا الله آمنا بدين عبد الله بن السامري ولادين إلا دينه ، فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأغلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك وخدد أخذودا وملاه نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الإسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه في الأخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أولاد أحدهم رضيع فقال لها الملك أترجمين عن دينك وإلا ألقى بك أنت وأولادك في النار فأبى فأخذ ابنها الأكبر والأوسط فألقى في النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعي فأبى فأمر بإلقائه في النار فهتت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا أمه لا ترجعي عن الإسلام فإنك على الحق ولا بأس عليك فألقى الصبي في النار وأمه على أثره وقد روى هذا بنحو ما ذكرناه مرفوعا عن رسول الله ﷺ .

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور بإسناده عن صهيب عن رسول الله ﷺ بمثل معناه « وقد تكلم ستة في المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بذت فرعون ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الأخدود »

وقال سعيد بن المسيب : كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع يده على صدغه فكلمهم يده عادت إلى الصدغ فكتب إليهم عمر واروه حيث وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الأخاديد ثلاثة : واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فانطياخوش الرومي أحرق قوما من المؤمنين وأما بفارس فهو بختنصر ، وكانت قصته ما أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده عن ابن أروى قال لما هزم المسلمون أهل الأسفندهار وانصرفوا جاءهم نعي عمر . فاجتمعوا وقالوا أي شيء تجري على المجوس من الأحكام فإنهم ليسوا بأهل كتاب وليسوا من مشركي

العرب ، فقال على كرم الله وجهه ؛ بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم ، وكانت الخيرة قد أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت به وما المخرج منه ؟ فقالت المخرج منه أنك تخطب الناس فتقول ؛ أيها الناس إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات إذا ذهب هذا في الناس تناسوا ما حرمتهم عليهم ، فقام فيهم خطيبا فقال ؛ أيها الناس إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات ، فقال الناس بأجمعهم ؛ معاذ الله أن نؤمن بهذا ما جاءنا بهذا نبي ولا أنزل علينا في كتاب فراجع إلى أخته وقال ويحك إن الناس قد أبوا على فقالت ابسط فيهم السوط فأبوا أن يقربوا له فقال لها إن الناس قد أبوا فقالت جرد فيهم السيف فأبوا أن يقرؤا فقالت خذ لهم الأخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعتك حل عنه ومن أبى فاقذفه في النار فأخذ الأخدود وأوقد فيه النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله فأنزل الله تعالى فيهم (قتل أصحاب الأخدود) إلى قوله تعالى (عذاب الحريق) وأما الذي في اليمن فهو يوسف ذو نواس بن شراحبيل بن تبع بن يشرخ الحميري ، وقال مقاتل إنما قذف في النار يومئذ سبعة وسبعين إنسانا ، وقال السكلي كان أصحاب الأخدود سبعين ألفا فلما قذفوا المؤمنون في النار خرجت النار إلى أعلى شفير الأخدود فأحرقتهم وأرتمت النار فوقهم اثنتا عشر ذراعا ونجا ذو نواس فسلط الله عليهم أرباطا الحبشى حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فغرقه الله فيه ، وفيه يقول عمرو بن معديكرب ؛

أن وعدنى ، كأنك نور عيني	بأنعم عيشة أو ذو نواس
وما قد كان قبلك في نعم	وملك ثابت في الناس رواس
فقد تم عهد من عهد عاد	عظيم قاهر الجبروت قاس
فأمسى أهله بادرا وأمسى	ينقل في أناس من أناس

(باب في قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل)
(والشرف لنبينا محمد ﷺ)

قال الله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) قال محمد بن إسحق بن
بشار كان من حديث أصحاب الفيل ما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير
وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقي من علماء اليمن وغيرهم أن ملكا من ملوك حمير
يقال له زرة ذو نواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك إلا ما كان
من أهل نجران فإنهم كانوا على دين النصرانية على حكم الإنجيل ولهم رأس يقال
له عبد الله بن السامر فدعاهم إلى اليهودية فأبوا فخرهم فاختاروا القتل فمنهم من
قتل صبرا ، ومنهم من ألقى في النار لإلارجلا من أهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان
فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم في الرمل فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم
واسأصره فقال له بعدت بلادك عنا وامكني أكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على
ديننا قيصر فكاتب له وبعث معه رجلا من الحبشة يقال له إرياط فلما بعثه قال
له إن دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها وانخرب ثلث بلادها وابعث إلى ثلث سبائها
لما دخلها ناوشهم القتال فتعوقوا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به
البحر فملكها جميعا فكان آخر العهد به ، ودخلها إرياط فعمل بما أمره النجاشي
فقال ذو جدن الحميري فيما أصاب أهل اليمن :

لحاك الله قد أنزفت ريقى
إذا تسقى من الخمر الرحيق
إذا لم يشككى فيها رقيقى
ولو شرب الشفاء من النشوق
يناطح جلده بيض الأنوق
ينوء ممسكا في رأس نيق
وجر الموجل اللثيق الزليق
إذا يمسى كومضان البروق

دعيني لا أناالك لم تطبقى
بذا عزف القيان إذا انتشا
وشرب الخمر ليس على عار
وإن الموت لا ينهاه ناه
ولا مترهب في اسطوان
وغمدان الذى نبشت عنه
لمتهم وأسفله حروث
مصاييح السليط يلحن فيه

فأصبح بعد جدته رماداً وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التي غرست إليه يكاد اليسر يهصر بالعدوق
وأسلم ذو نواس مستبيلنا وحذر قومك صتك المضيق

قال ؛ فأقام إرياط باليمن وكتب إليه النجاشي أن اثبت بجندك ومن معك حيناً
ثم أن أبرهة بن الصباح ساخطه في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت معه
طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تراحموا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى
إرياط وكان إرياط جسيماً عظيماً وسيماً في يده حربته ، وكان أبرهة رجلاً قصيراً
حاذراً لحما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف أبرهة وزيراً يقال له عنودة
فلما دنوا رفع إرياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جنبه فشربت
عينيه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمي أبرهة الأشرم ، فلما رأى عنودة ذلك حمل
على إرياط فقتله فاجتمع الجيش على أبرهة فبلغ النجاشي ما صنع أبرهة فغضب
عليه وحلف لا يدع أبرهة حتى يعجز ناصيته ويطأ بلاده ، ثم إنه كتب إلى أبرهة
إنك عدوت على أميري فقتلته بغير أمري ، وكان أبرهة رجلاً مardاً ، فلما بلغه
قول النجاشي حلق رأسه وملا جراباً من تراب أرضه وكتب إلى النجاشي ؛ أيها
المالك إنما كان إرياط عبدك وأنا عبدك اختلقنا في أمرك وكنت أعلم بأرض الحبشة
وأسوس لها وكنت أردته أن يعتزل بي فقتلته ، وقد بلغني الذي خلف عليه المالك
وقد حلق رأسى وبعثت به إليك وملاّت جراباً من تراب أرضى وبعثته إليك
ليطأه المالك ليبر قسمه فلما انتهى إليه ذلك رضى عنه وأقره على عمله وكتب إليه
بأن اثبت بمن معك من الجند ، ثم أن أبرهة بن كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ،
ثم كتب إلى النجاشي إلى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن المالك مثلاً قط لست
منتظياً حتى أصرف إليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كسانة
فخرج إلى القليس ، فدخّلها ليلاً فمذر فيها تموناً بها وتغضبها للكعبة فبلغ ذلك
أبرهة ، ويقال إنه أتاهم ناظر آ إليها فدخّلها فوجد القذرة فيها ، فقال من اجترأ
على هذا ؟ فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذي يحجونه سمع
بالذي قلت فصنع هذا فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها ،

فخرج سائرآ من الحبشة إلى مكة وأخرج معه الفيل ، فبلغ ذلك العرب فأعظموه
ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر بمن أطاعه
من قومه فمزموه وأخذ ذو نفر فأتى به إلى أبرهة فقال له أيها الملك لا تقتلني فإن
استبقائك لي خير لك من قتلي ، فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم خرج
سائرآ حتى إذا من ديار خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي
خثعم وهما شهران وناهش ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فمزموهم وأخذ
نفيلآ أسيرآ فقال أيها الملك إنى دليلك بأرض العرب فلا تقتلني فاستبقاه وخرج
معه يدله حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث الثقيني في رجال من
ثقيف وقال له ؛ أيها الملك إنما نحن عبيدك فإن كنت تريد البيت الذي بمكة فنحن
نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولاهم فخرجوا حتى إذا كانوا
بالمغمس مات أبو رغال فهو الذي ترجم قبره العرب وبعث أبرهة من المغمس
رجلا من الحبشة يقال له الأسود بن مقصود على مقدمة خيله فجمع إليه أموالا
وأصاب لعبد المطلب جد رسول الله ﷺ مائتي بعير ثم أن أبرهة بعث حناطة
الحيرى إلى أهل مكة سفيرا فقال له سل من شريفها ثم أبلغه إنى لم آت لقتال إنما
جئت لأهدم هذا البيت فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم
فقال له ؛ إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت للقتال إلا أن تقاتلوه إنما أتى
لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب سنخلى بينه وبين ما جاء له
فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام فإن يمنعه فهو بيته
وحرمه وإن يخل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معه
إلى الملك .

زعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة وكان راكبا عليها وركب معه بعض
بنيه حتى قام المعسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأناه فقال له يا ذو نفر هل
عندك من عناء فيما نزل فقال له ما عناء رجل أسير لا يأمن من أن يقتل بكرة أو
عشية لكن سأبعث لك أنيس سائس الفيل فإنه صديق لي فاسأله أن يصنع لك عند
عند الملك ما استطاع إليه من الخير ويعظم منزلتك وحظك عنده فأرسل إلى أنيس

فأتاه ، فقال له إن هذا سيد قریش صاحب غير مكة يعطى ويطعم الناس من السهل والجبل والوحوش والطيور في رموس الجبال ، وقد أصاب الملك مائتى بعير ، فإنه استطاعت أن تنفعه عنده فهو صديق لى وإنى أحب ما يصل لى به من الخير ، ثم أن أنيسا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب وقال له : أيها الملك هذا سيد قریش ، وصاحب غير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والجبل والطيور والوحش فى رموس الجبال ، وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فأذن له ، فلما دخل عليه وجلس بين يديه فأنه وأجاسه معه على السرير ، ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك ؟ فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتى أن برد على مائتى بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبته حين رأيتك ولقد زهدت فيك الآن فقال له ولم ؟ قال حيث جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك لأهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائة بعير أصبتها فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الإبل ولهذا البيت ربه سيمتعه منك قال ما كان ليمنعه منى فقال له أنت وذاك ثم أمر له بإبله فردت عليه قال محمد بن إسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب إلى أبرهة بعمر و بن معدنى كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بئى كنانة وخويلد بن وائلة الهذلى وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى أن يرجع قال فلما ردت الإبل على عبد المطلب رجع فأخبر قریشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب ويتحركوا فى رموس الجبال تخوفا عليهم من مبرة الجيش إذا دخل ففعلوا ذلك ثم أتى عبد المطلب إلى الكعبة فأخذ حلقة الباب وجعل يقول :

يا رب لا أرجو لهم سواك	يا رب فامنع منهم حماك
إن هدو البيت من عاداك	فامنعهم أن يخربوا قراك
وقال أيضا : لا هم أن المزمع	سح رحله فامنع رحالك
وانصر على آل النصير	سب وعابديه اليوم آل لك
لا يغلبن صليبيهم	ورحلتهم أبدأ محالك

عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
 إن كنت تاركهم وكهـ بيتنا فأمر ما بدالك
 ثم أن عبد المطلب توجه في بعض الوجوه مع قومه ، وأصبح أبرهة بالمغمش
 وقد تهيأ لدخول مكة وعبيد بجيشه وهيا فيله ، وكان لاسم الفيل محموداً وكان من
 قبل النجاشي بعثه إلى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله في الأرض عظما وقوة وجسما
 وقال الكلابي لم يكن عندهم إلا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى (ألم تر كيف
 فعل ربك بأصحاب الفيل) قال الضحاك : كانت الفيلة كثيرة ، ويقال فإن معه
 اثنا عشر فيلا ، وإنما وحده (١) على هذا التأويل لوفاق رؤوس الآي ، ويقال
 نسبهم إلى الفيل الأعظم ، قال فاقبل الفيل الأعظم فاخذ بأذنه وقال : ابرك وقال
 ابرك محموداً أو ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام فبرك الفيل
 فبعثوه فابى أن يقوم فضر به بالمعول في رأسه فادخلوا محاجرهم تحت مراقبه
 مراقبه ورفعوه ليقوم فابى ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقم يهرول ثم وجهوه
 إلى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه إلى الحرم
 فبرك وأبى أن يقوم ثم أن نفيلاً خرج من عندهم وصعد إلى الجبل وأرسل الله
 تعالى طيراً من البحر كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار حجران
 في رجليه وحجر في منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم
 فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى
 ﴿ طيراً أبابيل ﴾ أي متفرقة من ههنا وههنا ، قال ابن عباس كان لها خراطيم
 كخراطيم الطيور ، واكف كأكف الكلاب ورؤوس ك رؤوس السباع ولم تر
 قبل ذلك ولا بعده ، وقال أبو الجوزاء : أفساها الله في الهواء في ذلك الوقت
 ﴿ ترميهم بحجارة من سجيل ﴾ أي سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاحبت الطيور ورميهم

(١) قوله ؛ وإنما وحده الخ ؛ المراد ان الإفراد في الآية على هذا القول

لوفاق رؤوس الآي .

(٢) قوله ؛ أي سنك كل ؛ لفظ معربه سجيل .

بالحجارة ، وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فنا وقع منها حجر على جنب رجل إلا خرج من الجنب الآخر ، وإذا وقع على رأس رجل خرج من دبره (فجعلهم كعصف ما كول) أى كزرع قد أكل حبه وبقي تبنه ، فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدون الطريق الذى جاءوا منه ويسألون عن نفيل ابن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة .

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب غير الغالب
وقال أيضا فى ذلك

الا حبيت عنا يا ردينا نعمنا كم من الأصباح عيوننا
وديشة لو رأيت ولم تريبه لدى جنب الخضب ما رأينا
إذ لعذرتنى وحمدت امرى ولم تأس على ما قات يميننا
حمدت الله إذ عاينت طيرا وخفت حجارة ترمى علينا
وكل القوم يسألون عن نفيل كان على للجيشان دينا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طيرا لا يابل كانوا ايلوا من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة اصفرها مثل رموس الرجال واكبرها كالابل النزل ما رمت اصابت وما اصابت قتلت ، وبعث الله تعالى على ابرهة داء فى جسده فجعل تساقط انامله كلما سقطت اثملة اتبعته اثملة وقيح ودم فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيما بقى من اصحابه فما مات حتى تصدع صدره عن قلبه ، ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذى جرحه اصحاب الفيل هو أن فئة من قریش خرجوا تجارا إلى ارض النجاشى فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفى سندها حقف من احقادها بيعة للنصارى تسميها قریش الهيكل ويسميها النجاشى وأهل أرضه الماسر نخشان فنزل القوم فى سندها فجمعوا حطبها واججوا نارا واشتوا لحناء ، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم صائف فمجت الرياح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصريح إلى النجاشى فاخبروه فأسف عند ذلك غضبه للبيعة فبعث ابرهة لهدم السكبة وكان يمكه يومئذ ابو مسعود الثقفى ، وكان

مكفوف البصر يصيف بالظائف ويشتى بمكة ، وكان رجلا نبيها عليلا ، وكان لعبد المطلب خليلا فقال عبد المطلب يا أبا مسعود ؛ هذا يوم لا نستغنى فيه عن رأيك فما رأيك ؟ فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الإبل فاجعلها هدية لله تعالى وقلدها زملا واثبتها في الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها ففيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ؛ إن لهذا البيت ربا سيمنعه ، فقد نزل تبع ملك اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاء ، واطلم عليه ثلاثة ايام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزورا .

ثم قال ابو مسعود لعبد المطلب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيئا ؟ فقال أرى طيرا بيضا نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤوسنا فقال له هل تعرفها ؟ فقال عبد المطلب والله ما اعرفها ما هى بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية ، وإنما تطير بارضنا غير مؤنسة قال ما قدرها ؟ قال امثال اليعاسيب فى مناقيرها حصى كاهها حصى الحذف قد أقبلت كالليل المظلم ، فجاءت حتى إذا حاذت عسكر القوم ركبت فوق رؤوسهم فلما توافت الرجال كلها بنحيا لهم اهلت الطير فى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم لأنها رجعت من حيث جاءت فلما أصبح عبد المطلب وابو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا فلم يسمعا حسا فقال لبعضهما بات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنوا من عسكر الفيل فإذا هم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة احدهم فيفجرها ويقطع فى دماغه ويخرق الفيل والدابة ويفيب الحجر فى الارض من شدة وقعه .

ثم إن عبد المطلب أخذ قاسا وحفر حتى اعرق فى الارض فملاها من الذهب الأحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملاها ثم قال لا بى مسعود هات خاتمك فاختر فإن شئت اخذت حفرتى وإن شئت اخذت حفرتك وإن شئت فهما لك مما فقال له ابو مسعود اختر لى على نفسك فقال عبد المطلب لى جمعات اجود المتاع فى حفرتى فهو لك .

ثم جلس كل واحد منهما على حفوته ونادى عبد المطلب بذلك على قرينيه وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال إلى أن ماتا وقال الواقدي بإسناده : غزا النجاشي إرياط في أربعة آلاف إلى اليمن فغلب عليها فأكره الملوك واستنزل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم فدعا إلى طاعته فأجابوه فقتل إرياط وغلب على اليمن فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج ، فسأل أين تذهب الناس ؟ فقيل يحجون بيت الله بمكة قال فما هو ؟ قالوا من حاجر ، قال فما كسوته ؟ قالوا ما يأتي من ههنا من الوسائل فقال والمسيح لابن نخيرآ منه فبنى لهم بيتاً من الرخام الأبيض والأسود والأحمر والأصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفاه بالجواهر وجعل له أبواباً عليها صفائح الذهب ، وكان يرقده بالندل ويلطخ جدرانها بالمسك حتى تغيب الجواهر ، وأمره الناس بحججه فحججه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يتعبدون ويتنكبسون فامهل الفيل الخشعي حتى كان ليلة من الليالي لم ير أحداً يتحرك فجاءه بعذر فاطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف فأخبر أبرهة بذلك فغضب غضباً شديداً ، وقال إنما فعلت العرب ذلك غيظاً لأجل بيتهم ثم إنه قال لا نقضه حجراً حجراً ، ثم إنه كتب إلى النجاشي يخبره بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيلة محمود وكان فيله لم ير مثله في الأرض عظماً وجسماً وقوه فبعثه إليه فغزا البيت كما ذكرنا إلى أن قال أقبلت الطير من البحر أبا بيل مع كل طير ثلاثة أحجار حجران في رجله وحجر في منقاره فتذفت الحجارة عليهم لا تصيب شيئاً إلا هشمته وبعث الله سبيلاً أتى عليهم فذهب بهم إلى البحر فألقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هرباً فجعل أبرهة يسقط عضواً عضواً حتى مات وأما محمود النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجأ ، وأما الفيلة الآخر فتشجعت فخصبت وهلك ، وهو أول وقت روى عليه الجدرى والحصبية ، وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك :

إن آيات رينا بينات ما يمارى بين إلا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى يحبوا كأنه معقور ظل

حواله من رجال كندة فتيان مصاليات في الحروب هتقور
غادروه وقد تولوا صراعاً كلهم عظم ساقه مكسور

وقال الكلبي : لما أهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم إلا أبرهة الأشرم بن
مكسوم فسار طائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشي فأخبره بما أصابهم
فما استقم كلامه حتى رماه طائر فسقط ميتاً فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه

وقال الواقدي : كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي ﷺ وآمن به
واختلفوا في تاريخ عام الفيل ، فقال مقاتل : كان أمر الفيل قبل مولد النبي ﷺ
بأربعين سنة ، وقال عبيد بن عمير الكلبي كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة ،
وقال آخرون كانت قصة الفيل قبل العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ ، وعلى هذا
أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال : سمعت
عبد العزيز بن أبي ثابت الزبير ، حدثنا ابن موسى عن أبي الجوزاء قال : سمعت
الملك بن مروان يقول لفيث بن أسيم الكندي يا غياث أنت أكبر أم رسول الله
ﷺ فقال إن رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه .

ولد رسول الله ﷺ عام الفيل . ووقعت بي أمي على روث الفيل .

ويدل عليه أيضاً ما روى أن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت الفيل
موسائسه بمكة أعمىين مقعدين يستطعمان .

فلما كفى الله أمر أصحاب الفيل عظمت العرب قريشاً وقالوا : هم أهل الله ،
وإن الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم ، والله عز وجل أعلم وأحكم ، وحسبنا
الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين

(تم الكتاب)

فهرس قصص الأنبياء (المسمى عرائس المجالس)

صحيفة

- ٢ خطبة المكتاب ، باب في ذكر بعض وجوه الحكمة ، وتقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين
- ٤ الباب الأول في بدء خلق الأرض وكيفيتها
- ٥ " الثاني في حدود الأرض ومسافتها وأطباقها وسكانها
- ٦ " الثالث في ذكر الأيام التي خلق الله فيها الأرض
- ٧ " الرابع في ذكر أسمائها وألقابها
- ٨ " الخامس في ذكر ما زين الله به الأرض
- ٩ " السادس في عاقبتها وما لها وآخر حالها
- ١٠ " السابع في وجوه الأرض المذكورة في القرآن
- ١١ مجلس في ذكر خلق السموات والأرض وما يتصل به ، وفيه سبعة أبواب
الباب الأول في بدء خلق السموات ، الثاني في جواهرها وأجناسها
- ١٢ " الثالث في هيئتها وحدودها ، الرابع في أسمائها وألقابها
- ١٥ " الخامس في ذكر الأيام التي خلق الله الأشياء فيها
- ١٨ " السادس في ذكر ما زين الله به السموات
- ١٨ " السابع في ذكر ما لها وآخر حالها
- ٢٣ مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة
الباب الأول في ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام
- ٢٤ " الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته
- ٢٦ " الثالث في صفة نفخ الروح فيه
- ٢٨ " الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام
- ٢٩ " الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه السلام وما كان منه في ذلك
- ٣٤ " السادس في حال آدم بعد هبوطه إلى الأرض وما كان منه

- ٤١ الباب السابع في ذكر هبوط إبليس لعنه الله في الأرض وحاله فيها بعد اللعنة
- ٤٢ » الثامن في ذكر ما روى من الأخبار فيمن تراءى له إبليس فرآه عياناً
وكله شفاهاً ٤٣ الباب التاسع في قصة قابيل وهايل
- ٤٩ » العاشر في وفاة آدم عليه السلام
- ٥١ » في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام
- بجلسن في ذكر النبي إدريس عليه السلام ٥٣ قصة هاروت وماروت
- ٥٨ » » قصة نوح عليه السلام ٦٤ ذكر خصائص نوح عليه السلام
- ٦٦ » » » هود » » ٧٢ مجلسن في قصة صالح » »
- ٧٩ » » » إبراهيم عليه السلام والنمرود وهو يشتمل على أبواب
- الباب الأول في مولد إبراهيم عليه السلام
- ٨٦ » الثاني في خروج إبراهيم من السرب ورجوعه إلى قومه الخ
- ٨٧ » الثالث في ذكر مولد إسماعيل وإسحق ونزول إسماعيل وأمه هاجر
إلى الحرم وقصة بثر زمزم ٩٣ الرابع القول في بقية قصة بثر زمزم
- ٩٥ » الخامس في قصة بناء الكعبة وبدء أمرها إلى وقتنا هذا
- ١٠١ » السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله إبراهيم بذبح ولده
- ١٠٢ قصة الذبح وعصفتة وفعل سيدنا إبراهيم بإبنه
- ١٠٥ » السابع في هلاك النمرود بن كنعان وقصة بناء الصرح
- ١٠٧ » الثامن في وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج إبراهيم ولده
- ١٠٨ » التاسع في خصائص إبراهيم
- ١١١ مجلسن في ذكر بعض أخبار إسماعيل وإسحق لإبن إبراهيم عليهم السلام
- ١١٤ » في قصة لوط عليه السلام
- ١٢٠ » في قصة يوسف بن يعقوب وإخوته عليهم الصلاة والسلام
- ١٢٢ القول في القصة ١٥٩ مجلسن في قصة موسى بن ميثا بن يوسف عليه السلام
- ١٦٣ مجلسن في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة إرم ذات العماد
- ١٦٤ » » » قصة أصحاب الرس ١٦٨ مجلسن في قصة نبي الله أيوب

١٧٦. مجلس في قصة ذى الكفل ١٧٧ مجلس في قصة شعيب النبي
- ١٨٠ » » ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران وهو يشتمل على أبواب
- الباب الاول في ذكر نبيه عليه السلام ، الباب الثانى في ذكر مولده
- ١٨٤ » الثالث في ذكر حليمة موسى وهرون عليهما السلام
- » الرابع في قصة قتل القبطى وخروجه من مصر ووروده مدين
- ١٨٦ » الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب لابنته إياه
- ١٨٨ » السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدء أمرها
- ١٨٩ » السابع في صفة المآرب التى كانت له فيها
- ١٩١ » الثامن في ذكر خروج موسى من مدين وتكليم الله إياه فى الطريق
- وإرساله إلى فرعون واستعانتة بأخيه هرون وكيفية ذهابهما إلى فرعون
- ١٩٥ » التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون
- ١٩٦ » العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة
- ١٩٩ » الحادى عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته ومقتله وأولاده
- » الثانى عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها
- ٢٠٠ » الثالث عشر في بناء الصرح
- ٢٠٢ » الرابع عشر في ذكر الآيات التى ابتلى الله بها فرعون وقومه الخ
- ٢٠٣ باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها
- ٢٠٣ فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة فى الجراد
- ٢٠٩ الباب الخامس عشر في قصة إسراء موسى ببني إسرائيل وفلق البحر لهم
- ٢١٣ » السادس عشر ذهاب موسى إلى الجبل لملاقات ربه وإيتاء الله الألواح
- ٢١٥ فصل فى نسخة العشر السكيات التى كتبها الله تعالى لموسى نبيه الخ
- ٢١٩ باب فى قصة بنى إسرائيل وهرون مع السامرى حين اتخذ لهم العجل
- ٢٢٣ » » » قارون حين عصى ربه الخ
- ٢٢٨ » » » موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب

صحيفة

- ٢٣١ فصل في ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله
- ٢٣٢ » » بدء أمر الخضر عليه السلام
- ٢٤٣ باب في ذكر قصة عاميل قتييل بنى إسرائيل وقصة البقرة
- ٢٤٧ » » » بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التي كانت تأكل القربان النخ
- ٢٤٩ » » » مسيرة بنى إسرائيل إلى الشام حين جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين النخ . فصل في فضل الشام وأهله
- ٢٥٠ » » » قصة بلعام بن باعوراء
- ٢٥٤ » » » النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومه النخ
- ٢٥٥ فصل في ذكر جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله
- ٢٥٨ باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بنى إسرائيل في التيه النخ
- ٢٦١ » » فتح أريحاء ونزول بنى إسرائيل الشام . قصة وفاء هرون عليه السلام
- ٢٦٢ ذكر وفاة موسى عليه السلام ٢٦٦ مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بأمور بنى إسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام
- ٢٦٦ ذكر حزقييل عليه السلام ٢٦٨ باب في قصة إلياس عليه السلام
- ٢٦٨ قصة اليسع عليه السلام ٢٧١ مجلس في قصة ذى الكفل عليه السلام
- ٢٨٣ مجلس في قصة عيلي وشمويل وهي تشتمل على أبواب كثيرة النخ
- فصل في سياق الآية ومقدمة القصة ٢٨٤ القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته
- ٢٨٥ ذكر قصة طالوت وإتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به
- ٢٧٨ قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه
- ٢٩١ باب في قصة شمويل حين أوحى الله إليه أن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت مع بنى إسرائيل وصفة نهر الابلأ ٢٩٢ باب في ذكر أمر داود ونخبر طالوت وقتله
- ٢٩٥ ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه إلى داود عليه السلام بعد قتل جالوت
- ٢٩٩ مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها
- باب في ذكر نسبه - باب في ذكر صفته وحليته
- » » » ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل النخ

صحيفة

- ٣٠٤ باب في قصة داود حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك
- ٣١٢ » » ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما
- ٣١٣ » » قصة أصحاب السبت ٣١٥ باب في قصة داود وسليمان في الحرب
- ٣١٦ » » استخلاف داود لابنه سليمان وذكر بدء الخاتم
- ٣١٨ » » ذكر وفاة داود عليه السلام ٣١٩ مجلس في قصة سليمان وما يتعلق به
- ٣٢٠ » » صفة حليته باب فيما خص الله به نبيه عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك ٣٣٣ حديث القبة
- ٣٢٥ قصة مدينة سليمان التي كان يسافر بها في الهواء ، صفة كرسى سليمان
- ٣٣٦ صفة بذيانه وبدء أمره ٣٤٣ قصة بلقيس ملكة سبأ والهدم وما يتصل به
- ٣٤٤ صفة القصر الذي بذنه بلقيس ٣٤٥ صفة عرشها
- ٣٥٤ باب في ذكر غزوة سليمان أبا زوجته والجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسلب زوال ملكه
- ٣٥٩ » » » وفاة سليمان ٣٦٢ مجلس في قصة بختنصر وما يتصل به
- ٣٦٣ قصة شعيب ٣٦٩ قصة أرميا
- ٣٧٦ قصة دانيال ٣٧٩ خبر وفاة دانيال
- ٣٨٢ باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
- ٣٨٥ » » » تمام قصة عزيز وحاله بعد ما رجع إلى قومه
- ٣٨٦ مجلس في ذكر غزوة بختنصر للعرب وقصة يوحنا وخراب حضور
- ٣٧٨ » » » لقمان الحكيم وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه
- ٣٨٩ » » » ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن
- ٣٩٣ » » قصة بلوقيا ٤٠٠ مجلس في ذكر قصة ذي القرنين
- باب في نسبه ولقبه ٤٠١ باب في قصة بدء أمره وسبب استكمال ملكه
- ٤٠٦ » » ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره إلى البلاد والآفاق
- ٤٠٩ » » صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به

صحيحة

- ٤١١ باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالى لطلب عين الحياة
- ٤١٦ مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى ونسب زكريا
- ٤١٨ باب في مولد مريم ونخب تحريرها ٤٢٠ مولد يحيى بن زكريا
- ٤٢٢ » » صفته وحليته وفصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده
- ٤٢٥ » » مقتله عليه السلام ٤٢٧ ذكر مقتل زكريا
- ٤٢٨ مجلس في مولد عيسى وفي حمل مريم وما يتصل به
- ٤٣١ باب في ذكر ميلاده
- ٤٣٣ رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها إياه إلى قومها من بيت لحم
- ٤٣٥ باب في ذكر خروج مريم وعيسى إلى مصر
- ٤٣٦ » » صفة عيسى وحليته
- » » ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى في صباه إلى أن نبي
- ٤٣٩ » » رجوع مريم وعيسى إلى بلادهما بعد موت هردوس
- ٤٤٠ » » قصة الحوارين
- ٤٤١ ذكر خصائص عيسى والمعجزات التي ظهرت على يديه بعد مبعثه
- إلى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه وذكر حديث جامع في هذا الباب
- ٤٥٣ ذكر نزول عيسى من السماء ٤٥٥ ذكر وفاة مريم ابنة عمران
- ٤٥٦ » » » » في المرة الثانية في آخر الزمان
- باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى إلى أنطاكية ، وذلك في أيام ملوك الطوائف
- ٤٥٩ قصة يونس بن متى ٤٦٤ باب في قصة أصحاب السكف
- ٤٨٥ مجلس في ذكر جرجيس ٤٩٣ باب في قصة شمسون النبي
- ٤٩٤ باب قصة أصحاب الاخدود
- ٤٩٨ باب في قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لسيدنا محمد ﷺ

(تمت)